المفاتيح
في شرح
المصابيح
تأليف
العلامة مظهر الدين الزيداني
الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني المظهري الكوفي
المتوفى سنة ٧٢٧ هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق ودراسة
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب
المجلد الخامس
إصدارات
إدارة الثقافة الإسلامية
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

المفاتيح
في شرح
المصابيح

(٥)

(۲۰)
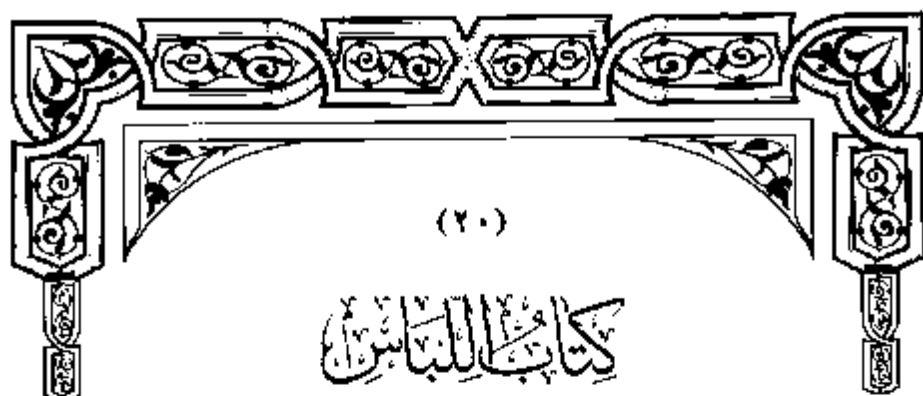
کتاب اللباس

(٢٠)

كتاب اللباس

(كتاب اللباس)

١ - باب

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣١٨ - عن أنسٍ ﷺ قال: كانَ أحبُّ الثِّيابِ إلى النَّبيِّ ﷺ أنْ يَلْبَسَها الحِبَرة.

قوله: «الحبرة»: المُخَطَّط من بُرد اليَمن.

* * *

٣٣١٩ - وقالت عائشةُ رضي الله عنها: خرجَ النبيُّ ﷺ ذاتَ غَداةٍ وعليهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِن شعرٍ أسودَ.

قوله: «وعليه مِرط مُرَحَّل»، (المِرط): إزار طويل واسع يُتَّزر به، ويُلقى بعضُه على الكتفين، (المُرَحَّل): ما عليه صورٌ كصور الرَّحْل.

* * *

٣٣٢١ - عن أبي بُرْدةَ قال: أخرجَتْ إلينا عائِشَةُ كِساءً مُلَبَّداً وإزاراً غليظاً

فقالت: قُبِضَ روحُ رسولِ الله ﷺ في هذَيْنِ.

قوله: «كساء مُلبّداً»؛ أي: مرقّعاً، يقال للرقعة التي تخاط على صدر القميص: لِبْدَة، والرقعة التي تخاط على ظهر القميص: قَب وقَبية.

* * *

٣٣٢٤ ـ وقالت عائشةُ: بينا نحنُ جُلوسٌ في بيتِنا في حَرِّ الظَّهيرةِ قالَ: قائلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسولُ الله ﷺ مُقْبِلاً مُتَقَنِّعاً.

قوله: «هذا رسول الله مُقبلاً متقنّعاً»، (مقبلاً متقنعاً) منصوبان على الحال؛ يعني: قال قائل: قد جاء رسول الله في حال كونه مُقبلاً إلينا متقنّعاً.

(المتقنِّع): الذي ألقى على رأسه إزاراً لدفع الحرِّ أو البرد.

* * *

٣٣٢٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لهُ: فِراشٌ للرَّجلِ، وفِراشٌ لامرأتهِ، والثالثُ للضَّيفِ، والرابعُ لِلشَّيطانِ.

قوله: «الرابع للشيطان»؛ يعني: ما زاد على قدر الحاجة إسراف، والإسرافُ من فعل الشيطان.

* * *

٣٣٢٦ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَن جرَّ إزارَه بَطَراً».

قوله: «من جرَّ إزارَه»؛ أي: من كان ذَيلُه أو إزاره طويلاً بحيث يجرُّه على الأرض من البَطَر وهو التكبُّر والتبختُر.

* * *

٣٣٢٨ ـ وقال: «بينَما رَجُلٌ يجرُّ إزارَه مِن الخُيَلاءِ، خُسِفَ بهِ فهو يتجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ».

قوله: «خُسِفَ به»؛ أي: أدخل فيه.

«يتجَلْجَلُ»؛ أي: يدخل في الأرض.

روى هذا الحديثَ ابن عمر.

* * *

٣٣٢٩ ـ وقال: «ما أسفلَ مِن الكعبينِ مِن الإزارِ في النَّارِ».

قوله: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار»؛ يعني: يجوز تطويلُ الذَّيلِ إلى الكعبين، فما أسفل من الكعبين فهو موجِبٌ لإدخال صاحبه النار.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٣٣٠ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: نَهى رسولُ الله ﷺ أنْ يأكلَ الرَّجلُ بشِمالِه، أو يمشيَ في نعلٍ واحدةٍ، وأنْ يشتملَ الصَّمَّاءَ، أو يحتبيَ في ثوبٍ واحدٍ كاشِفاً عن فَرْجِهِ.

قوله: «أو يمشي في نعل واحدة»، سبب النهي عن المشي في نعل واحدة وجوه:

أحدها: أن الرَّجُل إذا كانت إحدى رجليه حافيةً فتخرج تلك القدم فيعتمد على القدم المُتنعِّلة فيعسُر عليه المشيُ.

الثاني: أنه إذا اعتمد على القدم المتنعلة تظهر قدمُه الحافية في نظر الناس كأنه أقصر من رجله المتنعلة، فيعِيبُه الناسُ وينسبونه إلى العَرَج، فيكون

تغييراً لخَلْقِ الله.

الثالث: أن الناس ينسبونه إلى السَّفَه وقلّة العقل؛ لأن هذا الفعل ليس من فعل العقلاء، وقد ذُكر شرح اشتمال الصَّمَّاء والاحتباء في (باب النهي عنها من البيوع).

* * *

٣٣٣١ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن لبسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخرةِ».

قوله: «من لَبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يَلْبَسْه في الآخرة»، تأويله: من لبس الحرير في الدنيا معتقداً تحليلَه فهو كافر فلم يدخلِ الجنة، فإذا لم يدخل الجنة لم يلبسْ من حريرها، وإن لبسَ الحرير في الدنيا معتقداً تحريمَه فتأويلُ الحديث في حقه: أنه لا يدخل الجنة حتى يُطَهَّر من الذنوب؛ إما بالتوبة، أو بأن يعفو الله تعالى عنه بفضله، أو بأن يعذِّبه بقَدْر ذنوبه ثم يدخل الجنة ويلبس الحرير.

روى هذا الحديثَ ابن الزبير.

* * *

٣٣٣٢ ـ وقال: «إنَّما يلبسُ الحريرَ في الدُّنيا مَن لا خَلاقَ لهُ في الآخرةِ».

قوله: «من لا خلاقَ له»؛ أي: من لا نَصيبَ له، وتأويل هذا الحديث ما ذُكر.

روى هذا الحديثَ عمر.

* * *

٣٣٣٤ ـ وقال عليٌّ ﷺ: أُهْدِيَتْ لرسولِ الله ﷺ حُلَّةٌ سِيَراءَ فبعثَ بها إليَّ فلَبِستُها، فعرفْتُ الغضبَ في وجهِهِ، فقالَ: «إنِّي لم أبعثْ بها إليكَ لِتَلْبَسَها، إنما بعثْتُ بها إليكَ لتُشَقِّقَها خُمُراً بينَ النساءِ».

قوله: «حُلَّة سِيَراء»؛ أي: ثوب مُخَطَّط، ووجهُ تحريمِها على الرجال: أنها كانت من إِبْرِيْسَم، أو كان أكثرُها إبرِيسَماً.

قوله: «لتشـقِّقها خُمُراً»، (الخُمُر): جمع خمار وهي المُقَنَّعة؛ يعني: لتقطعَها قطعة، وكلُّ قطعة قدر خِمار، وتعطي كلَّ امرأة واحدةً منها.

* * *

٣٣٣٦ ـ ورُوِيَ عن عمرَ: أنَّه خطبَ بالجابيَةِ فقال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن لُبْسِ الحريرِ إلا في موضعِ إِصْبَعَينِ، أو ثلاثٍ، أو أربعٍ.

قوله: «خطبَ بالجَابية»؛ أي: وعظ الناس بالجابية وهي اسمُ بلدٍ بالشام.

قوله: «إلا موضعَ إصبعَينِ، أو ثلاثٍ، أو أربعٍ»؛ يعني: يجوز أن يجعل قدر أربع أصابع مضمومة من الحرير علماً أو قَراويز لثوب، وإنما قلنا: قدر أربع أصابع مضمومة من الحرير لا مُفَرَّجة؛ لأن ابن عمر ﷺ روى في هذا الحديث المتقدم: أن رسول الله ﷺ رفع إصبعيه وضَمَّهما.

* * *

٣٣٣٧ ـ وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ: أنها أخرجَتْ جُبَّةَ طَيالِسَةٍ كِسْرَوانِيَّةٍ لها لِبنةُ ديباجٍ، وفرجَيْها مكفوفَيْنِ بالدِّيباجِ، وقالت: هذه جُبَّةُ رسولُ الله ﷺ، كانَتْ عندَ عائشةَ رضيَ الله عنها، فلمَّا قُبِضَتْ، قَبَضْتُها، وكانَ رسولُ الله ﷺ يلبَسُها، فنحنُ نغسِلُها للمَرْضَى نستَشْفي بها».

قوله: «جُبَّة طَيالِسة»؛ أي: رَثَّة وهي الخَلَق.

«فَرْجاها»؛ أي: شِقَّاها.

«مكفوفان»؛ أي: مَخِيطان بالحرير؛ يعني: خِيط على طرف كلِّ شق قطعة ثوبٍ حرير من الأعلى إلى الأسفل.

* * *

٣٣٣٨ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ للزُّبيرِ وعبدِ الرحمنِ ابن عوفٍ في لُبْسِ الحريرِ لِحِكَّةٍ بهما.

ورُوِيَ: أنهما شَكَوَا القَمْلَ فرخَّصَ لهما في قُمُصِ الحريرِ.

قوله: «فرخص لهما في قمص الحرير»، (القُمُص): جمع قميص؛ يعني: يجوز لبس الحرير إذا دعت ضرورة إلى لبسه؛ كالحرِّ والبرد المُهْلِكَين، وكما إذا فاجأته الحربُ ولم يجدْ غيره، أو دعت إليه حاجةٌ بأن كان به جَرَبٌ أو حِكَّة، أو لَبِسه لدفع القَمْل.

* * *

٣٣٣٩ ـ عن عبدِالله بن عمرِو بن العاصِ ﷺ: أنَّه قال: رَأَى رسولُ الله ﷺ عليَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فقال: «إنَّ هذه مِن ثيابِ الكُفَّارِ فلا تلبسهما».

وفي روايةٍ: «قلتُ: أَغسِلُهما؟ قال: «أَحرِقْهما».

قوله: «رأى رسولُ الله ﷺ عليَّ ثوبينِ مُعَصْفَرينِ فقال: إنَّ هذه مِنْ ثيابِ الكُفَّار»، (المُعصفر): المصبوغ بالعُصْفر وهو شيء أحمر يقال له بالفارسي: خسك، كَرِهَ رسولُ الله ﷺ الثوبَ الذي جميعه[1] أحمر للرجال؛ لأن لبسه تشبيهٌ

---

(١) في «ش»: «صبغه».

للرجال بالنساء، وقيل: النهي مختصٌّ بالمعصفر دون المصبوغ بحُمرة أخرى؛ لأن للمعصفر رائحةً لا تليق بالرجال. ويجوز المصبوغ بالحُمرة من المعصفر وغيره للنساء.

قوله: «إن هذا من ثياب الكفار»؛ يعني: الكفار هم الذين لا يميزون الرجال من النساء في اللبس بخلاف المسلمين، فإن الرجالَ لا يلبسون ثياب النساء.

قوله: «أحرقهما»، هذا مبالغة للزَّجر، وقد جاء في الصِّحاح برواية أخرى: أن عبدالله بن عمرو لمَّا عرف الكراهة في وجه النبيِّ ﷺ بلبسه الثياب المعصفر ألقى ذلك الثوبَ في تنُّور وأحرقَه، فلما أتى إلى النبيِّ ﷺ قال النبي ﷺ: «ما فعلتَ بثوبك؟» فقال: أحرقتُه، فقال النبيُّ ﷺ: «أفلا كَسوتَها بعضَ أهلِك، فإنه لا بأسَ بها للنساء».

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٣٤٠ - عن أمِّ سَلَمةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت: كانَ أحبُّ الثِّيابِ إلى رسولِ الله ﷺ القميصَ.

فقولها: «**كان أحبُّ الثيابِ إلى رسول الله ﷺ القميصَ**»، (الثياب) جمع ثوب، وهو اسم لما يَستُر به الرجلُ نفسَه مَخيطاً كان أو غيرَ مَخيط.

و(القميص): اسم لما يلبسه الرجل من المَخيط الذي له كُمَّان وجَيب.

* * *

٣٣٤١ - عن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها قالت: كانَ كُمُّ قميصِ رسولِ الله ﷺ إلى الرُّسْغِ. غريب.

قولها: «إلى الرُّسْغ»؛ أي: إلى الكُوع.

* * *

٣٣٤٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا لبسَ قميصاً بدأَ بميامِنِهِ.

قوله: «بدأ بميامنه»؛ أي: أخرج يـدَه اليمنى في الكُمِّ قبل اليسرى، وكذلك في السَّراويل.

* * *

٣٣٤٣ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِزْرَةُ المؤمنِ إلى أنصافِ سـاقَيْهِ، لا جُناحَ عليهِ فيما بينَهُ وبينَ الكعبينِ، ما أسفلَ مِن ذلكَ ففي النارِ»، قال ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، «ولا ينظرُ الله يوم القيامةِ إلى مَن جَرَّ إزارَهُ بَطَرًا».

قوله: «إزرة المؤمن»، (الأُزرة): الإزار، (الأنصاف) جمع نِصْف.

* * *

٣٣٤٥ ـ عن أبي كبشةَ ﷺ قال: «كانَ كِمامُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ بُطْحاً».

قوله: «كانت كِمَامُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ بُطْحاً»، (الكِمام) جمع كُمَّة وهي القَلَنْسُوة.

(البطح): جمع أبطح وبَطْحاء، والأبطح: المُنبسط، وقَلَنْسُوة بطحاء: التي تُلْصق على الرأسِ غير مرتفعةٍ عن الرأس.

* * *

٣٣٤٦ ـ عن أمِّ سلمَةَ قالت لرسولِ الله ﷺ حينَ ذَكَرَ الإزارَ: فالمرأةُ يا رسولَ الله؟ قال: «تُرْخي شِبْراً»، فقالت: إذاً ينكشفُ عنها ـ ويُروَى: تنكشفُ أقدامُهنَّ ـ قال: «فذراعاً، لا تَزيدُ عليه».

قوله: «تُرخِي شِبْراً»؛ أي: تُسْبِل ذيلَها أو إزارها قَدْرَ شِبْرٍ؛ يعني: يجوز للنساء إطالةُ أذيالهن بحيث يَصِلُ قدرُ ذراعٍ من أذيالهنَّ إلى الأرض لتكون أقدامُهنَّ مستورةً.

* * *

٣٣٤٧ ـ عن معاويةَ بن قُرَّةَ، عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في رَهْطٍ مِن مُزَيْنَةَ، فبايعوهُ وإنه لَمُطْلَقُ الإزارِ، فأدخلتُ يدَيَّ في جيبِ قميصِهِ، فمَسَسْتُ الخاتمَ.

قوله: «وإنه لَمُطْلَقُ الإزار»، (المطلق): المفتوح، و(الإزار) هنا بمعنى: القميص؛ يعني: كان قميصُه مفتوحاً واسعاً، ولم يكن مشدودَ الأزرار ـ الأزرار: جمع زِر: وهو ما تَعلَّق بالعُروة، والعُرْوة: حِلَق الجَيب، وكان عادة العربِ أن تكون جُيوبُهم واسعةً فربما يشدُّونه وربما يتركونه مفتوحاً ـ.

* * *

٣٣٤٨ ـ عن سَمُرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اِلبَسُوا الثيابَ البيضَ، فإنها أَطْهرُ وأطيبُ، وكفِّنوا فيها مَوْتاكم».

قوله: «البسُوا الثيابَ البيضَ فإنَّها أطهرُ وأطيبُ»، إنما قال: (أطهر)؛ لأنه لم تصل إليه يدُ الصَّبّاغ، فإن الصَّبغ قد يكون نجساً بتلطُّخه وملاقاته شيئاً نجساً، فإن الثياب الكثيرة إذا أُلقيت في ظَرف الصَّبغ يمكن أن يكون بين تلك

الثياب ثوبٌ نجس فينجُسُ الصِّبغ، فالاحتياط أن لا يصبغ الثوب، ولأن المصبوغ إذا وقعت عليه نجاسة لا تظهر مثل ظهورها إذا وقعت في ثوب أبيض، فإذا كانت النجاسة أظهرَ في ثوب الأبيض يغسِلُه صاحبه فقد عُلِمَ أن الثوبَ الأبيض أطهرُ من غيره.

قوله: «وأطيب»؛ أي: أحسن؛ لأن الثوب الأبيض بقي على اللون الذي خلقه الله عليه، وتركُ تغييرِ خلق الله أحسن وأحبُّ، إلا إذا جاء نصٌّ باستحباب تغييره كخِضاب المرأة يدَها بالحِنَّاء وخِضاب الشَّعر.

* * *

٣٣٤٩ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا اعْتَمَّ سَدَلَ عمامَتَهُ بينَ كتفيْهِ. غريب.

قوله: «سَدَلَ عِمامَته»؛ أي: أسبلَ جُزْءَ عِمامته خلفَ ظهره.

* * *

٣٣٥٠ ـ وعن عبدِ الرَّحمنِ بن عوفٍ ﷺ: أنه قال: عمَّمَني رسولُ الله ﷺ فسدَلَها بينَ يديَّ ومِن خلفي».

قوله: «فَسدَلها»؛ أي فأسبلَ لِعمامتي جزأين؛ أحدَهما خلفَ ظهري، والآخرَ على صدري.

* * *

٣٣٥١ ـ وعن رُكانة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «فَرْقُ ما بَيْنَنا وبينَ المُشركينَ، العَمائمُ على القَلانِسِ»، صحيح.

قوله: «فَرْقُ ما بيننا وبينَ المشركين العمائمُ على القَلانس»؛ يعني: كان

المشركون يعمّمون على رؤوسهم من غير أن يكون تحت العمامة قَلَنْسُوة، ونحن نعمّمُ على القَلَنْسُوة.

* * *

٣٣٥٢ ـ عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُحِلَّ الذَّهبُ والحريرُ للإناثِ مِن أمَّتي، وحُرِّمَ عن ذكورِها»، صحيح.

قوله: «أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ للإناث من أمّتي، وحُرِّم على ذكورها»، أراد بتحليل الذهب والفضة على النساء الحلي دون الأواني، فإنَّ الأواني من الذهب والفضة حرامٌ على الإناث كالذُّكور.

* * *

٣٣٥٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوباً سمَّاهُ باسمِهِ، عمامةً، أو قميصاً، أو رداءً، ثم يقولُ: «اللهمَّ لكَ الحمدُ كما كَسَوْتَنِيهِ، أسألُكَ خيرَه وخيرَ ما صُنِعَ لهُ، وأعوذُ بكَ مِن شرِّه وشرِّ ما صُنِعَ لهُ».

قوله: «استَجَدَّ»؛ أي: إذا لبس ثوباً جديداً سمَّاه باسمه؛ مثل أن يقول: رزقني الله هذه العمامةَ، أو هذا القميصَ، أو يقول: كَساني الله هذه العمامةَ، وما أشبه ذلك، ثم يدعو، ويحتمل أن يسمِّي ذلك الثوب عند قوله: (كما كسوتني) بأن يقول: اللهمَّ لك الحمدُ كما كسوتني هذا الثوبَ أو هذه العمامةَ وغيرهما.

* * *

٣٣٥٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ! إنْ أردتِ اللُّحوقَ بي فليكفِكِ مِن الدُّنيا كزادِ الرَّاكبِ، وإيَّاكِ

ومجالسةَ الأغنياءِ، ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيهِ»، غريب.

قوله: «ولا تَسْتَخْلِقِي ثوباً»؛ أي: ولا تتركي ثوباً ولا تُلقيه حتى تَخِيطي عليه رُقْعة، ثم تَلبسيه مرةً أخرى، أراد ﷺ بهذا الحديث: تحريضَ عائشةَ على ترك الدنيا واختيارِ القَناعة.

* * *

٣٣٥٦ ـ وقال: «إنَّ البَذاذَةَ مِن الإيمانِ».

قوله: «إن البَذَاذةَ من الإيمان»، (البذاذة): خُلُوقة الثوب؛ يعني: ترك الزينة واختيار الفقر بلبس الخَلَقِ من الثياب من كمال الإيمان.

روى هذا الحديثَ إياس بن ثعلبة.

* * *

٣٣٥٧ ـ وقال: «مَن لبسَ ثوبَ شُهرةٍ في الدُّنيا، ألبسَهُ الله ثوبَ مَذَلَّةٍ يومَ القيامةِ».

قوله: «مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرة»؛ يعني: من لبس ثوباً مُزيَّناً للتفاخر والتكبُّر ألبسه الله ثوبَ مَذَلَّة يوم القيامة.

* * *

٣٣٥٨ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن تَشبَّهَ بقومٍ فهو منهم».

قوله: «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»؛ يعني: من شَبَّه نفسَه بالكفار في اللباس وغيره من المحرَّمات، فإن اعتقد تحليلَه فهو كافر، وإن اعتقد تحريمَه فقد أَثِمَ.

وكذلك من شَبَّه نفسه بالفُسَّاق، ومن شبَّه نفسَه بالنساء في اللباس وغيره فقد أَثِم.

* * *

٣٣٥٩ - وقال: «مَن ترك لُبْسَ ثوبِ جَمالٍ وهو يقدرُ عليهِ - ويُروَى: تَواضعاً - كساهُ الله حُلَّةَ الكرامةِ».

وقال: «مَن زَوَّجَ للهِ توَّجَهُ الله تاجَ الملكِ».

قوله: «كَسَاه الله حُلَّةَ الكَرامة»؛ يعني: من ترك ثوبَ زينة مع القدرة عليه أكرمه الله وألبسَه من ثياب الجنة.

روى هذا الحديث معاذ بن أنس.

* * *

٣٣٦٠ - عن عمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يُحِبُّ أن يَرَى أثرَ نِعمَتِهِ على عبدِه».

قوله: «أنْ يرى أثرَ نعمتِه على عَبْدِه»؛ يعني: إذا آتى الله عبداً من عباده نعمةً من نِعَم الدنيا فلْيُظْهِرْها من نفسه بلبس لباسٍ يليق بحاله إذا لم يكن ذلك اللباسُ محرَّماً، ولتكنْ نيتُه في لبس ذلك اللباس إظهارَ نِعَمِ الله ليقصدَه المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات، ولا يجوز أن يكتُم نِعَمَ الله بحيث لا يعرفُه المحتاجون، ولا يَصِلُ منه خيرٌ إلى الناس، وكذلك العلماء لِيُظْهِروا علمَهم ليعرفَهم الناسُ ليستفيدوا من علمهم.

* * *

٣٣٦١ - عن جابرٍ ﷺ قال: أتانا رسولُ الله ﷺ زائراً، فرأى رجلاً شَعِثاً قد تفرَّقَ شَعرُهُ فقال: «أَمَا كانَ يجدُ هذا ما يُسَكِّنُ بهِ رأسَهُ»، ورأى رَجُلاً عليهِ ثيابٌ وَسِخةٌ فقال: «أَمَا كانَ يجدُ هذا ما يغسلُ بهِ ثوبَهُ».

قوله: «رأى رجلاً شَعِثاً»؛ أي: متفرقَ شعرِ الرأس، أراد بهذا الحديث: أنه لا ينبغي للرجل أن يشبه نفسَه بالحيوان غيرِ الآدمي، بل ليتطهَّر وليتطيَّب وليتزيَّن، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢].

* * *

٣٣٦٢ ـ عن أبي الأحْوَصِ الجُشَميِّ ﷺ، عن أبيهِ قال: رآني النبيُّ ﷺ وعليَّ أطمارٌ فقال: «هل لكَ مِنْ مالٍ؟» قلتُ: نعم، قال: «مِن أيِّ المالِ؟» قلتُ: مِن كلٍّ قد آتاني الله، مِن الشَّاءِ والإبلِ، قال: «إذا آتاكَ الله مالاً فلتُرَ أثرُ نعمةِ الله وكرامتِهِ عليكَ».

قوله: «وعليَّ أطْمار»، الواو للحال، (أطمار): جمع طِمر، وهو الثوب الخَلَق.

«فلتر نعمة الله وكرامته عليك»؛ يعني: البس ثوباً يليق بحالك ليعرف الناس أنك غني، وأن الله قد أنعم عليك بأنواع النعم.

* * *

٣٣٦٣ ـ وعن عبدِالله بن عَمرٍو ﷺ قال: مَرَّ رجلٌ وعليهِ ثَوْبانِ أحمرانِ، فسلَّم على النبيِّ ﷺ فلَمْ يَرُدَّ عليهِ.

قوله: «مرَّ رجلٌ وعليه ثوبانِ أحمرانِ فسلَّم على النبيِّ ﷺ فلم يَرُدَّ عليه»، هذا الحديث يدل على أن مَنْ كان مشغولاً بمَنْهيٍّ في وقت تسليمه لا يستحقُّ جوابَ السلام، ويستحب أن يقول المُسلَّم عليه: إنما لم أردَّ عليك السلامَ لأنك مشغولٌ بالمنهي.

* * *

٣٣٦٤ ـ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ ﷺ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «لا أركبُ الأُرْجُوانَ، ولا ألبَسُ المُعَصْفَرَ، ولا ألبسُ القميصَ المكفَّفَ بالحرير»، وقال: «ألا وَطِيبُ الرِّجالِ ريحٌ لا لونَ لهُ، وطيبُ النِّساءِ لونٌ لا ريحَ لهُ».

قوله: «لا أركبُ الأُرْجُوانَ»، (الارجوان): ورد أحمر؛ يعني: لا أجلس على ثوب أحمر، ولا أركب دابة على سَرْجِها مِيثَرة حمراء، والمِيثَرة: وسادة صغيرة توضع في السَّرج.

قوله: «ولا ألبسُ القميصَ المكُفَّفَ بالحرير»، هذا الحديث يناقض حديث أسماء بنت أبي بكر فإنها أخرجت جُبَّة طَيالِسَة كِسْرَوانيَّة فَرْجَاها مَكْفُوفان بالدِّيباج، وتأويل هذا الحديث: أن ما كُفِّفَ بالحرير من الثوب أكثر من قَدْرِ ما رُخِّص وهو قدر أربع أصابع، أو يُتأول هذا الحديث على الوَرَع وذلك الحديث على الرُّخصة.

قوله: «وطِيبُ الرجالِ ريحٌ لا لونَ له، وطِيبُ النساءِ لونٌ لا ريحَ له»، (الطِّيب): اسمٌ لِمَا يَجِدُ الرجلُ منه تلذُّذاً؛ إما بالفَمِ كالأطعمة اللذيذة، أو بالعين كالألوان المُستَمْلَحة، أو بالأنف كالرائحة الطَّيبة؛ يعني: ليكن طيبُ الرجال رائحةً دون اللون كرائحة ماء الورد والعود وغيرها من الروائح الطيبة، وليكن طيبُ النساء لوناً دون رائحة كخِضاب اليد والرِّجل بالحِنَّاء، ولا يجوز لهنَّ التطيُّبُ بما له رائحة طيبة عند الخروج من بيوتهنَّ إلى صلاة أو عبادة أو غيرها، فيجوز لهنَّ التطيبُ عند أزواجهنَّ إذا لم يخرجْنَ من بيوتهنَّ.

روى هذا الحديثَ عِمْران بن حُصَين.

* * *

٣٣٦٥ ـ وعن أبي ريحانةَ ﷺ قال: نَهَى رسـولُ الله ﷺ عن عشرٍ: عن

الوَشْرِ، والوَشْمِ، والنَّتْفِ، وعن مُكامَعةِ الرَّجُلِ الرَّجلَ بغيرِ شِعارٍ، ومُكامعةِ المَرأةِ المَرأةَ بغيرِ شِعارٍ، وأنْ يَجعَلَ الرَّجلُ في أسفلِ ثيابـهِ حريراً مثلَ الأعاجِمِ، أو يَجعلَ على مَنْكِبَيْهِ حريراً مثلَ الأعاجِمِ، وعن النُّهْبَى، ورُكوبِ النُّمورِ، ولُبوسِ الخاتمِ إلا لِذِي سُلطانٍ.

قوله: «**عن الوَشْرِ**»: وهو ترقيق الأسنان بحَديدة.

و(**الوشم**): وهو أن يَغْرِزَ إبرة على ظهر الكف أو غيره ويجعل فيه شيئاً ليبقى نقشُه.

و(**النتف**) أراد بهذا النتفِ نتفَ الشعر من الوجه كعادة النساء، ونتف الشعر الأبيض من اللحية كيلا يظن الرجل أنه صار أشيب، ونتف الشعر عند المصيبة من الرأس.

«**ومُكامَعة الرجلِ الرجلَ بغير شِعَار**»، (**المكامعة**): المضاجعة، الشعار: اللباس؛ يعني: لا يجوز أن يضطجع رجل عند رجل عارِيَين، وكذلك المرأتان.

«**وأن يجعل الرجل في أسفل ثيابه حريراً**»؛ يعني: لبس الحرير حرام على الرجال سواء كان تحت الثياب أو فوقها، وعادةُ جُهَّال العَجَمِ أن يلبسوا تحت الثياب ثوباً قصيراً من الحرير لتَلْيين أعضاءهم.

«**أو يجعل على منكبه حريراً مثل الأعاجم**»؛ يعني: نهى أن يجعل الرجل علم حرير على قميصه، وتأويل هذا النهي: أنه يكون أكثر من قدر ما رُخِّص فيه كما ذكر قبل هذا.

«**وعن النُّهبى**»؛ يعني: عن إغارة أموال المسلمين.

وعن «**ركوب النمور**»، (النمور): جمع نمر؛ يعني: عن الجلوس على جلد النمر، ووجه النهي: أنه نجس إن لم يكن مدبوغاً، وإن كان مدبوغاً فطاهر، إلا أن الجلوس عليه رُعُونة وتكبر.

«ولبس الخاتم إلا لذي سلطان»؛ يعني: لا يجوز لبس الخاتم من الفضة إلا لسلطان فإنه يحتاج إليه لختم الكتاب وغيره، وهذا النهي منسوخٌ، بل يجوز لجميع الرجال التختُّمُ بالفضة، كما يأتي في بابه.

* * *

٣٣٦٦ - عن عليٍّ ﷺ قال: نهاني رسولُ الله ﷺ عن خاتمِ الذَّهَبِ، وعن لُبْسِ القَسِّيِّ والمياثِرِ.

وفي روايةٍ: عن مَيَاثِرِ الأُرْجُوان.

قوله: «وعن لُبْسِ القَسِّيِّ»، (القسي): ثوب من حرير.

قوله: «الميـاثر» جمع مِيثَرة، وهي وسـادة صغيرة توضع في السَّرج، وإنما سمِّيت مِيثرة لوَثَارتها كما ذُكر.

* * *

٣٣٦٧ - وعن معاويةَ ﷺ قالَ: قالَ رسـولُ الله ﷺ: «لا تَركبُوا الخَزَّ ولا النِّمارَ».

قوله: «لا تركبوا الخَزَّ»، (الخز): ثوب من إبْرَيْسَم وصُوف، وقد يُستعمل في الثوب من الابريسَم والقُطْن والكتَّان، والمراد به هاهنا: الثوب الذي كلُّه من إبريسَم، أو أكثرُه من إبريسَم.

و«النمار»: جمع نمر، وقد ذُكر.

* * *

٣٣٦٩ - عن أبي رِمْثَةَ التَّيمِيِّ ﷺ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليهِ ثَوْبانِ أخضرانِ، ولهُ شعرٌ قد علاهُ الشَّيبُ وشَيبُهُ أحمرُ.

وفي روايةٍ: وهو ذو وَفْرَةٍ، وبها رَدْعٌ من حِنَّاءٍ.

قوله: «قد علاه الشَّيبُ»؛ أي: صار أشيبَ وشيبُه أحمر؛ يعني: كان قد خَضَّب شعره الأبيض بالحِنَّاء.

«ذو وَفْرة»، (الوفرة): شعر الرأس الذي وصل إلى شَحْمة الأذن.

«وبها»؛ أي: وبالوفرة «رَدْعٌ»؛ أي: أثَرٌ من الحِنَّاء.

* * *

٣٣٧٠ ـ وعن أنسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ شاكِياً، فخرج يَتَوكَّأُ على أسامةَ، وعليهِ ثوبٌ قِطْرِيٌّ قد تَوَشَّحَ به، فصَلَّى بهم.

قوله: «كانَ شَاكياً»؛ أي: مريضاً.

«يتوكأ»؛ أي: يتكأ.

«ثوب قطرٍ»، (القطر) ـ بفتح القاف وكسرها ـ: نوع من البُرود فيه حُمرة، القطر موضع بين عمان وسَيف البحر، وسيف الساحل: القِطر؛ أي: من الثوب المنسوب إليه.

«توشَّحَ به»؛ أي ألقى ذلك الثوبَ على عاتقيه؛ لأنه كان شِبْهَ رداء.

* * *

٣٣٧١ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ على النبيِّ ﷺ ثوبانِ قِطْرِيَّانِ غَليظانِ، فكانَ إذا قعدَ فعرِقَ ثَقُلا عليهِ، فقدِمَ بَزٌّ مِن الشَّامِ لفلانٍ اليهوديِّ، فقلتُ: لو بعثتَ إليه فاشتريتَ منهُ ثَوْبينِ إلى المَيْسَرَةِ، فأرسلَ إليه فقالَ: قد علمتُ ما يريدُ، إنما يريدُ أنْ يذهبَ بمالي، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «كذبَ؟ قد علمَ أنِّي من أتقاهُم وآداهُمْ للأمانةِ».

قولها: «قَدِمَ بَزٌّ من الشـــام»، (البز): الثوب؛ يعني: أتى تاجرٌ بثوب من الشام.

قولها: «لو بعثتَ إليه فاشـتريتَ منه ثوبيـنِ إلى المَيْسـرة»، (الميسرة)؛ أي: الغِنَى، جواب (لو) محذوف؛ يعني: لو أرسلت إلى ذلك اليهودي واشتريتَ ثوبين بثمن مؤجَّل إلى أن يحصل لك شيء من المال لَكانَ حسناً حتى لا يتأذى بهذين الثوبين القِطْريين، وكان القِطْريان من الصُّوف، وهذا البَزُّ كان من القُطن، فاستحسنت عائشةُ هذا البَزَّ لرسول الله ﷺ دون القِطْر.

قوله: «قد علمتُ ما يريدُ»؛ يعني: قال ذلك اليهوديُّ لرسولِ الله ﷺ: علمتُ ما تريد، إنما تريد أن تأخذ مني الثوبَ ولا تؤدي ثمنه إليَّ.

قوله: «قد عَـلِمَ»؛ يعني: علم ذلك اليهوديُّ أنِّي أتقـى النـاسِ وأحسنِهم وفاءً بالعهد والأمانة؛ لأنه قد قرأ في التوراة صفتي، ولكن إنما يقول: (يريد أن يذهبَ بمالي) مِنَ الحسد.

* * *

٣٣٧٢ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاصي ؓ قال: «رآني رسولُ الله ﷺ وعليَّ ثوبٌ مَصْبوغٌ بعُصْفُرٍ مُوَرَّداً فقال: «ما هذا؟» فعَرَفْتُ ما كرِهَ، فانطلقتُ فأحرقتُه، فقالَ النبيُّ ﷺ: «ما صنعتَ بثوبـكَ؟» فقلتُ: أحرقتُه، قال: «أَفَلا كَسَوْتَهُ بعضَ أهلِكَ، فإنه لا بأْسَ بِهِ للنِّساءِ».

قوله: «مُوَرَّداً»؛ أي: أحمر كلون الورد.

* * *

٣٣٧٣ ـ عن هلالِ بن عامرٍ ؓ، عن أبيه قال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ بمِنًى يخطُبُ على بغلةٍ وعليهِ بُرْدٌ أحمرُ وعليٌّ يُعَبِّـرُ عنه.

قوله: «وعليه بُرْدٌ أحمر»، تأويل هذا: أن ذلك البُرد لم يكن أحمر كلَّه، بل كان عليه خُطوط حُمْر.

قوله: «وعليٌّ يعبِرُ عنه»؛ يعني: علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ كان قائماً يفسِّر ويُوصل كلامَ النبيِّ ﷺ إلى الناس؛ لأنه من كَثْرةِ الخَلْق لا يَصِلُ صوتُ النبيِّ ﷺ إلى جميعهم.

* * *

٣٣٧٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: صُبِغَتْ للنبيِّ ﷺ بُرْدَةٌ سوداءُ فلَبِسَها، فلمَّا عَرِقَ فيها وجدَ ريحَ الصُّوفِ فقَذَفَها.

قولها: «فقذفها»؛ أي: ألقاها.

* * *

٣٣٧٥ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: أَتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُحْتَبٍ بشَمْلَةٍ قد وقع هُدْبُهَا على قدمَيْهِ.

قوله: «وهو يحتبي». (الاحتباء): أن يجلس الرجل على وَرِكَيه وينصِبَ ركبتيه بحيث يكون بَطْنا قدميه موضوعَين على الأرض.

قوله: «ويحتبي بشَمْلَة»، يحتمل أن يكون معناه: كان جالساً على هيئة الاحتباء، وألقى شملة خلفَ ركبتيه، وأخذ بكلِّ يدٍ طرفاً من تلك الشَّملةِ ليكون كالمتَّكئ على شيء، وهكذا تكون عادةُ العرب إذا لم يتكئوا على شيء أخذوا رُكَبَهم بأيديهم، وألقوا حبلاً أو مِنْطَقة أو غيرهما خلفَ ركبهم، ويشدُّونه خلف ظهرهم.

ويحتمل أن يكون معناه: أنه كان جالساً على هيئة الاحتباء وعليه شملة قد ائتزرَ بها.

قوله: «قد وقع هدبها على قدميه»، (الهدب): حاشية الإزار، وهذا يدل على أنَّ إطالة الذَّيل والإزارِ أسفل من الكعبين في الجلوس جائزٌ، والمنهي في إطالة الذيل أسفل من الكعبين إنما كان عند المشي والقيامِ دون القعود.

* * *

٣٣٧٦ ـ عن دِحْيَةَ بن خليفةَ رضي الله عنه قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ بقَباطيَّ فأعطاني منها قُبطِيَّةً فقال: «اصدَعْها صَدْعَينِ، فاقطعْ أحدَهما قميصاً وأعطِ الآخرَ امرأتَك تختمِرُ بهِ». فلما أدبرَ قال: «وأْمُرِ امرأتَكَ أنْ تجعلَ تَحْتَهُ ثوباً لا يصِفُها».

قوله: «بقَبَاطي»: هي جمع قُبْطِيَّة وهي الثوب الأبيض المصري.

«اصْدَعْها»: أي: اقطَعْها.

«صَدْعين»: أي: قطعتين.

قوله: «تختَمِرُ به»: أي: تجعله خِماراً.

قوله: «لا يصِفُها»: يعني: كان ذلك القُبْطي رقيقاً بحيث يظهر منه لونُ البشرة، فأمرها رسولُ الله ﷺ أن يجعل تحته مقنعة أخرى كيلا يظهر لون شعرها وجسدها، وكان ذلك القُبطي من الكَتَّان ولم يكن من الإبْرِيسَم؛ لأنه لو كان من الإبريسَم لم يجوِّزْ لِدِحْيةَ أن يلبَسَه.

* * *

٣٣٧٧ ـ عن أمِّ سلَمَةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليها وهي تختمِرُ فقال: «ليَّةٌ لا ليَّتَيْنِ».

قوله: «ليَّةٌ لا ليَّتين»: أي: أَدِيري خِمارَك على رأسك دَورة واحدة لا دورتين كيلا يشتبه اختمارك بليِّ عمامة الرجال، فإنه لا يجوز للنساء تشبيهُ أنفسهنَّ بالرجال ولا الرجال بالنساء.

* * *

٢ ـ باب
الخاتم

(باب الخاتم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣٧٨ ـ عن ابن عمرَ ﷺ قال: اتَّخَذَ النبيُّ ﷺ خاتماً مِن ذَهَبٍ ـ وفي روايةٍ: وجعلَهُ في يدِه اليُمنَى ـ ثم ألقاهُ، ثم اتَّخذَ خاتَماً من وَرِقٍ نُقِشَ فيه: محمدٌ رسولُ الله، وقال: «لا ينقشْ أحدٌ على نقشِ خاتَمي هذا»، وكانَ إذا لَبِسَه جعلَ فَصَّهُ مما يلي بطنَ كفِّهِ.

قوله: «اتَّخذَ النبيُّ ﷺ خاتماً من ذهب»، هذا كان قبل تحريم الذهب على الرجال.

قولـه: «لا ينقُشْ أحدٌ على نقشِ خـاتمي هـذا»، (على) هنا بمعنى: المِثْل؛ أي: لا يجوزُ لأحد أن ينقُشَ على خاتمه مثل نقش خاتمي؛ يعني: نقشُ خاتمي: محمدٌ رسول الله، وليس أحدٌ رسول الله بعدي حتى ينقشَ على خاتمه رسولَ الله.

* * *

٣٣٨٠ ـ وعن عبدالله بن عبَّاسٍ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ في يدِ رجلٍ، فنزعَهُ فطرحَه، فقال: «يَعْمِدُ أحدُكم إلى جَمْرٍ من نارٍ فيجعله في يده».

قوله: «يعمِدُ أحدُكم إلى جَمْرٍ من نار»، (يعمِد)؛ أي: يقصد، (الجمر): قطعة خشب محترق قبل أن تَخْبُوَ نارُه؛ يعني: لبس الذهب للرجال سببُ حصولِ نارِ جهنَّمَ لهم.

* * *

٣٣٨١ ـ عن أنس ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ أنْ يكتبَ إلى كِسرى وقيصرَ والنجاشِيِّ فقيلَ: إنَّهم لا يقبلونَ كتاباً إلا بخاتَمٍ، فصاغَ رسولُ الله ﷺ خاتَماً حَلْقَةً فضةً، نَقَشَ فيهِ: «مُحمَّدٌ رسولُ الله».

قولـه: «صـــاغَ رســـولُ الله ﷺ خاتَماً»، (صاغ)؛ أي: صنع؛ يعني: أمـر رسولُ الله ﷺ بصنعِ خاتَمٍ له.

* * *

٣٣٨٥ ـ وعن عليٍّ ﷺ قال: نهاني رسولُ الله ﷺ أنْ أتَخَتَّمَ في أُصبَعي هذه أو هذه، قال: فأَوْمَأَ إلى الوُسْطَى والتي تليها.

قوله: «والتي تليها» أراد بها السَّبَّابة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٣٨٩ ـ وعن معاويةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عن ركوبِ النُّمورِ، وعن لُبْسِ الذَّهبِ إلا مُقَطَّعاً.

قوله: «نهى عن رُكوب النُّمور، وعن لُبْسِ الذهب إلا مُقَطَّعاً»، مَرَّ بحثُ النمور في الباب المتقدم.

قوله: «إلا مُقَطَّعاً»، قال الخطابي رحمه الله: يريد بالمقطَّع: الشيء اليسير؛ نحو شَدِّ سِنٍّ وأنف مقطوعة بالذهب، كما يأتي في حديث كُلاب[1].

* * *

---

(١) يعني: يوم كُلاب، وهو حديث عرفجة بن أسعد الآتي بعد أحاديث من هذا.

٣٣٩٠ ـ وعن بُرَيدَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لرجلٍ عليهِ خاتمٌ مِن شَبَهٍ: «ما لي أجدُ منكَ ريحَ الأصنامِ؟» فطرحَهُ ثم جاءَ وعليهِ خاتمٌ مِن حديدٍ، فقالَ: «ما لي أَرَى عليكَ حِليةَ أهلِ النارِ؟» فطرحَهُ فقال: «اتَّخِذْهُ مِن وَرِقٍ ولا تُتِمَّهُ مِثقالاً».

قوله ﷺ لرجل عليه خاتم من شَبَهٍ: «ما لي أجدُ منك ريحَ الأصنام»، فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال: «ما لي أرى عليك حِلْيَةَ أهلِ النار»، فطرحه.

قال الخطابي رحمة الله عليه: إنما قال في خاتم الشَّبَه: «أجد منك ريح الأصنام»؛ لأن الأصنام كانت تُتَّخذ من الشبه، وأما الحديد فقد قيل: إنما كَرِه ذلك من أجل سُهوكة ريحه ـ السُّهوكة: الرائحة الكريهة ـ.

ويقال: معنى قوله: «حِلْيَة أهل النار»: أنه زِيُّ بعض الكفار وهم أهل النار.

(الشَّبه)؛ يعني: يشبه الصُّفر، يقال له بالفارسي: بربخ.

قوله: «ولا تتمَّه مثقالاً»، هذا نهي إرشاد على الورع، فإن الأَولى أن يكون الخاتم أقلَّ من مثقال؛ لأنه من السَّرَف أبعد، وإلى التواضع أقرب، فإنْ أتمَّه مثقالاً أو زاد على مثقال جاز، والمِثْقال هو الدِّينار.

قول محيي السنة: «وقد صحَّ عن سهل بن سعد في الصَّداق: أن النبيَّ ﷺ قال لرجل: «التمسْ ولو خاتَماً من حديد»؛ يعني: أن نهيه ﷺ عن خاتم الحديد ليس نهيَ تحريم؛ لأنه لو كان نهي تحريم لما جوَّز لذلك الرجل أن يلتمسَ خاتماً من حديد ويجعَله صَدَاقاً.

* * *

٣٣٩١ ـ عن ابن مسعودٍ ؓ قال: «كانَ النبيُّ ﷺ يكرهُ عشرَ خلالٍ: الصُّفْرَةَ، يعني الخَلُوقَ، وتَغْييرَ الشَّيبِ، وجَرَّ الإزارِ، والتختُّمَ بالذَّهبِ، والتبرُّجَ بالزينةِ لغيرِ مَحَلِّهَا، والضَّربَ بالكِعابِ، والرُّقَى إلا بالمعوِّذاتِ، وعقدَ

التمائمِ، وعزلَ الماءِ لغير مَحَلِّه، وفسادَ الصَّبيِّ غيرَ مُحَرِّمِه».

قوله: «الخَلُوق»، الخَلُوق مكروه في حق الرجال لِمَا ذُكر أن طِيبَ الرِّجال ريحٌ لا لونَ له.

«وتغيير الشيب»؛ يعني: خِضاب الشعر الأبيض بالسواد مكروه؛ لأنه كِتمان الشيب وتخييل الناس أنه شابٌّ.

«والتبرج بالزينة لغير محلِّها»، يعني بهذا الكلام: تزيين المرأة نفسَها لغير زوجها.

«والضرب بالكِعاب»؛ يعني: اللعب بالنَّرد.

«والرُّقى إلا بالمعوِّذات»، الرُّقى جمع رُقْيَة.

قوله: «إلا بالمعوِّذات»، أراد بها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، عَبَّر بلفظ الجمع وأراد بها التثنية؛ لأن الجمع عبارة عن ضَمِّ شيء إلى شيء، فإذا كان معنى الجمع ضم أحد الشيئين إلى الآخر جاز أن يعبر بلفظ الجمع عن التثنية، ويحتمل أن يريد بالمعوِّذات كلَّ آية دعاء يقرأها الرجل ليعيذه الله من الشيطان، أو من فتنةٍ، أو شرِّ عدو، وغيرها.

قوله: «وعقد التمائم»، (التمائم): جمع تَميمة وهي ما يُعلَّق بأعناق الصبيان من خَرَزات وعِظَام لدفع العين أو الريح وغيرها، وهذا منهيٌّ؛ لأنه لا يدفع شيئاً إلا الله، ولا يُطلب دفعُ المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

«وعزل الماء لغيرِ محلِّه»، اللام في (لغير محله) بمعنى (من)؛ يعني: إبعاد المني عن الفرج؛ أي: إراقة المني خارجَ الفرج، ووجه النهي كراهة قَطْعِ النسل، ويحتمل أن يكون معنى (لغير محله) لغير الإماء؛ يعني: محل العزل الإماء دون الحرائر؛ يعني: يجوز العزل عن الإماء دون الحرائر، ويجوز في الحرائر بإذنهنَّ وفي الإماء يجوز بإذنهن وغير إذنهن.

«وفساد الصبي»؛ يعني: إفساد الصبي منهي، وهو أن يطأ الرجل المرأة

المُرْضِعَة، فإنه ربما تحمل المرأة في تلك الحال فينقطع لبنها ويختلط لبنها باللِّبَأ فيضر الصبي المرتضع.

«غيرَ مُحَرِّم»؛ يعني نهاهم عن إفساد الصبي، ولكن لم يحرِّم عليهم؛ يعني: نهاهم نهيَ تنزيه لا نهيَ تحريم.

* * *

٣٣٩٢ - عن ابن الزُّبيرِ: أنَّ مولاةً لهم ذهبَتْ بابنةِ الزُّبيرِ إلى عمرَ بن الخَطَّابِ وفي رجلِها أجراسٌ، فقَطَعَها عمرُ وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مع كلِّ جَرَسٍ شَيطانٌ».

قوله: «مع كلِّ جَرسٍ شيطانٌ»، ذُكر شرح هذا في (آداب السفر).

* * *

٣٣٩٣ - ودُخِلَ على عائشةَ رضي الله عنها بجاريةٍ عليها جَلاجِلُ يُصَوِّتْنَ فقالت: لا تُدخِلْنَها عليَّ إلا أنْ تُقطِّعْنَ جَلاجِلَها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيهِ جرسٌ».

قوله: «جلاجل» جمع جُلْجُل وهو الجرس الذي يُعلَّق برِجْل الصِّبيان.

* * *

٣٣٩٤ - وعن عبدِ الرَّحمنِ بن طَرَفةَ: أنَّ جدَّه عَرفَجَةَ بن أسعدَ قُطِعَ أنفُه يومَ الكُلابِ، فاتَّخذَ أنفاً مِن وَرِقٍ فأَنتنَ عليهِ، فأمرَهُ النبيُّ ﷺ أنْ يتخِذَ أنفاً مِن ذهبٍ.

قوله: «يوم الكُلاب» - بضم الكاف - اسم حرب معروف للعرب.

* * *

٣٣٩٥ ـ عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن أحبَّ أن يُحَلِّقَ حبيبَهُ حَلْقَةً مِن نارٍ فليُحلِّقْه حلْقةً مِن ذهبٍ، ومَن أحبَّ أنْ يُطوِّقَ حبيبَهُ طَوْقاً مِن نارٍ فليُطوِّقْه طَوْقاً مِن ذهبٍ، ومَن أحبَّ أنْ يُسَوِّرَ حبيبَهُ سِوَاراً مِن نارٍ فليُسوِّرْه سِوَاراً مِن ذهبٍ، ولكنْ عليكم بالفِضَّةِ فالعَبوا بها».

قوله: «فالعَبُوا بها»، (اللعب): تقليب شيء والتصرف فيه كيف شاء الرجل؛ يعني: اجعلوا الفِضَّة في أيِّ أنواع الحليِّ إذا كان التحلِّي للنساء، ولا يحِلُّ للرجال إلا الخاتم وتَحْلية السيف وغيره من آلات الحرب.

٣٣٩٦ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أيّما امرأةٍ تقلَّدَتْ قِلادَةً مِن ذهبٍ قُلِّدَتْ في عُنُقِها مثلَه مِن النَّارِ يومَ القيامةِ، وأيّما امرأةٍ جعلَتْ في أُذنِها خُرْصاً مِن ذهبٍ جَعَلَ الله في أُذنِها مثلَها مِن النَّارِ يومَ القيامةِ».

قوله: «قلدت في عنقها مثله يوم القيامة» فسَّروا هذا الحديثَ فيمن لا يؤدِّي زكاتها، وقد صنعت تلك القلادة فِراراً من الزكاة، وقد اختلف الأئمة في وجوب الزكاة في الحلي إذا لبسته النساء: فأحدُ قولي الشافعي وجوبُ الزكاة فيه.

* * *

٣ ـ باب
النِّعَال

(باب النعال)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٣٩٨ ـ قال ابن عمرَ ﷺ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَلبَسُ النِّعالَ التي ليسَ فيها شعرٌ.

قوله: «يلبس النعال التي ليس فيها شعر»؛ يعني: تصنع النعال من جلود نُقِّيَتْ من الشعر، من جلود لم تنق من الشعر، وكان رسولُ الله ﷺ يلبس النِّعالَ المصنوعةَ من جلود نُقِّيت من الشعر.

* * *

٣٣٩٩ ـ وقال أنسٌ ﷺ: إنَّ نعلَ النبيِّ ﷺ كانَ لها قِبالانِ.

قوله: «إن نعل النبي ﷺ كان لها قبالان»[1]؛ يعني: كان لكلِّ نَعل قِبَالان يُدْخِلُ الإصبعَ الوسطى والإبهامَ في قِبَال، والأصابعَ الأخرى في القِبَالِ الثاني.

* * *

٣٤٠٠ ـ وعن جابرٍ ﷺ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ في غزوةٍ غزَاها: «استكثِرُوا مِنَ النِّعالِ فإنَّ الرَّجلَ لا يزالُ راكِباً ما انتعلَ».

قوله: «استكثروا»؛ أي: أَكثِرُوا.

«ما انتعل»؛ يعني: ما دام الرجلُ لابساً النعل؛ يعني: لابسُ النعلِ كالراكب والحافي كالراجل، والحافي مَن ليس له نعلٌ.

* * *

٣٤٠١ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «إذا انتعلَ أحدُكم فليبدَأ باليُمنَى، وإذا نزَعَ فليبدَأ بالشِّمالِ، لِتكنِ اليُمنَى أوَّلَهما تُنعَلُ وآخِرَهما تُنزَعُ».

قوله: «فليبدأ باليمنى»؛ يعني: الابتداءُ باليمنى مستحبٌّ في لبس النعل

---

(١) جاء على هامش «ش»: «قال أبو عبيدة: القبال مثل الزمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها، قيل: قبال النعل ما يشد به الشسع».

وغيرها كما يأتي.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٤٠٢ ـ وقال: «لا يمشي أحدُكم في نَعلٍ واحدةٍ، لِيُحْفِهما جميعاً، أو لِيُنعِلْهُما جَميعاً».

قوله: «لا يمشي أحدُكم في نعلٍ واحدةٍ»، حقُّه: لا يمشِ، بحذف الياء؛ لأنه نهيٌ، ولعل كتابة الياء من النّساخين، ذكرُ علّةِ هذا النهي في (كتاب اللباس).

قوله: «لِيُحفِهما»: هذا أمر من (أحفى): إذا جعل الرَّجلَ حافيةً: أي: بلا نعلٍ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٤٠٣ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن انقطعَ شِسْعُ نَعْلِه فلا يَمشِيَنَّ في نَعلٍ واحدةٍ حَتَّى يُصلِحَ شِسْعَهُ، ولا يمشِ في خُفٍّ واحدٍ، ولا يأكلْ بشِمالِه، ولا يَحْتَبِ بالثَّوبِ الواحدِ، ولا يلتحِف الصَّمَّاءَ».

قوله: «من انقطع شِسْعُ نعلِه»، (الشِّسْع): قِدُّ النعل الذي من جانب اليمين وجانب اليسار.

قوله: «ولا يحتبي بالثوب الواحد، ولا يلتحف الصمَّاءَ»، (التحاف الصمَّاء): هو اشتمال الصمَّاء، وقد ذُكر بحث الاحتباء واشتمال الصمّاء في (كتاب اللباس)، والنهي عن الاحتباء بثوب واحد لأجل ألا تنكشفَ عورتُه؛ لأنه إذا كان عليه إزارٌ واحدٌ، ورفعَ طرفَ إزاره وأخذَه خلف ركبته للاحتباء ـ كما ذُكر ـ تنكشف عورتُه.

روى هذا الحديثَ «جابر».

* * *

٣٤٠٥ ـ عن جابرٍ ﷺ قال: نهى رسولُ الله ﷺ أنْ يَنْتَعِلَ الرَّجلُ قائماً.

قوله: «نهى رسولُ الله ﷺ أن ينتعلَ الرجلُ قائماً»: هذا النهي مختصٌ بما في لبسه تعبٌ عن القيام كلبْسِ الخُفِّ، فإن النعلَ تحتاج إلى شدِّ شراكها، فلبسُها جالساً أسهلُ، فأما لبسُ القَفْش فليس في لبسِه قائماً تعبٌ، فلا يدخل تحت النهي.

* * *

٣٤٠٦ ـ عن القاسمِ بن محمَّدٍ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: رُبَّما مَشَى النبيُّ ﷺ في نَعلٍ واحدةٍ. والصَّحيح أنه عن عائشةَ رضي الله عنها: أنها مَشَتْ بنعلٍ واحدةٍ.

قوله: «ربما مشى النبي ﷺ في نعلٍ واحدةٍ»: قد ذُكر قبل هذا وفي (كتاب اللبس) النهيُ عن المشي بنعلٍ، وتأويل هذا الحديث: أنه ﷺ لبسَ نعلاً واحدةً ليعلمَ الناسُ أن نهيَه ﷺ عن المشي بنعلٍ واحدةٍ نهيُ تنزيهٍ لا نهيُ تحريمٍ؛ لأنه لو كان نهيَ تحريمٍ لَمَا فعلَ ﷺ ما نَهَى عنه، ويحتمل أن النهيَ عن المشي بنعلٍ واحدةٍ في مسافةٍ يلحق الرِّجلَ الحافيةَ جروحٌ وتعبٌ، فأما المشيُ القليلُ نحو المشي من البيت إلى المسجد المتقاربين لم يكن في ذلك القَدْر حرجٌ في المشي بنعلٍ واحدةٍ، وقد جاء أن عائشةَ رضي الله عنها مَشَتْ بنعلٍ واحدةٍ، وكذلك علي بن أبي طالب وابن عمر ﷺ، وألحق بعضُ الأئمة إدخالَ إحدى اليدَين في الكم دون اليد الأخرى، وإلقاءَ ردائه على إحدى المنكِبَين في النهي عن المشي بنعلٍ واحدةٍ.

* * *

٣٤٠٨ ـ عن ابن بُرَيْدةَ، عن أبيه: أنَّ النَّجاشيَّ أهدَى إلى النَّبيِّ ﷺ خُفَّينِ أسودَيْنِ ساذَجَيْنِ، فلبِسَهما ثم توضَّأَ ومسحَ عليهما.

قوله: «ساذجين»؛ أي: غير منقوشَين.

* * *

٤ ـ باب
التَّرجيل

(باب الترجل)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٠٩ ـ عن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أُرَجِّلُ رأسَ رسولِ الله ﷺ وأنا حائِضٌ.

«الترجُّل»: التزيُّن والتطهُّر، والترجيل: تسريح الشَّعر بالمشط؛ أي: استعمال المشط في الشَّعر.

* * *

٣٤١٠ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الفِطْرةُ خمسٌ: الختانُ، والاستِحدادُ، وقَصُّ الشَّاربِ، وتقليمُ الأظفارِ، ونَتْفُ الآباطِ».

«الفِطرة خمس»؛ أي: هذه الخمسُ من السُّنَّة.

«الاستحداد»: حلق العانة.

«النتف»: القلع، «الآباط» جمع: إبط؛ أي: قلع شَعر الإبط.

* * *

٣٤١١ ـ وقال: «خالِفُوا المُشركينَ: أَوفِروا اللِّحَى، وأحفُوا الشَّوارِبَ».

ويُروَى: «أَنهِكوا الشَّوارِبَ، وأَعفُوا اللحىَ».

قوله: «**خالفوا المشـــركين**»؛ يعني: المشـركون يقصُّون اللِّحى ويتركون الشواربَ حتى تطولَ، فخالفوهم بأن تتركوا اللِّحى حتى تطولَ ولا تقصُّوها، وقُصُّوا الشواربَ.

«**أَوفِرُوا**» أمر مخاطبين من (أَوفَر): إذا أتمَّ، و«**أَحفُوا**» أيضاً أمر مخاطبِين من (أَحفَى): إذا قصَّ الشاربَ.

«**أَنهِكُوا**»: أمر مخاطبين من (أَنهَكَ): إذا نقصَ شيئاً، ومعنى (انهكوا): أنقِصُوا، ومعنى (أعفوا): أتمُّوا وأكثِروا، من (أعفى): إذا أتمَّ.

«**اللِّحى**» جمع: لِحْيَة.

* * *

٣٤١٢ ـ وقال أنسٌ ﷺ: وُقِّتَ لنا في قصِّ الشَّاربِ، وتقليمِ الأظفارِ، ونَتْفِ الإبْطِ، وحَلْقِ العانةِ، أنْ لا نَترُكَ أكثرَ مِن أربعينَ ليلةً.

قوله: «**وُقِّتَ لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة؛ أن لا نترك أكثرَ من أربعين ليلةً**»، وقد جاء في توقيت هذه الأشياء أحاديثُ ليست في «المصابيح»، عن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ كان يأخذ أظفارَه وشاربَه كلَّ جمعة، وعن أبي عبدالله الأغرِّ: أن النبي ﷺ كان يقصُّ شاربَه ويأخذ من أظفاره قبلَ أن يخرجَ إلى صلاة الجمعة، وقد ورد أكثرُ مِن هذه الأحاديث في أن النبي ﷺ يقصُّ شاربَه ويُقلِّم أظفارَه في كل جمعة، وقيل: يحلق العانةَ في كل عشرين يوماً، وينتف الإبطَ في كل أربعين يوماً، وقيل: في كل شهر.

وذكر في كتاب «إحياء علوم الدين»: أن الأدبَ في قلم الأظفار كل اليد أن يبدأ بمُسبحتها ويختم بإبهامها، وفي أصابع الرِّجلين يبتدئ بِخِنْصِر الرِّجل اليمنى، ويختم بخِنْصِر الرِّجل اليسرى.

* * *

٣٤١٣ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اليهودَ والنَّصارَى لا يَصبُغُونَ فخالِفوهم».

قوله: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون؛ فخالِفُوهم»؛ يعني: لا يصبغون شَعرهم الأبيضَ؛ فاصبغُوه أنتم.

* * *

٣٤١٤ ـ وعن جَابرٍ ﷺ قال: أُتيَ بِأَبي قُحَافةَ يومَ فتحِ مَكَّةَ، ورأسُه ولحيَتُه كالثَّغامَةِ بَيَاضاً، فقال رسولُ الله ﷺ: «غَيـروا هذا بشيءٍ، واجتنِبُوا السَّوادَ».

قوله: «أُتي بأبي قحافة»: عثمان بن عامر.

«الثغَامة»: نبتٌ أبيضُ يشبه بياضَ الشَّيب، ويقال بلسان بعض الفرس: سبيدخار[1]، وبلسان بعضهم: جاورزد.

«غيـروا هذا»؛ أي: اخضبوه بخضابٍ سوى السواد.

* * *

٣٤١٥ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يحبُّ موافقةَ أهلِ الكتابِ

---

(١) في «الصِّحاح»، و«لسان العرب»: «إسبيذ».

فيما لم يُؤمرْ فيه، وكانَ أهلُ الكتابِ يَسدِلُون أشعارَهم، وكانَ المشركونَ يَفرُقون رؤوسَهم فسَدَلَ النبيُّ ﷺ ناصيتَه ثم فَرَقَ بعدُ.

قوله: «يحب موافقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤمَر فيه»؛ أي: فيما لم يُنزل فيه إليه ﷺ؛ يعني: موافقةُ أهلِ الكتاب أولى من موافقة المشركين الذين لا كتابَ لهم؛ لأن أهلَ الكتاب احتمـل أن يعملوا بما ذُكـر في كتابهم، ولا يُحتمل هذا في المشركين.

قوله: «وكان أهلُ الكتاب يَسدِلون أشعارَهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسَهم»: أراد بـ (السَّدل) هنا: إرسال الشَّعر حول الرأس من غير أن يقسمَه نصفَين، وأراد بـ (الفَرق): أن يقسمَه نصفَين ويرسلَ نصفاً من جانب يمينه على الصدر ونصفاً من جانب يساره على الصدر.

أورد عبد الرحمن بن أبي عبدالله بن منده في كتابه المسمى بـ «إكرام الشَّعر»: أن ابن عباس ﵄ قال: إن رسولَ الله ﷺ قدم المدينةَ، فرأى اليهودَ يسدلون أشعارَهم، وكان إذا لم يُؤمَر به أحبَّ موافقةَ أهل الكتاب، فسـدلَ وسـدلَ المسلمون، ثم أتاه جبريل ﷺ فأخبره بالفَرق، ففرقَ وفرقوا رؤوسَهم، وكان أئمةُ الهدى يأمرون بالفَرق.

قد روت أمُّ هانئ: أن النبي ﷺ قدم مكةَ، وله أربعُ غدائر؛ أي: ذوائب، وكانَ ﷺ يُرسل شَعره وقتاً غيرَ مفتولٍ، ووقتاً مفتولاً؛ فاختلافُ الروايات هذا وجهُه.

* * *

٣٤١٦ - عن نافعٍ، عن ابن عمرَ ﵄ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ ينهى عن القَزَعِ. قيلَ لنافعٍ: ما القَزَعُ؟ قال: يُحلَقُ بعضُ رأسِ الصَّبيِّ ويُترَكُ البعضُ، وألحقَ بعضُهم التفسيرَ بالحديثِ.

قوله: «نهى عن القَزَع»: بفتح القاف والزاي المعجمة، جمع: قَزَعة، وهي قطعة من السحاب، شبَّه كلَّ قطعةٍ من شَعرِ المحلوق ما حولَه بقطعةٍ من السحاب، وجه كراهية القَزَع: تقبيحُ الصورة؛ فإن في القزع تقبيحاً للصورة؛ لأن القزعَ من عادة الكَفَرة.

* * *

٣٤١٧ ـ ورُوِيَ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى صبيًا قد حُلِقَ بعضُ رأسِه وتُرِكَ بعضُه، فَنَهاهُمْ عن ذلكَ وقال: «احلِقُوا كلَّه أو اترُكُوا كلَّه».

قوله: «احلقوا كلَّه أو اتركوا كلَّه»: هذا تصريح منه ﷺ بأن الحلقَ في غير الحج والعمرة جائزٌ، وتصريحٌ بأن الرجلَ مخيَّر بين الحلق وتركه.

* * *

٣٤١٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «لعنَ النبيُّ ﷺ المُخَنَّثينَ مِنَ الرِّجالِ، والمُترجِّلاتِ من النِّساءِ، وقال: «أخرِجُوهم مِن بيوتِكم».

قوله: «لعن النبي ﷺ المخنَّثين من الرجال»، (خَنِثَ يَخْنَثُ) على وزن (عَلِمَ يَعْلَمُ): إذا انكسرَ الشيءُ ولانَ وفَتَرَ، والمُخنَّث: كلُّ رجلٍ شبَّه نفسَه بالنساء في اللباس وخضاب اليدَين والرِّجلَين، وفي الصوت والتكلم والحركات والسكنات، وهذا الفعلُ منهيٌّ عنه؛ لأنه تغييرٌ لخلق الله، وتغييرُ خلق الله مُضادَّةُ الله، ومَن ليس له شهوةٌ من الرجال ولم يُشبه نفسَه بالنساء فهو عِنِّين، وليس عليه حرجٌ؛ لأن انتفاءَ الشهوة عنه ليس بفعله، وانتفاء الشهوة ليس بعيبٍ مَنهيٍّ، بل المَنهيُّ أن يُشبه الرجلُ نفسَه بالنساء.

قوله: «والمترجِّلات من النساء»، (الترجُّل): تشبيه الشخص نفسَه بالرجل،

وكل امرأة شبَّهت نفسَها بالرجال في اللباس واستعمال السلاح فهي ملعونةٌ، ولا يجوز دخولُ المخنَّثين على النساء؛ لأن النبي ﷺ دخل يوماً بيتَه ورأى مخنَّثاً جالساً عند بعض نسائه، فقال ﷺ: «لا يَدخلَنَّ هذا عليكم»، فحجبوه.

هذا خطابٌ للرجال، أمرَهم ألا يتركوا المخنَّثين أن يدخلوا بيوتَهم، وأخرج رسولُ الله مخنَّثاً من المدينة، وكذلك أخرجَ عمرُ رضي الله عنه مخنَّثاً من المدينة.

* * *

٣٤٢٠ ـ عن ابن عمرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَعَنَ الله الواصِلةَ والمُستَوْصِلَةَ، والواشِمَةَ والمستَوْشِمَةَ».

قوله: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

(الواصلة): المرأة التي تَصِل شَعراً أجنبياً بشَعر امرأةٍ.

(المستوصلة): المرأة التي تطلب هذا الفعلَ، ووجهُ النهي: أن هذا الفعلَ غرورٌ وكذبٌ؛ لأن المرأةَ تُظهر أن شَعرَها طويلٌ، وليس بطويلٍ، وهذا غرورٌ، وقد رخَّص أهل العلم في القرامل وهو ما يقال له بالفارسي: موى بند.

قوله: «الواشمة»: التي تغرز إبرةً على ظهر كفِّها أو ساعدها ليخرجَ منه الدمُ، وتجعل فيه كحلاً ليخضرَّ لونُه ويبقى فيه نقوشٌ، أو يكتب به أسماء.

«والمستوشمة»: المرأة التي تطلب أن يُفعَل بها الوَشْمُ.

* * *

٣٤٢١ ـ عن عبدالله بن مسعودٍ قال: لعنَ الله الواشِمَاتِ والمُستَوشِماتِ، والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجاتِ للحُسْنِ المُغيِّراتِ خلقَ الله، فجاءتهُ امرأةٌ فقالت: إنَّه بلغَني أنكَ لعنتَ كيتَ وكيتَ؟ فقالَ: ما لي لا ألعنُ مَن لَعَنَ رسولُ الله ﷺ،

ومَن هو في كتابِ الله! فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللَّوحَين، فما وجدتُ فيهِ ما تقولُ؟ قال: لئنْ كنتِ قرأتِيهِ لقد وجدْتِيه، أمَا قرأتِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نَهَى عنه.

«المتنمِّصة»: التي تطلب أن يُنمصَ شَعرُ وجهها؛ أي: يُنتَف.

«المتفلِّجة»: التي تُرقِّق أسنانَها وتُزيِّنها، ووجه النهي في هذه الأشياء: تغيير خلق الله.

قوله: «فجاءته»: ضمير المذكر الغائب ضمير ابن مسعود.

«أنك لعنت كَيتَ وكَيتَ»؛ أي: سمعتُ أنك لعنتَ الواشماتِ والمُستوشِماتِ والمُتنمِّصاتِ والمُتفلِّجات، فقال ابن مسعود: كيف لا ألعنُ مَن لعنَه رسولُ الله؟! أي: لعنَ رسولُ الله هؤلاء.

قولها: «لقد قرأتُ ما بين اللَّوحَين»: أرادت بـ (اللَّوحَين): جلد أول المصحف وجلد آخره؛ يعني: قرأتُ جميعَ القرآن.

قوله: «قرأتِيه»: الياء زائدة، حصلت من إشباع كسرة التاء، وكذلك في «وجدتِيه»[1].

قوله: «أما قرأتِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟!»؛ يعني: إذا كان العبادُ مأمورين بانتهاء ما نهاهم الرسول عنه، وقد نهاهم رسولُ الله عن الأشياء المذكورة في هذا الحديث وغيره من المَنهيات، فكأن جميعَ منهيات الرسول نهيٌ مذكورٌ في القرآن.

* * *

---

(١) جاء على هامش «ش»: «الياء في وجدتيه وكذا قرأتيه لغة بعض العرب من إشباع الكسرة في مثله؛ دفعاً لتوهم أن الخطاب مع المذكر».

٣٤٢٢ ـ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العَينُ حَقٌّ»، ونهَى عن الوَشْمِ.

قوله: «العينُ حقٌّ، ونهى عن الوَشْمِ»؛ يعني: ذكرَ رسولُ الله ﷺ أشياءَ كثيرةً في حديثٍ، منها قوله: العينُ حقٌّ، والوَشْمُ مَنهيٌّ، بهذه العبارة أو بعبارة أخرى بهذا المعنى، ومعنى قوله: (العينُ حقٌّ): أن تأثيرَ العين في الأشياء صدقٌ، وإنما قال ﷺ هذا الكلام؛ لأن الصحابةَ اختلفوا في تأثيرها؛ فقال بعضهم: العينُ مؤثِّرةٌ، وقال بعضهم: لا تؤثِّر العينُ، فبيَّن رسولُ الله ﷺ أن العينَ مؤثِّرةٌ، ويأتي شرحه في (كتاب الطب والرُّقَى).

* * *

٣٤٢٣ ـ وقال ابن عمرَ: لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ مُلَبِّداً.

قوله: «لقد رأيت رسولَ الله ﷺ مُلبِّداً».

التلبيد: إلصاق شَعر الرأس بعضِها من بعضٍ، بأن يجعل فيه صمغاً ليدفعَ القَمْلَ، ولئلا يتفرَّق الشَّعرُ، وهذا يُصنَع في الإحرام، وأراد بإيراد هذا الحديث في هذا الباب: بيان جواز التلبيد في غير الإحرام أيضاً.

* * *

٣٤٢٤ ـ عن أنسٍ ؓ قال: نَهَى النبيُّ ﷺ أنْ يتزعفرَ الرَّجلُ.

قوله: «نهى النبيُّ أنْ يَتَزَعْفَرَ الرجلُ»؛ يعني: أن يستعملَ الرجلُ الزعفرانَ في ثوبه وبدنه، وعلةُ النهي: أن استعمالَ الزعفران عادةُ النساء، فلا يليق بالرجال تشبيهُ أنفسهم بالنساء.

* * *

٣٤٢٥ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أُطَيِّبُ النبيَّ ﷺ بأطيبِ ما نجدُ، حتى أجدَ وبيصَ الطِّيبِ في رأسِه ولحيتِه.

قولها: «حتى أجد وبيص الطِّيب».

(الوبيص): اللمعان، في هذا الحديث إشكالٌ، بيانُه: أنه قد ذكر أن طِيبَ الرجال ما ظهرت ريحُه وخفي لونُه، وفي هذا الحديث كان طِيبُ النبي ﷺ ما ظهر لونُه، والتوفيق بين الحديثين بأن يقول: كل طِيبٍ له لونٌ، وفي ذلك اللون تشبيهٌ بالنساء، يكون ذلك اللونُ حسناً مستطاباً مزيناً للجمال كالصُّفرة والحُمرة؛ فذلك الطِّيبُ غيرُ جائزٍ للرجال، وكلُّ طِيبٍ له لونٌ ولم يكن لذلك اللون حُسنٌ واستطابةٌ وتزيينُ الجمال فذلك جائزٌ للرجال، كالمِسك والعَنبر وغيرهما.

* * *

٣٤٢٦ ـ وقالَ نافعٌ: كانَ ابن عمرَ إذا استجمرَ استجمرَ بِأَلُوَّةٍ غيرِ مُطَرَّاةٍ، وبِكَافُورٍ يطرحُه مع الأَلُوَّةِ ثم قال: هكذا كان يَستجمِرُ رسولُ الله ﷺ.

قوله: «استَجْمَر» أي: تعطَّر وتبخَّر.

«الأَلُوَّة»: العُود المطرَّاة التي طُليت بأنواع الطِّيب؛ يعني: ألقى في المجمَرة عوداً غيرَ ملطخةٍ وغيرَ معجونةٍ بطيبٍ آخرَ.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٤٢٨ ـ عن زيدِ بن أرقمَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لم يأخذْ مِن شاربه فليس منا».

قوله: «مَن لم يأخذ مِن شاربه فليس منَّا»: هذا تهديدٌ لمَن تركَ هذه السُّنَّةَ؛ يعني: فليس مِن موافقينا في هذا الفعل، وليس منا في وجدان ثواب هذه السُّنة.

* * *

٣٤٣١ - عن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يأخذُ مِن لِحيتِه، مِن عرضِها وطولِها. غريب.

قوله: «يأخذ من لحيته من عَرضها وطولها»؛ يعني: تسويةُ شَعرِ اللِّحية وتزيينُها سُنَّةٌ، وهي أن يقصَّ كلَّ شعرةٍ أطولَ من غيرها؛ لتستويَ جميعُها.

* * *

٣٤٣٢ - عن يَعْلَى بن مُرَّةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ رأى عليهِ خَلُوقاً فقال: «أَلَكَ امرأةٌ؟» قال: لا، قال: «فاغسِلْه، ثم اغسِلْه، ثم اغسِلْهُ، ثم لا تَعُدْ».

قوله: «رأى عليه خَلُوقاً، فقال: ألك امرأة؟» يعني: إن كان لك امرأةٌ وأصابك الخَلُوق من ثوبها أو بدنها ولم تقصد أنت استعمالَ الخلوق فلا حرجَ عليك، وإن استعملتَ الخلوقَ فاغسِلْه.

«ولا تعد»؛ أي: ولا تَعُدْ إلى استعمال الخَلُوق وتُبْ عنه؛ فإنه لا يليق بالرجال، و(لا تَعُدْ): نهي مخاطب من: العَود.

* * *

٣٤٣٣ - عن أبي موسى قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقبلُ الله صلاةَ رجلٍ في جَسَدِه شيءٌ مِن خَلُوق».

قوله: «لا يَقبَل الله صلاةَ رجلٍ في جسده شيءٌ من خَلُوق»: هذا وعيدٌ وزجرٌ عن استعمال الرجال الخَلُوق؛ يعني: لا كمال لصلاةِ رجلٍ شبَّه نفسَه بالنساء.

* * *

٣٤٣٤ ـ عن عمَّارِ بن ياسرٍ قال: «قدِمْتُ على أهلي وقد تشَقَّقتْ يَدَاي فخَلَّقوني بزعفرانَ، فغدوْتُ على النبيِّ ﷺ فسلَّمتُ عليهِ فلم يردَّ عليَّ، وقال: «اذهبْ فاغسِلْ هذا عنك».

قوله: «فخلَّقوني»؛ أي: اجعلوا شيئاً من الزعفران في شقوق يدي للمداواة.

* * *

٣٤٣٦ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: كانَ لرسولِ الله ﷺ سُكَّةٌ يتطَيبُ منها.

قوله: «سُكَّة». و(السُّكَّة)[1]: معجون من أنواع الطِّيب.

* * *

٣٤٣٧ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ دَهْنَ رأسِه وتسريحَ لحيتِه، ويُكثِرُ القِناعَ، كأنَّ ثوبَه ثوبُ زيَّاتٍ.

قوله: «وتسريح لحيته».

و(التسريح): الترجيل، وقد ذكر في أول هذا الباب.

«القناع»: خِرقة تُلقَى على الرأس لتتوقَّى العِمامة من الدُّهن.

«الزيَّات»: بائع الزيت، وهو دُهن معروف.

* * *

٣٤٣٨ ـ عن أمِّ هانئٍ قالت: قدِمَ رسولُ الله ﷺ علينا بمكَّةَ قَدْمةً

(١) جاء على هامش «ش»: «والسُّكُّ بالضم: نوع من الطِّيب عربي، قاله الجوهري، والسُّكَّة: قطعة منه».

ولهُ أربــعُ غَــدَائر.

«قَدْمَةً» بفتح القاف وسكون الدال: مصدر بمعنى مَرَّة؛ أي: قدم مرةً.

«وله أربع غدائر».

(الغدائر) جمع: غديرة، وهي الضَّفيرة والذُّؤابة.

* * *

٣٤٣٩ ـ وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كنتُ إذا فَرقتُ لرسولِ الله ﷺ رأسَه صَدَعْتُ فرقَهُ عن يَافُوخِهِ، وأرسلتُ ناصيتَهُ بينَ عينيهِ.

قولها: «فرقتُ»؛ أي: قسمتُ شَعره ﷺ قسمَين: أحدهما من جانب يمينه، والآخر من جانب يساره.

«صَدَعتُ»؛ أي: فرقتُ فرقةً؛ أي: الخط الذي يظهر بين شَعر الرأس إذا قُسِمَ قسمَين، وذلك الخط هو بياضُ بشرةِ الرأس الذي يكون بين الشَّعر.

«اليافوخ»: مؤخَّر الرأس عند القفا؛ يعني: كان أحدُ طرفَي ذلك الخط عند اليافوخ، والطرفُ الآخرُ عند جبهته محاذياً لِمَا بينَ عينَيه.

قولها: «وأرسلتُ ناصيته بين عينَيه»؛ أي: جعلتُ رأسَ فرقهِ محاذياً لِمَا بينَ عينَيه، بحيث يكون نصفُ شَعر ناصيته من جانب يمين ذلك الفرق، ونصفُه الآخر من جانب يسار ذلك الفرق.

* * *

٣٤٤٠ ـ عن عبدالله بن مُغَفَّلٍ قال: نهىَ رسولُ الله ﷺ عن التَّرجُّلِ إلا غِبّاً.

قوله: «نهى رسولُ الله ﷺ عن الترجُّل إلا غِبّاً»؛ يعني: نَهَى عن دوام

تسريح الشَّعر وتدهينه.

«إلاَّ غِبَّاً»، والغِبُّ: أن يفعلَ فعلاً حيناً بعد حينٍ.

* * *

٣٤٤١ ـ قال رجلٌ لفُضالةَ بن عُبَيْد: مالي أراكَ شَعِثاً؟ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ ينهانا عن كثيرٍ مِن الإرْفَاءِ، قال: مالي لا أرَى عليكَ حِذَاءً؟ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يأمُرنا أنْ نَحتَفِيَ أحياناً.

قوله: «شَعِثاً»؛ أي: متفرِّق الشَّعر.

«الإرفاء»: تسريح الشَّعر وتدهينه.

و(الإرفاه) أيضاً: التنعُّم وطِيب العيش؛ يعني: نهانا عن كثرة التنعُّم؛ لأن كثرةَ التنعُّم تجعل النفسَ متكبِّرةً غافلةً، ولأن الرجلَ لو اعتاد دوامَ التنعُّم فربما ينزل عليه فقرٌ وسوءُ عيشٍ فيشقُّ عليه ذلك الفقر؛ لأنه لم يكن معتاداً به، ولهذا أمَرهم رسولُ الله ﷺ بالاحتفاء؛ أي: بالمشي بغير النعلَين؛ لتتصلَّب أقدامُهم وتعتاد المشيَ بغير النعلَين، حتى لو اتفق لهم انعدامُ النعلَين يمكنُهم المشيُ بغير النعلَين.

* * *

٣٤٤٢ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن كانَ له شعرٌ فلْيُكرِمْهُ».

قوله: «مَن كان له شَعرٌ فَلْيُكرِمْه»؛ يعني: فَلْيُزينْه وَلْيُنظِّفْه بالغسل والتدهين، ولا يتركه متفرقاً مُتَّسخاً؛ لأن النظافةَ وحسنَ المنظرِ محبوبٌ.

* * *

٣٤٤٣ ـ وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحسنَ ما غُيِّرَ بهِ الشَّيْبُ: الحِنَّاءُ والكَتَمُ».

قوله: «إن أحسنَ ما غُيِّرَ به الشيبُ: الحِنَّاءُ والكَتَمُ»؛ يعني: الشَّعرُ الأبيضُ يُخضَبُ بالحِنَّاء تارةً فيكون لونُه أحمرَ، وبالكَتَم أخرى فيكون لونُه أخضرَ.

و(الكَتَم) بفتح التاء وتخفيفها: هو الوَسْمَة، وهي ورقُ نبتٍ يُجعَل منه شيءٌ يقال له بالفارسي: نِيلة.

قال الخطابي في قوله ﷺ: «إن أحسنَ ما غُيِّرَ به الشيبُ: الحِنَّاءُ والكَتَمُ»: إنَّ كلَّ واحدٍ من الحِنَّاء والكَتَم يُستعمل مفرداً؛ لأنه إذا خُلِطَ الحِنَّاء بالكَتَم، أو خُضِبَ بالحِنَّاء ثم بالكَتَم يكون لونُه أسودَ، واللون الأسود منهيٌّ في تغيير الشيب.

* * *

٣٤٤٤ ـ عن ابن عبَّاسٍ ، عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «يكونُ قومٌ في آخرِ الزَّمانِ يخضِبُونَ بهذا السَّوَادِ، كحَوَاصِلِ الحَمَامِ، لا يَجِدُون رائحةَ الجنَّةِ».

قوله: «يخضبون بهذا السواد»؛ أي: يخضبون الشَّعرَ الأبيضَ باللون الأسود.

«حواصل الحمام»، (الحواصل) جمع: حَوْصَلة، وهي مَعِدَته، والمراد بـ (الحوصلة) هنا: صدره، وليس جميع الحمائم حواصلها سوداء، بل بعض الحمائم.

«لا يجدون رائحةَ الجنَّة»: هذا تهديدٌ وتشديدٌ لإنكار خضاب الشَّعر الأبيض بالسواد.

* * *

٣٤٤٥ ـ عن ابن عمرَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يلبَسُ النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ، ويُصَفِّرُ لحيتَهُ بالوَرْسِ والزَّعفرانِ. وكانَ ابن عمَر ﷺ يفعلُ ذلكَ.

قوله: «النِّعال السِّبْتِيَّة»؛ أي: النِّعال من الجلود السِّبْتِية، والجلد السِّبْتي: ما نُقِّيَ من الشَّعر، مأخوذ من (سَبَتَ الشَّعرَ): حَلَقَه.

والسِّبتي أيضاً: المدبوغ بالقَرَظ، وهو ورق شجر يقال له: السَّلَم.

* * *

٣٤٤٧ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ، ولا تَشَبَّهوا باليهودِ».

قوله: «غيروا الشيبَ، ولا تشبَّهوا باليهود»، (ولا تشبهوا) أصله: ولا تتشبهوا، فحُذفت تاء الاستقبال؛ يعني: تركُ خضابِ الشَّعر الأبيض عادةُ اليهود، فاخضبوا الشَّعرَ الأبيضَ حتى لا تكونوا متشبهين باليهود في ترك الخضاب.

* * *

٣٤٤٨ ـ عن عمرِو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فإنه نورُ المسلمِ، مَن شابَ شيبةً في الإسلامِ كتَبَ الله لهُ بها حسنةً، وكفَّر عنه بها خطيئةً، ورفَعهُ بها درجةً».

قوله: «لا تنتفوا الشيبَ؛ فإنه نورُ المسلم»: كان بعضُ الناس يكره ابيضاض شَعره؛ لأنه علامةُ انتقاص الشباب ودخول الشيخوخة ودخول الضعف ونقصان القوة، وبعضُ الناس يكره هذا كي لا يُنسَب إلى الضعف، فينتف الشَّعرَ الأبيضَ من رأسه ولحيته؛ كي لا يَظنَّ الناسُ زوالَ شبابه، فنَهَى النبي ﷺ أُمتَه عن نتف الشيب؛ لأن في الشيب وقاراً، وأولُ مَن شابَ من بني آدم كان إبراهيم خليل الله ﷺ، فلما رأى الشيبَ في لحيته قال: ما هذا يا ربِّ؟ فقال الله له: هذا

الوقار، فقال إبراهيم ﷺ: يا ربِّ! زِدْني وقاراً؛ فالرضا بالشيب موافقةٌ لخليل الرحمن ﷺ، ولأنه وقارٌ، والوقارُ مَرْضيٌّ عند الله وعند الناس، ولأنه يمنع الشخصَ عن الغرور والتكبُّر والطرب والنشاط، ويميل إلى الطاعة والتوبة، وتنكسر نفسُه عن الشهوات، وكل ذلك مُوجِبٌ للثواب، ومُقرِّبٌ للعبد عند الله، فلهذا يكون الشيبُ في الإسلام نوراً؛ أي: ضياءً ومُخلِّصاً للرجل عن شدة القيامة.

* * *

٣٤٥٠ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كنتُ أغتسِلُ أنا ورسولُ الله ﷺ مِن إناءٍ واحدٍ، وكانَ لهُ شعرٌ فوقَ الجُمَّةِ ودونَ الوَفْرةِ.

قولها: «**فوق الجُمَّة ودونَ الوَفْرَة**»، (**الجُمَّة**): الشعر الذي يكون أطولَ من الوَفْر؛ أي: قرُبَ من الكتف، و(الوَفرة): إلى شحمة الأذن، وكان شعرُ رسولِ الله ﷺ كلَّ زمانٍ على نوعٍ من الطول والقصر؛ وذلك لأنه كان قصَّر شعرَه في العمرة، وحلقَه في الحج، وكان شَعرُه في هذا الحديث أطولَ من الوَفْرَة وأقصرَ من الجُمَّة.

* * *

٣٤٥١ ـ وقال ابن الحَنْظَلِيَّةِ ـ رجلٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ـ قال النبيُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلاَ طولُ جُمَّتِهِ وإسبالُ إزارِه»، فبلغَ ذلكَ خُرَيْماً فأخذَ شَفْرَةً فقطعَ بها جُمَّتَه إلى أُذُنَيْهِ، ورفعَ إزاره إلى أنصافِ ساقَيْهِ.

قوله: «**طول جُمَّته**»؛ أي: طولُ شَعرِ رأسه، وطولُ شَعرِ الرأس غيرُ مذمومٍ، ولعل النبي ﷺ رأى في ذلك الرجل تبختراً بطول جُمَّته، فذكر هذا الحديث: ليحرِّضَه على تقصير شَعره.

قوله: «وإسبال إزاره»؛ أي: وإطالة ذَيله.

«فأخذ شفرةً»؛ أي: سكِّيناً.

* * *

٣٤٥٢ ـ عن أنسٍ ﷺ قال: كانت لي ذُؤابةٌ فقالَت لي أمِّي: لا أَجُزُّها، كانَ رسولُ الله ﷺ يمدُّها ويأخذُها.

قوله: «لي ذُؤابة»؛ أي: شَعر.

«لا أجزُّها»؛ أي: لا أقطعها.

«كان رسول الله ﷺ يمدُّها ويأخذها»؛ أي: يلعب بها؛ يعني: قد وصلَتْ إليها بركةُ يدِ رسول الله ﷺ، لا أقطعها؛ كيلا تزولَ تلك البركة.

* * *

٣٤٥٣ ـ عن عبدِالله بن جَعْفَرٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ أمهلَ آلَ جعفرٍ ثلاثاً، ثم أتاهم فقالَ: «لا تَبْكُوا على أخي بعدَ اليوم»، ثم قال: «ادْعُوا لي بَني أخي»، فجيءَ بنا كأنَّا أفْرُخٌ، فقال: «ادْعُوا لي الحلاقَ»، فأمَرَهُ فحلقَ رؤوسَنَا.

قولــه: «أمهلَ آلَ جعفر ثلاثاً»؛ يعني: فلمَّا قُتِلَ جعفرُ بن أبي طالب ﷺ تركَ رسولُ الله آلَ جعفر يبكون عليه ثلاثةَ أيام، هذا يدل على أن البكاءَ على الميت من غير ندبٍ ونياحةٍ جائزٌ ثلاثةَ أيام؛ لأنه ﷺ قال بعد ثلاثة أيام: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»، ولم يقل قبل مضي ثلاثة أيام: لا تبكوا.

«كأنَّا أَفْرُخٌ».

(الأَفْرُخ) جمع: فرخ، وهو ولد الطير؛ أي: كنَّا صغاراً، وهذا الحديث يدل على جواز حلق شَعر الرأس.

* * *

٣٤٥٤ ـ عن أمِّ عطيَّةَ الأنصاريةَ: أنَّ امرأةً كانت تختِنُ بالمدينةِ، فقالَ لها النبيُّ ﷺ: «لا تُنْهِكِي، فإنَّ ذلِكَ أحْظَى للمرأةِ وأحبُّ إلى البعلِ».

قوله: «لا تُنْهِكِي»؛ أي: لا تقطعي موضعَ الختان قطعاً تاماً، بل اتركي ذلك الموضعَ.

«فإن ذلك»؛ أي: فإن تركَ بعض ذلك الموضع «أحظى»؛ أي: أنفعُ لها.

«البَعْل»: الزوج.

* * *

٣٤٥٦ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ هنداً بنتَ عتبةَ قالت: يا نبيَّ الله بايِعْني؟ فقالَ: «لا أُبايِعكِ حتى تُغَيِّري كفَّيْكِ، فكأنَّهما كَفَّا سَبُعٍ».

قولها: «حتى تُغَيِّري كفَّيك»؛ أي: حتى تخضبي كفَّيك بالحِنَّاء، وهذا دليلٌ على شدة استحباب الخضاب بالحِنَّاء للنساء.

* * *

٣٤٥٧ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أَوْمَأَتْ امرأةٌ مِن وراءِ سِتْرٍ، في يدها كتابٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقبضَ النبيُّ ﷺ يدَه! فقال: «ما أدري أَيَدُ رَجُلٍ، أَمْ يدُ امرأةٍ؟» قالت: بل يدُ امرأةٍ، قال: «لو كنتِ امرأةً لغيَّرتِ أظفارَكِ» يعني بالحِنَّاء.

قوله: «أَوْمَتْ»، أصله: أومأت بالهمز بعد الميم، فخُفِّفت الهمزة، فصارت ألفاً، ثم حُذفت الألف لسكونها وسكون التاء، ومعناه: أشارت.

* * *

٣٤٥٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: لُعِنَتْ الواصِلةُ والمُستَوْصِلَةُ، والنَّامِصةُ والمُتنمِّصةُ، والواشِمةُ والمُستَوْشِمةُ، مِن غيرِ داءٍ.

قوله: «من غير داء»؛ أي: من غير علَّة؛ يعني: إن كانت بها علةٌ، فاحتاجت إلى أن تكويَ يدَها للمداواة جازَ، ولم يكن هذا من الوشمِ المَنهيِّ عنه، وإن بقي منه أثرٌ.

* * *

٣٤٦٠ ـ وقيلَ لعائشةَ رضي الله عنها: إنَّ امرأةً تلبَسُ النَّعلَ! قالت: لعنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجلَةَ مِن النِّساءِ.

قولها: «الرَّجلَةَ من النساء»؛ أي: المرأة التي تشبه نفسَها بالرجال في اللباس.

* * *

٣٤٦١ ـ عن ثوبانَ ﷺ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سافرَ كانَ آخرُ عهدِه بإنسانٍ مِن أهلِه فاطمةَ، وأولُ مَن يدخلُ عليها فاطمةَ، فقَدِمَ مِن غَزَاةٍ وقد عَلَّقَتْ مِسْحاً أو سِتْراً على بابِها، وحَلَّتِ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ قُلْبَينِ مِن فِضَّةٍ، فقَدِمَ فلم يدخلْ، فظنَّت أنَّما منعَه أنْ يدخلَ ما رَأَى، فَهتكَتْ السِّتْرَ وفكَّتِ القُلْبينِ عن الصَّبيَّيْنِ وقطعَتهُ منهما، فانطلقَا إلى رسولِ الله ﷺ يبكيانِ، فأخذه منهما وقال: «يا ثوبانُ! اذهبْ بهذا إلى آلِ فلانٍ، إنَّ هؤلاءِ أهلي أكْرَهُ أنْ يأكلوا طيباتِهم في حياتِهم الدُّنيا، يا ثوبانُ اشترِ لفاطمةَ قِلادةً مِن عَصَبٍ وسِوَارَيْنِ من عاجٍ».

قولها: «من غَزَاةٍ»، أصلها: من غزوة، فنُقلت فتحة الواو إلى الزاي وقُلبت الواو ألفاً؛ لأن سكونَها عارضٌ، والسكون العارض كالمتحرك، فكأنها متحركةٌ وما قبلها مفتوح.

«علَّقت مِسْحاً».

(المِسح): كساء معروف، يقال له بالفارسي: بِلاس، وإنما هتكت السترَ؛ لأنها ظنَّتْ أن رسولَ الله ﷺ تأذَّى منه لكونه منقَّشاً بصُوَرٍ، أو لأن فيها جملاً وزينةً.

«حلَّتْ»، أصله: حلَّيَتْ، فقُلِبت الياء ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، فحُذِفت الألف لسكونها وسكون التاء، ومعناه: جَعلَتْ حُلِيّاً على الحسن والحسين.

«قُلْبَين» تثنية: قُلْب، وهو سِوَارٌ بلا نقشٍ.

«فكَّتْ»؛ أي: فَصَلَتْ.

«أكرهُ أن يأكلوا طيباتهم»؛ يعني: أن يتلذَّذُوا ويتطيَّبُوا عيشَهم بأكل الأطعمة اللذيذة ولبس الملابس النفيسة، بل أختار لهم الفقرَ والرياضة في الدنيا.

«قلادة من عَصْب».

(القلادة): شيء من الذهب أو الفضة تعلِّقه النساء برقابهن، قال الحافظ أبو موسى: يحتمل عندي أن الرواية إنما هو (العَصَب) بفتح الصاد، وهو أطناب مفاصل الحيوانات، وهو شيء مدوَّر، ويحتمل أنهم كانوا يأخذون عَصَبَ بعض الحيوانات فيقطعونه ويجعلونه شبه الخَرَز إذا يبس، فيتخذون منه القلائد، فإذا أمكنَ أن يُتخذ من عظام السلحفاة وغيرها السوارُ أمكنَ أن يكون من عَصَب أشباهها خَرَزٌ يُنظَم منها قلائدُ، ثم ذَكر لي بعضُ أهل اليمن أن العَصَب سِنُّ دابةٍ بحريةٍ يُسمى: فرس فرعون، يُتخذ منها الخَرَزُ يكون أبيضَ، ويُتخذ منها غيرُ الخَرَز، هذا كلام أبي موسى.

وقال الخطابي: في هذا الحديث شيءٌ حاصله: أني لا ندري (العَصْب) بسكون الصاد غير البُرد اليمني، وأما العاج فعظم ظهر السلحفاة البحرية، ويقال له: الذبل أيضاً، ويجوز استعماله؛ لأنه طاهرٌ، لأنه حيوانٌ بحريٌّ.

والعاج أيضاً: عظم الفيل، وهو نَجِسٌ عند الشافعي، وفيه قولٌ للشافعي أنه

طاهرٌ، ومذهب أبي حنيفة: أنه طاهرٌ، وكذلك البحث في عظمِ ما لا يُؤكل لحمُه [وفي عظمِ ما يُؤكل لحمُه إذا مات، فأمّا ما يُؤكل لحمُه] إذا ذُبح حلَّ لحمُه وطهر جلدُه وعظمُه وشعرُه بلا خلافٍ.

* * *

٣٤٦٢ ـ عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اكتحِلُوا بالإثمدِ فإنه يَجْلُو البصرَ، ويُنْبِتُ الشَّعرَ» وزعم: أنَّ النبيَّ ﷺ كانتْ لهُ مُكْحُلَةٌ يكتحلُ بها كلَّ ليلةٍ ثلاثةً في هذه، وثلاثةً في هذه.

قوله: «يَجْلُو البصرَ»؛ يعني يزيد نورَ العين.

«ويُنْبت الشَّعر»؛ يعني: يُنبت أهدابَ العين، والأهدابُ زينةٌ للإنسان.

* * *

٣٤٦٣ ـ وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانَ النبيُّ الله ﷺ يكتحلُ قبلَ أنْ ينامَ بالإثمدِ ثلاثاً في كلِّ عينٍ، قال: وقال: «إنَّ خيرَ ما تَداوَيْتُم به اللَّدُودُ، والسَّعُوطُ، والحِجَامَةُ، والمَشِيُّ، وخيرَ ما اكتحَلْتُم به الإثمدُ، فإنه يجلُو البصرَ ويُنْبِتُ الشعرَ، وإنَّ خيرَ ما تَحتجِمونَ فيهِ يومُ سبعَ عشرةَ، ويومُ تسعَ عشرةَ، ويومُ إحدى وعشرينَ»، وإنَّ رسولَ الله ﷺ حيثُ عُرِجَ بهِ ما مَرَّ على ملأٍ مِن الملائكةِ إلا قالوا: عليكَ بالحِجَامةِ. غريب.

قوله: «إن خير ما تداويتم به اللَّدُود والسَّعُوط».

و(اللَّدُود): ما يلقي الإنسانُ في أحد شقَّي الفمِ للمداواة.

و(السَّعُوط): ما يُلقى في الأنف للتداوي.

«المَشِيُّ» بكسر الشين وتشديد الياء، ويجوز فتح الميم وضمُّه وكسرها: وهو ما يُشرَب أو يُؤكَل لإطلاق البطن أو إسهاله.

قولـه: «حيث عُـرِجَ به»؛ أي: حين عُـرِجَ به إلى السماء ليلةَ المعراج.

«على ملأ»؛ أي: جماعة.

«عليك بالحِجَامة»؛ أي: الزَمِ الحجامةَ.

* * *

٣٤٦٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى الرِّجالَ والنِّساءَ عن دخولِ الحَمَّاماتِ، ثم رخَّصَ للرِّجالِ أنْ يدخلُوا بالميازرِ.

قولها: «أن النبي ﷺ نهى الرجالَ والنساءَ عن دخول الحمَّامات، ثم رخَّص للرجال أن يدخلوها بالمَيَازر».

(الميازر) جمع: مِئزر، وهو الإزار، وإنما لم يرخِّص للنساء في دخول الحمَّام؛ لأن النساءَ جميعُ أعضائهن عورةٌ، وكشفُ العورة غيرُ جائزٍ إلا عند الضرورة، كغُسل الجنابة وقضاء الحاجة، ولا ضرورةَ لهن في دخول الحمَّام؛ لأن الغُسلَ ممكنٌ في بيتها.

ألا ترى أن صلاةَ المرأة في بيتها أفضلُ من صلاتها في المسجد، بخلاف الرجال، فإذا اقتضت حاجةُ النساء إلى دخول الحمَّام، مثل: أن تكون مريضةً؛ تدخل الحمَّام للتداوي، أو يكون قد انقطع نفاسها؛ تدخل الحمَّام للتنظيف، أو تكون قد انقطع حيضُها، أو تكون جنباً، والبردُ شديدٌ، ولا تَقدِر أن تُسخِّنَ الماءَ، فتخاف استعمالَ الماء البارد ضرراً؛ ففي هذه الأعذار جازَ لهن دخول الحمَّام.

ولا يجوز للرجال دخولُ الحمَّام ودخول الماء بغير إزارٍ ساترٍ ما بين سُرَّته ورُكبته.

يُحكَى عن أحمد بن حنبل رحمة الله عليه أنه قال: كنتُ يوماً مع جماعةٍ يتجرَّدون ويدخلون الماء، فاستعملتُ خبرَ النبي ﷺ: «مَن كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فلا يدخل الحمَّامَ إلا بمِئزرٍ»، ولم أتجرَّد، فرأيت تلك الليلةَ في المنام كأن قائلاً يقول لي: أبشِرْ يا أحمدُ، فإن الله تعالى قد غفرَ لك باستعمال السُّنَّة، فقلت: مَن أنت؟ فقال: أنا جبريلُ، فقد جعلك إماماً يُقتدَى بك.

* * *

٣٤٦٥ ـ عن أبي المَليحِ قال: قَدِمَ على عائشَةَ رضي الله عنها نِسوةٌ مِن أهلِ حمْصَ فقالت: مِن أينَ أنتُنَّ؟ قُلْنَ: مِن الشامِ، قالت: فلعلَّكُنَّ مِن الكُورَةِ التي تدخلُ نِسَاؤها الحمَّامَاتِ؟ قُلْنَ: بلى، قالت: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تخلعُ امرأةٌ ثيابَها في غيرِ بيتِ زوجِها إلا هَتَكَتْ السِّترَ بينَها وبينَ ربها».

وفي روايةٍ: «في غيرِ بيتِها إلا هتكَتْ سِترَها فيما بينَها وبينَ الله ﷻ».

قوله: «من أهل حِمْص»: وهو بلد من الشام.

«من الكُورة»؛ أي: من البلد والناحية.

«إلا هَتَكَتِ السِّترَ بينها وبين ربها ﷻ»؛ يعني: جعل الله سِتراً على النساء؛ أي: حفظَهنَّ من أن يَرَهنَّ أجنبيٌّ، وأمرَهن بستر أنفسهن، حتى لا يجوز لهن كشفُ عورتهن في الخلوة أيضاً إلا عند أزواجهن، فإنه جازَ لهن كشفُ جميع أعضائهن عند الأزواج، ويجوز لهن كشفُ ما ظهر منهن عند العمل، كاليدَين إلى العضد والرِّجلَين إلى الساق عند محارمهن، فإذا كشفتِ المرأةُ أعضاءَها في الحمَّام من غير ضرورةٍ فقد هتكت السترَ الذي أمرها الله تعالى به، وصارت عاصيةً بهتك سِترها.

* * *

٣٤٦٧ ـ عن جابرٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن كانَ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فلا يدخل الحَمَّامَ بغيرِ إزارٍ، ومَن كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فلا يُدْخِلْ

حَلِيلَتَهُ الحَمَّامَ، ومَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يجلسْ على مائدةٍ تُدَارُ عليها الخَمْرُ».

قوله: «حليلته»: أي: زوجته.

«على مائدة»؛ أي: على خِوَانٍ يُشرَب فيها الخمر؛ أي: لا يجلس مجلساً تُشرب فيه الخمر، والحمد لله رب العالمين.

* * *

٥ ـ باب
التَّصاوير

(باب التصاوير)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٦٨ ـ عن أبي طلحةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتاً فيهِ كلبٌ ولا تصاويرُ».

قوله: «ولا تصاوير».

و(التصاوير) جمع: تصوير، وهو جعلُ صورةٍ على قراشٍ وغيره، والمراد بـ (التصاوير) هنا: جمع التصوير الذي هو بمعنى الصورة، والمراد بها صورة الحيوانات التي تكون على حائط أو ستر، فأما صورُ الحيوان فيما يُجلَس عليه كفراشٍ فليس فيه بأسٌ. وكذلك صور غير الحيوان ليس فيه بأسٌ في أي موضع كان.

* * *

٣٤٦٩ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن مَيْمونةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أصبحَ يوماً وَاجِماً وقال: إنَّ جبريلَ كانَ وَعَدَني أنْ يلقَاني الليلةَ فلَمْ يَلْقَني! أَمَا واللهِ ما أَخْلَفَني»، ثم وقعَ في نفسِه جَرْوُ كلبٍ تحتَ فُسْطَاطٍ، فأَمَرَ بهِ فأُخرجَ ثم أخذَ

بيدِه ماءً فنضحَ مَكَانَهُ، فلمَّا أَمسَى لقِيَهُ جبريلُ، فقالَ لهُ: «قد كنتَ وعدتَني أنْ تَلقَاني البارحةَ؟» فقال: أَجَلْ، ولكنَّا لا ندخُل بيتاً فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ، فأَصبحَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ فأمرَ بقتلِ الكلابِ، حتى إنَّهُ يأمرُ بقتلِ كلبِ الحائطِ الصَّغيرِ، ويتركُ كلبَ الحائطِ الكبيرِ.

قولها: «واجماً»؛ أي: حزيناً.

«أم والله»، أصله: أما والله، فحُذف الألفُ للتخفيف، ومعناه: اعلم، يستوي فيه الواحد والكثير والمذكر والمؤنث.

«ثم وقع في نفسه جَرْوُ كلبٍ»؛ أي: ولد كلب.

«تحت فسطاط»؛ أي: تحت خيمة، رأى ولدَ كلبٍ تحت خيمته، فوقع في خاطره ﷺ أن جبريل ﷺ إنما لم يدخل الليلَ عليَّ لأجل وجود هذا الجَرْو.

«فأمر بقتل كلب الحائط الصغير».

(الحائط): البستان؛ يعني: الحائط الصغير لا يحتاج إلى حراسة الكلب لصغره، فأمر بقتل كلب الحائط الصغير، وأما الحائط الكبير فيحتاج إلى حراسة الكلب، فلم يأمر بقتل ذلك الكلب؛ لاحتياج الناس إليه.

* * *

٣٤٧٠ - عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَكُنْ يتركُ في بيتِه شيئاً فيهِ تَصَاليبُ إلاَّ نَقَضَه.

قولها: «فيه تصاليب»: كل صورةٍ تكون على صورة الصليب، والصليب: شيء يكون للنصارى يعظِّمونه، والتصاليب هنا: كل صورة تكون من صور الحيوانات.

«نقضَه»؛ أي: أزاله.

* * *

٣٤٧١ ـ وقالت قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أصحابَ هذه الصُّوَرِ يُعَذَّبونَ يومَ القيامةِ ويقالُ لهم: أَحْيوا ما خَلَقتُم». وقال: «إنَّ البيتَ الذي فيه الصُّورةُ لا تدخُلُه الملائكةُ».

قوله: «أَحْيُوا ما خلقتُم»؛ أي: انفخوا الروحَ في الصور التي عملتُموها، ولن تقدروا أن تنفخوا فيها الروح، فتعذَّبون إلى ما شاء الله.

روى هذا الحديثَ ابن عمر.

قوله: «وإن البيتَ الذي فيه الصورة»، أراد بهذه الصورة: صور الحيوانات.

روى هذا الحديثَ «أبو طلحة».

* * *

٣٤٧٢ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنها كانَتْ قد اتخذَتْ على سَهْوَةٍ لها سِتراً فيهِ تَماثيلُ، فهتكَهُ النبيُّ ﷺ فاتخذْتُ منهِ نُمْرُقَتَيْنِ، فكانتا في البيتِ يجلِسُ عليهِما.

قولها: «على سَهْوَة»؛ أي: على بيتٍ صغيرٍ فيه تماثيلُ.

«التماثيل» جمع: تمثال، وهو هنا صورة الحيوان.

«فهتكَه»؛ أي: خرقَه.

«فاتخذت»؛ أي: فاتخذت عائشةُ «منه»؛ أي: من ذلك السِّتر المُخرَّق.

«نمرقتين» تثنية: نمرقة، وهي وسادة يجلس عليها؛ يعني: لا بأسَ بكون الصورة فيما يجلس عليه؛ لأنه يُذَلُّ، يعني: ما خلقَه الله يُكرَّم، وما عملَه الإنسان يُذَلُّ.

* * *

٣٤٧٣ ـ ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ في غزاةٍ، فأخذتْ نَمَطاً فسترتْه على البابِ، فلمَّا قدِمَ فرأى النَّمطَ فجذبَهُ حتى هتكَهُ، ثمَّ قال: «إنَّ الله لم يأمُرْنا أنْ نكسُوَ الحِجارةَ والطِّين».

قولها: «اتخذت نَمَطاً»؛ أي: سِتْراً.

«فسترتْه على الباب»؛ أي: كسوتُ البابَ وما حولَه من الجدار بذلك النَّمط.

«جذبه»؛ أي: جرَّه.

«أن نكسوَ الحجارةَ والطينَ»؛ يعني: كسوةُ الجدار مثلُ حجلة النساء؛ من فعلِ المتجبرين والمتكبرين والمسرفين، ونحن براءٌ مِن فعلِ هؤلاء.

* * *

٣٤٧٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها، عن رسولِ الله ﷺ قال: «أشدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ الذينَ يُضاهونَ بخلقِ الله».

قوله: «يضاهون بخلق الله».

(يضاهون) أصله: يُضاهِيُون، فنُقلت ضمة الياء إلى الهاء وحُذفت الياء؛ لسكونها وسكون الواو؛ أي: يُشابهون بالله في عمل الصور؛ يعني: التصوير لا ينبغي لأحدٍ سوى الله تعالى، فمَن صوَّر صورةً فقد ظلمَ نفسَه واستحقَّ العذاب.

* * *

٣٤٧٥ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «قال الله: ومن أظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي، فليخلقوا ذَرَّةً أو ليخلقوا حَبَّةً أو شعيرةً».

قوله: «ذهب يخلق كخلقي»؛ أي: طَفِقَ يُصوِّر صورةً يشبه صورةَ خلقتُها؛

يعني: لا يقدر أحدٌ أن يخلقَ مثلَ ما أخلقُ، فإن الخلقَ ليس بتصويرِ صورةٍ مجردةٍ عن الرُّوحِ، بل الخلق أن يصوِّر صورةً وينفخ فيها الرُّوح، فلا يقدر أحدٌ على نفخ الرُّوح في الصورة إلا الله.

* * *

٣٤٧٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن تَحَلَّمَ بحُلمٍ لم يَرَهُ، كُلِّفَ أنْ يعقِدَ بينَ شَعيرتينِ ولن يفعلَ، ومَن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارِهونَ، أو يَفِرُّونَ منهُ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يومَ القيامةِ، ومَن صَوَّرَ صورةً عُذِّبَ وكُلِّفَ أنْ ينفخَ فيها وليسَ بنافخٍ».

قوله: «مَن تحلَّم»؛ أي: مَن تكذَّب «بحُلم».

(الحُلم) بضم الحاء: الرؤيا؛ يعني: من قال: رأيتُ رؤيا ولم يكن رآها فقد كذب، ويُعذَّب يومَ القيامة بهذا الكذب، ويقال له: اعقد بين شَعيرتَين، ولم يقدر أن يعقدَ بينهما؛ يعني: يعذَّب بفعل ما لم يكن قادراً على فعله كما، أظهر برؤيته رؤيا لم يكن رآها.

وهذا التغليظ فيمن أظهرَ رؤيا كاذباً إذا كان كذباً عظيماً، مثل أن يقول: رأيتُ في المنام أن الله أمرني أن أكون نبياً، أو أمرني بأن فلاناً مغفورٌ أو وليٌّ، أو فلانٌ ملعونٌ، أو أخرِجُوه من البلد، أو أمرني الله بأن أقول: اعملوا بدين موسى أو غيره من الأنبياء الماضية، أو اقرؤوا التوراة وما أشبه ذلك، وكذلك لو قال: أمرني رسولُ الله في المنام بشيءٍ من هذه الأشياء.

وأما لو لم يكن كذبُه عظيماً لم يكن عذابُه مثل هذا العذاب، مثل أن يقول واعظ: أمرني الله بأن أعظَ الناسَ، فهذا كذب، ولكن وعظَ الناس طاعةٌ، فلم يكن إثمُ هذا الكذب مثلَ إثمِ مَن قال: أمرني الله بقراءة التوراة؛ لأنها منسوخةٌ.

قولــه: «صُبَّ في أذنَيه الآنُكُ»: وهو الأُسْرُبُّ؛ يعني: استراقُ السمعِ خيانةٌ

تستحق العذابَ يومَ القيامة؛ لأنه يريد إظهارَ سرِّهم وهم يكرهون إظهارَه.

قوله: «وليس بنافخٍ»؛ أي: لا يقدر أن ينفخَ فيها الرُّوحَ.

* * *

٣٤٧٩ - وعن بُريدةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن لعبَ بالنَّرْدَشِيرِ فكأنَّما صبغَ يدَهُ في لحمِ خنزيرٍ ودمِه».

قوله: «مَن لعبَ بالنَّردشير فكأنما صبغَ يدَه في لحم الخنزير ودمه».

(النَّردشير): النَّرْد المعروف، وهو حرامٌ لعبُه بالاتفاق؛ يعني: ذبحُ الخنزيرِ والأكلُ حرامٌ، وأخذُ لحمِه واستعمالُ دمِه وأكلُ شيءٍ منه؛ أي: شيء كان كل ذلك حرام، فكما أن هذه الأشياء حرام فكذلك اللعب بالنردشير حرام.

وقيل: المراد بالنَّردشير: الشِّطْرَنج، واللعب بالشِّطْرَنج عند الشافعي مكروهٌ غيرُ حرامٍ، وعند أبي حنيفة: حرامٌ، وإنما لم يكن الشِّطْرَنج عند الشافعي حراماً بشرط ألا يكون اللعبُ بمالٍ.

قال ابن عباس: كلُّ شيءٍ فيها قِمارٌ؛ أي: كلُّ لعبٍ أُخذ به مالٌ فهو من المَيسر، حتى لعب الصبيان بالجَوز والكِعاب، و(الكِعَاب) جمع: كَعب، وهو كَعب الغنم.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٤٨٠ - عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقالَ: أتيتُكَ البارحةَ فلم يَمنعْني أنْ أكونَ دخلتُ إلا أنه كانَ على البابِ تماثيلُ، وكانَ في البيتِ قِرامُ سِترٍ فيهِ تماثيلُ، وكانَ في البيتِ كلبٌ فمُرْ

برأسِ التمثالِ الذي على بابِ البيتِ فيُقطَع، فيصير كهيئةِ الشَّجرة، ومُرْ بالسِّتْرِ فليقطعْ فليُجعَلْ وسادتينِ منبوذتَيْنِ تُوطَآن، ومُرْ بالكلبِ فليُخرَجْ، ففعلَ رسولُ الله ﷺ».

قوله: «فيصير كهيئة الشجرة»؛ يعني: إذا قُطِعَ ولم تبقَ صورتُه كصورة حيوان لم يكن فيه بأسٌ.

«القِرام»: سِتْرٌ رقيقٌ.

«تُوطَآ»؛ أي: يُجلَس عليها، وأصل الوطء: الضرب بالرِّجل.

* * *

٣٤٨١ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ عنقٌ مِن النارِ يومَ القيامةِ لها عينانِ تُبصِرانِ، وأُذُنانِ تَسمعانِ، ولسانٌ يَنطقُ تقولُ: إني وُكِّلتُ بثلاثٍ: بكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، وكلِّ مَن دَعا معَ الله إلهاً آخرَ، والمصوِّرِينَ».

قوله: «يخرج عنقٌ من النار»؛ أي: يخرج شخصٌ من النار ويقول: وكَّلَني الله بأنْ أُدخِلَ هؤلاء الأصنافَ الثلاثةَ النارَ وأُعذِّبَهم.

قوله: «بكل جبَّار عنيد».

(العنيد): المواظب والمداوِم على الباطل.

* * *

٣٤٨٢ - عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ الله حرَّمَ الخَمْرَ والمَيْسِرَ والكُوبَة»، وقال: «كلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ» قيلَ: الكُوبةُ: الطَّبْلُ.

قوله: «إن الله حرَّم الخمرَ والمَيسرَ والكُوبةَ»؛ يعني: حـرَّم الله هذه الأشياءَ، أما الخمرُ والمَيسرُ فتحريمُهما مذكورٌ في القرآن، ولقد ذكرناهما في

بيان الخمر، وأما الكُوبة فقد حرّمها الله على لسان النبي، وما حرّمه النبي فقد حرّمه الله، والكُوبة: طبل المخنّثين.

* * *

٣٤٨٥ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ رَأَى رجلاً يتبعُ حمامةً فقال: «شيطانٌ يتبعُ شيطانةً».

قوله: «شيطانٌ يتبع شيطاناً»، سمّى الحمامة ومَن لعب بها شيطاناً؛ لأن مَن حمل أحداً على معصيةٍ أو شغَلَه عن الطاعة فهو شيطانٌ، ومَن يطيعه فهو أيضاً شيطانٌ، واللعبُ بالحَمَام يشغل الرجلَ عن أوقات الصلاة لحرصه بها، ويقلّل مروءتَه؛ لأن اللعبَ لا يليق بأهل المروءة، وربما يصعد موضعاً عالياً ويطّلع على عــورات المســلمين، واللعبُ بالحَمَام مكروهٌ.

❒❒❒

(۲۱)

كِتَابُ الطِّبِّ وَالرُّقَىٰ

(كتاب الطب والرُّقى)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٤٨٦ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «ما أنزلَ الله داءً إلاَّ أنزلَ لهُ شفاءً».

قوله: «ما أنزل الله داءً إلا أنزلَ له شفاءً»، أراد بـ (الشفاء) هنا: الدواء.

هذا الحديثُ رخصةٌ للأمة في التداوي واستعمال الطب؛ يعني: ما خلقَ الله علةً إلا خلقَ لها دواءً، وهدى طائفةً من الناس إليه، وألهمَهم كيفيةَ التداوي به. وحصولُ البُرْءِ ليس من الدواء، بل من الله؛ إنْ قدَّر فيه الشفاءَ يحصلِ الشفاءُ به، وإن لم يُقدِّر لم يحصل، وهذا كما جعل الله الماءَ دافعاً للعطش والطعام دافعاً للجوع؛ فإنْ قدَّر قطعَ العطش والجوع يحصل الدفع، وإن لم يُقدِّر لم يحصل، فإنه كم من جائعٍ يأكل الطعامَ ولم يشبع، ويشربُ الماءَ ولم يَرْوَ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

٣٤٨٧ ـ وقال: «لكلِّ داءٍ دواءٌ فإذا أُصيبَ دواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذنِ الله».

قوله: «بَرَأَ بإذن الله»؛ أي: حصل له الشفاءُ بأمر الله إن قدَّر الشفاءَ، وإن لم يُقدِّر لم يحصل.

روى هذا الحديثَ جابر.

* * *

٣٤٨٨ ـ وقال: «الشِّفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبةِ عَسَلٍ، أو كَيَّةٍ بنارٍ، وأنا أنْهَى أُمَّتي عن الكيِّ».

قوله: «الشفاءُ في ثلاثةٍ: في شَرطة مِحْجَم، أو شَربةِ عسلٍ، أو كَيَّةٍ بنارٍ؛ وأنا أَنْهَى أُمتي عن الكَيِّ».

(الشَّرطة): المشرط، وهو ما يُضرَب على موضع الحِجامة ليخرجَ منه الدمُ بالمِحْجَم.

والمِحْجَمة: قارورة الحجَّام التي يمصُّها، وقيل: الموضع الذي يُحجَم.

(الكَيُّ): أن يُحمَى حديدٌ ويُوضَع على عضوٍ معلولٍ ليحترقَ ويحتبسَ دمُه، ولا يخرج الدم، أو لينقطعَ العِرقُ الذي تنتشر منه العلَّة.

وقد جاء النهي عن الكَيِّ، وقد جاءت الرخصة أيضاً، والرخصةُ لبيان جوازه حيث لا يَقدِر الرجلُ على أن يداويَ تلك العلةَ بدواءٍ آخرَ، والنهي حيث يَقدِر الرجلُ على أن يداويَ العلةَ بدواءٍ آخرَ، وإنما ورد النهيُ حيث يَقدِر الرجلُ على أن يداويَ العلةَ بدواءٍ آخرَ؛ لأن الكَيَّ فيه تعذيبٌ بالنار، ولا يجوز أن يعذِّبَ بالنار إلا ربُّ النار، وهو الله تعالى، ولأنه يبقى من الكَيِّ أثرٌ فاحشٌ، ولأن أهلَ الجاهلية كانوا قد اعتقدوا أن الشفاءَ يحصل من الكَيِّ البتةَ، فنهاهم النبيُّ ﷺ عن الكَيِّ كي لا يعتقدوا الشفاءَ منه، بل الشافي هو الله.

روى هذا الحديثَ ابن عباس.

* * *

٣٤٨٩ ـ عن جابرٍ قال: رُمِيَ أُبَيٌّ يومَ الأحزابِ على أَكْحَلِه فكَواهُ رسولُ الله ﷺ.

قوله: «على أَكْحَلِه»، (الأكحل): عِرق معروف يُفصَد منه.

* * *

٣٤٩٠ ـ وقال: رُمِيَ سعدُ بن معاذٍ في أَكْحَلِه فحَسَمَهُ النبيُّ ﷺ بيدهُ بِمِشْقَصٍ، ثم وَرِمَتْ فحسمَهُ الثانيةَ.

قوله: «رُمي في أَكْحَلِه»؛ أي: أصاب سهمٌ أكحلَه، وهو العرقُ المذكور.

«فحسمَه»؛ أي: فكَوَاهُ «بِمِشْقَص»: وهو نصلٌ عريضٌ. روى هذا الحديثَ والذي بعده «جابر» أيضاً.

* * *

٣٤٩٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ أخي استَطْلَقَ بطنُهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اسقِهِ عسلاً» فسقاهُ، ثم جاءَهُ فقال: سقَيْتُه عَسَلاً فلم يزِدْهُ إلا استِطْلاقاً!؟ فقال له ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم جاءَ الرَّابعةَ فقال: «اسقِهِ عَسَلاً» فقال: لقد سقيْتُه فلم يزِدْهُ إلا استِطْلاقاً!؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «صدقَ الله وكذَبَ بطنُ أخيكَ»، فسقاهُ فبَرَأَ.

قوله: «استَطْلَقَ»؛ أي: أَسْهَلَ بطنُه؛ يعني: جرى غائطُه.

«صَدَقَ الله»؛ يعني: صدقَ الله في قوله في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

«وكَذَبَ بطنُ أخيك»؛ يعني: عدمُ حصول شفاء بطن أخيك ليس لعدم الشفاء في العسل، بل ما أخبر الله عنه لا يجوز الخُلْفُ فيه، وإنما لم يحصل شفاءُ بطن أخيك؛ لأن النيةَ في شربه غيرُ صادقةٍ وغيرُ مخلصةٍ، أو لأنه لم تنقضِ مدةُ المرض؛ فإن الله جعل لكل شيءٍ وقتاً، كما جعل للحيوانات مدةً معلومةً عند الله، فلا يموت حيوانٌ قبل انقضاء أجله، فكذلك لا يُزال مرضٌ قبل انقضاء أجله.

* * *

٣٤٩٤ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أَمْثَلَ ما تَداويتُم بِهِ الحِجامَةُ، والقُسْطُ البَحريُّ».

قوله: «إن أمثلَ ما تداويتُم به الحِجامةُ والقُسْطُ البحري».

(الأمثل): الأصلح والأولى.

(القُسط البحري)[1] بضم القاف: هو عُود هندي يصلح.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٣٤٩٥ ـ وقال: «لا تُعذِّبُوا صِبيانَكم بالغَمْزِ مِن العُذْرةِ، وعليكم بالقُسْطِ».

قوله: «الغمز»: العَصر.

«العُذرة»: وجعٌ في الحلق يهيج من الدم، وقيل: قرحة، وقيل: اجتماع الدم في قَعر الحَنَك الأعلى بحيث يظهر انتفاخُ ذلك الموضع، وعادة النساء أن يعصِرنَ بالإصبع ذلك الموضعَ، فنهاهنَّ رسولُ الله ﷺ عن عصره، وأمرَهنَّ بأن يُداوِينَها بالقُسط.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٣٤٩٦ ـ وقال: «عَلامَ تَدْغَرْنَ أولادكُنَّ بهذا العِلاقِ؟ عليكُنَّ بهذا العودِ الهِنديِّ، فإنَّ فيهِ سبعةَ أشفِيَةٍ، منها ذاتُ الجَنْبِ، يُسعَطُ مِن العُذْرَةِ ويُلَدُّ مِن ذاتِ الجَنْبِ».

(١) جاء على هامش «ش»: «هو العربي الأبيض؛ لأنه أجود، ومنه الهندي الأسود ومن غيره من أصنافه».

قوله: «علی ما تَدْغَرْنَ»؛ أي: لِمَ تَعصِرْنَ أحناكَ أولادِكن من العُذرة؟! بل لا تَعصِرْنَهَا وداوِينَها بالقُسط.

(الدَّغْر): العَصْر.

(الأحناك) جمع: حنك.

قوله: «بهذا العِلاق».

(العلاق) بكسر العين: الداهية؛ يعني: لِمَ تعصِرْنَ عُذرةَ الأولاد بالشدة وتُعذِّبنهم؟!

و(العُلاق) بضم العين: ما تُعصَر به العُذرة من إصبع وغيرها، فعلى هذا يكون معناه: لِمَ تَعصِرنَ عُذرةَ أولادكن بالإصبع وغيره؟!

«عليكن بهذا العُود الهندي»؛ أي: الزَمْنَ استعمالَ العود الهندي في عُذرة الأولاد.

«ذات الجَنب»: هي الدُّبَيْلة، وهي قرحة قبيحة تثقب البطنَ؛ أي: تثقبُه.

رَوَتْ هذا الحديثَ أم قيس بنت مِحْصَن.

* * *

٣٤٩٧ ـ وقال: «الحُمَّى مِن فيحِ جَهنَّمَ فأبرِدُوها بالماءِ».

قوله: «الحُمَّى من فَيح جهنم؛ فأبرِدُوها بالماء»، (من فيح جهنم)؛ أي: من نفح حرارة جهنم، وهذا مثل قوله ﷺ: «السفرُ قطعةٌ من العذاب»؛ يعني هذا: أن الحُمَّى اشتعالُ حرارةِ الطبيعةِ، فهذه الحرارةُ تشبه نارَ جهنم في كونها معذِّباً للجسد ومُذيباً له، فكما أن النارَ تُزال بالماء، فكذلك حرارةُ الحُمَّى تُزال بالماء البارد، وكيفية استعمال الماء ما جاء في الحديث، وهو ما رُوي أن رسولَ الله ﷺ

قال في مرضه: «هَرِيقُوا عليَّ من سبعِ قِرَبٍ لم تُحلَلْ أَوكيتُهنَّ».

(هَرِيقوا)؛ أي: صُبُّوا، (القِرَب) جمع: قِرْبة، (لم تُحلَلْ)؛ أي: لم تُفتَح، (الأَوكية) جمع: الوِكَاء، وهو ما يُشدُّ به رأسُ الشيء؛ يعني: صُبُّوا عليَّ الماءَ من سبعِ قِرَبٍ لم تُفتَح رؤوسُهن في ذلك اليوم.

روت هذا الحديثَ عائشةُ وأختها أسماء.

* * *

٣٤٩٨ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: رخَّصَ رسولُ الله ﷺ في الرُّقيَةِ مِن العَيْنِ، والحُمَةِ والنَّملةِ.

قوله: «رخَّص رسول الله ﷺ في الرُّقية من العين والحُمَةِ والنَّملة».

(الحُمَة) بالتخفيف: سمُّ ما يَلدَغ من العقرب وغيرها.

و(النملة): قُرُوح، يقال لها بالفارسي: اتش پارسي.

قد جاءت الرخصةُ في الرُّقية من هذه الأشياء، ويُقاس عليها جميع الأمراض والأعلال إذا كانت الرُّقيةُ باسم الله تعالى وصفاته، ولم يكن فيها لفظٌ مَنهيٌّ، مثل: أن يكون اسمَ صنمٍ، أو اسمَ جنيٍّ، أو اسماً من أسماء الله تعالى ولم يكن ذلك اسماً منقولاً في الأحاديث الصِّحاح والقرآن.

* * *

٣٥٠٠ ـ وعن أمِّ سلَمَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى في بيتِها جاريةً في وجهِها سَفْعَةٌ، تعني صُفرةً، فقالَ: «استرقُوا لها، فإنَّ بها النَّظْرَةَ مِن الجِنِّ».

قوله: «فإن بها النَّظرة».

(النَّظرة): العين؛ يعني: فإنَّ بِها إصابةَ عينٍ من الجن.

و«الاسترقاء»: طلب الرُّقية، فهذا تصريحٌ بأن مَن أصابته عينٌ من الإنس أو الجن يُستحَبُّ أن يُرقَى عليه.

* * *

٣٥٠٣ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «العينُ حقٌّ، ولو كانَ شيءٌ سابقَ القَدَرَ سبقَتْهُ العينُ، فإذا استُغْسِلتُم فاغْسِلُوا».

قوله: «**لو كان شيءٌ سابقَ القَدَرِ سبقتْه العينُ**»؛ يعني: لو كانَ شيءٌ مهلكاً أو مُضِـرّاً بغير قضاء الله وقَدَره لكان الشيءُ هو العينَ، ولكن لم يكن شيءٌ نافعاً ولا مُضِـرّاً بغير قضاء الله وقَدَره، وإنما تلفَّظ رسول الله بهذا الحديث تعظيماً لشأن تأثير العين، والمبالغة في أن يحفظ الناسُ أعيُنَهم من أن يصيبوا أحداً بأعينهم، وإذا اتفق لأحدٍ أن يصيبَ شخصاً بعينه فَلْيقُلْ: بارَكَ الله عليك وبسمِ الله عليك، وَلْيَغسِلْ أعضاءَه له، كما يأتي كيفيته.

* * *

٣٥٠٥ ـ عن عُقْبَةَ بن عامرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُم على الطَّعامِ والشَّرابِ، فإنَّ الله يُطعِمُهم ويَسقيهم»، غريب.

قوله: «**لا تُكرِهوا مَرْضَـــاكم على الطعـــام**»؛ يعني: لا تُطعموا مرضاكم كرهاً إن لم يَطْعَموا عن طوعٍ ورغبةٍ، فإن إكراهَ المرضى على الطعام يضرُّهم ولا ينفعهم، ولا تقولوا: إنهم لو لم يَطْعَموا لَضعفُوا وزالتْ قوتُهم.

«**فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم**»؛ يعني: فإن الله يرزقُهم صبراً عن الطعام ويرزقُهم قوةً؛ فإن الصبرَ والقوةَ والحياةَ من الله، لا من الطعام والشراب، فإن الله قد يقوِّي الأجسادَ بواسطة الطعام والشراب، وقد يقوِّيها بلا واسطةِ طعامٍ وشرابٍ زماناً مديداً.

ألا ترى أن المريضَ ربما لا يَطْعَم ولا يَشْرَب شهراً أو أكثرَ ولا يموت، وقد يُمنَع صحيحٌ من الطعام زماناً قريباً فيموت؟! فموتُ مَن يموت وحياةُ مَن يحيا بأمر الله لا بالطبيعة، فإن الطبيعةَ معزولةٌ عن التأثير بغير أمر الله تعالى.

* * *

٣٥٠٦ ـ عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَوَى أسعدَ بن زُرارةَ مِن الشَّوكةِ. غريب.

قوله: «من الشَّوكة»: هي علَّة تحمرُّ منها الأعضاء، يقال بالفارسي: إي ربا بكسر الهمزة.

* * *

٣٥٠٨ ـ وعنه قال: كانَ النبيُّ ﷺ ينعتُ الزَّيتَ والوَرْسَ مِن ذاتِ الجَنْبِ.

قوله: «يَنْعَتُ الزيتَ والوَرْسَ من ذات الجَنب».

(النعت): وصف الشيء بما فيه من الحسن، ولا يقال: النعت في وصف الشيء بما فيه من الذم، هكذا قال أهل اللغة.

ومعنى الحديث: أن رسولَ الله ﷺ كان يقول: الزيتُ والوَرْسُ ـ وهي شيءٌ يشبه الزعفرانَ ـ يحسن في مداواة داء ذات الجَنب.

* * *

٣٥٠٩ ـ عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ سألَها: «بِمَ تَستمشِينَ؟» قالت: بالشُّبْرُمِ، قال: «إنَّه حارٌّ حارٌّ»، قالت: ثُمَّ استمشَيْتُ بالسَّنا، فقال النبيُّ ﷺ: «لو أنَّ شيئاً كانَ فيهِ الشِّفاءُ مِن الموتِ لكانَ في السَّنا».

قوله: «بمـا تَسْتَمْشِينَ»، أصله: تستمشيين، فأُسكنت الياء الأولى لثقل الكسرة عليها، وحُذفت لسكونها وسكون ما بعدها؛ يعني: بأي شيءٍ تطلبينَ إسهالَ البطن.

«الشُّبْرُم»: نبت يُسهِّل البطنَ.

«حارٌّ»، وفي بعض الروايات: «حارٌّ حارٌّ»؛ يعني: كرَّر رسولُ الله ﷺ لفظ (الحار) للتأكيد، وفي بعض الروايات: «حارٌّ يارٌّ» بالياء المنقوطة من تحتها بنقطتين، و(اليار): إتباع (الحار)؛ يعني: قال لها رسول الله ﷺ: هذا الدواء حارٌّ لا يليق بإسهال البطن، فإن إسهالَ البطن ينبغي أن يكون بشيءٍ باردٍ.

* * *

٣٥١٣ ـ وقالت: ما كانَ يكونُ برسولِ الله ﷺ قَرْحَةٌ ولا نَكْبَةٌ إلا أمرني أنْ أَضَعَ عليها الحِنَّاءَ.

قوله: «قَرحة أو نكبة»، (القَرحة): الجِرَاحة التي أصابت الإنسانَ بسيفٍ وغيره من الأسلحة.

و(النَّكبة): الجِرَاحة التي أصابته بحَجَرٍ أو شَوكٍ وغيرهما.

* * *

٣٥١٤ ـ وعن أبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يحتجمُ على هامَتِهِ وبينَ كَتِفَيْهِ وهو يقولُ: «مَن أَهْرَاقَ مِن هذهِ الدِّماءِ فلا يَضُرُّهُ أنْ لا يَتَداوى بشيءٍ».

قوله: «على هامَتِه»؛ أي: على وسط رأسه.

* * *

٣٥١٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ احتجمَ على وِرْكِهِ مِن وَثْءٍ كانَ بــهِ».

قوله: «أن رسول الله ﷺ احتجم على وِركه من وَثْءٍ كان به».

(الوِرك): جانب الفخذ من طرف الألْية.

(الوَثْء): اندفاق عضو من سقطةٍ بلا كسرةٍ، والوِرك من العورة، وكشفُه عند الحجّام إنما كان لعذر المداواة.

* * *

٣٥١٨ ـ عن أنسٍ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يحتجِمُ في الأَخْدَعَيْنِ والكاهِلِ، وكانَ يحتجمُ لسبعَ عشرةَ، وتسعَ عشرةَ، وإحدَى وعشرينَ.

قوله: «في الأخدعين».

(الأخدعين) تثنية: الأخدع، وهو عِرق في خلف العنق يُحتجَم منه.

* * *

٣٥٢١ ـ وقال ﷺ: «مَن احتجمَ يومَ الثُّلاثاءِ لسبعَ عشرةَ خَلَتْ مِن الشَّهرِ أخرجَ الله منهُ داءَ سنةٍ».

٣٥٢٢ ـ وعن كيسةَ بنتِ أبي بكرة: «أنَّ أباها كانَ يَنْهَى أهلَه عن الحجامةِ يومَ الثلاثاءِ، ويزعمُ عن رسولِ الله ﷺ أنَّ يومَ الثلاثاءِ يومُ الدمِ، وفيهِ ساعةٌ لا يرقأُ».

قوله: «يوم الثلاثاء يوم الدم»؛ يعني: يومٌ يكثر فيه الدم.

«وفيه ساعةٌ لا يَرقأ فيها الدم»؛ أي: لا ينقطع فيه إذا احتُجم أو فُصِد فيه، وربما يهلك الإنسان بعدم انقطاع الدم.

* * *

٣٥٢٣ ـ ورُوِيَ عن الزُّهرِيِّ مُرْسلاً، عن النبي ﷺ قال: «مَن احتجمَ يومَ الأربعاءِ ويومَ السَّبتِ فأصابَهُ وَضَحٌ فلا يلومَنَّ إلا نفسَه». وقد أُسنِدَ ولا يصحُّ.

قوله: «وَضَحٌ»؛ أي: بَرَصٌ.

* * *

٣٥٢٤ ـ ويُروَى: «مَن احتَجَمَ أو اطَّلَى يومَ السَّبتِ أو الأربعاءِ فلا يلومنَّ إلا نفسَه في الوَضَحِ».

قوله: «اطَّلى»، أصله: اطتلى، قُلبت التاءُ طاءً وأُدغمت التاء في الطاء، ومعنى (اطَّلى)؛ أي: لطخَ عضواً بدواءٍ.

* * *

٣٥٢٦ ـ عن زينبَ امرأةِ عبدِالله بن مسعودٍ: أنَّ عبدَالله رأَى في عُنُقي خيطاً فقال: ما هذا؟ فقلتُ: خيطٌ رُقِيَ لي فيهِ، قالت: فأخذه فقطَعَه ثم قال: أنتم آلَ عبدِالله لأغنياءُ عن الشِّرْكِ! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، فقلتُ: لِمَ تقولُ هكذا؟ لقد كانَت عيني تُقْذَفُ، فكنتُ أختلِفُ إلى فلانٍ اليهوديِّ فإذا رَقاها سكنَت! فقالَ عبدُالله: إنَّما ذلكَ عملُ الشيطانِ، كانَ ينخَسُها بيدِه، فإذا رُقِي كَفَّ عنها، إنَّما كانَ يَكفيكِ أنْ تقولي كما كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «أَذْهِبِ البأسَ ربَّ الناسِ واشفِ أنتَ الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤُكَ، شفاءً لا يغادِرُ سَقَماً».

قوله: «إن الرُّقَى» هي جمع: رقية، يريد بها: رقية فيها اسمُ صنمٍ أو شيطانٍ أو غيرهما مما لا يجوز في الشرع.

«التمائم» جمع: تميمة، وهي خَرَزات تعلِّقها النساءُ بعنق أولادهن يَزعمْنَ أنها تدفع العينَ.

«التِّوَلَة»: خيطٌ يُقرأ فيه من السحر والنيرنجات، أو قرطاسٌ يُكتب فيه شيءٌ من السحر والنيرنجات لتحبيب النساء بقلوب الرجال أو تحبيب الرجال بقلوب النساء، فأبطلَ الشرعُ هذه الأشياءَ.

قوله: «تُقذَف»؛ أي: كانت عيني وجعةً تُلقي الرَّمَصَ، وهو ما تُخرجه العين من الوسخِ عند رَمَدِها.

«أَختلِفُ»؛ أي: أتردَّد.

«يَنْخَسُها»؛ أي: يضربُها بيده ويوسوسها لتجيءَ إلى ذلك اليهودي، فلما رَقَى اليهوديُّ عينَك كفَّ الشيطانُ؛ أي: ترَكَ ضربَ عينِك بيده؛ لتعتقدي أن تلك الرُّقيةَ من اليهوديِ حقٌّ.

* * *

٣٥٢٧ - عن جابرٍ قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن النُّشْرَةِ، فقال: «هو مِن عملِ الشَّيطانِ».

قوله: «سُئل رسولُ الله ﷺ عن النُّشرة».

(النُّشرة) بضم النون: رُقيةٌ تُقرأ على مَن أصابه مَسٌّ الجن، كرهها غيرُ واحدٍ من الأئمة.

وقال سعيد بن المسيب: لا بأسَ بها، والمَنهيُّ من الرُّقى: ما كان فيه شركٌ أو يُذكَر فيه مَرَدَةُ الشياطين، أو ما كان منها بغير لسان العرب ولا يُدرَى ما هو، ولعل يَدخله سحرٌ أو كفرٌ، فأما ما كان بالقرآن وذِكر الله فإنه جائزٌ.

* * *

٣٥٢٨ - عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أُبالي ما أَتيتُ إنْ أنا شربتُ تِرْياقاً، أو تعلَّقتُ تَميمةً، أو قلتُ الشِّعرَ مِن قِبَلِ نفسي».

قوله: «ما أُبالي إنْ أنا شربتُ ترياقاً، أو تعلَّقتُ تميمةً، أو قلتُ الشِّعرَ مِن قِبَلِ نفسي»: ذُكر شرح (التميمة) قُبيلَ هذا، وكان إنشاءُ الشِّعر حراماً على رسول الله ﷺ؛ يعني: كما أن إنشاءَ الشِّعر حرامٌ عليَّ، فكذلك شربُ التِّرياق وتعليقُ التمائم حَرَامانِ عليَّ؛ هذا في حقِّه، وأما في حقِّ الأُمة: التمائمُ حرامٌ، وإنشاءُ الشِّعر غيرُ حرامٍ عليهم إذا لم يكن فيه كذبٌ أو هجوُ مسلمٍ وغيرهما من المعاصي، وأما الترياق فيُجوِّز بعضُ العلماء شربَه للمداواة، ومنعَه بعضُهم؛ لأنها نجسٌ، لأنَّ التِّرياقَ إن اتُّخذ من الحية أو من العقرب أو غيرهما مما لا يحلُّ لحمُه حرامٌ، وإن اتُّخذ من شيءٍ طاهرٍ فلا بأسَ بشربه.

* * *

٣٥٢٩ ـ عن المغيرةِ بن شُعبةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن اكتوَى أو استرقَى فقد بَرِئَ مِن التَّوكُّلِ».

ويُروَى: «مَن تَعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه».

قوله: «**مَنِ اكتَوى أو استَرقَى فقد بَرِئَ من التوكُّل**».

(اكتَوى) بمعنى: كَوَى.

و(استَرقَى)؛ أي: طلبَ أن يُقرأَ عليه الرُّقية؛ يعني: الكَيُّ والرُّقيةُ جائزانِ لمَن لم يكن من أهل التوكُّل، وأما مَن كان من أهل التوكُّل لو فعل شيئاً من المداواة بطلَ توكُّلُه؛ لأن التوكُّلَ عبارةٌ عن تفويض الرجل أمورَه مما ينزل عليه من البلاء والأمراض والفقر وغيرها إلى الله، لا يشتغل هو بدفعها، بل فوَّض دفعَها إلى الله تعالى، ورسولُه ﷺ داوَى وأمرَ بالمداواة؛ ليكون فعلُه رخصةً للضعفاء، مع أنه قدوةُ الأنبياء والأولياء، وتوكُّلُ جميعِ أهلِ التوكُّل بالنسبة إلى توكُّله عليه كإبرةٍ تدخل في البحر.

قوله: «مَن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه»؛ يعني: مَن تمسَّك بشيءٍ من المداواة واعتقد أن الشفاءَ منه لا من الله تعالى لم يَشفِهِ الله، بل وُكِلَ شفاؤُه إلى ذلك الشيء، وحينئذٍ لا يحصل شفاؤُه؛ لأن الأشياءَ لا تنفعُ ولا تضرُّ بغير أمر الله تعالى، ولذلك مَن اعتقد حصولَ الرزق أو دفعَ البلاء أو تحصيلَ مطلوبٍ من شيءٍ بغير أمر الله تعالى فهو داخلٌ في هذا الحديث.

* * *

٣٥٣٠ - عن عِمْرانَ بن حُصَينٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ».

قوله: «لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ».

(الحُمَة): السمُّ؛ معناه: لا رقيةَ أنفعُ من رقية تُقرَأ على مَن أصابته عينٌ أو حُمَةٌ، وليس معنى هذا الحديث نفي جوازِ الرُّقية عن داء غير العين والحُمَة، بل يجوزُ في جميع الأمراض إذا كانت الرُّقية بالقرآن واسم الله.

* * *

٣٥٣٢ - عن أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ قالت: يا رسولَ الله! إنَّ وَلَدَ جعفرٍ تسرعُ إليهم العينُ، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فإنَّه لو كانَ شيءٌ سابَقَ القَدَرَ لسبَقَتْهُ العينُ».

ورُوِيَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال للشِّفاءِ بنتِ عبدِالله، وهي عندَ حَفْصَةَ: «أَلا تُعَلِّمينَ هذهِ رُقيةَ النَّمْلَةِ كما علَّمتِيها الكتابةَ».

قولها: «تُسرع إليهم العينُ»؛ أي: تُؤثِّر فيهم العينُ عن قريبٍ.

قوله: «ألا تُعلِّمين هذه»، (هذه): إشارة إلى حفصة.

«رُقْيةَ النَّملة»، (النَّمْلة): قُروح تُرقَى وتَبْرأ بإذن الله.

«كما علَّمتِيها الكتابة»، الياء في (علمتيها) زائدة، تولدت من إشباع كسرة التاء.

قال الخطابي: هذا الحديث يدل على أن تعلُّمَ النساءِ الكتابةَ غيرُ مكروهٍ؛ لأن حفصةَ تعلَّمت الكتابةَ من الشفاء بنت عبدالله، ولم يَمنعْها النبيُّ ﷺ.

* * *

٣٥٢٣ ـ عن أبي أُمامةَ بن سَهْلِ بن حُنَيفٍ قال: رأَى عامرُ بن ربيعة سهلَ ابن حُنَيفٍ يغتسلُ فقالَ: والله ما رأيتُ كاليومِ، ولا جِلْدَ مخبَّأَةٍ! قال: فلُبِطَ سَهْلٌ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ فقيلَ له: يا رسولَ الله! هل لكَ في سَهْلِ بن حُنَيفٍ، والله ما يرفَعُ رأسَه! فقالَ: «هل تتَّهمونَ لهُ أحداً؟» قالوا: نتَّهِمُ عامرَ بن ربيعةَ، قال فدَعا رسولُ الله ﷺ عامراً فتَغَلَّظَ عليهِ وقال: «عَلامَ يقتلُ أحدُكم أخاهُ، ألا بَرَّكْتَ؟ اغتسِلْ لهُ»، فغَسلَ عامرٌ وجهَهُ ويدَيهِ ومِرفَقيهِ ورُكْبَتيه وأطرافَ رِجلَيهِ وداخِلةَ إزارِه في قدَحٍ ثم صُبَّ عليه، فراحَ مع النَّاس ليسَ بهِ بأسٌ.

قوله: «ما رأيتُ كاليومِ، ولا جلدَ مُخبَّأة»، تقدير هذا الكلام: ما رأيتُ جِلدَ رجلٍ ولا جِلدَ مخبَّأةٍ مثلَ الجلد الذي رأيتُه اليومَ؛ يعني: جِلدَ سهل بن حُنيف، فإن جِلدَه كان لطيفاً.

(المخبَّأة): المرأة المخدَّرة، وهي التي تجلس في البيت خلف السِّتر.

«فلُبِطَ سهلٌ»؛ أي: سقط على الأرض من تأثير عين عامر.

«هل لك في سهل بن حُنيف؟»؛ أي: هل لك خبرٌ في شأن سهل بن حُنيف؟ أو هل خِلْتَ مداواةً فيه؟

«هل تتهمون»؛ أي: هل تظنُّون مَن أصابَه بالعين؟

«علامَ»؛ أي: لِمَ، وأصله: علاما، سقطت الألف لأن (ما) للاستفهام إذا دخلت على حروف الجر جازَ إسقاطُ ألفِها.

«ألا برَّكت؟»؛ يعني: هلاَّ قلتَ: بارَكَ الله عليك؛ يعني: مَن رأى شيئاً يحسن في نظره فليقل: بارَكَ الله عليك؛ كي لا تؤثِّر فيه.

«فراحَ مع الناس»؛ أي: فلمَّا صُبَّ على سهلٍ ذلك الماءُ شُفِيَ وذهبَ مع الناس.

وهذا الحديثُ يدل على أن مَن أصاب أحداً بعينه فالسُّنَّةُ فيه: أن يغسلَ هذه الأعضاءَ المذكورةَ ويصبَّ الماءَ المغسولَ به أعضاءَه على الذي أصابته العينُ ليَبْرَأ بإذن الله تعالى.

واختُلف في داخلة الإزار؛ قيل: المراد منه: الذَّكَر، وقيل: المراد منه: الفخذ.

قال أبو عبيد: المراد منه الجانب الذي يلي الجسدَ من الإزار، يُغسَل منه الطرفُ الأيمنُ.

* * *

٣٥٣٤ - عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ من الجانِّ وعينِ الإنسانِ حتى نزلَتْ المُعَوِّذتانِ، فلمَّا نزلَتا أخذَ بهما وتركَ ما سِواهما.

غريب.

قوله: «يتعوَّذ من الجانِّ وعين الإنسان»؛ يعني: كأن يقول: أعوذ بالله من الجانِّ وعين الإنسان، قبل أن تنزل عليه المعوِّذتان، فلمَّا نزلَتا كان يقرؤهما على نفسه وعلى كل مَن احتاج إلى رقية، وتركَ قراءةَ التعوُّذ من الجانِّ وعين الإنسان وما أشبه ذلك.

* * *

٣٥٣٥ ـ قالت عائشةُ رضي الله عنها: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «هل رُئِيَ فيكم المُغَرِّبُونَ؟» قلت: وما المُغرِّبونَ؟ قال: «الذينَ يشترِكُ فيهم الجنُّ»، غريب.

قوله: «هل رُئِيَ فيكم المُغرِّبون؟ قيل: وما المُغرِّبون؟ قال: الذي يشترك فيهم الجنُ».

قد جاء في الحديث أن مَن لم يذكر اسمَ الله عند الجماع يُجامِعُ معه الجنُّ والشياطينُ، وذُكر في التفاسير هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[الإسراء: ٦٤]، وفي قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[الرحمن: ٥٦]، يقول النبي ﷺ لعائشة: «هل تحسُّ فيكنَّ امرأةٌ أن الجنَّ يُجامِعُها كما يُجامِعُها زوجُها؟». هذا ظاهر الحديث، ولعل المراد ما هو المعروف عند الناس: أن بعضَ النساء يعشق بها بعضُ الجن ويُجامعها ويَظهر لها، وربما يذهب بها مِن بين قومها إلى حيث شاء.

* * *

٢ ـ باب

الفألِ والطِّيَرَةِ

(باب الفأل والطِّيَرة)

قال الخطابي: اعلم أن النبي ﷺ قال: «إن الفألَ إنما هو أن يسمعَ الإنسانُ الكلمةَ الحسنةَ فيتفاءلَ بها»؛ أي: يتبرَّك بها ويتأوَّلها على المعنى الذي يوافق اسمها.

قال الأصمعي: سألت ابن عون عن الفأل، قال: هو أن يكون مريضاً فتسمع: يا سالم! أو تكون طالباً فتسمع: يا واجد!

و«الطِّيَرة» مأخوذة من زجرهم بالطير، وهو أن عادةَ العرب أن الواحدَ

منهم إذا ذهب في حاجة: فإن طارَ طيرٌ أو جاء صيدٌ بحيث يكون جانب يسار ذلك الطير أو الصيد إليه يعدُّ ذلك السفر مشؤوماً، وإن كان جانب يمين ذلك الطير أو الصيد إليه يعدُّ ذلك السفرَ مباركاً؛ فنهاهم النبي ﷺ عن الطِّيَرة، ورخَّص في الفَأْل.

يعني: لو رأى الشخصُ شيئاً يظنُّه حسناً ويحرِّضه على طلب حاجته وإتمامه فَلْيقبَلْ ذلك، وإن رأى ما يعدُّه شؤماً ويمنعُه عن المضي بحاجته فلا يجوز قَبولُه، ولا يرجع عن إتمام شغله، بل لِيَمضِ لشغله ولا يلتفتْ إلى ذلك.

* * *

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٣٦ - عن أبي هريرةَ ؓ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا طِيَرَةَ، وخيرُها الفألُ»، قالوا: وما الفألُ؟ قال: «الكلِمةُ الصَّالحةُ يسمعُها أحدُكم».

قوله: «لا طِيَرَةَ»؛ يعني: لا يجوز العملُ بالطِّيَرة، وقد ذُكر شرح (الطِّيَرة).

«وخيرُها الفَأْل»؛ يعني: الفألُ خيرٌ من الطِّيَرة، وليس معنى هذا الكلام: أن الطِّيَرةَ فيها خيرٌ، والفألَ خيرٌ منها، بل لا خيرَ في الطِّيَرة أصلاً، وهذا مثل قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]؛ يعني: أصحاب الجنة خيرٌ من أصحاب النار، ومعلومٌ أنه لا خيرَ في أصحاب النار أصلاً.

قوله: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدُكم»؛ يعني: الفألُ أن يقصدَ أحدُكم، فيسمعَ كلمةً صالحةً يفرح بها وتحرِّضه على ذلك الأمر، كما ذُكر قُبيلَ هذا.

* * *

٣٥٣٧ - وقال: «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ، ولا صَفَرَ، وفِرَّ مِن

المجذومِ كما تَفِرُّ مِن الأسدِ».

قوله: «لا عدوى»: في زعم العرب أنه تَسرِي علةٌ من شخصٍ إلى شخصٍ، مثل: أن يَقرُبَ جَمَلٌ ليس عليه جَرَبٌ من جَمَلٍ عليه جَرَبٌ، فيجرب الجَمَلُ الذي ليس عليه جربٌ، فيعتقد صاحبه أن الجَمَلَ الصحيحَ جربَ بمقاربته الجَمَلَ الأجربَ، فقال النبي ﷺ: إن هذا الاعتقادَ باطلٌ، لا تأثيرَ لشيءٍ بغير أمر الله تعالى.

قوله: «ولا هامَةَ»: اسم طير، يقال له بالفارسي: كوف ديوف، ويَتشاءم به الناسُ.

وكانت العربُ تزعم أن عظامَ الميت إذا بَليت تصير هامَةً، وتخرج من القبر وتردد في بلد ذلك الميت، وتأتي الميتَ بخبر أهله، فأبطلَ النبيُّ ﷺ هذا الاعتقادَ، ونفى صيرورةَ عظام الميت هامَةً أو غيرها من الحيوانات.

قوله: «ولا صَفَرَ»: كانت العرب تزعم أن الصَّفَرَ حيةٌ تكون في البطن تصيب الإنسانَ أو الماشيةَ؛ أي: تلدغُه، وقيل: الصَّفَرُ هو الشهر المعروف، وكانت العرب يعتقدون شهر الصَّفَر مشؤوماً.

وقيل: الصَّفَر هو تأخير تحريم المحرَّم إلى الصَّفَر، كانوا يعتقدون تحريم القتال في رجب وذي القعدة وذي الحجة والمُحرَّم، فإذا حدثت لهم حرب مع قوم في المحرَّم كانوا يقولون: لم يُجعَل المُحرَّمُ شهرَ التحريم، بل نقلنا التحريم إلى شهر الصَّفَر؛ لنحاربَ أعداءنا ثم نترك الحرب في شهر الصَّفَر بدلاً من شهر المُحرَّم، فأبطلَ النبيُّ ﷺ هذه الأشياءَ؛ يعني: كذَّب مَن قال: كان في البطن حية، ومن قال: الصَّفَر مشؤوم، وكَذَّبُوا أنَّ نقلَ التحريم من المُحرَّم إلى الصَّفَر يجوز.

قوله: «وفِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد»، قال محيي السُّنَّة في «شرح السُّنَّة»: قيل: هو رخصةٌ لمَن أراد أن يجتنب عنه؛ لقوله ﷺ في الطاعون: «مَن

لم يحترز عنه متوكلاً فحسنٌ»، بدليل أنه ﷺ أخذ بيدِ مجذومٍ فأكلَ معه.

روى هذا الحديثَ ـ أعني حديث: «لا عدوى» ـ أبو هريرة.

* * *

٣٥٣٨ ـ وقالَ: «لا عَدوَى، ولا هامةَ، ولا صفَرَ»، فقالَ أعرابيٌّ: يا رسولَ الله! فمَا بالُ الإبلِ يكونُ في الرَّملِ كأنَّها الظِّباءُ، فيخالطُها البعيرُ الأجربُ فيُجربُها؟ فقالَ ﷺ: «فمَن أعدَى الأوَّلَ».

قوله: «فمَن أَعْدَى الأولَ»، (أعدى): إذا أوصلَ شيئاً إلى شيءٍ فأحدثَ شيئاً في شيءٍ؛ يعني: إن كان البعيرُ الأجربُ أجربَ الإبلَ الصِّحاحَ فمَن أجربَ ذلك البعيرَ؟ يعني: كما أن الله تعالى أجربَ ذلك البعيرَ، فكذلك هو تعالى أجربَ الإبلَ الصِّحاحَ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٣٩ ـ وقال: «لا عَدْوَى، ولا هامَةَ، ولا نَوْءَ، ولا صَفَرَ».

قوله: «ولا نَوْءَ»، قال أبو عبيد: هي ثمانيةٌ وعشرون نجماً معروفةَ المَطَالعِ في أزمنة السَّنة، يسقط منها في ثلاثَ عشرةَ ليلةً نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخرُ مقابله من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء سَنَةٍ، وكانت العربُ في الجاهلية إذا سقط منها نجمٌ وطلعَ آخرُ قالوا: لا بدَّ مِن أن يكون عند ذلك مطرٌ، فينسبون كلَّ غيثٍ عند ذلك إلى النجم، فيقولون عند ذلك: مُطِرْنا بنوءِ كذا، فأبطلَ النبيُّ ﷺ هذا الحكمَ ومنعَ الأُمَّةَ أن ينسبوا نزولَ المطر لحدوث نجم؛ فإنه لا يكون شيءٌ إلا بأمر الله تعالى.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٤٠ ـ وعن جابرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا عَدوَى، ولا صَفَرَ، ولا غُوْلَ».

قوله: «ولا غُولَ».

(الغُول) بضم الغين: الجن الذي يسخِّر الناس، وجمعه: غِيلان، وليس معنى الحديث نفي الغُول، بل الغُولُ موجودٌ، قد يوجد في الفَلَوات والصحارى، وإنما نفى الشارعُ أن الغِيلانَ لا يقدرون على إضلالِ أحدٍ ولا إهلاكِهِ ولا خطفِهِ ولا سرقتِهِ إلا بأمر الله، وكانت العرب تزعم أن الغِيلانَ تُضِلُّ الناسَ عن طرقهم وتخطفُهم، وكانت العربُ يخافون من المسافرة وطلب حوائجهم، فنفى الشرعُ هذا الاعتقادَ.

وقد جاء في الحديث: «إذا تغوَّلَتِ الغِيلانُ فبادِرُوا بالأذان»؛ يعني: إذا ظهرت لكم الغِيلانُ فأذِّنوا بالأذان في وجوههم؛ فإنهم يفرُّون من الأذان.

* * *

٣٥٤١ ـ عن عَمْرِو بن الشَّرِيدِ، عن أبيه قال: كانَ في وفدِ ثَقيفٍ رجلٌ مجذومٌ فأرسلَ إليهِ النبيُّ ﷺ: «إنَّا قد بايعناكَ فارجعْ».

قوله: «إنا قد بايعناك فارجِعْ»، أراد ذلك الرجلُ أن يأتيَ رسولَ الله ﷺ ويبايعَه، فأرسلَ إليه رسولُ الله ﷺ: أن لا تأتينا؛ فإنه لا حاجةَ إلى إتيانك، فإنَّا قد بايعناك، وهذا رخصةٌ من النبي لمَن لم يكن له توكُّلٌ من أُمته في الاحتراز عن المجذوم.

* * *

مِنَ الجِبْتِ:

٣٥٤٣ ـ عن قَطَنِ بن قَبِيصَةَ، عن أبيه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «العِيَافةُ والطَّرْقُ والطِّيَرةُ مِن الجِبْتِ».

قوله: «العِيَافةُ والطَّرْقُ والطِّيَرةُ من الجِبْتِ».

(العيافة): هي الطِّيَرة، إلا أن العيافةَ تختص بزجر الطير، مثل أن يطيرَ طائرٌ فيعتقد الرجلُ أن سفرَه أو شغلَه مباركٌ إنْ طارَ وجانبُ يمين الطير إليه، ومشؤومٌ إن كان جانبُ يساره إليه، فلذلك يتشاءمون بأصوات بعض الطير ويتيمَّنون بأصوات بعضها.

والطِّيَرة: كلُّ ما يعدُّ الرجلُ مشـــؤوماً من رؤية طيرٍ أو حيوانٍ غيرِ الطيرِ أو شجرٍ أو غيره.

و(الطَّرق): الضرب بالحصا، كما هو عادة الكَهَنة.

(الجِبْت) هاهنا: السِّحر؛ يعني: هذه الأشياءُ مُحرَّمةٌ كالسِّحر.

* * *

٣٥٤٤ ـ عن عبدِالله بن مسعودٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «الطِّيَرةُ شِرْكٌ، الطِّيَرةُ شِرْكٌ، قاله ثلاثاً ـ ما مِنَّا إلا ـ ولكنَّ الله يُذهِبُه بالتوكُّلِ» قيل: قوله: «وما منا» قولُ ابن مسعودٍ.

قوله: «الطِّيَرةُ شِرْكٌ»؛ يعني: النافعُ والضارُّ والمُيسِّر والمُعسِّر هو الله تعالى، فمَن اعتقد أن أحداً أو شيئاً سوى الله تعالى ينفع أو يضرُّ أو ييسِّر أو يعسِّر فقد اتخذ لله شريكاً.

قوله: «وما منا إلا»، قال البخاري: إن سليمان بن حرب قال: هذا ليس من كلامِ النبي ﷺ، بل هو كلامُ ابن مسعود؛ يعني: ليس مِنَّا إلا كان في قلبه

الطِّيَرة؛ يعني: نفوسُنا كانت كنفوس أهل الجاهلية في اعتقاد الطِّيَرةِ مثيرةً، ولكن لمَّا توكَّلنا على الله وقَبِلْنا حديثَ رسوله واعتقدنا صدقَه أذهَبَ الله عنا اعتقادَ أهل الجاهلية، وأقرَّ في قلوبنا السُّنَّةَ واتِّباعَ الحقِّ.

* * *

٣٥٤٥ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ بيدِ مَجذومٍ فوضعَها معَهُ في القَصْعَةِ وقال: «كُلْ ثِقَةً بالله وتَوَكُّلاً عليه».

قولــه: «كُلْ ثقةً بالله»، (ثقة): منصوبــة على الحــال. والثقة: الاعتماد؛ يعني: كُلْ معي من قصعةٍ واحدةٍ؛ فإني توكَّلتُ على الله ألا يصيبني إلا ما قضى الله لي، وهذا درجةُ المتوكلين، فإن لم تحترز من المجذوم فهو متوكِّل، وإن احترزتَ فقد جاءت الرخصةُ فيه.

* * *

٣٥٤٦ ـ وعن ســـعدِ بن مـالكٍ: أنَّ رســـولَ الله ﷺ قـال: «لاهـامَةَ، ولا عَدْوَى، ولا طِيَرَة، وإنْ تَكُن الطِّيَرةُ في شيءٍ ففي الدَّارِ والفَرَسِ والمرأةِ».

قوله: «وإن تَكُنِ الطِّيَرةُ في شيءٍ ففي الدار والفَرَسِ والمرأة»، قيل: الطِّيَرةُ هنا بمعنى: الكراهية، لا بمعنى: التشاؤم؛ يعني: كراهيتكم شغلاً قصدتُمُوه بسبب رؤيةِ طيرٍ أو صيدٍ لا يجوز، ولكن يجوز في الدار والفَرَس والمرأة؛ يعني: إذا كرهتُم داراً لضيق مكانها أو لسببٍ آخرَ فاتركوها، وكذلك إذا كرهتُم فَرَساً أو امرأةً لسوءِ خلقها أو لسببٍ آخرَ فاتركوهما؛ يعني: كراهيةُ شيءٍ للحوقِ ضررٍ منه إلى صاحبه ـ لا للتشاؤم ـ جائزٌ، وأما للتشاؤم فلا يجوز.

* * *

٣٥٤٧ ـ عن أنسٍ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُعجِبُه إذا خرجَ لحاجةٍ أنْ يسمعَ: يا راشدُ، يا نجيحُ.

قوله: «يا راشد»؛ أي: يا واجد الطريق المستقيم.

«النجيح»: الذي قضيت حاجته يعني إذا سمع أحداً يقول لأحد: يا راشد أو يا نجيح فقال ﷺ بسماع هذين اللفظين وما أشبههما يعني ستحصل وستقضى حاجتنا إذا سمعنا هذين اللفظين.

* * *

٣٥٤٨ ـ وعن بُرَيْدَةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ لا يتطيرُ مِن شيءٍ، فإذا بعثَ عامِلاً سألَ عن اسمِهِ؟ فإذا أعجبَهُ اسمُه فَرِحَ به ورُئيَ بِشْرُ ذلكَ في وجهِهِ، وإنْ كَرِهَ اسمَهُ رُئيَ كراهيةُ ذلكَ في وجهِهِ، وإذا دخلَ قريةً سألَ عن اسمِها؟ فإنْ أعجبَهُ اسمُها فَرِحَ بها ورُئيَ بِشْرُ ذلكَ في وجهِهِ، وإنْ كَرِهَ اسمَها رُئيَ كراهيةُ ذلكَ في وجهِهِ.

قوله: «أن النبي ﷺ كان لا يتطيَّر في شيء، فإذا بعثَ عاملاً سأل عن اسمه؛ فإذا أعجبَه اسمُه فرحَ به...» إلى آخره، قال محيي السُّنَّة في «شرح السُّنَّة» في شرح هذا الحديث: ينبغي للإنسان أن يختارَ لولدِه وخَدَمِه الأسماءَ الحسنةَ، فإن الأسماءَ المكروهةَ قد تُوافق القَدَرَ؛ يعني: لو سمَّى أحدٌ ابنه بـ (خَسَار) فربما جرى قضاء الله بأن يلحق خَسَار ذلك المسمى بـ (خَسَار)، فلما لحقه ذلك الخَسَار المقدَّر يعتقد بعضُ الناس أن لحوقَ ذلك الخَسَار بسبب اسمه، فيتشاءم الناس به، فيحترزون مجالستَه ومواصلتَه، ويصير معروفاً بالشؤم؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يُسمِّيَ ابنه أو غيرَه باسمٍ يصير بسبب ذلك الاسم مبغوضاً مشؤوماً بين الناس، وكراهيةُ رسولِ الله الاسمَ القبيحَ لأجل هذا؛ فإن الاسمَ الحسنَ محبوبٌ في طباع الناس، والاسمَ المكروهَ مبغوضٌ في طباع

الناس، فاختيارُ المحبوبِ على المبغوضِ من غاية كمال عقل الإنسان.

ورُوِي عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمُكَ؟ قال: جَمْرَة، قال: ابن مَن؟ قال: ابن شهاب، قال: ممَّن؟ قال: مِنَ الحُرَقَة، قال: أين مسكنُك؟ قال: بحَرَّةِ النار، قال: بأيها؟ قال: بذات لَظَى، فقال عمر: أَدرِكْ أهلَك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر.

* * *

٣٥٤٩ - عن أنسٍ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! إنَّا كنا في دارٍ كثيرٌ فيها عَدَدُنا وأموالُنا فتحوَّلنا إلى دارٍ قلَّ فيها عددُنا وأموالُنا؟ فقالَ رسول الله ﷺ: «ذَرُوها ذَمِيمَةً».

قوله: «إنَّا كنَّا في دارٍ كثيرٍ فيها عددُنا وأموالُنا...» إلى آخره، هذا ليس من العدوى ولا من الطِّيَرة، بل من الطِّبِّ؛ فإن الماءَ الهواءَ والنباتَ مختلفةٌ، فبعضُها يُوافق الطباعَ وبعضُها يُخالفها، فالأرضُ الأولى كان هواؤُها وماؤُها ونباتُها موافقةً لهم، والأرضُ الثانيةُ التي انتقلوا إليها وقلَّ عددُهم وأموالُهم فيها كان هواؤُها وماؤُها ونباتُها مخالفةً لهم، فأمرهم النبي ﷺ بأن يتركوا الأرضَ التي لم يوافقهم هواؤُها وماؤُها ونباتُها.

قوله: «فتحوَّلنا»؛ أي: انتقلنا.

«ذَرُوها»؛ أي: اتركوها.

«ذميمةً»: فعيلة بمعنى مفعولة، وهي منصوبة على الحال؛ أي: في حال كونها مذمومةً؛ يعني: اتركوها فإنها مذمومةٌ؛ لأن هواءَها غيرُ موافقٍ لكم.

* * *

٣٥٥٠ - ورُوِيَ عن فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ أنَّه قال: يا رسولَ الله! أرضٌ عندَنا

هي أرضُ رَيّعِنا ومِيرتِنا، وإنَّ وباءها شديدٌ؟ فقالَ: «دَعْها عنكَ فإنَّ مِن القَرَفِ التَّلَفَ».

قوله: «أرضٌ عندنا هي أرضُ رَيّعِنا»: هذا الحديث مثل الحديث المتقدم.

(الرّيع): الزيادة؛ يعني: يحصل لنا فيها الثمار والنبات.

و(المِيْرَة): الطعام.

«دَعْها»؛ أي: اتركْها.

«فإن من القَرَفِ التلفَ».

(القَرَف) بفتح القاف والراء: مداناة الوباء، والوباء: البلاء والمكروه الذي يعمُّ؛ يعني: من قارَبَ متلفاً يَتلَفُ؛ يعني: إذا لم يكن هواءُ تلك الأرض موافقاً لكم فاتركوها.

* * *

٣ - باب
الكِهانَةِ

(باب الكهانة)

قوله: «الكهانة»: الإخبار عن علم الغيب؛ يعني: عما كان مستوراً عن الناس، والذين يخبرون عن الغيب أنواع: كاهن، وعرّاف، ومنجِّم.

فالكاهن: مَن يدَّعي أن له أصحاباً من الجن يخبرونه عما سيكون في الزمان المستقبل، ومِن الكهّان مَن يقول: أعرفُ الغيبَ بفهمٍ أُعطيته.

والعرّاف: مَن يقول: إني أعرف المسروقَ ومكانَ الضالَّة.

والمنجِّم: مَن يُخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه وسيره، كلُّ ذلك

مذمومٌ في الشرع؛ فإن الغيبَ لا يعلمه إلا الله، ويجوز تعلُّم علم النجوم بقَدْرِ ما يُعرَف به الأيام والليالي، والسَّنة والشهور والساعات، ومواقيت الصلاة واستقبال القِبْلَة.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٥١ ـ عن مُعاويةَ بن الحَكَم ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أموراً كنا نصنعُها في الجاهليةِ، كنَّا نأتي الكُهَّانَ؟ قال: «فلا تَأْتُوا الكُهَّانَ» قال: قلتُ: كُنَّا نتطيَّرُ؟ قال: «ذلكَ شيءٌ يجدُه أحدُكم في نفسِهِ فلا يَصُدَّنَّكم»، قال: قلتُ: وما مِنَّا رِجالٌ يَخُطُّونَ؟ قال: «كانَ نبيٌّ مِنَ الأنبياءِ يَخُطُّ فمَنْ وافقَ خطَّهُ فذاكَ».

قوله: «كنَّا نأتي الكهَّان»: قد ذُكر هذا الحديث في باب (ما لا يجوز من العمل في الصلاة وما يباح منه).

* * *

٣٥٥٢ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سألَ أُناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الكُهَّانِ؟ فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بشيءٍ»، قالوا: يا رسولَ الله! فإنَّهم يُحَدِّثونَ أحياناً بالشَّيءِ يكونُ حَقًّا؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تلكَ الكلِمةُ مِنَ الحقِّ يخطَفُها الجِنِّيُّ فيَقُرُّها في أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجاجةِ، فيخلِطونَ فيها أكثرَ مِن مِئَةِ كَذْبةٍ».

قوله: «ليسوا بشيءٍ»؛ يعني: ليس قولُهم صدقاً.

«يكون حقاً»؛ أي: صدقاً؛ أي: يظهر مثلَ ما أخبروا به.

«تلك الكلمة من الحق يخطفها»؛ يعني: تلك الكلمةُ من الصدق يخطفُها الجن أي: يسلبها ويسرقها؛ يعني: يصعد الجني إلى أن يَقرُبَ من السماء ويستمع ما تقول الملائكة مما أمر الله تعالى به من الوقائع، مثل أن يقولوا: يكون في

الناحية الفلانية في هذه السَّنة قحطٌ أو مطرٌ أو زلزلةٌ وما أشبه ذلك، فيستمع ذلك الجني تلك الكلمةَ من الملائكة، ويجيء أولياءَه من كهَّان الإنس ويقول لهم تلك الكلمةَ، ويخبر الكهَّانُ الناسَ بتلك الواقعة، فلمَّا يسمع ناسٌ من الكهَّان تلك الواقعةَ ويَظهر صدقُ ما أخبر به الكهَّان، فيعتقدون صدقَ جميع ما أخبر به الكهَّان، فيترددون إلى الكهَّان، ويسألون عما سيكون من الوقائع، ويخبرهم الكهَّان بجميع ما سألوهم، وربما يظهر صدقُ خبرٍ وكذبُ مئة خبرٍ أو أكثر.

فالذي ظهر صدقُه هو الذي سمع من الجني الذي سمع ذلك الخبرَ من الملائكة، والذي ظهر كذبُه هو ما قاله الكهَّان من تلقاء أنفسهم.

واعلم أن الجنَّ كانوا يصعدون ويسمعون ما قالت الملائكة بعضهم مع بعض، ولا يمنعهم أحدٌ قبلَ ولادة نبينا محمد ﷺ، فلمَّا وُلد نبيُّنا ﷺ كانت الجنُّ يصعدون السماءَ فيُرجَمُون بكواكبَ أمثالِ النار، فيحْرقون.

قوله: «قَرَّ الدجاجة»؛ يعني: قرّاً مثل قَرِّ الدجاجة.

(القَرُّ): صبُّ الماء البارد على أحدٍ، وتقريرُ الكلام وتثبيتُه في أذن المستمع؛ يعني: يقول الجني ما سمعَه من الملائكة لوليه من الكهَّان.

(قَرَّ الدجاجة)؛ يعني: كما يُصوِّت الدجاج بصوتٍ لا يُفهَم، فكذلك الجني يَقَرُّ في أذن الكهَّان بحيث لا يطَّلع عليه غيره، وقيل: معنى (قَرِّ الدجاجة): إنزاء الدِّيك على الدجاج؛ يعني: كما يلاصق الديك بالدجاجة، ويَصبُّ مَنِيَّه عليها ويتولَّد من مَنِيه بيضاتٌ كثيرةٌ، فكذلك الجنيُّ يُلاصِقُ فمَه على أذن الكاهن ويصبُّ كلامَه في فمه، ويتولَّد منه كلماتٌ، فيَصدُق في بعضها ويَكذِب في أكثرها.

ويُروى: «قَزَّ الدجاج» بالزاي المعجمة، فعلى هذه الرواية معناه: كما يُصَبُّ الماءُ في قارورةٍ من قارورةٍ أخرى، فكذلك الجنيُّ يصبُّ كلامَه في الكاهن.

* * *

٣٥٥٤ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَتَى عَرَّافاً فسأله عن شيءٍ لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعينَ ليلةً».

قوله: «مَن أتى عرَّافاً، فسأله عن شيءٍ لم تُقبَل له صلاةٌ أربعين ليلةً»: قد ذُكر شرح (العرَّاف) قُبيلَ هذا، فإن أتى أحدٌ عرَّافاً، فسأله شيئاً، فأخبره عن عيبٍ، فإن صدَّقه في ذلك الخبر فهو كافرٌ حتى يجدِّد الإيمانَ، ولا تُقبَل له صلاةٌ ولا غيرُها من الطاعات قبل أن يجدِّدَ الإيمانَ.

وإن لم يُصدِّقه فلم يكفر، ولكن لا تُقبَل كمالُ صلاتِه وغيرِها من الطاعة أربعين يوماً كما ذكر النبي ﷺ.

رَوَتْ هذا الحديثَ صفيةُ بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

* * *

٣٥٥٥ ـ عن زيدِ بن خالدٍ الجُهنيِّ قال: صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بالحُديبيةِ على إثرِ سماءٍ كانت من اللَّيلِ، فلمَّا انصرفَ أقبلَ على النَّاسِ فقال: «هلْ تدرونَ ماذا قالَ ربُّكم؟» قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، قالَ: «أصبحَ مِن عبادِي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضلِ الله وبرحمتِه فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكواكبِ، وأمَّا مَن قالَ: مُطِرنا بنوْءِ كذا وكذا فذلكَ كافرٌ بي مُؤمِنٌ بالكواكبِ».

قولـه: «صلى إثر السـماء»؛ أي: بعد نزول مطرٍ، كان قد نزل ذلك المطر في الليل.

«أصبح مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ»، (مِن) هنا: للتبعيض؛ أي: أصبح بعضُ عبادي مؤمناً بي وكافراً بالكواكب، وبعضُهم كافراً بي ومؤمناً بالكواكب بسبب نزول المطر.

* * *

٣٥٥٦ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ما أنزل الله مِن السَّماءِ من بركةٍ إلا أصبحَ فريقٌ مِن النَّاسِ بها كافرينَ، يُنَزِّلُ الله الغيثَ فيقولونَ: بكوكبِ كذا وكذا».

قوله: «من بركة»؛ أي: من مطر.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٥٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «مَن اقتبسَ عِلْماً مِن النُّجومِ؛ اقتبسَ شُعبةً مِن السِّحْرِ، زادَ ما زادَ».

قوله: «مَنِ اقتبسَ علماً من النجوم اقتبسَ شُعبةً من السِّحر».

(اقتبس)؛ أي: تعلَّم، (الشُّعبة): البعض، والمراد بها هاهنا: القطعة والبعض؛ يعني: كما أن تعلُّمَ السِّحر والعملَ به حرامٌ، فكذلك تعلُّم علم النجوم والتكلُّم به حرامٌ، وقد ذُكر ما يجوز تعلُّمه من علوم النجوم.

* * *

٣٥٥٨ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أتَى كاهِناً فصدَّقه بما يقولُ، أو أتَى امرأتَه حائِضاً، أو أتى امرأتَه في دُبُرِها فقد بَرِئَ مما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ».

قوله: «مَن أتى كاهناً»: ذكر شرح هذا الحديث في (باب الحيض).

□□□

(۲۲)
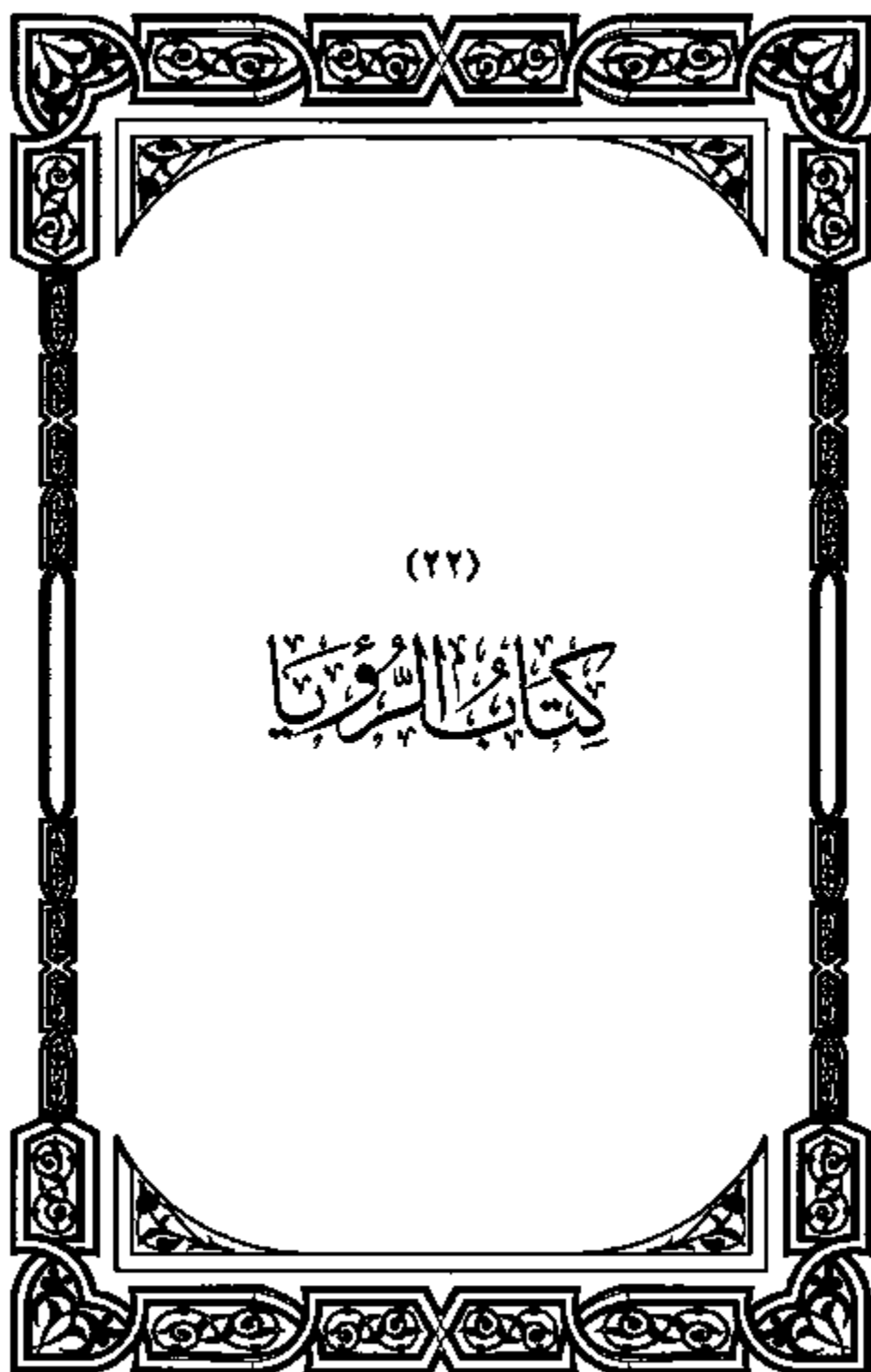
کتاب الرؤیا

(٢٢)

كتاب الرؤيا

(كتاب الرُّؤيا)

(الرُّؤيا): ما يُرى في المنام.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٥٩ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «لم يَبْقَ مِن النُّبوَّةِ إلا المُبشِّراتِ»، قالوا: وما المُبشِّراتُ؟ قال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ يَراها المسلمُ، أو تُرَى له».

قوله: «أو تُرَى له»؛ يعني: أو يَرى تلك الرُّؤيا أحدٌ لأحدٍ، سُميت الرؤية الصالحة: مبشِّرةً؛ لأنها تحصل للشخص منها بشارةٌ وفرحٌ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٦٠ ـ وقال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأربعينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ».

قوله: «الرُّؤيا الصالحةُ جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة»: هذا في حق الأنبياء؛ لأن الرُّؤيا لا تكون نبوةً في غير الأنبياء؛ لأنه يلزم حينئذٍ أن يكون جميعُ الناس أنبياء؛ لأنه لا يخلو أحدٌ عن رؤية رؤيا، بل الرُّؤيا نبوةٌ في حق الأنبياء عليهم السلام.

قال عبيد بن عمير: رؤيـا الأنبيـاء وحيٌ، وقيل: معناه: الرُّؤيا الصالحةُ

من علم النبوة؛ أي: كعلم الأنبيــاء في الصحة والصـدق، ويحتمل أن يكون معناه: تعبيرُ الرُّؤيا من النبوة؛ لأن تعبيرَ الرُّؤيـا هو الذي قال يوسف نبي الله ﷺ فيه: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾؛ أي: تعبيرُ الرُّؤيا مما علَّمَنيه الله.

وقالوا في تأويل قوله ﷺ: (جزء من ستة وأربعين جزءا): إنَّ النبي ﷺ كان يَرَى الرُّؤيا ستةَ أشهرٍ في بَدْء نبوته، وكان زمانُ نبوته ثلاثةً وعشرين سنةً، فكان زمانُ رؤيته الرُّؤيا بالنسبة إلى جميع زمان وحيه جزءاً من ستةٍ وأربعين جزءاً.

روى هذا الحديثَ أنسٌ.

* * *

٣٥٦١ ـ وقال: «مَن رآني في المنامِ فقد رآني فإنَّ الشَّيطانَ لا يتمثَّلُ في صورتي».

قوله: «مَن رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطانَ لا يتمثَّل في صورتي»، قال محيي السُّنَّة: رؤية النبي ﷺ في المنام حقٌّ، ولا يتمثَّل الشيطان به، وكذلك جميع الأنبياء والملائكة عليهم السلام، وكذلك الشمس والقمر والنجوم والسحاب الذي فيه الغيث؛ لا يتمثَّل الشيطانُ بشيءٍ منها، ومَن رأى نزولَ الملائكة بمكانٍ فهو نصرةٌ لأهل ذلك المكان، وفرجٌ إن كانوا في كربٍ، وخصبٌ إن كانوا في ضيقٍ وقحطٍ، وكذلك رؤيةُ الأنبياء عليهم السلام.

روى هذا الحديثَ أنسٌ.

* * *

٣٥٦٢ ـ وقال: «مَن رآني فقد رأى الحَقَّ».

قوله: «مَن رآني فقد رأى الحقَّ».

(الحق) هنا: ضد الباطل وضد الكذب؛ يعني: مَن رآني في المنام فقد صَدَقَتْ رُؤياه، فإنه قد رآني؛ فإن الشيطانَ لا يتمثَّل بي.

روى هذا الحديثَ أبو قتادة.

* * *

٣٥٦٣ ـ وقال: «من رآني في المنامِ فسَيراني في اليَقَظةِ، ولا يتمثَّلُ الشَّيطانُ بـــي».

قوله: «مَن رآني في المنامِ فسيراني في اليقظة»: فسيراني يومَ القيامة ويكون معي على الحوض والجنة، ويحتمل أن يكون معناه: فسيراني في الدنيا إذا كانت له حالةٌ؛ فإنه قد نُقل عن بعض الصالحين أنه رأى النبيَّ في حالة الشوق والذوق.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٦٤ ـ وقال: «الرُّؤيا الصَّالحةُ مِن الله، والحُلْمُ مِن الشَّيطانِ، فإذا رَأَى أحدُكم ما يُحِبُّ فلا يحدِّثْ بهِ إلا مَن يُحِبُّ، وإذا رَأَى ما يكرهُ فليتعوَّذْ باللهِ مِن شرِّها ومِن شرِّ الشَّيطانِ وليتفُلْ ثلاثاً، ولا يُحدِّثْ بها أحداً فإنَّها لن تَضُرَّهُ».

قوله: **«الرُّؤيا الصالحةُ من الله، والحُلْمُ من الشيطان»**، أراد بـ (الرُّؤيا الصالحة): أن يرى في المنام شيئاً فيه بشارةٌ له أو تنبيهٌ عن الغفلة، كما يأمره أحدٌ بخيرٍ أو يرى نفسه مع الصالحين أو في الجنة، أو يرى أن أحداً يعذِّبه ويقول له: فعلتَ الذنبَ الفلانية، وما أشبه ذلك. وأراد بـ (الحُلْم): ما كان من وساوس الشيطان، مثل أن يرى أنه يشرب الخمر، أو يزني، أو يقتل مسلماً، أو يقول له أحدٌ: اجمَعِ المالَ لتكونَ من الأغنياء، أو يعذِّبه أحدٌ أو يقتله من غير جرمٍ.

قوله: «وَلْيَتفلْ»؛ يعني: وَلْيَبزق، وعلَّة البزق: كراهية تلك الرُّؤيا وتحقيرُ الشيطان.

روى هذا الحديثَ أبو قتادة.

* * *

٣٥٦٥ ـ وقال: «إذا رَأَى أحدُكم الرُّؤيا يكرهُها فليَبْصُقْ عن يسارِه ثلاثاً، وليستَعِذْ بالله مِن الشَّيطانِ ثلاثاً، وليتحوَّلْ عن جنبه الذي كانَ عليهِ».

قوله: «وَلْيَتحوَّلْ عن جنبه الذي كان عليه»؛ يعني: وَلْيَتقلَّبْ من ذلك الجنب إلى جنبه الآخر؛ يعني: يزول عن هيئة الضجعة الأولى لتزولَ عنه رؤيةُ حُلْمِ الشيطان.

روى هذا الحديثَ جابرٌ.

* * *

٣٥٦٦ ـ وقال: «إذَا اقتَربَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ تَكذِبُ رؤْيَا المُؤْمنِ، ورُؤيَا المُؤْمنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأربَعينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ، ومَا كَانَ مِن النُّبوَّةِ فإنَّهُ لا يَكْذِبُ»، رواهُ مُحمَّدُ بن سِيرِينَ، عَنْ أبي هُريرةَ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وأنا أقُولُ: الرُّؤيا ثَلاثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وتَخْويفُ الشَّيطانِ، وبُشرَى مِن الله، فمَنْ رَأَى شَيْئاً يَكرَهُهُ فلا يقُصَّه عَلى أحَدٍ، ولْيقُمْ فليُصَلِّ، قَال: وكَانَ يَكرَهُ الغُلَّ في النَّومِ ويُعْجِبُه القَيْدُ، ويُقالُ: القَيْدُ ثباتٌ في الدِّينِ. وأَدْرجَ بعضُهم الكُلَّ في الحَديثِ.

قوله: «إذا اقترب الزمانُ لم تَكَدْ تكذب»، قال محيي السُّنَّة في «شرح السُّنَّة»: اختلفوا في معناه؛ قيل: أراد به قربَ زمان القيامة ودنوَّ وقتها، كما صرَّح به في حديث آخر، وقيل: اقترابُ الزمانِ اعتدالُه حين يستوي الليل

والنهار، والمعبـرون يقولون: أصدقُ الرُّؤيا في وقت الربيع والخريف عند خروج الثمار وعند إدراكها، وهما وقتانِ يتقارب فيهما الزمانُ ويعتدل الليل والنهار.

قالوا: ورُؤيا الليل أقوى من رؤيا النهار، وأصدقُ الساعات الرُّؤيا وقتَ السَّحَر، رُوي عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، يرفعه، قال: «أصدقُ الرُّؤيا بالأسحار».

قول محمد بن سـيرين: «الرُّؤيا ثلاثٌ» فيه بيانُ أن لبـس كلُّ ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحاً ويجوز تعبيرُه، إنما الصحيحُ منها ما كان من الله ﷻ، يأتيك به مَلَك الرُّؤيا من نسخة أم الكتاب؛ يعني: اللوح المحفوظ، وما سوى ذلك أضغاثُ أحلامٍ لا تأويلَ لها، وهي على أنواع؛ قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان أو يُريه ما يحزنه، وله مكائدُ يُحزن بها بني آدم كما أخبرَ الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ومِن لعبِ الشيطانِ به الاحتلامُ الذي يُوجب الغُسلَ، فلا يكون له تأويل.

وقد يكون ذلك من حديث النفس، كمَن يكون في أمرٍ أو حرفةٍ يرى نفسَه في ذلك الأمر، والعاشقُ يرى معشوقَه ونحو ذلك، وقد يكون ذلك من مزاج الطبيعة، كمَن غلبَ عليه الدمُ يرى الفصدَ والحِجَامة والرُّعافَ والحُمرةَ والرياحينَ والمزاميرَ والنشاطَ ونحوها، ومَن غلبَ عليه الصفراءُ يرى النارَ والشمعَ والسِّراجَ والأشياءَ الصفراءَ والطيرانَ في الهواء ونحوها.

ومَن غلب عليه السوداء يرى الظلمةَ والسوادَ والأشياءَ السُّودَ والصيدَ والوحوشَ والأهوالَ والأمواتَ والقبورَ والمواضعَ الخربةَ، وكونَه في مضيقٍ لا مَنفذَ له أو تحتَ ثقلٍ ونحو ذلك.

ومَن غلب عليه البلغم يرى البياضَ والمياهَ والثلجَ والجمدَ والوحلَ ونحوها؛ فلا تأويلَ لشيءٍ منها.

وقال عبد الوهاب الثقفي: عن أيوب السَّخْتِيانِي، عن محمد بن سيرين: إن الرُّؤيا ثلاثةٌ . . . إلى آخره، من جملة الحديث، لا من قول محمد بن سيرين. وقال أيوب:

قوله: (أحبُّ القيدَ وأكرهُ الغُلَّ، والقيدُ ثباتٌ في الدِّين» فلا أدري هو في الحديث أم قاله ابن سيرين، وجعلَه مَعمَر عن أيوب من قول أبي هريرة، فإذا عرفت هذا فاعرف أن قوله: (وقال: وكان يكره الغُل) الضمير في (قال) ضمير أيوب، والضمير في (كان) ضمير ابن سيرين، ويجوز أن يكون الضمير في (قال) ضمير ابن سيرين، وفي (كان) ضمير أبي هريرة.

وإنما يُكرَه الغُلُّ في النوم؛ لأن الغُلَّ تقييدُ العنق، وتقييدُ العنق وتثقيلُه يكون بحمل الدَّين أو المظالم، أو كونه محكوماً ورقيقاً ومتعلقاً بشيء.

* * *

٣٥٦٨ ـ وعَنْ أنسٍ ﷺ قَال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رأَيْتُ ذاتَ ليلَةٍ فيمَا يرَى النَّائمُ كأنَّا في دارِ عُقبةَ بن رافعٍ، فأُتِينا برُطَبٍ مِن رُطَبِ ابن طَابٍ، فأَوَّلْتُ أنَّ الرِّفعةَ لنا في الدُّنيا، والعَاقِبةَ في الآخِرَةِ، وأنَّ دينَنَا قَدْ طَابَ».

قوله: «كأنَّا في دار عقبة بن رافع»، الضمير في (كأنَّا) ضمير النبي ومَن معه مِن أصحابه، وتأويلُ النبيِّ ﷺ هذا الحديثَ دستورٌ في قياس التعبير بغير ما يرى في المنام، كما أوَّلَ ﷺ (عقبةَ) بأن العاقبةَ الحسنةَ لهم، وأوَّلَ (رافعاً) بأن الرِّفعةَ في الدنيا والآخرة لهم، وأوَّلَ (ابن طابٍ) ـ وهو نوعٌ من التمر ـ بأن دِينَهم قد طابَ؛ أي: كملَ وحسنَ.

* * *

٣٥٧٠ ـ وعَنْ أبي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «رأيتُ في المَنامِ أنِّي

أُهاجِرُ مِن مكَّةَ إلى أرضٍ بها نَخْلٌ، فذهبَ وَهَلي إلى أنَّها اليَمامةُ، أو هَجَر، فإذا هِيَ المَدِينةُ يَثْرِبُ، ورأيتُ في رُؤيَايَ هذه أنِّي هَزَزْتُ سَيْفاً فانقطَعَ صَدْرُهُ، فإذا هُوَ ما أُصِيبَ مِن المُؤْمِنينَ يَومَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُه أُخرى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فإذا هُوَ مَا جاءَ الله بِهِ مِن الفَتْحِ واجتِمَاعِ المُؤْمنين».

قوله: «وَهَلي»؛ أي: ظنِّي.

«اليمامة أو هَجَر»: اسما بلدَين.

«هَزَزْتُ»؛ أي: حرَّكتُ.

* * *

٣٥٧١ ـ وعَنْ أبي هُريرةَ ﷺ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتيتُ بخزائِنِ الأرْضِ، فوُضِـعَ في كَفِّي سِواران مِن ذَهَـبٍ فكبُرا عَلَيَّ، فأُوحِيَ إليَّ: أن انفُخْهُما، فَنَفَخْتُهُما فذَهَبا، فأَوَّلْتُهُما الكذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أنا بينَهمَا: صَاحِبَ صَنعاءَ، وصَاحِبَ اليَمامةِ».

وفي رِوايةٍ: «يُقالُ لأحدِهِما: مُسَيْلمةُ صَاحِبُ اليمامةِ، والعَنْسيُّ صَاحِبُ صَنعاءَ».

قوله: «أُتيت بخزائن الأرض» على بناء المجهول؛ أي: عُرِضَ عليَّ الكنوزُ وأنواعُ المال، فوُضِـعَ منها سِوَارانِ في كفِّي، «فكَبُرَا»؛ أي: ثَقُلا، ومقصود هذا الحديث: أن إسلامَ مُسَـيلمة والعَنْسي كان عظيماً عنده ﷺ؛ لأن لهما أتباعاً كثيرةً، فقيل له في المنام: انفخ السِّوارَين، فنفخ فيهما، فذَهَبا؛ يعني: ليس لإسلامهما إخلاصٌ، بل سيرتدَّانِ عن الدِّين، وكانا قد ارتدَّا قبل رؤية النبي ﷺ هذه الرُّؤيا.

والرجلُ إذا رأى السِّوارَ في يده تعبيرُه صيرورته ضيقَ اليد؛ أي: قليلَ

المال، والمرأة إذا رأت السِّوارَ في يدها يزيد جمالُها وقَدْرُها، وجميع الحُليِّ يكون حسناً للنساء إذا رَأَيْنَه في المنام.

* * *

٣٥٧٢ ـ وقالت أمُّ العَلاءِ الأنصاريَّةُ: رأيتُ لِعثمانَ بن مَظعُونٍ ﷺ في النَّومِ عَيْناً تَجري، فقَصَصْتُها على رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «ذاكَ عَمَلُه يُجْرَى لهُ».

قولها: «رأيتُ لعثمانَ بن مَظعونٍ عَيناً تجري»، أرادت بهذه العَين: عينَ الماء، رأت هذا المنامَ بعد موت عثمان، فعبَّر رسولُ الله ﷺ هذه الرُّؤيا بأنه يَصِلُ إلى عثمانَ ثوابُ أعماله الصالحة.

* * *

٣٥٧٣ ـ عن سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ ﷺ قَال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا صَلَّى أقبلَ علينا بوجْهِهِ فَقَال: «مَن رَأَى مِنْكُم اللَّيلةَ رؤيا؟» قال: فإنْ رَأَى أحدٌ قَصَّها، فيقولُ: «ما شاءَ الله!» فسألَنا يَوْماً فقال: «هل رَأَى منكُم أَحَدٌ رؤيا؟» قُلْنَا: لا، قال: «لكنِّي رأيتُ الليلةَ رَجُلَيْنِ أتَياني، فأَخَذا بيدَيَّ فأَخْرجاني إلى أرضٍ مُقدَّسةٍ، فإذا رَجُلٌ جَالِسٌ، ورَجُلٌ قائمٌ بيدِهِ كَلُّوبٌ مِن حَديدٍ، يُدْخِلُه في شِدْقِه فيُشقُّه حتى يبلُغَ قَفاهُ، ثم يفعَلُ بشِدْقِه الآخرِ مِثلَ ذلكَ، ويلتئمُ شِدقُه هذا، فيَعودُ فيصْنَعُ مِثلَه، قُلْتُ: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى أتيْنا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجعٍ على قفَاهُ، ورَجُلٌ قائمٌ على رأسِهِ بِفِهْرٍ أو صَخْرةٍ يشْدَخُ بِهِ رأسَهُ، فإذا ضَرَبَه تَدَهْدَهَ الحَجرُ، فَانطَلَقَ إليهِ لِيأْخُذَه، فلا يرجِعُ إلى هَذا حتَّى يلتَئِمَ رأسُهُ، وعَادَ رأسُهُ كَمَا كَانَ، فعادَ إليهِ فضرَبَه، فقُلتُ: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلَقْنا حتَّى أتيْنا إلَى نَقْبٍ مِثلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيقٌ وأسفَلُه واسِعٌ، تتوقَّدُ تحتَه نارٌ، فإذا اتَّقدَتْ ارتفعُوا حتَّى يَكادوا يَخرُجُونَ منها، فإذا خَمَدَتْ رجَعُوا فيها، وفيها

رِجَالٌ ونِسَاءٌ عُراةٌ، فَقُلتُ: ما هذا؟ قَالا: انطلِقْ، فانطَلَقنا حتَّى أتيْنا على نَهرٍ مِن دَمٍ، فيهِ رَجُلٌ قائمٌ، وعلى شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيهِ حِجارةٌ، فأقبلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهرِ، فإذا أرادَ أنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلَ بحَجَرٍ في فِيْهِ، فردَّه حيثُ كان، فجعَلَ كُلَّما جاءَ ليخرُجَ رَمَى في فِيْهِ بحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَان، فَقُلتُ: مَا هذا؟ قَالا: انطَلِقْ، فانطلَقنا حتَّى انتهَيْنا إلى رَوضةٍ خَضراءَ فيها شَجرةٌ عظيمةٌ، وفي أَصْلِها شَيْخٌ وصِبْيانٌ، وإذا رَجُلٌ قريبٌ مِن الشَّجَرةِ بَيْنَ يَدَيهِ نارٌ يوقِدُها، فصَعَدا بيَ الشَّجَرةَ فأدخَلاني دَاراً أَوْسَطَ الشَّجرةِ لم أرَ قَطُّ أَحْسَنَ منها، فيها رِجَالٌ شُيوخٌ وشُبَّانٌ ونِساءٌ وصِبيَانٌ، ثم أخرَجاني منها فصَعَدا بيَ الشَّجرةَ، فأدخلاني داراً هي أفضلُ وأحسنُ، فيها شُيوخٌ وشُبَّانٌ، فقلتُ لهما: إنَّكما قد طَوَّفتُماني اللَّيلةَ فأخبِراني عمَّا رأيتُ، قالا: نَعَم، أمَّا الَّذي رأيتَه يُشَقُّ شِدقُه فكذَّابٌ يُحدِّث بالْكَذْبَةِ فتُحمَلُ عَنْهُ حتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ، فيُصنَعُ بِهِ ما تَرى إلى يومِ القيامةِ، والَّذي رأيتَه يُشدَخُ رأسُه فرجلٌ علَّمَه الله القُرآنَ، فنامَ عنه بالليلِ ولم يعملْ بما فيه بالنَّهارِ، يُفعَلُ بِهِ مَا رأيتَ إلى يومِ القيامةِ، والذي رأيتَه في النَّقْبِ فهم الزُّناةُ، والذي رأيتَهُ في النَّهرِ آكِلُ الرِّبا، والشَّيخُ الَّذي رأيتَه في أصلِ الشَّجرةِ إبراهيمُ عليه السَّلامُ والصِّبيانُ حَوْلَه فأولادُ النَّاسِ، والَّذي يوقِدُ النَّارَ مالِكٌ خازِنُ النَّارِ، والدَّارُ الأُولَى التي دَخَلْتَ دارُ عامَّةِ المؤمنينَ، وأمَّا هذه الدَّارُ فدارُ الشُّهداءِ، وأنَا جِبْريلُ، وهذا مِيكائِيْلُ، فارفعْ رأسَكَ، فرفعْتُ رأسي فإذا فوقي مثلُ السَّحاب ـ وفي رِوَايةٍ: مثلُ الرَّبابةِ البَيْضَاءِ ـ قالا: ذاكَ منزِلُكَ، قلتُ: دَعاني أَدْخُلْ منزِلي، قالا: إنَّه بَقِيَ لكَ عُمُرٌ لَمْ تَستكمِلْهُ فلو استكمَلْتَهُ أتيتَ منزِلَكَ».

قوله: «إذا صلَّى»؛ يعني: إذا صلَّى الصبحَ.

«قصَّها»؛ أي: أخبرَ ذاك الرجلُ رسولَ الله ما رأى في منامه.

«فيقول»؛ أي: فيقول رسولُ الله ﷺ في تعبيره «ما شاء الله»؛ أي: ما أجرى الله على لسانه.

«مقدَّسة»؛ أي: مطهَّرة مطيَّبة.

«كَلُّوب»؛ أي: حديدة معوجة الرأس.

«في شِدْقِه»؛ أي: في طرف شَفَته من جانب أذنه.

«ويلتئم»؛ أي: يَبْرَأ وتعود شَفَتُه المشقوقة كما كانت ليفعلَ به مرةً بعد أخرى.

قوله: «انطلِق»؛ أي: اذهَبْ.

«بِفِهْر»، الفِهْر: الحَجَر ملء الكف، ومنهم مَن يُطلقه على أيِّ حَجَر كان.

«تَدَهْدَه»؛ أي: تردَّى الحَجَر من علو إلى أسفل.

«نَقْب»: بفتح النون؛ أي: ثقبة.

«خَمَدَتْ»؛ أي: طُفِئت.

«فصعدَا بي الشجرةَ»؛ أي: دَفَعَاني إلى الشجرة.

«الشباب» جمع: شاب.

«طوَّفتُماني»، (طوَّف): إذا أدارَ وأجالَ أحداً.

«فتُحمَل عنه»؛ أي: يُنقَل عنه ما يحدِّث به من الكذب حتى ينتشرَ منه ذلك الكذب.

«يُشدَخ»؛ أي: يُكسَر.

«فنام عنه بالليل»؛ أي: لم يكن يقرؤه بالليل.

«الربابة»: السَّحاب.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٥٧٤ ـ عن أبي رَزِيْنٍ العُقَيْلِيِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رُؤيا المؤمن جُزءٌ مِن سِتةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزءاً مِن النُّبُوَّةِ، وهي على رِجْلِ طائرٍ ما لم يُحدِّثْ بها، فإذا حدَّثَ بها وقعَتْ ـ وأَحْسِبُه قال: ـ لا يُحدِّثُ إلا حَبِيباً أو لَبِيْباً».

وفي رِوَايةٍ: «الرُّؤيا على رِجْلِ طَائرٍ ما لم تُعَبَّرْ، فإذا عُبِرت وقعَتْ، ـ أَحْسِبُه قال: ـ ولا تَقُصَّها إلاَّ على وادٍّ أو ذِيْ رَأْيٍ».

قوله: **«وهي على رِجلِ طائرٍ ما لم يحدث بها»**: هذا مَثَلٌ؛ يعني: الطائرُ إذا كان يطير في الهواء لا قرارَ له؛ يعني: الرُّؤيا قبلَ التعبير لا يثبت شيءٌ من تعبيرها على الرائي، ولا يلحقه منها ضررٌ، بل تحتمل تلك الرُّؤيا أشياءَ كثيرةً، فإذا عُبِرَتْ ثبتَ للرائي حكمُ تعبيرها خيراً كان أو شراً، وهذا تصريحٌ منه ﷺ بأن التعبيرَ لا ينبغي لكلِّ أحدٍ، بل ينبغي لعالِمٍ بالتعبير؛ لأنه إذا عبَّر يلحق الرائي حكمُ تعبيره، فإن كان جاهلاً ربما يُعبر على وجهٍ قبيحٍ، فيلحق مِن تعبيره ضررٌ بالرائي.

قوله: **«وقعت»**؛ أي: وقعت تلك الرُّؤيا على الرائي؛ يعني: يلحقه حكمُها.

«لا يحدِّث إلا حبيباً أو لبيباً»، (اللبيب): العاقل؛ يعني: إن كان مَن حدَّثته برؤياك حبيباً لك يعبرها كما يعبر الحبيبُ للحبيب؛ يعني: يعبرها على وجهٍ حسنٍ، وإن لم يكن مَن حدَّثته بها حبيباً لك، ولكنه لبيبٌ يعبرها من غاية عقله وعلمه على وجهٍ ينفعك ولا يضرُّك ولا يغمُّك.

قوله: **«إلا على وادٍّ»**: هذا اسم فاعل، أصله: وادِد، فأُسكنت الدال الأولى وأُدغمت في الثانية، ومعناها: الحبيب، وأراد بـ (ذي الرأي): العالِم، كذا قاله الزجَّاج.

* * *

٣٥٧٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن وَرَقَةَ، فقالَت لهُ خَدِيجةُ: إنَّه كَانَ صَدَّقَكَ، ولكنْ مَاتَ قبلَ أنْ تظهرَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُرِيتُهُ في المَنامِ وعَلَيْهِ ثيابٌ بيضٌ، ولو كَانَ مِن أهلِ النَّارِ لكانَ عليهِ لِباسٌ غيرُ ذلكَ».

قوله: «عن وَرَقَةَ»؛ أي: عن حال وَرَقَةَ بن نَوفل: أنه من أهل النار أم لا؟

«قبل أن تظهرَ»؛ يعني: قبل أن يظهر بالنبوة، وسيأتي بحث ورقة في (باب المبعث).

قوله: «عليه ثيابٌ بِيضٌ»: هذا الحديثُ تصريحٌ بأن ثياب البيض من لباس أهل الجنة وأهل الخير.

* * *

٣٥٧٦ ـ عن أبي بَكْرةَ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَال ذاتَ يَوْمٍ: «مَن رَأَى مِنْكُم رُؤيا؟» فقال رَجُلٌ: أنا رَأَيْتُ كأنَّ ميزَاناً نزلَ مِن السَّماءِ، فوُزِنْتَ أَنْتَ وأبو بَكْرٍ فرجَحْتَ أَنْتَ بأبي بكرٍ، ووُزِنَ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ فرجَحَ أبو بَكْرٍ، ووُزِنَ عُمرُ وعُثْمَانُ فرجَحَ عُمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، فرأيتُ الكَراهيةَ في وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ.

ورُوِيَ: أنَّ خُزيمةَ بن ثابتٍ رَأَى فيما يَرَى النَّائمُ أنَّه سَجدَ على جَبْهةِ النَّبيِّ ﷺ فأخبرَهُ، فاضطَجَعَ له وقَال: «صَدِّقْ رؤْياكَ»، فسَجدَ على جبهتِهِ.

قوله: «فرأيتُ الكراهيةَ في وجه رسول الله ﷺ»، علة ظهور الكراهية في وجه رسول الله ﷺ: أنه علمَ ﷺ أن استقرارَ الإسلام في حياته ﷺ وبعد وفاته إلى زمان عثمان، ثم تظهر الفتن والاختلاف بين أصحابه، ومعنى ترجيح كل واحد من الذين وُزِنُوا: أن مَن رجح في الميزان هو أفضلُ من المرجوح؛ يعني: النبي أفضلُ من أبي بكر، بل من أهل السماء والأرض، ثم بعده أبو بكر أفضلُ من

عمر، ثم عمرُ أفضلُ من عثمان، وإنما رُفع الميزانُ ولم يُوزَن عثمانُ وعليٌّ ﷺ؛ لأن خلافةَ عليٍّ تكون مع افتراق الصحابة فرقتَين: فرقة معه وفرقة مع معاوية، فلا تكون خلافتُه مستقرةً متفقاً عليها.

قوله: «صدِّقْ رؤياك»: هذا تصريحٌ منه ﷺ بأن مَن رأى رُؤيا يُستحَبُّ أن يعملَ بها في اليقظة إن كانت تلك الرُّؤيا شيئاً فيه طاعةٌ، مثل أن يرى أحدٌ أن يصلِّي أو يصوم، أو يتصدَّق بشيءٍ من ماله، أو يزور صالحاً وما أشبه ذلك، وإنما أمر النبيُّ ﷺ ذلك الرجلَ أن يسجدَ على جبهته ﷺ؛ لأن السجودَ على جبهته طاعةٌ؛ لأن في هذا السجود تعظيماً للنبي ﷺ، كما أن السجودَ نحو الكعبة تعظيمُ الكعبة، وتعظيمُ النبي ﷺ أفضلُ القُرَبِ، وفيه تشريفٌ لذلك الرجل؛ لأنه تشرَّف وتبرَّك بوصول جبهتِه جبهةَ النبي عليه الصلاةُ والسلامُ والتحيةُ.

❐❐❐

(۲۳)

کتاب الآداب

(كتاب الآداب)

١ - باب
السَّلامِ

(باب السلام)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٥٧٨ - عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «خَلَقَ الله آدمَ على صُورتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِراعاً، فلمَّا خلقَه قالَ: اذهبْ فَسَلِّمْ على أولئكَ النَّفرِ، وهم نفرٌ مِن الملائكةِ جُلوسٌ، فاستمِعْ ما يُحيُّونَكَ فإنَّها تحيَّتُكَ وتحيةُ ذُرِّيَّتِكَ، فذهبَ فقالَ: السَّلامُ عليكم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله»، قال: فزادُوهُ: «وَرَحْمَةُ الله»، قال: «فَكُلُّ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ آدمَ، وطولُهُ سِتُّونَ ذراعاً، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ ينقُصُ بعدَهُ حتَّى الآنَ».

«خلقَ الله آدمَ على صورته»، قال الخطابي: الضمير يعود إلى آدم؛ يعني: ذُرِّيَّةُ آدمَ، نطفةٌ ثم كان علقةً، وهكذا صارت حالاً بعد حالٍ إلى أن يكمل، ولم يكن خلقُ آدمَ كذلك، بل خُلِقَ أولَ ما خُلِقَ تامَّ الصورةِ طولُه ستون ذارعاً.

ويحتمل أن يكون المراد من هذا الكلام: أن الله خلقَ آدمَ على صورةٍ آدمَ؛ بحيث لا يشبه أحداً؛ لأنه لم يكن في السماء والأرض في ذلك الوقت إلا الملائكةُ والجنُّ، ولم يشبه آدمُ واحداً من هؤلاء.

«النَّفَر»: الجماعة.

«جلوس» جمع: جالس.

«فإنها تحيتُك وتحيةُ ذُرِّيَّتِك»؛ يعني: فاحفظْ ما سمعتَ منهم واجعَلْه تحيتَك؛ يعني: إذا أتيتَ أحداً فَقُلْ ما سمعتَ منهم، وهو: السلام عليك، وإذا لقي بعضُ أولادك بعضاً فَلْيَقُلْ أيضاً: السلام عليك، فقولُ الملائكة: السلام عليك، في جواب آدم دليلٌ على جوازِ جواب التحية مثل التحية؛ يعني: لو قال زيدٌ لعمروٍ: السلام عليك، وقال عمروٌ في جواب زيدٍ: السلام عليك؛ حصل الجواب.

«ينقص»؛ أي: ينقص طولُهم.

* * *

٣٥٨٠ - وقال: «لِلْمُؤْمِنِ على المُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَلِّمُ عليه إِذَا لَقِيَه، وَيُشَمِّتُه إِذَا عَطَسَ، وينصَحُ لَهُ إِذَا غابَ أو شَهِدَ».

قوله: «ويُشمِّته»؛ أي: يقول له: يرحمُك الله.

«وينصح له»؛ أي: ويريد خيرَه، ويرشده إلى الخير.

«أو شهِدَ»؛ يعني: أو حضرَ. روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٨١ - وقال رسولُ الله ﷺ: «لا تدخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنونَ

حتَّى تحابُّوا، أَوَلا أدُلُّكُم على شَيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تحابَبْتُم؟ أفْشُوا السَّلامَ بَينَكم».

قوله: «ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا»: هذا نفي كمـال الإيمـان، لا نفي أصل الإيمان.

(التحابُّ) أصله: التحابب، فحُذفت ضمة الباء الأولى وأُدغمت في الباء الثانية، ومعناه: جريان المحبة بين اثنين أو أكثر.

«أَفْشُوا[1]» أصله: أفْشِيُوا، فأُسكنت الشين ونُقلت ضمة الياء إلى الشين وحُذفت الياء، معناه: أَظْهِرُوا.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٥٨٢ - وقال: «يُسلِّم الرَّاكِبُ على المَاشِي، والمَاشِي على القَاعِدِ، والقَليلُ على الكَثيرِ».

قوله: «يسلِّم الراكبُ على الماشي»؛ يعني: إذا التقى راكبٌ وراجلٌ في الطريق لِيُسلِّمِ الراكبُ على الراجل؛ لأن السلامَ معناه سلامةُ مَن تُسلِّم عليه مِن شرِّك، وكان الشخصان إذا التقيا ربما يخاف كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ، وربما يخاف أحدهما فقط، فَلْيُسلِّمْ غيرُ الخائف على الخائف، والظاهر أن الراكبَ لا يخاف من الراجل، بل الراجلُ يخاف من الراكب، فإذا كان كذلك فَلْيُسلِّمِ الراكبُ على الراجل؛ لِيُزيلَ الخوفَ من قلب الراجل، فيحتمل أن يأمر النبي ﷺ الراكبَ بابتداء السلام على الماشي، والماشيَ بابتداء السلام على القاعد؛ لإزالة الخوف.

ويحتمل أن يأمرَهما بابتداء السلام للتواضع، فإن تسليمَ الراكبِ على

---

(١) جاء على هامش «ش»: «فشا الخبرُ: إذا ذاع وانتشر، وأفشاه غيره: إذا أذاعه وجعله منتشراً».

الماشي، والماشي على القاعد أقربُ إلى التواضع من العكس.

وأما أمرُه ﷺ الجمعَ القليلَ بابتداء السلام على الجمع الكثير فسببه: تعليم الأمة أن يُعظِّمَ القليلُ الكثيرَ.

وسبب بداية التسليم: إما إزالة الخوف، أو التواضع، أو تعظيم الصغيرِ الكبيرَ والقليلِ الكثيرَ.

روى هذا الحديثَ والحديثَ الذي بعده أبو هريرة.

* * *

٣٥٨٤ ـ وقال أَنَسٌ: إنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ على غِلْمَانٍ فَسَلَّم عَلَيْهِم.

قوله: «إن رسولَ الله ﷺ مرَّ على غلمانٍ، فسلَّم عليهم»، تسليمُه ﷺ عليهم للتواضع.

* * *

٣٥٨٥ ـ وقال رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَبدؤوا اليَهُودَ والنَّصارَى بالسَّلامِ، فإذا لَقِيتُمْ أحدَهُم في طَرِيقٍ فاضطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ».

قوله: «لا تبدؤوا اليهودَ بالسلام»، سبب هذا النهي: أن السلامَ إعزازٌ، ولا يجوز إعزازُ الكفار.

«فاضطروه إلى أضيقه»؛ أي: مُرُوه ليَعدِلْ عن وسط الطريق إلى جانبه، بحيث لو كان في الطريق جدارٌ يلتصق بالجدار في المرور.

روى هذا الحديثَ ابن عمرَ.

* * *

٣٥٨٦ ـ وقال: «إذا سلَّم عليكُم اليَهُودُ فإنَّما يقولُ أَحَدُهُم: السَّامُ عَلَيْكَ، فقُلْ: عَلَيْكَ».

قوله: «إنما يقول: السَّامُ عليك، فَقُلْ: عليك»، (السام): الموت؛ يعني: تقول اليهودُ عِوَضَ (السلام): السام عليكم، فلا تقولوا: وعليك السامُ، بل قولوا: (عليك) بغير واو؛ يعني: السام عليك لا عليَّ.

روى هذا الحديثَ [ابن عمرَ رضي الله عنهما].

* * *

٣٥٨٨ ـ وعن عَائِشةَ رَضِيَ الله عنها قالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ على النَّبيِّ ﷺ فقالوا: السَّامُ عَلَيْكُم، فقلتُ: بَلْ عَلَيْكُم السَّامُ واللَّعْنَةُ، فقال: «يا عَائِشَةُ! إنّ الله رَفِيْقٌ يُحبُّ الرِّفقَ في الأَمرِ كُلِّه»، قُلْتُ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قال: «قَدْ قُلْتُ: وعليكم».

وفي روايةٍ قال: «مَهْلاً، يا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بالرِّفقِ، وإيَّاكِ والعُنفَ والفُحْشَ، فإنَّ الله لا يُحبُّ الفُحْشَ والتَّفحُّشَ».

وفي رِوَايَةٍ: «لا تكوني فاحِشَةً»، قالت: أَوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قالَ: «رَدَدتُ عَلَيْهِم فيُسْتَجَابُ لِي فِيهِم، ولا يُستجابُ لَهُمْ فِيَّ».

قوله: «إن الله رفيقٌ»؛ أي: رحيم، و(الرفيق): نعت من الرِّفق؛ وهو ضد العنف.

«مهلاً»؛ أي: كُوني مهلةً غيرَ شديدةٍ، المَهل: السكون والتأنِّي في الأمور.

«الفُحش»[1]: الكلام القبيح، «والتفحُّش»: التلفُّظ بالفُحش.

* * *

---

(١) جاء على هامش «ش»: «والفحش في الأصل: كل ما يشتد قبحه من الذنوب، والمراد هنا: التعدي بزيادة القبيح في القول والجواب».

٣٥٨٩ ـ عن أُسَامَةَ بن زيدٍ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بمجلسٍ فِيْهِ أَخْلاَطٌ مِن المُسْلِمِينَ والمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ واليَهودِ، فَسَلَّم عليهم.

قوله: «أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عَبَدة الأوثان [واليهود]، فسلَّم عليهم»، (الأخلاط) جمع: خلط، وهو ما يُخلَط.

(عَبَدة الأوثان): بدل (المشركين) أو عطف البيان لهم، فسلَّم النبيُّ ﷺ على المسلمين الحاضرين في ذلك المجلس، لا على المشركين، فيجوز لكل أحدٍ أن يُسلِّمَ على جمعٍ من الكفار إذا كان فيهم مسلمٌ على نية التسليم على المسلم.

* * *

٣٥٩٠ ـ عن أبي سَعِيْدٍ الخُدرِيِّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إيَّاكُم والجُلُوسَ في الطُّرقَاتِ»، فَقَالُوا: يا رسولَ الله! ما لَنَا مِنْ مَجَالِسِنا بُدٌّ، نَتَحدَّثُ فيها، قالَ: «فإذا أَبَيْتُم إلاَّ المَجْلِسَ فأَعطُوا الطَّرِيْقَ حقَّهُ»، قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيْقِ يا رسولَ الله؟ قالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلاَمِ، والأَمرُ بالمَعْرُوْفِ، والنَّهيُ عن المُنكرِ».

ورَوَى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ في هذه القِصَّة: «وإرْشَادُ السَّبِيلِ».

ورَوَاهُ عُمَرُ ﷺ، وفيه: «وتُغيثُوا المَلْهُوفَ، وتَهدُوا الضَّالَّ».

قوله: «إياكم والجلوسَ بالطرقات»: الباء هنا بمعنى (في)؛ يعني: احذروا عن الجلوس في الطرقات.

«ما لنا من مجالسنا بُدٌّ»؛ أي: لا بد لنا من الجلوس في الطرقات.

«فإذا أبيتُم إلا المجلسَ»؛ يعني: فإن لم تتركوا الجلوسَ في الطرق.

«غضُّ البصر»؛ أي: حفظ البصر عن النظر إلى امرأة تمرُّ بالطريق.

«وكفُّ الأذى»؛ أي: ومنع إيذاء مَن مرَّ بالطريق.

«وفيه»؛ أي: وفي حديث عمر: «وتُغيثوا الملهوف»؛ أي تُعينوا المتحير في أمره؛ يعني: إذا احتاج أحدٌ في الطريق أن تُعينه فأَعِنْه.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٥٩٢ - وعن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُم، فردَّ عليه ثُمَّ جَلَسَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «عشرٌ»، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله، فردَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «عِشْرُون»، ثُمَّ جاء آخَرُ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُه، فردَّ عَلَيْه فَجَلَسَ، فَقَال: «ثلاثون».

«عشر»؛ أي: ثبت له عشرُ حسنات بكل لفظ؛ يعني: (السلام عليكم) لفظ، و(رحمة الله) لفظ، و(بركاته) لفظ.

* * *

٣٥٩٣ - ورُوِيَ عن مُعاذِ بن أَنَسٍ ﷺ، عن أبيْهِ، عن النَّبيِّ ﷺ بمعناهُ وزَادَ: ثم أَتَى آخرُ فَقَال: السَّلاَمُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُه ومَغْفِرَتُه، فقال: «أَربعونَ، هكذا تكونُ الفَضائلُ».

قوله: «هكذا تكون الفضائل»، يعني: يزيد الفضلُ والثوابُ بكل لفظ يزيده المسلم.

* * *

٣٥٩٤ - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأَ بالسَّلامِ».

«أولى الناس»؛ أي: أقربُ الناس.

* * *

٣٥٩٥ ـ عَنْ أَبِي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يا رسولَ الله! فقال: «لا تَقُلْ عليكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عليكَ السَّلامُ، تحيَّةُ الموتى».

قوله: **«لا تقل: عليك السلام، [فإن] عليك السلام تحيةُ الموتى»**، وعلَّةُ النهي عن هذا اللفظ: أن هذا اللفظَ جوابُ السلام، فإذا تلفَّظ به المسلم لم يبقَ لفظٌ يجيب به المسلم عليه، بخلاف السلام على الميت؛ فإن الجوابَ مِن الميت لا يصدر حتى يحتاجَ إلى لفظين: لفظٍ يقوله المُسلِّم، ولفظٍ يقوله المُسلَّم عليه.

ويحتمل أن تكون علَّةُ النهي: أنك إذا قلت: عليك السلام، لا يحصل أمنُ المُسلَّم عليه بقولك: عليك، حتى تقول: السلام، فينبغي أن تقولَ: السلام عليك؛ حتى يحصل أمنُ المُسلَّم عليه بأول جزء من كلامك؛ لأن الغرضَ من السلام: تحصينُ الأمن، والإخبارُ بأنه لا محاربةَ ولا إيذاءَ بيننا في هذه الساعة.

* * *

٣٥٩٦ ـ وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ: أنَّ النَّبِي ﷺ مرَّ على نِسْوةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ.

قوله: **«أن النبي ﷺ مرَّ على نسوة، فسلَّم عليهنَّ»**: النسوة والنساء: واحد، هذا مختصٌّ بالنبي ﷺ، فإنه كان آمناً من الوقوع في الفتنة، وأما غيره فيُكرَه أن يُسلِّم الرجلُ الأجنبيُّ على المرأة الأجنبية، وكذا العكس؛ كيلا يحصل بينهما معرفةٌ وانبساطٌ، فيحدث من تلك المعرفة فتنةٌ، وكثيرٌ من العلماء لم يكرهوا تسليمَ كلٌّ من الرجل والمرأة الأجنبيين على الآخر.

* * *

٣٥٩٧ ـ وعَنْ عَليّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ، رَفَعَه: «يُجزِئ عن الجَمَاعةِ إذا مرُّوا أنْ يُسلِّم أحَدُهُم، ويُجزئ عن الجُلوسِ أنْ يَرُدَّ أحَدُهم».

قوله: «يُجزِئ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يُسلِّم أحدُهم»؛ يعني: التسليمُ سُنَّةٌ على الكفاية، وجوابُ التسليمِ فرضٌ على الكفاية، فإذا سلَّم واحدٌ من جماعةٍ فقد أدَّوا سُنَّةَ التسليم، فإذا أجاب واحدٌ من جماعةٍ فقد أدَّوا ما عليهم من فرض جواب التسليم.

* * *

٣٥٩٨ ـ عَنْ عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أَبيهِ عن جَدِّهِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَن تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لا تَشَبَّهوا باليَهُودِ ولا بالنَّصَارَى، فإنَّ تَسليمَ اليَهُودِ الإشارةُ بالأَصَابِعِ، وتَسْلِيْمَ النَّصَارَى الإشارَةُ بالأَكُفِّ»، ضعيف.

قوله: «ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا»؛ يعني: مَن تشبَّه باليهود والنصارى في الإشارة بالكف أو الإصبع عند التسليم.

* * *

٣٦٠٢ ـ ويُرْوَى عَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَال: «السَّلامُ قَبْلَ الكَلامِ»، وهذا مُنكر.

قوله: «السلامُ قبل الكلامِ»؛ يعني: إذا أتى رجلٌ إلى رجلٍ لِيُسلِّمْ عليه قبلَ أن يتكلَّمَ معه بكلامٍ.

* * *

٣٦٠٤ ـ ورُوِيَ: أنَّ رَجُلاً قال لِرَسُولِ الله ﷺ: إنَّ أَبِي يُقرِئُكَ السَّلامَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ وعَلَى أَبِيكَ السَّلامُ».

قولــه: «إن أبي يُقرئك الســـلامَ، فقــال: عليكَ وعلى أبيكَ السلامُ».

* * *

٣٦٠٥ ـ عَن ابن العَلاَءِ الحَضْرَمِيِّ: أَنَّ العَلاَءَ الحَضْرَمِيَّ كَانَ عَامِلَ النَّبِيِّ ﷺ، وكان إذا كَتَبَ إِلَيْهِ بَدَأَ بِنفْسِهِ.

قوله: «بدأ بنفسه»، كان يكتب: هذا من العلاء الحَضْرَمي إلى رسول الله ﷺ، وهكذا أمرَ النبيُّ ﷺ أن يكتبوا عن لسانه: هذا من محمَّدٍ رسولِ الله إلى عظيم البحرين وغيره من الملوك.

* * *

٣٦٠٦ ـ ورُوِيَ عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إذا كَتَبَ أَحَدُكُم كِتاباً فَلْيُتَرِّبْهُ، فإنَّه أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ»، هذا مُنكَر.

قوله: «إذا كتب أحدُكم كتاباً فَلْيُتَرِّبه»، قيـل: معنـاه: فَلْيُخاطِبِ الكاتب خطاباً على غاية التواضع، والمراد بالتتريب: المبالغة في التواضع في الخطاب، وقيل: المراد به: ذَرُّ التراب على المكتوب.

* * *

٣٦٠٧ ـ عَنْ زَيْدِ بن ثَابِـتٍ ﷺ قَال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وبَيْنَ يَدَيْهِ كَاتِبٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ، فإنَّه أَذْكَرُ لِلْمُمْلِي»، ضعيف.

قوله: «فإنه أذكرُ للمآل»، (أذكر): أفعل التفضيل، و(المآل): العاقبة؛ يعني: أسرعُ تذكُّراً فيما يريد إنشاءَه من العبارات والمقاصد.

* * *

٣٦٠٨ ـ عن زيدِ بن ثَابـتٍ ﷺ أنَّه قَالَ: أَمَرني رسولُ الله ﷺ أنْ أتعلَّمَ

السُّرْيانِيَّةَ ـ ويَرْوَى: ـ أنَّهُ أَمَرَنِي أنْ أتَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ وقال: «إنِّي ما آمَنُ يَهُودَ على كِتَابٍ»، قال: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حتَّى تعلَّمْتُ، فَكَانَ إذا كَتَبَ إلى يَهُوَدَ كَتَبْتُ، وإذا كَتَبُوا إلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُم».

قوله: «ما آمَنُ يهودَ على كتابٍ»؛ يعني: أخافُ إن أمرتُ يهودياً بأن يكتبَ من لساني كتاباً إلى قومٍ من بني إسرائيلَ أن يكتبَ فيه شيئاً ما قلتُ له، وأخافُ أن يكتبوا إليَّ كتاباً، وأعطيتُه يهودياً أن يقرأَه على أن يزيدَ فيه أو ينقصَ منه شيئاً.

* * *

٣٦٠٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا انْتَهَى أَحَدُكم إلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فإنْ بَدا لَهُ أنْ يَجْلِسَ فَلْيجلِسْ، ثُمَّ إذا قَامَ فليُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ».

قوله: «فليستِ الأُولى بأحقَّ من الآخرة»؛ يعني: ليستِ التسليمةُ الأولى بأحقَّ من التسليمة الآخرة، بل كلتاهما حقٌّ وسُنَّةٌ.

* * *

٣٦١٠ ـ وقال: «لاَ خيرَ في جُلُوسٍ في الطُّرُقَاتِ إلا لِمَنْ هَدَى السَّبِيْلَ، وَرَدَّ التَّحيةَ، وغَضَّ البَصَرَ، وأَعَانَ على الحَمُولَةِ».

قوله: «على الحُمُولة»، (الحُمُولة) بضم الحاء جمع: حِمْل بكسر الحاء، وهو ما يُحمَل على الظهر.

* * *

٢ - باب
الاستئذان

(باب الاستئذان)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦١١ - عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّه قال: أَتَانَا أبو مُوسَى، قال: إنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إليَّ أَنْ آتِيَهُ، فأتيتُ بَابَه، فسَلَّمْتُ ثلاثاً فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ فَرَجعْتُ، فقال: ما مَنَعَكَ أنْ تأْتِيَنا؟ فقُلتُ: إنِّي أَتَيتُ، فسَلَّمْتُ على بابِكَ ثَلاثاً فلَمْ تَرُدُّوا عَليَّ فَرَجَعْتُ، وقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُم ثَلاثاً فلم يُؤذَنْ له فلْيرجِعْ»، فقَالَ عُمرُ: أَقِمْ عَلَيْهِ البَيِّنَةَ، قال أبو سَعيْدٍ: فقُمتُ مَعَه فَذَهَبْتُ إلى عُمرَ فشهِدْتُ.

«أَقِمْ عليه البينةَ»؛ يعني: فَلْيَشهَدْ لك مَن سمع هذا الحديثَ عن رسول الله ﷺ كما سمعتَه.

* * *

٣٦١٢ - وقال عبدُالله بن مَسْعُودٍ ﷺ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «إِذْنُكَ عليَّ أنْ تَرْفَعَ الحِجَابَ وأنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حتى أَنْهَاكَ».

قوله: «إذنُك عليَّ أن ترفعَ الحجابَ»؛ يعني: إذا أردتَ الدخولَ عليَّ فلا حاجةَ لك إلى الاستئذان، بل أَذِنتُ لك أن تدخلَ عليَّ، وأن ترفعَ حجابي وتأتي إليَّ.

«حتى أنهاك»؛ يعني: إن لم يكن عندي مَن يحتجب منك فلم أَنْهَكَ عن الإتيان، فإن كان عندي مَن يحتجب منك، أو أتكلم كلاماً لا أريدُ أن تسمعَه أنهاك حينئذٍ عن الدخول عليَّ.

«السِّرار» هنا: السِّرُّ والكلامُ الخَفِيُّ؛ يعني: أذنتُ لك أن تسمعَ سرِّي إلا أن أنهاك، وهذا دليلٌ على تشريف ابن مسعود وانبساطه إلى رسول الله ﷺ.

* * *

٣٦١٣ ـ وقال جَابِرٌ: أتيتُ النَّبِيَّ ﷺ في دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فدَقَقْتُ البَابَ فقال: «مَنْ ذَا؟» فقُلْتُ: أَنَا، فقَالَ: «أَنَا، أَنَا» كأنَّه كرِهَها.

قوله: «أنا أنا»؛ يعني: لم يرضَ من جابرٍ التكلُّمَ بهذا اللفظ؛ لأن النبيَّ ﷺ إنما قال: «مَن ذا؟» ليخبرَ جابرٌ بلفظٍ يحصل للنبي تعريفُه، ولا يحصل التعريفُ بلفظ: أنا؛ لأن هذا اللفظَ مشتركٌ بين جميع المتكلِّمين.

ويحتمل أن يكون وجه كراهيته ﷺ هذا اللفظَ من جابر: أن في هذا اللفظ تعظيماً وتكبُّراً، فلم يرضَ النبي ﷺ منه التكلمَ بلفظٍ ليس فيه تواضعٌ.

* * *

٣٦١٤ ـ وقَالَ أبُو هُرَيرَةَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فوجَدَ لَبناً في قَدَحٍ فقالَ: «أبَا هِرٍّ! الْحَقْ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ فادْعُهُم إليَّ»، فأتيتُهُم فدَعَوتُهم فأقْبَلُوا، فاسْتَأذَنُوا فأُذِنَ لَهُم فَدَخَلُوا.

قوله: «فاستأذَنُوا، فأَذِنَ لهم»، معنى هذا الحديث مخالفٌ لحديثٍ يأتي بعدَ هذا، وهو قوله ﷺ: «إذا دُعِيَ أحدُكم فجاء مع الرسول، فإن ذلك إذنٌ» هذا الحديثُ صريحٌ بأن المَدعوَّ إذا جاء مع الرسول لا حاجةَ له إلى إذنٍ، بل إرسالُ الرسولِ إذنٌ في الدخول، وحديثُ أهل الصُّفَّة صريحٌ بأنهم استأذنوا.

والتوفيق بين الحديثين: أن مجيءَ أهل الصُّفَّة لم يكن مع الداعي، بل أتوه بعدَه، فلهذا احتاجوا إلى الاستئذان.

ويحتمل أنه مضى زمانٌ كثيرٌ بين دعائهم وبين إتيانهم، فإذا مضى زمانٌ

كثيرٌ بين دعائهم وبين إتيانهم فقد بطلَ الإذنُ الأولُ، ويحتاج إلى استئذانٍ آخرَ، وإنما لا يحتاج إلى استئذانٍ آخرَ إذا جاء المَدعوُّ مع الداعي من غير تأخيرٍ؛ ليبقى حكمُ الإذن الأول.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٦١٥ - قَالَ أَنَسٌ: أَتَى رَسُولُ الله ﷺ على سَعْدِ بن عُبَادةَ فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُم ورَحْمَةُ الله»، فَقَال سَعْدٌ: وعَلَيْكُمُ السَّلامُ ورَحْمَةُ الله، ولَم يُسْمِع النبيَّ ﷺ، حتى سَلَّمَ ثَلاثاً وردَّ عليه سَعْدٌ ثَلاثاً، ولَمْ يُسْمِعْه، فَرَجَعَ النَّبيُّ ﷺ فاتَّبَعَهُ سعدٌ.

قوله: «أتى رسولُ الله ﷺ على سعدِ بن عُبادةَ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله»: هذا الحديث تصريحٌ بأن الاستئذانَ لِيَكُنْ بالسلام؛ يعني: يقف على جانب من الباب بحيث لا يقع بصرُه على داخل البيت، ويُسلِّم؛ ليسمعَ أهلُ البيت تسليمَه ويَأْذَنُوا له.

قوله: «ولم يُسمِعِ النبيَّ»، أسمع يُسمع، وهو يستمع، تقول: سمعتُ كلامَ زيدٍ، وأسمعتُ عمر كلامي وكلامَ زيدٍ؛ يعني: لم يَرُدَّ سعدٌ تسليمَ النبي بحيث يسمع النبيُّ صوتَ سعدٍ، بل ردَّ تسليمَه بصوتٍ خفيٍّ؛ ليُسلِّمَ النبيُّ ﷺ مرةً أخرى؛ ليصلَ إلى سعدٍ وإلى بيتِه وأهلِ بيته بركةُ تسليمِ النبي ﷺ، فلما لم يَسمَعِ النبيُّ ﷺ صوتَ سعدٍ في رد السلام رجعَ النبيُّ، وتبعَه سعدٌ واعتذرَ إليه وقال: رددتُ عليك السلامَ في كل مرة، إلا أني لم أُسمِعْك صوتي؛ ليصلَ إلى بيتي بركةُ تسليمك.

* * *

٣٦١٦ - وعن كَلَدَة بن حَنْبَلٍ: أَنَّ صَفْوانَ بن أُميَّةَ بَعَثَ بِلَبَنٍ وجَدَايةٍ

وضَغَابِيسَ إلى النَّبيِّ ﷺ، والنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الوَادِي، قال: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ولَمْ أُسَلِّم ولَمْ أَسْتأْذِنْ، فقالَ النَّبي ﷺ: «ارجِعْ فقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُم، أأَدْخلُ؟».

قوله: «بعث بلَبن وجِدَايةٍ وضَغَابيسَ»، (الجداية): ولد الظبي، (الضغابيس) جمع: ضُغْبُوس، وهو القثَّاء الصغير جداً.

* * *

٣ ـ باب

المصافحة والمعانقة

(باب المصافحة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٢٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى أتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟» ـ يَعْنِي حَسَناً ـ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جاءَ يَسْعَى حتَّى اعتَنَقَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صَاحِبَه.

«خِباء فاطمة»؛ يعني: فناء دارها؛ أي: باب دارها.

«اللُّكَع» هنا: الصغير.

«حتى اعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه»؛ أي: اعتنقَ النبيُّ ﷺ حسناً، وحسنٌ النبيَّ ﷺ، وهذا دليلُ كونِ المعانقة سُنَّةً.

قال محيي السُّنَّة في «شرح السُّنَّة»: قد جاء عن النبي ﷺ: أنه نَهَى عن المعانقة والتقبيل.

وجاء: أنه عانَقَ جعفرَ بن أبي طالب وقبَّله عند قدومه من أرض الحبشة، وأمكن من يده حتى قبَّلها، وفعل ذلك أصحابُ النبي ﷺ، وليس ذلك

بمختلفٍ، ولكلٍّ وجهٌ عندنا: أما المكروهُ من المعانقة والتقبيل: ما كان على وجه التملُّق والتعظيم في الحضر.

فأما المأذون منه: فعند التوديع، وعند القدوم من السفر، وطول العهد بالصاحب، وشدة الحُبِّ في الله.

ومَن قبَّلَ فلا يُقبلِ الفمَ، ولكن اليدَ والرأسَ والجبهةَ. وإنما كُرِهَ ذلك في الحضر فيما يُرى؛ لأنه يَكثُر ولا يَسترحبُه كلُّ أحدٍ، فإنْ فعلَ الرجلُ ببعض الناس دون بعض تأذَّى الذين تركهم، وظنُّوا أنه قصَّر بحقوقهم.

* * *

٣٦٢١ ـ وقَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: ذَهَبْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ فقال: «مَرْحَباً بِأُمِّ هَانِئٍ».

قوله: «مرحباً بأمِّ هانئ»؛ يعني: التكلُّم بهذه الكلمة سُنَّةٌ، وهي كلمةُ إكرامٍ يريد العربُ بهذا اللفظ إذا قالوه لأحدٍ: إنك جئتَ مَوضعاً رَحْباً؛ أي: واسعاً؛ أي: لا ضيقَ عليك.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٢٤ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يا رسولَ الله! الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أو صَدِيقَهُ، أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «لا»، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ ويُقَبـلهُ؟ قَالَ: «لا»، قال: أفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ويُصَافِحُهُ؟ قال: «نعم».

قوله: «أَيَنْحَنِي له؟» أي: أيميل رأسَه وظهرَه للخدمة.

«فيَلتزِمُه»؛ أي: فيعتنقه؟ فقد نهى ﷺ في هذا الحديث [عن] المعانقة

والتقبيل، وقد ذكرنا تأويله.

* * *

٣٦٢٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَت: قَدِمَ زَيْدُ بن حَارِثَةَ ﷺ المَدِينَةَ ورَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فقامَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ عُرْياناً يَجُرُّ ثَوْبَه، والله مَا رَأَيْتُه عُرْياناً قَبْلَهُ ولا بَعْدَه، فاعتَنَقَه وقَبَّلَه.

قولها: «فقام إليه رسولُ الله ﷺ عُرياناً»: يريد أنه ﷺ كان ساتراً ما بين سُرَّته ورُكبته، ولكن سقط رداؤُه من عاتقه وكان ما فوقَ سُرَّته عُرياناً.

* * *

٣٦٢٧ ـ وسُئِلَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: هَلْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَافِحُكُم إذا لَقِيتُمُوهُ؟ قال: مَا لَقِيتُه قَطُّ إلاَّ صَافَحَنِي، وبَعَثَ إِلَيَّ ذاتَ يومٍ ولَم أَكُنْ في أَهْلِي، فلمَّا جِئْتُ أُخْبِرْتُ، فأَتَيْتُه وهُوَ عَلَى سَرِيرٍ فالتَزَمَنِي، فكَانَتْ تِلْكَ أَجْوَدَ وأَجْوَدَ.

قوله: «فكانت تلك أجودَ وأجودَ»؛ يعني: وكانت تلك أجودَ من المصافحة.

* * *

٣٦٢٩ ـ عَنْ أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ قال: بَيْنَما هُوَ يُحَدِّثُ القَومَ وكَانَ فيهِ مُزاحٌ، بَيْنَما يُضحِكُهم فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ في خَاصِرَتِه بِعُودٍ، فَقَال: أَصْبِرْنِي، فَقَال: «اصْطَبِر»، قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً ولَيْسَ عليَّ قَمِيصٌ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ، فاحْتَضَنَهُ وجَعَلَ يُقبِّلُ كَشْحَهُ، قال: إنَّما أَرَدْتُ هَذَا يا رَسُولَ الله!.

قوله: «أَصبِرْني» بفتح الهمزة وكسر الباء؛ أي: أَعطِني القصاصَ.

«اصطَبِرْ»؛ أي: خُذِ القصاصَ مني.

«وجمل»؛ أي: طَفِقَ.

«كَشْحَه»؛ أي: جَنْبَه.

* * *

٣٦٣٠ ـ وعن البَيَاضِـيِّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَقَّى جَعْفَرَ بن أَبِـي طَالِبٍ فالتَزَمَه وقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ».

قوله: «تَلَقَّى جعفراً»؛ أي: استقبلَه حين قدومه من السفر.

٣٦٣٣ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْها أنَّها قَالَت: مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلاًّ ـ وفي رِوَايةٍ ـ حَدِيْثاً وكَلاماً بِرَسُوْلِ الله ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فأَخَذَ بِيَدِهَا فقبَّلَها وأَجْلَسَهَا في مَجلِسِه، وكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْها قَامَتْ إِلَيْهِ فأَخَذَتْ بِيَدِه فَقَبَّلَتْهَا وأَجْلَسَتْهُ في مجلِسِها.

قولها: «سَمْتاً وهَدْياً ودَلاًّ»، (السَّمْتُ): القَصْدُ؛ أي: في كيفية المَشْيِ، و(الهديُ): السِّيرةُ والطريقة؛ أي: في أفعاله، (الدَّلُّ): الهيئة؛ أي: في الصورة والقيام والقعود.

* * *

٣٦٣٥ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَبِـيٍّ فَقَبَّلَهُ فَقَال: «أَمَا إِنَّهم مَبْخَلَةٌ مَجْبنةٌ مَحْزَنَةٌ، وإنَّهم لَمِنْ رَيْحَانِ الله تَعَالَى».

قوله: «أَمَا»؛ أي: أَعْلَم، «إنهم»؛ أي: أن الأولاد «مَبْخَلَةٌ»؛ أي: سببٌ ومحصِّلٌ للبخل.

«مَجْبنةٌ»؛ أي: سببٌ ومحصِّلٌ للجبن، وهو ضـدُّ الشجاعة؛ يعني: يَجعلُ الولدُ أباه بخيلاً وجباناً يحفظ المال له، ولا يدخلُ في الحرب كي لا يُقتَلَ

ويصيرَ ولدُه يتيماً.

«وإنهم لمن رَيْحَانِ الله»، (الرَّيْحَانُ): الرِّزْقُ، و(الريحانُ) أيضاً: نبتٌ طيبُ الرِّيحِ؛ يعني: الأولادُ مِن رِزْقِ الله، أو من الطِّيبِ الذي طَيَّبَ الله به قلوبَ الآباء.

* * *

٤ - بابُ
القِيام

(باب القيام)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٣٦ - عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: لمَّا نَزَلَتْ بنو قُرَيْظَةَ على حُكْمِ سعدٍ بَعَثَ إليهِ رَسُولُ الله ﷺ وكَانَ قَرِيْباً مِنْهُ، فَجَاءَ على حِمَارٍ فلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ للأَنْصَارِ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُم».

«لما نَزَلَتْ بنو قُرَيظةَ»؛ يعني: على حُكْمِ سعد، «بعثَ رسولُ الله ﷺ».

(بنو قريظة): كانُوا يهوداً، فحاصرهم النبي ﷺ فنادَوا من القلعة: إنا رَضينا بما يَحْكُمُ علينا سعدُ بن معاذ، وكان سعدٌ نازلاً في موضعٍ قريبٍ من النبي ﷺ، فأرسلَ إليه النبيُّ، فدعاه ليَحْكُمَ على بني قُرَيظة بما يقتضي اجتهادُهُ مِن قَتْلِهم وأخذِ الفِداء منهم أو أسرهم، فحكم سعدٌ بقَتْلِ مَنْ كان بالغاً من رجالِهم، وسَبْيِ نِسائِهم وصِبْيانهم.

والغَرَضُ من هذا الحديث: أنَّ سعداً لما جاء قال النبي ﷺ لأصحابه: «قوموا إلى سَيِّدِكم».

قال محيي السنة: القيامُ إلى أحدٍ للاحترام غيرُ مكروهٍ بدليلِ هذا الحديث.

* * *

٣٦٣٧ ـ وعَنْ ابن عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مجلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيْهِ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا».

قوله: «ولكن تَفَسَّحُوا»؛ يعني: ولكن ليقُلْ: تَفَسَّحُوا، أي: ليبعُدْ بعضُ القوم إلى آخر المجلس، وليقرُبْ بعضُهم من بعضٍ ليتفسَّحَ المجلِسُ.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٣٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: لَمْ يَكُنْ شَخصٌ أَحَبَّ إليْهِم مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِمَا يَعْلَمُوْنَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ. صحيح.

قوله: «لم يقوموا لمَا يعلمون من كراهيته لذلك»؛ أي: للقيام، يقال: كرهتُ شيئاً وكرهْتُه لشيء، وهذا الحديثُ لا يدلُّ على كونِ القيامِ مكرُوهاً، بل إنما كَرِهَ النبيُّ ﷺ أن يقوموا إليه للتواضع.

* * *

٣٦٤٠ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ».

قوله: «من سَرَّه أن يَتَمَثَّلَ له الرجالُ»، التمثيل هنا: أن يقفَ أحدٌ قائماً على رأسِ أحدٍ، أو بينَ يديه للخدمة؛ يعني: من أحبَّ أن يقومَ على رأسه وبين يديه أحدٌ لتعظيمه فليتبوَّأْ منزِلَه في النار، هذا إذا طلبَ من أحدٍ أن يقومَ بين يديه، أو على رأسه.

فأمَّا لو لم يطلبْ ولم يتوقَّعْ أن يقومَ أحدٌ له، ووقفَ أحدٌ من تلقاء نفسه طلباً للثواب، فلم يكنْ عليه بأس؛ لأنَّ المُغيرةَ بن شعبة قام على رأس النبي ﷺ،

وبيده سيفٌ يومَ الحُدَيبية، وكان يَزْجُرُ من يَصْدُرُ عنه سوءُ أدبٍ عند النبيِّ ممن جاء بالرســـالة من أهـلِ مكة، حتى كان يضربُ بنَعْلِ غِمْد سيفه يدَ كافرٍ يُحَرِّكُ يدَه على وجه النبي ﷺ.

روى هذا الحديثَ ـ أعني حديثَ: «من سره» ـ معاويةُ.

* * *

٣٦٤١ ـ عَنْ أَبـي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصَاهُ، فقُمْنَا له، فَقَالَ: «لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضاً».

قوله: «متوكِّئاً»؛ أي: مُتَّكِئاً مُعْتَمِداً بعصاً من مرضٍ كان عليه.

«يُعَظِّمُ بعضُها بعضاً»؛ يعني: الأَولى والأقربُ إلى التقوى: أن لا يُعَظِّمَ أحداً لأجل ماله ومنصبه، بل ليُعَظِّمْه لأجل عِلْمِه وصلاحِه، فإذا كان القيامُ والتواضعُ لله فحَسَنٌ، وإذا كان للرياء ولأجل المالِ والمنصِب فهو منهيٌّ.

* * *

٣٦٤٢ ـ عَنْ سَعِيْدِ بن أَبـي الحَسَنِ قَالَ: جَاءَنَا أَبُو بَكْرَةَ فِيْ شَهادَةٍ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِن مجلِسِهِ فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ فيْهِ وقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ذَا، ونَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَمْسَحَ الرَّجُلُ يَدَهُ بِثَوبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ.

قوله: «في شهادة»؛ أي: لأداء شهادةٍ كانت عنده لأحد.

«عن ذا»؛ أي: عن هذا؛ يعني: عن أن يُقيم أحدٌ أحداً، ويجلِسَ مجلِسَه.

«أن يمسحَ الرجلُ يدهَ بثوبِ مَنْ لم يَكْسُه»؛ يعني: إذا كانتْ يُدكَ ملطَّخةً بطعامٍ فلا تمسحْ يدَكَ بثوبِ أجنَبيٍّ، ولكن بإزارِ غلامِكَ أو ابنِكَ أو غيرِهما ممن ألْبَسْتَه ثوبَه.

* * *

٣٦٤٣ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا جَلَسَ وجَلَسْنَا حَوْلَه، فَقَامَ فَأَرَادَ الرُّجُوْعَ نَزَعَ نعلَهُ أَوْ بَعْضَ مَا يَكُوْنُ عَلَيْهِ، فَيَعْرِفُ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ فَيَثْبُتُونَ».

قوله: «فيعرِفُ ذلك أصحابُه»؛ أي: فيعرِفُون أنه يريد الرجوع، فيَثْبُتون ولا يتفرَّقُون.

* * *

٣٦٤٤ ـ عَنْ عَبْدِالله بن عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بِإِذْنِهِمَا».

قوله: «لا يَحِلُّ لرجلٍ أن يفرِّقَ بين اثنين»؛ يعني: إذا جلسَ اثنان متقاربين لا يجوزُ لأحدٍ أن يفرِّقَهما ويجلسَ بينهما؛ لأنه قد يكونُ بينهما محبةٌ وجَرَيان سِرٍّ وكلام، فيشقُّ عليهما التفرُّقُ.

* * *

٥ ـ باب

الجُلُوسِ والنَّومِ والمَشْيِ

(باب الجلوس والنوم والمشي)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٤٦ ـ عَنْ ابن عُمَرَ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ مُحتَبِياً بِيَدِهِ».

قوله: «بفناء الكعبة»، (الفِنَاءُ): الموضعُ المُتَّسِعُ المُحَاذِي لباب الدار.

«محتبياً بيدِه»؛ أي: جالساً بحيث تكون ركبتاه منصوبتين، وبطنا قدميه

موضوعين على الأرض، ويداه موضوعتين على ساقيه، والمراد بهذا الحديث: أن الاحتباءَ سُنّةٌ.

* * *

٣٦٤٧ ـ عَنْ عَبَّادِ بن تميم، عَنْ عمّهِ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ في المَسْجِدِ، مُسْتَلْقِياً واضعاً إِحْدَى قَدَمَيْهِ عَلَى الأُخْرى.

قوله: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المسجدِ مستلقياً واضعاً إحدى قدميه على الأخرى».

(الاستلقاءُ): الاضطجاعُ على الظهر. هذا الحديثُ تصريحٌ بأن الاستلقاءَ ووضعَ أحدِ الرجلين على الأخرى قد يكونُ على نوعين:

أحدُهما: أن تكون رجلاه ممدودتين أحدهما فوق الأخرى، ولا بأس بهذا، فإنه لا ينكشِفُ شيءٌ من العورة بهذه الهيئة.

والنوع الثاني: أن يَنْصِبَ ركبةَ إحدى الرِّجْلَين ويضعَ الرِّجْلَ الأخرى على الركبة المنصوبة، وهذا النوعُ جائزٌ في بعض الصور، ومنهيٌّ في بعضها، أما الذي هو جائزٌ، فأن يأمَنَ من انكشاف العَوْرَة بأن يكونَ عليه سراويلُ، ويكونُ إزارُه أو ذيلُه طويلين، وأما المنهيُّ فهو فيما إذا انكشفت عورتُه بقِصَرِ إزارِه أو ذيلِه وعَدَمِ السراويل.

* * *

٣٦٥٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُه، خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

قوله: «خُسِفَ به الأرض»، (به) جارٌّ ومجرورٌ أُقيم مُقامَ الفاعل، و(الأرض) منصوبة.

قوله: «يتجلجلُ»؛ أي: ينزلُ ويتحرَّكُ، وسببُ خَسْفِه تبختُرُه وإعجابُهُ بنفسه، وإعجابُ النَّفْسِ عن أن يرى الرجلُ نفسَه شريفةً خيراً من غيره.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٦٥١ ـ عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ عَلَى يَسَارِهِ.

قوله: «رأيت النبي ﷺ مُتَّكِئاً على وسادةٍ على يساره»، والمرادُ بهذا الحديث: أن الاتكاءَ على الوسادة سُنَّةٌ، ووضعَ الوِسادةِ على الجانبِ الأيسرِ أيضاً سُنَّةٌ.

* * *

٣٦٥٣ ـ وعَنْ قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ: أنَّها رَأَتْ رَسُولَ الله ﷺ في المَسْجِدِ وهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، قَالَت: فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ المتَخَشِّعَ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ.

قولها: «وهو قاعدٌ القُرْفُصَاء[1]»؛ أي: وهو جالسٌ جلوساً قُرْفُصَاءَ.

(القُرْفُصَاء): مِثْلُ الاحْتِباء، وقد ذُكِرَ قُبَيلَ هذا.

«المُتَخَشِّعُ»: المتواضع.

«أُرْعِدْتُ»؛ أي: حَرَّكْتُ أعضائي «من الفَرَقِ»، وهو الخوف.

* * *

---

(١) جاء على هامش «ش»: «فلو قلت: قعدَ القرفصاء، فكأنك قلت: قعوداً مخصوصاً، وهو أن يجلسَ على أَلْيتيه، ويُلْصِقَ فخذيه ببطنه، ويحتبيَ بيديه يضعهما على ساقيه، وقيل هو أن يجلسَ على ركبتيه مُتكِئاً، ويلصق بطنه بفخذيه، ويتأبط كفيه».

٣٦٥٤ ـ وعَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ، تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ.

قوله: «تَرَبَّعَ»؛ أي: جلسَ متربعاً، وهو أن يَقْعُدَ الرجلُ على وَرِكَيْه، ويَمُدَّ رُكبتَه اليمنى إلى جانبِ يمينه، وقدمَه اليمنى إلى جانب يساره، وركبتَه اليسرى يمدُّها إلى جانبِ يساره، وقدمُه اليسرى إلى جانب يمينه.

قولها: «حسناء[1]»: وهو نعتُ مؤنثٍ، مُذَكَّرُها: أَحْسَن، وحسناء: منصوبةٌ على أنها حالٌ من الشمس؛ أي: حتى ترتفعَ الشمسُ كاملةً، والمراد بهذا الحديث: أن التربُّعَ في الجلوس سُنَّةٌ.

* * *

٣٦٥٥ ـ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمن، وإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ.

قوله: «عَرَّسَ[2]» ـ بتشديد الراء ـ: إذا نزلَ في آخر الليل للاستراحة.

والمرادُ بهذا الحديثِ: أنه ﷺ إذا نزل قبلَ الصبح بزمانٍ كثيرٍ اضطجعَ على جنبه الأيمن، ووضعَ رأسَه على وسادةٍ أو غيرِها لينامَ، وإن نزلَ قبلَ الصبحِ بزمانٍ قليلٍ وَضَعَ رأسَه على كَفِّه كي لا ينامَ نوماً طويلاً؛ لأنه لو نام نوماً طويلاً؛

---

(١) جاء على هامش «ش»: «قيل الصواب حَسَناً على المصدر؛ أي: طلوعاً حَسَناً، ومعناه: كان يجلسُ متربعاً في مجلسه إلى أن ترتفع الشمس، وفي أكثر النسخ: حسناء».

(٢) جاء على هامش «ش»: «وقد روى صاحب النهاية: أنه كان إذا عَرَّسَ بليل توسَّد لبنة، وإذا عَرَّسَ عند الصبح نصب ساعده نصباً، ولعل ذلك لئلا يتمكن من النوم فتفوته صلاة الفجر».

لفاتَ عنه صلاةُ الصبح.

* * *

٣٦٥٦ ـ عَنْ بَعْضِ آلِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ فِرَاشُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ نَحْواً مِمَّا يُوضَعُ فِي قَبْرِهِ، وكَانَ المَسْجِدُ عِنْدَ رَأْسِهِ.

قوله: «كان فراشُ رسولِ الله ﷺ نحواً مما وضع في قبره وكان المسجد عند رأسه[1]».

* * *

٣٦٥٨ ـ وعَنْ يَعِيْشَ بن طِخْفَةَ بن قَيْسٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ أَبِيْهِ، وكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ مِنَ السَّحَرِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحرِّكُنِي بِرِجْلِهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ»، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

قوله: «بينما أنا مضطجع من السَّحْر على بطني...» إلى آخره.

(السَّحْرُ): وَجَعُ الرِّئَةِ، ووجهُ النَّهْيِ عن الاضطجاع على البطن: أنَّ الاضطجاعَ على البطن مُضِرٌّ في الطب، ووضع الصَّدْرِ والوجهِ اللَّذانِ هما أشرفُ الأعضاءِ على الأرضِ إذلالٌ في غير السجود.

* * *

٣٦٥٩ ـ عَنْ عَلِيِّ بن شَيْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ».

---

(١) جاء على هامش «ش»: «أي كان ﷺ إذا نام يكون رأسه إلى جانب المسجد».

قوله: «من باتَ على ظهر بيتٍ ليسَ عليه حِجاً فقد بَرِئَت منه الذِّمّةُ»،

رُوِيَ: (الحجا) بكسر الحاء وبفتحها، ومعناهما: الحِجَابُ، فالحِجا ـ بالكسر ـ هو العقلُ؛ سُمِّيَ الحجابُ حِجاً لأنه يمنَعُ الرجلَ عن الهلاك بسقوطه عن السَّطْحِ، كما أنَّ العَقْلَ يمنعُ الرجلَ عن الوقوع في الهلاك.

و(الحَجا) ـ بالفتح ـ: الناحية، سُمِّيَ حَجاً ـ بفتح الحاء ـ لأنه ضَرْبٌ في ناحية؛ يعني: من نام على سطح ليس له حِجَابٌ؛ أي: ليس على حَوْلِهِ جدار (فقد بَرِئَتْ منه الذِّمَّة)؛ أي: فقد خالفَ أمرَنا؛ لأنه يُهلِكُ نفسَه بوقوعه عن السطح، ومن خالفَ أمرَنا وقعتْ بيننا وبينه الذِّمَّة؛ أي: لم يبقَ بيننا وبينه عهدٌ، وهذا تهديد، كراهيةَ اضطجاعِ الرجلِ في موضعٍ مَخُوف، والدخولِ في موضعٍ مخوفٍ مُهْلِك.

* * *

٣٦٦٠ ـ عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَنَامَ الرَّجلُ عَلَى سَطْحٍ لَيْسَ بِمَحجُوْبٍ عَلَيْهِ.

قولـه: «ليـــس بمحجورٍ عليه»، (الحَجْرُ): المنعُ؛ يعني: ليس حوله جدارٌ.

* * *

٣٦٦٣ ـ عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ جُلوْسٌ فقال: «مَالِيْ أَرَاكُم عِزِيْنَ؟».

قوله: «ما لي أَرَاكم عِزِينَ»: (عِزِين): جمع عِزَة ـ بتخفيف الزاي ـ وهي الجماعة؛ يعني: لِمَ جلستم متفرِّقين، وهلاَّ جلسْتُم متحلِّقين؛ يعني: اجلِسُوا في الحَلْقة أو في الصَّفِّ، وإنما أَمَرَهم بأن يجلسوا بالحَلْقة والصفِّ كي لا يُدْبِرَ بعضُهم بعضاً.

* * *

٣٦٦٥ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «إذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الفَيْءِ فَقَلَصَ عَنْهُ، فَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ فَلْيَقُمْ، فَإِنَّهُ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ»، ويُروَى مَرْفُوعاً.

قوله: «إذا كان أحدُكم في الفيء، فقلص عنه»، (الفيءُ): الظِّلُّ، (قَلَصَ)؛ أي: ذهبَ الظِّلُّ عنه، فبقيَ بعضُه في الشمس وبعضُه في الفيء.

«فلْيَقُمْ» من ذلك الموضع، فإنه مُضِرٌّ في الطب.

«فإنه مجلس الشيطان»؛ أي: فإن ذلك المجلسَ مجلسٌ يأمرُ الشيطانُ الرجلَ بالجلوسِ فيه؛ ليخالِفَ السُّنَّةَ.

* * *

٣٦٦٦ ـ وعَنْ عليٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ الله ﷺ إذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً كَأَنَّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

ويُرْوَى: كَانَ إذَا مَشَى تَقَلَّعَ.

قوله: «إذا مشى تَكَفَّأَ»، (تَكَفَّأَ) في المشي: إذا رفعَ رِجْلَه من الأرض ثم وَضَعها؛ يعني: كان رسول الله ﷺ يرفَعُ قدمَه من الأرض عند المشي، ولا يمسَحُ قدمَه على الأرضِ كمن يمشي عن التبختر والاختيال.

«ينحطُّ»؛ أي: ينزِلُ «من صَبَبٍ»؛ أي: من موضعٍ منخفِض؛ يعني: كما أنَّ من ينزِلُ من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ يرفَعُ رِجلَه عن قوة وجلادة، فكذلك النبيُّ يمشي على الأرض المستوية.

* * *

٣٦٦٧ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُوْلِ الله ﷺ، كَأَنَّما الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إنَّا لَنُجْهِدُ أَنفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ.

قوله: «إنا لنُجْهِدُ أنفُسَنا، وإنه لغيرُ مُكْتَرِثٍ»، جَهَدَ وأَجْهَد: إذا آذى أحداً.

(غيرُ مُكْترِثٍ)؛ أي: غيرُ مُجْهَدٍ؛ يعني: إنا إذا مَشَيتا مع رسول الله ﷺ نُؤْذِي أنفسَنا بكثرةِ السرعةِ في المَشْيِ، ورسولُ الله غير مُسْرِعٍ ولا نَلْحَقُه.

* * *

٣٦٦٨ - عَنْ أَبي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِي ﷺ: أَنَّه سَمِعَ رَسُوْلَ الله ﷺ يَقُوْلُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ، فاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّساءِ في الطَّرِيْقِ، فَقَالَ للنساءِ: «اسْتَأْخِرْنَ، فإِنَّه لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحقُقْنَ الطَّرِيْقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيْقِ»، فَكَانَتْ المَرْأَةُ تَلْصَقُ بالجِدارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَها لَيَعْلَقُ بالجِدَارِ.

قوله: «استَأْخِرْنَ»؛ أي: ابعدْنَ من وسطِ الطريق إلى جانبِ الطريق.

«أن تَحْقُقْنَ» - بسكون الحاء وضم القاف الأولى -؛ يعني: أن تَدْخُلْنَ وتَذْهَبن في وَسَطِ الطريق.

«الحافات»: جمعُ حافة، وهي الجانِبُ.

* * *

٦ - باب
العُطَاسِ والتَّثَاؤُبِ

(باب العطاس والتثاؤب)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٧١ - عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ ويَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم وَحَمِدَ الله كَانَ حَقاً على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَه أَنْ

يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فإنَّما هُوَ مِن الشَّيطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أحدَكُم إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيطَانُ».

وفي رِوَايةٍ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيطانُ».

قوله: «إن الله يحبُّ العُطَاسَ ويَكْرَهُ التثاؤُبَ».

قال الخطابي: معنى حُبُّ العطاسِ وحَمْدِه، وكراهيةِ التثاؤبِ وذمه: أنَّ العُطَاسَ إنما يكونُ مع انفتاحِ المَسَامِّ، وخِفَّةِ البدن، وتيسُّرِ الحركات، وسببُ هذه الأمور: تخفيفُ الغِذاء، والإقلالُ من المَطْعَم.

والتثاؤُبُ: إنما يكونُ مع ثِقَلِ البَدَنِ وامتلائه، وعند استرخاءِ النوم، وميلِهِ إلى الكَسَل، فصارَ العُطَاسُ محموداً؛ لأنه يُعِينُ على الطاعات، والتثاؤُب مذمومٌ؛ لأنه منع من الخيرات.

قوله: «إذا قال: ها ضحك الشيطان»؛ يعني: إذا انفتَح فمُه، وخَرَجَ منه صوتٌ من التثاؤب ضَحِكَ الشيطان؛ لأن التثاؤبَ يكونُ من الغفلة وغلبةِ النوم، والتكاسُل وامتلاءِ المَعِدَة، وكلُّ ذلك مما يَفْرَحُ الشيطانُ به من الإنسان.

* * *

٣٦٧٢ - وقال: «إذا عَطَسَ أحدُكُم فلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وليقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُه: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُم الله وَيُصْلِحُ بالَكُم».

قوله: «فليقل: يهديكم الله، ويُصْلِحُ بالكم»؛ يعني: فليقل العاطِسُ في جواب من قال له: يرحمك الله: يهديكم الله ويُصْلِحُ بالَكم.

(البال): الحال إن كان القائلون جماعة فليقل لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم بلفظ الجمع، وإن كان واحداً فليقل بلفظ الواحد، وإن كانا اثنين

فليقلْ بلفظ التثنية.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٦٧٥ ـ عَنْ سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ ﷺ: أنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَه فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ الله»، ثُمَّ عَطَسَ أُخرَى فَقَالَ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ».

ويُروَى أنَّه قَالَ في الثَّالِثة: «إنَّه مَزْكُومٌ».

قولـه: «مزكوم»؛ أي: أصـابه زكـام؛ يعني: قولوا للعاطس: يرحمك الله إذا حمدَ الله إلى ثلاثِ مِرارٍ، فإن عطسَ بعد ذلك إن شئتم فشمِّتوه، وإن شئتم فلا تشمِّتوه، والتشميت ـ بالشين والسين ـ أن تقول للعاطس: يرحمُك الله، إن حمدَ الله.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٦٧٧ ـ عَنْ أَبـي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ، أَوْ بثوبِـهِ، وغَضَّ بِهَا صَوْتَه. صحيح.

قوله: «وغضَّ بها صوتَه»، (غضَّ)؛ أي: نَقَصَ، (بها)؛ أي: بيده؛ يعني: وضع يدَه على فمه، كي لا يرتفعَ صوتُه، و«غطَّى»؛ أي: سترَ وجهَه بثوبه كي لا يترشَّشَ مِن لعابِهِ أو مُخَاطِهِ إلى أحد.

* * *

٣٦٨٠ ـ عَنْ هِلاَلِ بن يَسَافٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ سَالِمِ بن عُبَيْدٍ، فَعَطَسَ رَجُلٌ

مِنَ القَوْمِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ سَالِمٌ: عَلَيْكَ وعَلَى أُمِّكَ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ وَجَدَ في نفْسِه، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْ إِلاَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُم، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ وعَلَى أُمِّكَ، إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، ولْيَقُلْ لَهُ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ الله، ولْيَقُلْ: يَغْفِرُ الله لِي ولَكُم».

قوله: «السلام عليكم»: يعني: ظنَّ العاطسُ أنه يجوزُ أن يقول: (السلام عليكم) بدل: (الحمد لله).

«فكأنَّ الرجل وَجَدَ في نفسه»: يعني: وجد في نفسه استخجالاً أو حُزْناً أو غضباً لمَّا قالَ له: السلام عليك وعلى أمك، إنما قال له هذا الكلام زَجْراً له على تَرْك قول: الحمد لله.

* * *

٧ - باب
الضَّحك

(باب الضحك)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٨٣ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجمِعاً ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِه، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ.

قولها: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً».

* * *

٣٦٨٥ - عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَقُومُ مِنْ

مُصَلَّاهُ الذِي يصلِّي فيهِ الصُّبحَ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ، فإذا طَلَعَتِ الشَّمسُ قامَ، وكانُوا يَتحدَّثُونَ فَيأخُذُونَ في أمرِ الجَاهليَّةِ فيضحَكُونَ ويتبسَّمُ.

ويروى: يَتَنَاشَدُونَ الشِّعرَ.

قوله: «يَتَنَاشَدُون»؛ أي: يقرؤون الشعر، هذا يدلُّ على جوازِ قراءةِ الشعرِ إذا لم يكنْ فيه من المناهي شيءٌ.

* * *

٨ - بَاب
الأسامي

(باب الأسامي)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٦٨٧ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ في السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ! فالْتفَتَ إليهِ النَّبِيُّ ﷺ، فقالَ: إنَّما دَعَوْتُ هذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا باسمي، ولا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتي».

اعلم أن الأحاديثَ قد وردت في النهي عن أن يسمِّيَ أحدٌ ولداً باسم النبي ﷺ، ويكنِّيه بكنية النبي ﷺ، وكنيته ﷺ: أبو القاسم.

قال الشافعي: لا يجوزُ لأحدٍ أن يكني ابنه أبا القاسم سواءٌ كان اسمُ ذلك الابن محمداً، أو غيرَ محمدٍ، وسواءٌ كان في زمن النبي أو بعده.

وقال مالك: لا يجوزُ في زمن النبي ﷺ، ويجوزُ بعده الجمعُ بين كُنية النبي واسمه.

وقال بعضُ العلماء: لا يجوزُ الجمعُ بين كنيته ﷺ وبين اسمه، ويجوزُ أن يكنِّيَ بكنيته، ولا يسمِّيَ باسمه، وأن يسمِّيَ باسمه ولا يكنِّيَ بكنيته. سواءٌ في

زمن النبي ﷺ أو بعدَه، ولكلٍّ واحدٍ من القائلين دليلٌ من الحديث على ما قال.

* * *

٣٦٨٨ ـ عَنْ جَابِرٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمُّوْا باسْمِي، ولا تَكْتَنُوا بكُنيَتِي، فإنِّي إنما جُعِلْتُ قَاسِماً أَقْسِمُ بَيْنَكُم».

قوله: «إنما جُعِلْتُ قاسماً أَقْسِمُ بينكم»؛ يعني: إنما كُنِّيتُ بأبي القاسم؛ لأني أَقْسِمُ بينكم الدِّينَ وأحكامَ الشَّرْع؛ أي: أُبَيِّنُ لكم أحكامَ الشرع، فليس هذه الصفة لكم ولا لأحد بعدكم، فإذا لم تكنْ هذه الصفةُ لأحدٍ منكم ولا ممَّن بعدكم، فلا يجوزُ له أن يُكَنَّى بأبي القاسم.

* * *

٣٦٩٠ ـ وقَالَ: «لا تُسَمِّيَنَّ غُلامَكَ يَساراً، ولاَ رَباحاً، ولاَ نجيحاً، ولاَ أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تقولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلا يَكُونُ، فَيَقُولُ: لا».

وفي رِوَايَةٍ: «لاَ تُسَمِّ غُلامَك رَبَاحاً، ولاَ يَسَاراً، ولاَ أَفلحَ، ولاَ نَافِعاً».

قوله: «لا تُسَمِّين غلامَك يَساراً، ولا رَبَاحاً»؛ يعني: لا تسمِّينَّ غلامَك باسمٍ من هذه الأسماء؛ لأنه لو قال أحداً في البيت: (يسار) ولم يكنْ (يسارٌ) في البيت يقول في جوابه: لا؛ يعني: ليس في البيت، فقد نفيتَ اليُسْر، أو اليسار الذي هو الغنى، وسعة الحال عن بيتك، ولم يَحْسُنْ هذا التفاؤل، ولذلك ما أشبهَ هذه الأسماء، وعلى هذا القياس تسميةُ الأبناء والبنات.

وينبغي أن يسمِّيَ الرجلُ أولادَهُ وغلمانَهُ باسم لا يضرُّ في التفاؤل وجودُه في البيت وعدمُه، مثل: زيد، وعمرو، وعبدالله، وعبد الرحمن، وجعفر، وغير ذلك.

(النَّجيح): فعيل، يجوزُ أن يكون بمعنى الفاعل من (نجح) إذا انقضت حاجتُه، أو من أنجح إذا قضى الحاجةَ، ويجوزُ أن يكون بمعنى مُفْعَل - بضم الميم وفتح العين - من (أَنْجَحَ) أيضاً.

* * *

٣٦٩٢ - وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسمَّى: مَلِكَ الأَمْلاَكِ».

قوله: «أخنى الأسماء»؛ يعني: أفحَشُ الأسماء.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٦٩٣ - وقَالَ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ رَجُلٌ كَانَ يُسمَّى: مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَلِكَ إلاَّ الله».

قوله: «أغيظُ رجل»، هذا (أفعل) التفضيل من الغيظ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٦٩٥ - عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ جُوَيرِيَةُ اسْمُهَا: بَرَّةُ، فَحَوَّلَ رَسُوْلُ الله ﷺ اسْمَهَا: جُوَيرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ.

عن ابن عباس قوله: «من عند برة»، (البَرَّة): المحسنة؛ يعني الخروج من عند برَّة لا يَحْسُنُ في التفاؤل.

* * *

٣٦٩٨ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، وأَمَتِي؛ كُلُّكُم عَبْدُالله، وكلُّ نِسَائِكُم إمَاءُ الله، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي، وجَارِيَتِي، وفَتَايَ، وفَتَاتِي، ولاَ يَقُلِ العَبْدُ: رَبِّي، ولَكِنْ لِيَقُل: سَيِّدِي».

ويُروَى: «لِيَقُلْ: سَيِّدِي، ومَوْلاَيَ».

ويُروَى: «لاَ يَقُلْ العَبْدُ لِسَيِّدِه: مَوْلاَيَ؛ فإنَّ مَوْلاَكُم الله».

قوله: «فتاي وفتاتي»؛ (الفتى): الشاب، (الفتاة): الشابة، و(الفتى) أيضاً: الغلام، و(الفتاة): الجارية.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٦٩٩ ـ وَقَالَ: «لاَ تَقُولُوا: الكَرْمُ؛ فإنَّ الكَرمَ قَلْبُ المُؤْمِنِ».

ويُروَى: «لاَ تَقُولُوا: الكَرْمُ، ولَكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ».

قوله: «لا تقولوا: الكَرْم»؛ يعني: لا تقولوا لشجر العِنَب الكَرْم؛ لأن العربَ يقولون لشجر العِنَبِ كَرْماً؛ لأنه يُتَّخَذُ منه الخمرُ، فيشربونها، وتحمِلُهم الخمرُ على الجودِ والكَرَم، فسموا الشجر بالكَرْم الذي يحصُلُ فيهم من شرب الخمر المتخذة من العنب، فنهاهم النبي ﷺ عن تسمية العِنَبِ كَرْماً تحقيراً لشأن الخمر؛ كي لا يظنَّه الناس حسنةً لإظهار الكرم في أنفسهم، بل «الكرم قلبُ المؤمن» الذي يجتَنِبُ مِن شربِ الخمر.

ولا يستحقُّ شجرٌ أن يوصَفَ بالكَرْم، بل يسمَّى شجر العنب: الحَبَلَة بفتح الحاء والباء، والعِنَبُ: اسم ثمرتها، وسمي الحَبَلَة[1] للعنب إطلاقاً لاسم الشجر

---

(١) جاء على هامش «ش»: «الحبلة هي بفتح الحاء والباء وربما سُكِّنَتْ، وهو الأصل أو القضب من شجر الأعناب».

على ثمره.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة[1].

قوله: «لا تقولوا الكَرْم»؛ يعني: لا تقولوا لشجرِ العنب: الكَرْم، وعِلَّتُه ما ذكرناه.

روى هذا الحديثَ وائل بن حُجْر[2].

* * *

٣٧٠٠ ـ وَقَالَ: «لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ: الكَرْمَ، ولاَ تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهرِ؛ فإنَّ الله هُوَ الدَّهرُ».

قوله: «لا تقولوا خيبةَ الدَّهر»، كانت العرب إذا أصابتهم مصيبةٌ أو حرمانٌ في سفر أو حربٍ يقولون: يا خيبةَ الدهر، (الخيبةُ): الحِرْمانُ، تقديرُه: يا خيبة الدهر أُسبُّك أو أُبغِضُك، فنهاهم النبي عن سبِّ الدهر فإن الله خالقُ الدهر ومُصَرِّفُه.

قوله: «فإن الله هو الدهر»؛ أي: فإن الله خالقُ الدهر ومصرِّفُه، فمن سبَّ الدهر فقد سبَّ خالقَه.

روى هذا الحديثَ، والذي بعدَه: أبو هريرة.

* * *

٣٧٠٣ ـ وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يقُولَنَّ أَحَدُكُم: خَبُثَتْ نَفْسِي، ولَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي».

---

(١) يعني حديث: «... فإنَّ يكرم قلب المؤمن».

(٢) يعني حديث: «... ولكن قولوا: العنب الحَبَلة».

قوله: «لا يقولنَّ أحدُكم خَبُثَتْ نفسي»، كانت عادةُ العرب إذا فسدَ مِزاجُهم، وحصلَ فيهم غَثَيانٌ أو هَيْضَةٌ يقول أحدُهم: خَبُثَتْ نفسي؛ أي: فسدَ مزاجي، فنهاهم النبيُّ ﷺ عن نسبة الخُبْثِ إلى أنفسهم وقال: «لا يقولنَّ أحدُكم خَبُثَتْ نفسي، ولكن ليقلْ: لَقِسَتْ نفسي»، ومعنى (لَقِسَ): فسدَ المزاج، وحصلَ غَثَيانٌ في أحد.

روت هذا الحديثَ عائشةُ.

* * *

٣٧١٧ ـ عَنِ المِقْدامِ بن شُرَيحٍ، عَنْ أَبيهِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبيهِ هَانِيءٍ: أنَّه وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ، سَمِعَهُم يُكَنُّونَه بِأَبي الحَكَمِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ هُوَ الحَكَمُ، وإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: كَانَ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا في شَيءٍ أَتَوْني فَحَكَمْتُ بَيْنَهُم فَرَضِيَ الفَرِيقَانِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذا! فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، ومُسْلِمٌ، وعَبْدُالله، قَالَ: «فمَنْ أَكْبَرُهُم؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فأَنْتَ: أَبُو شُرَيحٍ».

قولـه: «ما أحسنَ هذا!»، (ما): للتعجب؛ يعني: الحكمُ بين الناس حسنٌ، ولكن هذه الكُنية غيرُ حَسَنَة.

* * *

٣٧١٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ: قَالَتْ امرأَةٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي وَلَدْتُ غُلاَماً فَسَمَّيْتُهُ: مُحمَّداً وكَنَّيْتُهُ: أَبَا القاسِمِ، فذُكِرَ لِي أَنَّكَ تَكرَهُ ذَلِكَ، قَالَ: «مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي؟»، أَوْ: «مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنيَتِي وأَحَلَّ اسْمِي؟»، غريب.

قوله: «ما الذي أحلَّ اسمي وحَرَّم كنيتي»؛ يعني: لا فرقَ بين التسمية باسمي والتكنية بكنيتي، بل كلاهما جائزٌ، هذا في وجهٍ.

والصحيح: أنه لا يجوزُ الجمعُ بين التسمية باسم النبي ﷺ والتكنية، وهذا الحديثُ عند من لم يجوِّز الجمعَ بين التسمية باسمه، والتكنِّي بكنيته = منسوخٌ.

* * *

٣٧١٥ ـ وَقَالَ: «وَلاَ تَقُولُوا لِلمُنَافِقِ: سيدٌ، فإنَّه إنْ يَكُ سَيداً فَقَدْ أَسْخَطْتُم ربَّكُم».

قوله: «إن يك سيداً فقد أسخطتُم ربَّكم»؛ يعني: إن لم يكن سيداً وقلتم له: يا سيد، فقد كذبتم، وإن كان سيداً؛ أي: مالكَ عبيد وإماءٍ ودُوْرٍ وأموالٍ وقلتم له: يا سيد، (فقد أسخطتم ربَّكم)؛ أي: أغضبتم ربَّكم؛ لأنكم قد عظَّمْتم كافراً، وتعظيمُ الكافرِ يخالفُ رضا الله وأمرَه.

* * *

٣٧٠٤ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «تُدْعَونَ يَوْمَ القِيامَةِ بِأَسْمَائِكُم وأَسْمَاءِ آبَائِكُم، فأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُم».

قوله: «تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم».

* * *

٣٧٠٨ ـ وَقَالَ أَنَسٌ ﷺ: كَنَّانِي رَسُوْلُ الله ﷺ أَبَا حَمْزَةَ بِبقْلَةٍ كُنْتُ أَجْتَنِيْها. صحيح.

قوله: «كنَّاني رسولُ الله ﷺ أبا حمزة ببقلةٍ كنتُ أَجْتنيها»؛ يعني: كنت أَقْلَعُ بقلةَ اسمُها حمزة، فكنَّاني رسول الله: أبا حمزة.

* * *

٣٧١٠ ـ ورُوِيَ: أَنَّ رَجُلاً يُقالُ لَهُ: أَصْرَمُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: أَصْرمُ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ: زُرْعَةُ».

قوله: «بل أنت زُرْعَة»؛ يعني: «الأصرمُ» مأخوذٌ من الصَّرْم، والقطعُ غير مستحسَنٍ في التفاؤل، والزُّرْعةُ (مأخوذ) من الزَّرْع، والزَّرْع مُسْتحسنٌ، فلهذا غَيَّرَ أصرمَ إلى الزُّرْعة.

روى هذا الحديث أسامة بن أخْدَرِي.

* * *

٣٧١١ ـ ورُوِيَ: أنَّهُ ﷺ غيَّرَ اسْمَ: العَاصِ، وعَزِيْزٍ، وعَتَلَةَ، وشيطانٍ، والحَكَمِ، وغُرَابٍ، وحُبَابٍ، وشِهابٍ.

قوله: «غَيَّرَ اسمَ العاصِ»، وسببُ تغييره هذا الاسمَ: أنه من العِصْيان، وتغيير اسم العزيز؛ لأنه من أسماء الله، وتغيير (العَتَلة)؛ لأنها من العَتْلِ، وهو الجرُّ بالعنف، وتغيير (الحَكَم) قد ذُكِرَ سببُه في تغيير أبي الحَكَمِ إلى أبي شُرَيح.

وتغيير اسم مَنْ يسمَّى بـ (غُراب)؛ لأنه لا يليقُ بعزَّةِ الإنسان أن يشارك طيراً، أو لأنه مشتقٌّ من الغروب، والغروب غير مستحسَن في التفاؤل.

و(الحُبَاب): اسمُ شيطانٍ، و(الشِّهَاب): قطعةُ نارٍ.

* * *

٣٧١٢ ـ وعَنْ أَبي مَسْعُودٍ الأنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ في: زَعموا: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ!».

قوله في: زعموا «بئس مطيةُ الرَّجُل»، (الزَّعْمُ): الادِّعاء، (المطيَّة): المركوبة، كانت عادة جماعةٍ من الناس أنهم إذا تكلَّموا بكلامٍ سمعوه من غيرهم،

ولم يعلموا صِحَّتَه، يقولون: زعموا أن القضية كيت وكيت، أو زعم فلانٌ أنه سمع كذا، أو رأى كذا، وما أشبهَ ذلك، فنهاهم النبي ﷺ أن يتكلَّموا بكلامٍ لم يَعْلَمُوا صِحَّتَه.

سُمِّيَ التكلُّم بـ (زعَمُوا) مطيةً؛ لأن الرجلَ يتوصَّلَ بهذا الكلام إلى مقصوده من إثبات شيء، كما أنَّ الرجلَ يتوصَّلُ إلى بلدٍ بواسطة مطيتهِ.

* * *

٣٧١٣ ـ وعَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ الله وشَاءَ فُلاَنٌ، وَقُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ».

قوله: «لا تقولوا: ما شـــاء الله وشـــاء فلان»، وعلةُ النهي عن هذا الكلامِ أنه يلزم من هذا الكلامِ الاشتراكُ بين الله وبين العباد في المشيئة؛ لأن الواوَ للجَمْعِ والاشتراك، ويجوزُ: ثم شاء الله؛ لأن (ثُمَّ) للتراخي؛ يعني: شاء الله، ثم بعد مشيئةِ الله يشاءُ فلانٌ.

* * *

٩ ـ بابُ
البَيانِ والشِّعرِ

(باب البيان والشعر)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧١٩ ـ عَنِ ابن عُمرَ رضي الله عنه قَال: قَدِمَ رَجُلانِ مِنَ المَشْرِقِ فخطَبا فعَجِبَ النَّاسُ لِبيَانِهِما، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْراً».

قوله: «إن من البيان لسحراً»، (البيانُ): الفصاحة، و(السحرُ): صَرْفُ

الشيء من جهةٍ إلى جهة، أو حالٍ إلى حال.

و(السحرُ): فعلُ الشيءِ يخيِّلُ للناظر أنه قد فعلَ الشيء الفلانيَّ وما فعلَه، ويخيِّلُ إليه أنه قتلَ فلاناً وما قتلَه، وما أشبهَ ذلك.

يعني: قد يزينُ الرجلُ كلامَه بأنواعِ البلاغةِ بحيثُ يحسبُه المستمعُ حقاً وصدقاً، ولم يكنْ كذلك، كما أنَّ الساحرَ يغيرُ الأشياءَ في نظر الناظر، ولم تكنْ في الحقيقة مغيَّرَةً؛ يعني: كما أنَّ السِّحْرَ حرامٌ، فكذلك تزيينُ الكلام حرامٌ.

* * *

٣٧٢٠ - وقَالَ: «إنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكْمَةً».

قوله: «إن مِنَ الشِّعْر لحكمةً»، الشِّعْرُ المَذْمُومُ هو الذي فيه كلامٌ قبيح، فأما الشعر الذي هو موعظةٌ وثناءٌ على الله وعلى رسوله، والنصيحةُ للمسلمين، وتحبيبُ الآخرة في قلوب المسلمين، وإهانةُ الدنيا في نظرهم، وما أشبهَ ذلك = فهو محمود.

و(مِن) في هذين الحديثين: للتبعيض.

روى هذا الحديثَ أُبَيُّ بن كعب.

* * *

٣٧٢١ - وقَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»، قَالَهَا ثَلاثاً.

قوله: «هلكَ المُتَنَطِّعُون»، (المُتنطِّعُ): الذي يُوْقِعُ الكلامَ في نِطْعِ الفَم، وهو الغار الأعلى من الطبقةِ العُلْيا إلى أقصى الفم؛ يعني: لمن صوتُه من قَعْرِ حَلْقه، ويردِّدُه في فمه من الرُّعونة، وإنما هلكَ المتنطِّعُ؛ أي: فات عنه الثوابُ؛

لأنه يتكلَّمُ رياءً وفخراً، وإظهاراً لفصاحته، وفضلِهِ على غيره، ومَنْ كانت هذه صفتُه لا يكونُ له إخلاصٌ.

روى هذا الحديثَ ابن مسعود.

* * *

٣٧٢٢ ـ وقَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبيدٍ:

أَلا كُــلُّ شَــيءٍ مَــا خَــلا الله باطِــلٌ».

قوله: «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطِلٌ»؛ يعني: ما سوى الله، وسوى ما يتعلَّقُ برضا الله، وما سوى أسمائه وصفاته وأوامرِه ونواهيه ما سوى هذه الأشياء باطلٌ.

قوله: «وكلُّ نعيمٍ لا محالَةَ زائلٌ»، (لا محالة)؛ أي: البتَّةَ؛ يعني: كلُّ نعيمِ الدنيا زائلٌ إلا نعيمَ الآخرة، فإنه لا يزول.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٢٣ ـ وعَن عَمرِو بن الشَّرِيدِ، عَنْ أبيهِ، قال: رَدِفْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلتِ شَيءٌ؟» قُلتُ: نَعَم، قَال: «هِيْهِ»، فأنشدْتُه بَيْتاً، فَقَال: «هيهِ»، ثُمَّ أنشدْتُهُ بيتاً، فَقَالَ: «هِيْهِ»، حتى أنشدتُه مئةَ بيْتٍ.

قوله: «هِيْهِ»، أصلُه (إيْهِ) بالهمزة، فقُلِبت الهمزة هاءً كما يقال: هَرَاق وأَرَاق: إذا صب الماء، ولفظُ (إيه) إذا كان بسكون الهاء أو بكسرها وتنوينها، معناها: زِدْ، وإن كان بفتح الهاء وتنوينها معناها: اكفف؛ أي: امنَعْ واتركْ.

هذا الحديثُ يدلُّ على استحسان قراءة شعر فيه حكمةٌ وموعظة.

* * *

٣٧٢٤ ـ وعَنْ جُنْدَبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيَتْ إِصبَعُه فَقَال:

«هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ»

قوله: «في بعض المشاهد»؛ أي: في بعض الغزوات.

«وقد دَمِيَتْ»، الواو للحال، (دَمِيَتْ)؛ أي: تجرَّحَتْ.

فإن قيلَ: لم يَجُزْ للنبيِّ ﷺ إنشاءُ الشعر، فكيف أنشأَ هذا البيتَ؟

قلنا: اختلف العلماء في أنه ﷺ هل كانَ يُحْسِنُ الشعرَ أم لا؟

فقال بعضهم: يحسنُ الشعر ولكن لا يقولُه، كي لا يقولَ الكفار: إنه شاعر.

وقال بعضهم: إنه ﷺ لا يحسِنُ الشعرَ وهو الأصحُّ، فقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وأما إنشاؤه هذا الشعرَ وأشباهَه: فإن هذا رَجَزٌ، والرَّجَزُ ليس من الشعر في قول، وفي قول الرَّجَزُ شعرٌ، ولكن قال النبي ﷺ: **«هل أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيتِ»** بكسر التاء، وكذلك: **«ما لَقِيْتِ»** بكسر التاء من غير مدِّها؛ ليخرجَ من نَظْم الشعر، ولم يقصِدْ بتكلُّمه ﷺ بهذا أو أشباهه الشعرَ، ولكن خرَج من عامَّةِ فصاحته على نَظْمِ الشعر من غير قصدِهِ الشِّعْرَ.

* * *

٣٧٢٥ ـ وعَنِ البَراءِ بن عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ يومَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانَ بن ثابتٍ: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ».

قوله: «اهْجُ المشركين»؛ أي: اذكر عيوبَهم ومساوِئهم وقِلَّةِ عقولِهم في عبادتهم للأصنام. وهجوُ الكفار جائزٌ.

* * *

٣٧٢٦ ـ وكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقُولُ لِحَسَّانَ: «أَجِبْ عنِّي، اللهمَّ! أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ».

«أَجِبْ عني»؛ أي: اهْجُهم، فإني لا أُحْسِنُ الشعرَ حتى أهجوَهم.

* * *

٣٧٢٧ ـ وعَنْ عَائِشةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشاً، فإنَّهُ أَشَدُّ عَلَيهِم مِن رَشْقِ النَّبلِ».

وقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ لِحَسَّانَ: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤَيِّدُكَ ما نافَحْتَ عَنِ الله ورَسُولِه».

وقالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقولُ: «هَجاهُم حَسَّانُ فَشَفَى واشْتَفَى».

قوله: «من رَشْق النَّبْل»؛ أي: من رمي النبل.

قوله: «إن رُوح القُدُس»؛ أي: إن جبريل عليه السَّلام «لا يزالُ»؛ أي: أبداً، «يؤيدك»؛ أي: يقوِّيكَ ويعينك «ما نافَحْتَ»؛ أي: ما دُمْتَ تدفعُ المشركين عن عباد الله ورسوله بأن تهجوَهم وتذكر مساوئهم.

قوله: «فشفى»؛ أي: شَفَى المسلمين، «واشتفى»؛ أي: وجدَ هو الشفاءَ بأن هجا المشركين.

* * *

٣٧٢٨ ـ عَنِ البَراءِ قَال: كانَ رَسُولُ الله ﷺ ينقُلُ التُّرابَ يومَ الخَنْدَقِ حتَّى اغبَرَّ بطْنُهُ ويَقُولُ:

«والله لـــولا الله مـــا اهتـــدَيْنَا ولا تـــصَدَّقْنَا ولا صَـــلَّيْنَا

فـــأَنْزِلَنْ سَـــكِينَةً عَلَيْنَـــا وَثَبِّـــت الأَقْـــدَامَ إِنْ لاَقَيْنَـــا

إنَّ الأُلَـــى قَـــدْ بَغَـــوْا عَلَيْنَـــا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَـــةً أَبَيْنَـــا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَه: أَبَيْنا، أَبَيْنا».

قوله: «ينقُلُ الترابَ يومَ الخندقِ»، يوم اتفق قبائلُ العربِ على محاربة النبي ﷺ، وجاؤوا حتى نزَلُوا حولَ المدينة ليحارِبُوا، فقيل للنبي: طريقُ دَفْعِهِم بأن يحفِرُوا حولَ المدينة خندقاً كي لا يقدِرُوا أن يتجاوزوا الخندقَ، فلا يَصِلُون إلينا، فإنهم أكثرُ من أن نقْدِرَ على مقاومتهم، فاشتغلَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه بحفْرِ الخندقِ حتى فاتت عنهم صلاةُ العَصْرِ، فأرسلَ الله على الكُفَّارِ ريحاً شديداً، وهي ريح الصَّبا، فقلَعَتْ خيامَهم، وكسرتْ قدورَهم، ورمتِ الترابَ على وجوههم، وأُلْقِيَ في قلوبهم الخوفُ فهربوا، وسَلَّمَ الله نبيَّه والمؤمنين من شرِّ الكفار.

قوله: «حتى اغبرَّ بطنُه»؛ أي: حتى صار ذا غبار؛ أي: وقعَ عليه الغبارُ حتى سَتَرَ الغبارُ لونَ بشرته.

«لولا الله»؛ أي: لولا فضلُ الله علينا بأن هدانا إلى الإسلام.

«إن لاقينا»؛ يعني: إن لاقينا الكفارَ ثَبِّتْنا على محاربتهم.

«إن الأُولَى»؛ أي: إن هؤلاءِ الكُفَّار.

«بَغَوا»، أصلُه: بَغَيُوا، فقُلِبت الياءُ ألفاً، وحُذفت لسكونها وسكون الواو، ومعناه: ظلموا.

«إذا أرادوا فِتنةً أَبَيْنا»؛ يعني: إذا أرادُوا أن يُوقِعُونا في الكفر والضلالة امتنعنا عن قَبُوله.

* * *

٣٧٢٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ المُهاجِرُونَ والأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ وينقُلُونَ التُّرابَ وهُمْ يَقُولُونَ:

نَحْــنُ الَّــذِينَ بــايَعُوا مُحَمَّــداً   علــى الجِهَــادِ مــا بَقِيْنــا أَبَــداً

ويَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ وهوَ يُجِيبُهُم:

«اللهــمَّ! لا عَــيْشَ إلا عَــيْشُ الآخِــرهْ   فــاغْفِرْ للأَنْــصَارِ والمُهَــاجِره»

قوله: «والمهاجرة»، التاء هنا للجَمْع، يريد المهاجرين.

* * *

٣٧٣٠ ـ وقَال رَسُول الله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً يَرِيهِ خَيْرٌ مِن أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً».

قوله: «لأَنْ يمتليءَ جوفُ رجلٍ قَيْحاً يَرِيهِ»، و(يَري): إذا ثقب القَيْحُ باطنَ الجرح ووسّعَه، والمراد بالشِّعْرِ هنا: شِعْرٌ به هَجْوٌ لمسلم، أو كذبٌ، أو غيرُهما من المنهيّات.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٣١ ـ عَنْ كَعْبِ بن مَالِكٍ ﷺ: أنَّه قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ الله تعالى قَدْ أَنْزَلَ في الشِّعرِ مَا أَنْزَلَ، فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ المُؤْمِنَ يُجاهِدُ بسيفِه ولِسانِه، والذي نفسي بيدِه، لَكَأَنَّما ترمُونَهم بِهِ نَضْحُ النَّبلِ».

قوله: «إن الله تعالى قد أنزلَ في الشِّعْر ما أنزلَ»، يريد كعب بن مالك

بهذا الكلام: أن الله ذمَّ الشاعرين بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤]، فهل يجوزُ لنا أن نقول الشعرَ في هجو الكفار أم لا؟

فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»، يعني: هَجْوُ المؤمنِ الكفَّارَ جهادُهُ وكأنما ترمونهم به.

«نَضْحِ النَّبْلِ»، يعني: إذا هجوتم الكفارَ يشقُّ عليهم هَجْوُكم كما يشقُّ عليهم رَمْيُكم إياهم بالنَّبْل.

(النَّضْحُ): الرميُ، تقدير هذا الكلام: لكأنَّما ترمونهم به؛ أي: بالهَجْوِ نَضْحاً مثلَ نَضْحِ النَّبْلِ؛ أي: رمياً مثلَ رَمْيِ النَّبْلِ.

* * *

٣٧٣٢ - عن أَبي أُمامَةَ ﷺ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الحَيَاءُ والعِيُّ شُعبَتانِ مِن الإيْمانِ، والبَذَاءُ والبَيَانُ شُعبَتانِ مِن النِّفاقِ».

قوله: «الحياءُ والعِيُّ شعبتان من الإيمان، والبَذَاءُ والبَيَانُ شعبتان من النفاق».

(العِيُّ): التحيُّر والاحتباسُ في الكلام، وأراد بالعِيِّ هنا: السكوتَ عما فيه إثمٌ من الكلام والشعر، و(البَذَاءُ) خلافُ (الحياء)، و(البيانُ): الفصاحة، أراد بالبيان هنا: ما فيه إثمٌ من الفصاحة، كهَجْوِ أحدٍ أو مَدْحِهِ بما لا يليقُ بالبشر.

* * *

٣٧٣٣ - عَنْ أَبي ثَعلبَةَ الخُشَنيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ أَحَبَّكم إليَّ وأَقْرَبَكم مِنِّي يَوْمَ القِيامةِ أحاسِنُكُم أَخلاَقاً، وإنَّ أَبْغَضَكُم إليَّ وأَبْعَدَكم مِنِّي مَسَاوِئُكم أخلاقاً، الثَّرثَارُونَ المُتشدِّقُونَ المُتَفَيْهِقُونَ».

قوله: «أحاسنكم»، جمع الأَحْسَن، قوله: (المساوئ): جمع سُوْء،

وهو ضد الحُسْن، وهذا جمعٌ نادرٌ كالمَحَاسن جمع الحَسَن.

«الثَّرْثَارون»: يعني: المُكْثِرُون الكلامَ من غير فائدة دينية.

«المتشدِّقُ»: المستهزئُ بالناس الذي يَلْوِي شِدْقَه ـ أي: جانب فمه ـ استهزاءً بالناس.

«المُتَفَيْهِق»: الواسعُ الكلامِ من غاية التكلُّف والرعونة، يتوسَّعُ في الكلام ولا يبالي أخيرٌ يقول أم شرٌ؟

وقيل: (المُتَفَيْهِقُ): المتكبر.

وقد جاء في «الصحاح»: أن النبيَّ ﷺ لمَّا تحدَّثَ بهذا الحديث قال الحاضرون من الصحابة: عَلِمْنا الثَّرْثَارين والمُتَشَدِّقين، فما المُتَفَيْهِقُ؟ فقال النبي ﷺ: «هو المُتَكَبر».

* * *

٣٧٣٤ ـ عَنْ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يخرُجَ قَوْمٌ يأكُلُونَ بألسِنَتِهِم كَمَا تأكُلُ البَقَرُ بألسِنَتِها».

قوله: «كما تأكلُ البقرة»؛ يعني: كما أنَّ البقرةَ تأكل الحشيشَ من كلِّ نوعٍ، ولا تُمَيِّزُ بين النافعِ والضَّارِّ، فكذلك هؤلاء لا يُبالُون بما يقولون من كلامهم، ويقرؤون من شعرهم أنه حسنٌ أم قبيحٌ؟ فيه ثوابٌ أم إثمٌ؟

* * *

٣٧٣٥ ـ عَنْ عَبدِالله بن عَمرٍو: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: «إنَّ الله يُبغِضُ البَليغَ مِن الرِّجالِ، الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَاقِرَةُ بِلِسانِها»، غريب.

قوله: «البَلِيغ»؛ أي: الفصيح.

«الذي يتخلَّلُ»؛ أي: يأكل.

«الباقرة»، بمعنى البقرة، ومعنى هذا الحديث كمعنى الحديث المتقدِّم.

* * *

٣٧٣٦ ـ عَنْ أنسٍ ﷺ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسرِيَ بي بِقَومٍ تُقْرَضُ شِفاهُهم بمقاريضَ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: يا جبريلُ! مَن هَؤُلاءِ؟ قال: هَؤُلاءِ خُطباءُ أُمَّتِكَ الَّذينَ يقولونَ ما لا يعلَمونَ»، غريب.

قوله: «ليلةَ أُسْرِيَ»؛ أي: ليلة المعراج.

«تقرضُ»؛ أي: تَقْطَعُ «شِفَاهَهم»، (الشِّفاهُ): جمع الشَّفَة.

«بمقاريضَ»، هي جمعُ المِقْرَاض، وهو ما يُقْطَعُ به الظُّفرُ والشَّعْر وغيرهما، والمراد بهذا: القومُ الذين يأمُرون الناس بالبِرِّ، ويَفْعَلُون خلافَ ما يقولون.

* * *

٣٧٣٧ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «مَن تَعَلَّم صَرْفَ الكَلامِ لِيَسبيَ به قُلوبَ الرِّجَالِ ـ أَو: النَّاس ـ لَمْ يقبلِ الله مَنْهُ يومَ القِيامةِ صَرْفاً ولا عَدْلاً».

قوله: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الكلام»؛ أي: مَنْ تَعلَّمَ الفصاحةَ وأنواعَ البلاغةِ من الشعرِ وغيرِه من العلومِ، لا لله، بل «لِيَسْبِيَ به»؛ أي: ليجعلَ قلوبَ الناسِ إليه مائلةً ومُريدةً له.

«لم يقبلِ الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عَدْلاً»، (الصَّرْفُ): الحيلة، و(العَدْلُ): الفِداء.

وقيل: (الصَّرْفُ): الفريضة، و(العَدْلُ): النافلة، وقيل: (الصَّرْفُ): التوبة،

و(العَدْلُ): الفِرْيَة.

* * *

٣٧٣٨ ـ عَنْ عَمرِو بن العَاصِي: أنَّهُ قَال يَوْماً ـ وقَامَ رَجُلٌ فأكثرَ القَوْلَ ـ قَالَ عمرٌو: لو قَصَدَ في قولِهِ لَكَانَ خَيْراً لهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَقَدْ رَأَيتُ ـ أو: أُمِرتُ ـ أنْ أتجوَّزَ في القَولِ، فإنَّ الجَوازَ هُوَ خيرٌ».

قوله: «لو قَصَدَ في قوله»؛ يعني: لو قال كلاماً غير مُطَوَّل.

«أن أتَجَــوَّزَ»؛ يعني: أن أقْتَصِــرَ؛ يعني: أنْ أقولَ كلاماً قليلَ الألفاظ كثيرَ المعاني.

«فإن الجَوَازَ»؛ أي: فإن الاقتصارَ.

* * *

٣٧٣٩ ـ عن صَخْرِ بن عبدِالله بن بُرَيْدَةَ، عَنْ أبيْهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ مِن البَيَانِ سِحْراً، وإنَّ مِن العِلْمِ جَهْلاً، وإنَّ مِن الشِّعرِ حُكْمَاً، وإنَّ مِنَ القَولِ عِيَالاً».

قوله: «وإنَّ من العِلْم جهلاً»؛ يعني: قد يكون من العلوم ما يكونُ كالجَهْلِ، بل الجهلُ خيرٌ منه؛ لكونه عِلْماً مذموماً.

«وإن من القول عيالاً»؛ يعني: قد يكونُ من أقــوالِ الرجــالِ ما يكونُ عليه منه إثمٌ؛ لكونه من مناهِي الشرع، وباقي هذا الحديثِ قد ذُكِرَ في أول هذا الباب.

* * *

١٠ - باب
حفظ اللسان والغيبة والشتم

(باب حفظ اللسان من الغيبة والشتم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٤٠ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خَيْراً، أو لِيَسْكُتْ».

قوله: «فليقُلْ خيراً أو ليسكُتْ»؛ يعني: إن تكلَّمَ فليتكلَّمْ بما له منه ثوابٌ، وإنْ لم يتكلَّمْ خيراً فليَسْكُتْ؛ لأنَّ السكوت خيرٌ من كلامٍ فيه إثمٌ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٤١ - وقَالَ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ومَا بينَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».

قوله: «من يَضْمَنْ لي ما بين لَحْييه وما بين رِجْلَيه أَضْمَنْ له الجنة»، (لحييه): أصلُه: (لَحْيينِه) فسقطت النونُ للإضافة، وهي تثنيةُ لَحْيٍ.

واللَّحْيُ - بفتح اللام -: العَظْمُ الذي نبتَ عليه الأسنانُ من السُّفْلِ والعُلُوِّ؛ يعني: مَن حَفِظَ لسانَه وفَرْجَه فأنا ضامنٌ له الجنَّةَ.

روى هذا الحديثَ سهلُ بن سَعْدٍ.

* * *

٣٧٤٢ - وقَالَ ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن رِضْوانِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا

بَالاً يَرْفعُهُ الله بِها دَرَجَاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتكلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخَطِ الله لا يُلقِي لَهَا بالاً يَهوِي بِهَا في جَهَنَّم».

ويُروى: «يَهْوِي بِهَا في النَّارِ أَبْعدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ».

قوله: «لا يُلقِي بها بالاً»، (لا يُلقِي)؛ أي: لا يَرى، (بها)؛ أي: بتلك الكلمة، (بالاً)؛ أي: بأساً، هذا لغتهُ، ومعناه: إنه ليتكلَّمُ بكلمةٍ حقٍّ وخيرٍ لا يعرفُ قَدْرَه؛ يعني: يظنُّها قليلاً، وهو عند الله عظيمُ القَدْر، فيحصلُ بها رضوانُ الله.

وكذلك ربما يتكلَّمُ بشرٍّ وهو لا يظنه ذنباً، وهو عند الله ذنبٌ عظيم، فيحصُلُ له سُخْطُ الله؛ يعني: لا يجوزُ أن يظنَّ الخيرَ حقيراً، بل ليعملِ الرجلُ بكلِّ خيرٍ، وليتكلَّمْ كلَّ خيرٍ.

وكذلك لا يجوزُ أن يَعُدَّ الشرَّ حقيراً، بل ليتركِ الرجلُ كلَّ شَرٍّ كي لا يصدُرَ منه شرٌّ، فيحصل له به سُخْطُ الله.

«يهوي»؛ أي: يَسْقُطُ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٤٣ ـ وقَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتَالُه كُفْرٌ».

قوله: «سِبابُ المسلم»؛ أي: شَتْمُ المُسْلِم.

«وقتالُه»؛ أي: مجادلَتُه ومحاربتُه بالباطل.

«كُفْرٌ»، وذِكْرُ الكفرِ هنا تهديدٌ ووعيدٌ إن اعتقدَ قتالَ المُسْلِمِ حراماً، وإن اعتقدَه حلالاً فقد كَفَر.

روى هذا الحديثَ عبدُالله بن مسعود.

* * *

٣٧٤٤ ـ وقَالَ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: كَافِرٌ، فَقَدْ باءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

قوله: «أيُّما رجلٍ قالَ لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدُهما»؛ أي: رَجَعَ، «بها»؛ أي: بتلك الكلمة؛ يعني: إذا قال زيد مثلاً لعمرو: يا كافر، أو أنت كافرٌ فقد باءَ بالكفر أحدُهما؛ يعني: إن كان عمرٌو كافراً فقد صدقَ زيدٌ فيما قال، وإلا صارَ زيدٌ كافراً إن اعتقدَ كونَ عمرٍو كافراً بسبب حصولِ ذنبٍ منه، لأن المسلمَ لا يصيرُ بالذنب كافراً ومن اعتقد صيرورةَ مسلمٍ بذنْبٍ كافراً فقد اعتقدَ تحريمَ حلالٍ، ومن اعتقد تحريمَ حلالٍ فقد كفَرَ.

روى هذا الحديث ابن عمر.

* * *

٣٧٤٥ ـ وقَالَ ﷺ: «لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بالفُسُوقِ، ولا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ، إلاَّ ارتَدَّتْ عَلَيْه إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلَك».

قوله: «إلا ارتدَّتْ عليه»؛ أي: إلا ارتدَّتْ تلكَ الكلمةُ إلى قائلها، إن كانتْ تلك الكلمةُ فِسْقاً صار قائلُها فاسقاً، وإن كانت كفراً صار كافراً، إنْ لم يكنِ المَقولُ له فاسقاً وكافراً.

وتأويل هذا الحديث ما ذُكِرَ قُبيل هذا.

روى هذا الحديثَ أبو ذَرٍّ.

* * *

٣٧٤٧ ـ وقَالَ: «المُسْتَبَّانِ مَا قَالا، فعلى البَادِئ مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ».

قوله: «المستَبَّانِ»؛ أي: اللَّذان يشْتُمُ كلٌّ واحد منهما صاحبَه.

قوله: «ما قالا، فعلى البادئ»؛ يعني: إثمُ ما قالا يحصلُ للبادئ أكثرَ مما

يحصلُ للمظلومِ؛ لأنه كان سبباً لتلك المُخَاصَمة؛ لأنه مَن سَنَّ سنةً سيئةً فله وِزْرُها ووِزْرُ من عَمِلَ بها من غير أن يَنْقُصَ مِن أوزارِهم شيءٌ.

قوله: «ما لم يَعْتَدِ المظلومُ»؛ يعني: إنما يكونُ وِزْرُ البادئ أكثرَ إذا لم يتجاوزِ المظلومُ حَدَّه، فإن تجاوزَ؛ أي: أكثرَ المظلومُ شَتْمَ البادي وإيذاءَه صار إثمُ المظلومِ أكثرَ من إثمِ البادئ.

روى هذا الحديثَ والذي بعدَه أبو هريرة.

* * *

٣٧٤٩ ـ وقَالَ: «إنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ ولاَ شُفَعَاءَ يومَ القِيَامةِ».

وله: «إن اللَّعَّانِينَ لا يكونون شهداءَ ولا شُفَعاءَ»؛ يعني: مَنْ يَلْعَنُ الناسَ في الدُّنْيا فهو فاسقٌ، والفاسقُ لا تُقبَلُ شهادتُه وشفاعتُه يومَ القيامة؛ يعني: تُكَذِّبُ الأممُ الماضيةُ أنبياءَهم ويقولون: ما بَلَّغُوا رسالَتك يا ربنا، فيقول الله للأنبياء: هل لكم شاهدٌ على أنْ بلَّغتُم رسالتي؟ فيقول الأنبياء: أمةُ محمدٍ ﷺ شهداؤنا، فيُجاءُ بأمة محمد ﷺ، فيشهدُون أن الأنبياء بَلَّغُوا رسالةَ الله أمتهم.

والمراد بهذا الحديث: أن اللَّعَّانينَ ليس لهم منزلةٌ عند الله تعالى حتى تُقبلَ شهادتُهم في جملة مَن يَشْهدُ للأنبياء.

روى هذا الحديثَ أبو الدرداء.

* * *

٣٧٥٠ ـ وقَالَ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُم».

قوله: «إذا قالَ الرجلُ هلكَ الناسُ فهو أَهْلَكُهُم»، (أَهْلَكُهُم): أفعل التفضيل؛ يعني: مَنْ عابَ الناسَ وقال: فَسدَ الناس، أو فَسَقُوا، أو هَلَكوا، وما

أشبهَ ذلك، فقد حصلَ ذلك العيبُ له أكثرَ مما حصلَ لهم؛ لأن الغِيبةَ وإيذاءَ الناسِ أشدُّ من ذنبٍ لا يتعلَّقُ بحقوق الآدميين.

ويُرْوى: (فهو أهلَكَهم) ـ بفتح الكاف ـ على أنه فِعْلٌ ماضٍ، قيل: معناه: أنَّ مَنْ جَعَلَ المسلمينَ قانِطين من رحمةِ الله فقد جعلَهم كافِرين خالدين في النار، فإذا كان فهو الذي جَعلَهم كافرين فقد أهلَكَهم.

وقال مالك: إذا قال أحد: فسدَ الناس حزناً وتأسُّفاً لما يَرى في الناس؛ يعني: في أمرِ دينهم، فلا أرى به بأساً. وإذا قال ذلك عُجْباً بنفسه وتَصاغُراً للناس، فهو المَكْرُوه الذي نَهى عنه.

روى هذا الحديثَ والذي بَعْدَه: أبو هريرة.

* * *

٣٧٥٢ ـ وقال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ».

ويروى: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ».

قوله: «لا يدخلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»، (القَتَّاتُ): النَّمَّامُ.

روى هذا الحديثَ حُذَيفةُ.

* * *

٣٧٥٣ ـ وقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهدِي إلَى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلَى الجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً، وإيَّاكُمْ والكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلَى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويتحرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِندَ الله كَذَّاباً».

وفي رِوَايَةٍ: «إنَّ الصِّدقَ بِرٌّ، وإنَّ البِـرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وإنَّ الكَذِبَ فُجُورٌ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ».

قوله: «عليكم بالصِّدْقِ»؛ يعني: الزموا الصِّدْقَ.

«يَهْدِي»؛ أي: يَدُلُّ ويحصل.

«ويتحرَّى»؛ أي: ويطلبُ ويجتهدُ في الطلب.

روى هذا الحديث ابن مسعود.

* * *

٣٧٥٤ ـ وقَالَ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، ويَقُولُ خَيْرًا، ويَنْمِي خَيْرًا».

قوله: «ليس الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين الناس»؛ يعني: مَنْ كذبَ لأجل أن يُصْلِحَ بين عَدُوَّين لم يكنْ عليه بذلك الكذبِ إثمٌ، بل ثبتَ له فيه أجرٌ.

مثاله: أراد زيدٌ أن يُصْلِحَ بين عمروٍ وبَكْرٍ، يجيء زيدٌ إلى عمر ويقول: يسلِّمُ عليك بَكْرٌ ويمدحك، ويقول: أنا مُحِبُّه، وهكذا يجيءُ إلى بَكْرٍ ويبلِّغُه من عمروٍ السلامَ، فلا إثمَ على زيدٍ فيما يقول بين عمرو وبَكْرٍ مع أنه يسمَعُ مِنْ كلِّ واحدٍ منهما شَتْمَ الآخر.

نَمَى يَنْمِي نميًا: إذا بَلَّغَ أحدٌ حديثَ أحدٍ على وجهِ الإصلاح، ونَمَّى تنميةً: إذا بلَّغه على وجه الإفساد.

روى هذا الحديثَ أمُّ كلثوم بنت عقبة.

* * *

٣٧٥٥ ـ وقَالَ: «إذَا رَأَيْتُم المَدَّاحينَ فاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرابَ».

قوله: «إذا رأيتم المَدَّاحِين فاحثُوا في وجوههم الترابَ»، (الحَثْوُ) في التراب بمنزلة الصَّبِّ في الماء؛ يعني: إذا رأيتم مَن يمدحُكم اجعلوهم محرومين عن العطاء، وامنعُوهم عن المدح، فإنْ مَن مَدَحَ أحداً فهو عَدُوُّه؛ لأنه يجعلُه مغروراً متكبراً، ومن جعلَ أحداً مغروراً متكبراً فلا يستحقُّ الإعزاز.

وقيل: معنى هذا الحديث الأمرُ بدفع المالِ إليهم؛ يعني: المالُ حقيرٌ كالتراب، فاقطَعُوا به ألسنةَ المَدَّاحين كي لا يهجُوكم ويذمُّوكم إن لم تُعطُوهم.

روى هذا الحديثَ مقدادُ بن الأسود.

* * *

٣٧٥٦ ـ وعَنْ أَبي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: أَثْنى رَجُلٌ على رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ ـ ثلاثاً ـ مَنْ كَانَ مِنْكُم مَادِحاً لا مَحالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاناً والله حَسِيبُه، إنْ كَانَ يَرى أنَّهُ كَذَلِكَ، ولاَ يُزَكِّي على الله أَحَداً».

قوله: «أحسبُ فلاناً»؛ يعني: لا يقلْ جَزْماً: إنَّ فلاناً رجلٌ صالح، بل ليقلْ: أحسَبُه؛ أي: أظنُّه صالحاً، وإنما نهاهم عن أن يمدَحُوا أحداً كيلا يغترَّ الممدوحُ فيصيرَ متكبراً، وحينئذٍ يرى نفسَه أفضلَ من غيره، والله تعالى يغضَبُ على مَن هذه صفتُه.

قوله: «والله حسيبُه»؛ أي: محاسِبُه؛ أي: حسابُ كلِّ شخصٍ إلى الله تعالى يعلمُ كونَه صالحاً أو غيرَه، فإذا كان الله عالماً بجميعِ الأشياء، فلا يحتاجُ إلى أن يُزَكِّيَ عندَه أحدٌ أحداً.

* * *

٣٧٥٧ ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُوْنَ مَا

الغِيبَةُ؟» قَالُوا: الله ورَسولُهُ أَعلَمُ، قَال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرأَيْتَ إنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَال: إنْ كَانَ فيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغتبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

ويُرْوَى: «إذَا قُلْتَ لأَخيْكَ مَا فيهِ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وإذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

قوله: «بَهَتَّه»، أصله: بَهَتْتَه؛ أي: قلتَ فيه بُهْتاناً؛ أي: كذباً عظيماً.

* * *

٣٧٥٨ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْها: أَنَّ رَجُلاً اسْتَأذَنَ على النَّبيِّ ﷺ فَقَال: «ائْذَنُوا لَهُ، فبِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ هُوَ»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبيُّ ﷺ في وَجْهِهِ، وانْبَسَطَ إليْهِ، فلمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: يَا رَسُولَ الله! قُلْتَ لهُ: كَذا وكَذا، ثُمَّ تَطلَّقتَ في وجْهِهِ، وانبَسَطْتَ إليه! فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَتَى عَهِدْتِني فَحَّاشاً؟ إنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلةً يومَ القِيامةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتقاءَ شَرِّه».

ويُرْوَى: «اتِّقاءَ فُحْشِهِ».

قوله: «أخو العشيرة»، العشيرةُ: القبيلة؛ أي: بئس هو في قومه.

«تَطَلَّقَ»؛ أي: أظهرَ عن نفسه البشاشةَ والفرحَ في وجهه.

«وانبسطَ إليه»: أي: تقرَّبَ منه وجعلَه قريباً من نفسه، وتبسَّمَ في وجهه.

«متى عاهدتني»؛ أي: متى رأيتَني.

«فحَّاشاً»؛ أي: سَبَّاباً؛ يعني: هو رجل سَوْء، ولكن لم أؤذِهِ؛ لأن إيذاءَ المسلمين ليس من خُلُقي.

«مَنْ تركَه الناسُ اتقاءَ شرِّه»؛ يعني: تركتُ إيذاءه وتطَلَّقتُ في وجهه كي لا يؤذيَني بلسانه.

و«شر الناس»؛ مَن تواضعَ إليه الناسُ من خوفِ لسانهِ لا لصلاحِه، وهذا الحديث رخصةٌ منه ﷺ في التواضُعِ إلى أحدٍ لدفعِ ضررِه عن نفسه.

* * *

٣٧٥٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، فإنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصبحُ وقد سَتَرَهُ الله فَيَقُولَ: يَا فُلانُ! عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وكَذَا، وقد بَاتَ يَسْتُرُه رَبُّه، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ».

قوله: «**كلُّ أمتي معافًى إلا المجاهِرُون**»، (معافًى) يشتركُ فيه المصدَرُ والزَّمان والمكانُ، مِن (عافَى): إذا أعطى الله أحداً العافية، والعافيةُ: السلامةُ من المكروه.

و(معافًى) هنا منصوبٌ على أنه مفعولٌ مطلق، وتقديرُه: كل أمتي عوفوا مُعافًى؛ أي: رُزِقُوا العافية، (إلا المجاهرون)؛ يعني: الذين يُعلِنُون الذنوبَ ويُظْهِرونها بين الناس. مَن أسرَّ ذنبَه سَلِمَ من ألسنة الناس وأيديهم، لا يعلمون حالَه حتى يغتابوه أو يقيموا عليه الحدود فلما أظهرَ ذنبَه وقعَ في ألسنة الناس وأيديهم.

قوله: «**وإنَّ مِن المَجَانَةِ**»، (المجانة): مثلُ المُجُون، وهو عَدَمُ المبالاة بالقول والفِعْل؛ يعني: من أظهرَ ذنبَه بين الناسِ فهو الذي لا يبالي بأن يغتابَه الناسُ ويذمُّوه وينسبُوه إلى الفاحشة، وهذا غير مَرْضِيٌّ عند الله وعند الناس.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٦٠ ـ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن تَرَكَ الكَذِبَ وهُوَ بَاطِلٌ بنِيَ لَهُ في رَبَضِ

الجَنَّةِ، ومَن تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ بنِيَ لَهُ في وَسَطِ الجنَّةِ، ومَن حَسَّنَ خُلُقَه بنِيَ لَهُ في أَعْلاَهَا».

قوله: «من تركَ الكذبَ وهو باطلٌ»، الواو في (وهو) للحال؛ يعني: من تركَ الكذبَ في حالِ كونهِ باطلاً يستحقُّ الأجرَ وإن لم يكنِ الكذبُ كما ذكر في الإصلاح بينَ الخَصْمَين، فالإتيانُ بمثلِ ذلك الكذبِ يوجبُ الأجْرَ، فلا يُستَحبُّ تركُه.

«رَبَضِ الجنـة»، ـ بفتح البـاء ـ: حواليهـا من داخِلها لا مِن خارجها.

«ومن تركَ المِراءَ وهو مُحِقٌّ»، (المِراءُ): المجادلة، و(المُحِقُّ): الصادقُ والمتكلِّمُ بالحق؛ يعني: من ترك المجادلةَ مع أنَّ ما يقولُه حَقٌّ فقد استحقَّ أنْ يَسْكُنَ في وَسَطِ الجَنَّةِ؛ يعني: إذا تكلمتَ بكلامٍ فتكلَّمْ به عن اللُّطْفِ والرِّفْقِ لا عن العنفِ والمجادلة.

روى هذا الحديثَ أنس.

* * *

٣٧٦١ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَدْرُوْنَ مَا أكثرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ تَقْوَى الله وحُسنُ الخُلُقِ، أَتَدْرُوْنَ مَا أكثرُ مَا يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ الأَجْوفانِ: الفَمُ والفَرْجُ».

قوله: «الأَجْوفان»؛ يعني: الفَمُ والفَرْجُ يُوْقِعانِ الناسَ في الإثم؛ لأن الرجلَ ربما لا يَقْنَعُ بقليلٍ من الحلال، ويطلُبُ الكثيرَ من الحرام، وكذلك الفَرْجُ ربما يستعمِلُه الرجلُ في الحَرَامِ، فيدخلُ بسببه النار.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٦٢ ـ وقَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن الخَيْرِ مَا يَعْلمُ مَبْلَغَها، يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا رِضْوانَهُ إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مبلَغَها، يَكْتُبُ الله بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَه إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

قوله: «ما يعلمُ مَبْلَغَها»؛ يعني: لا يعلمُ قَدْرَ تلك الكلمةِ؛ يعني: رُبَّما يتكلَّمُ الرجلُ بكلمةٍ من الخيرِ وهو يظنُّها قليلاً، وهي عظيمٌ عند الله، فيحصُلُ له بها رضوانُ الله إلى يوم يلقاه، وربما يتكلَّمُ بكلمةٍ من الشَّرِّ يظنُّها قليلاً ولا يبالي بها، فيحصُلُ له بها سُخْطُ الله «إلى يوم يلقاه»؛ أي: إلى يوم القيامة.

روى هذا الحديثَ بلالُ بن الحارث المُزَني.

* * *

٣٧٦٣ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ له».

قوله: «ويلٌ لمن يحدِّثُ فيكذِبُ ليُضحِكَ به القومَ، ويلٌ له»، هذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ مَن حدَّث بحديثِ صِدْقٍ في المزاح فَيَضْحَكُ بذلك الحديثِ الحاضرون ليس عليه بأسٌ؛ لأنه قد ذُكِرَ في (باب المصافحة): أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ يُضحِكُ القومَ بحضرة النبي ﷺ.

قوله: (ويلٌ له)؛ أي: الهلاكُ حاصلٌ، وقيل: (الويلُ) اسمُ وادٍ في جهنَّم.

روى هذا الحديثَ معاويةُ بن حَيْدَةَ القُشَيْري.

* * *

٣٧٦٤ ـ وقَالَ: «إنَّ العَبْدَ لَيَقُولُ الكَلِمَةَ لا يَقُولُها إلاَّ لِيُضحِكَ بِهَا النَّاسَ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مَمَّا بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، وإنَّه لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قَدَمِهِ».

قوله: «يَهْوِي»؛ أي: يسقطُ «بها»؛ أي: بسبب تلك الكلمة الكاذبة؛ يعني: يبعُدُ عن الخير والرحمة بسبب تلك الكذبة بُعْداً أبعدَ ما بين السماء والأرض.

«لَيَزِلُّ»؛ أي: لَيَسْقُطُ؛ يعني: السقوطُ عن لسانه أشدُّ من السقوط عن رجلِهِ.

يعني: صدورُ الكذب والفاحشة من لسانِهِ أضرُّ له مما يحصُلُ له من ضررِ سقوطِهِ على وجهه.

روى هذا الحديثَ معاويةُ المذكور.

* * *

٣٧٦٥ ـ وقَالَ: «كَفَى بالْمَرءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ».

قوله: «كفى بالمرء كذباً أن يحدِّثَ بكل ما سمع»؛ يعني: لو لم يكن للرجل كذبٌ سوى أن يتكلَّمَ بكلِّ ما سمعَ لكفاه من الذنب؛ يعني: لا يجوزُ التحدُّثُ بكلِّ ما يسمعُه الرجلُ، بل يجبُ عليه الاحتياطُ في التجسُّس عن حالِ الراوي أنه عَدْلٌ أم لا، كما ذكر في ديباجة هذا الكتاب.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٦٦ ـ وقَالَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

قوله: «من صَمَتَ نجا»؛ يعني: مَن سَكَتَ عن الشَّرِّ فقد خَلُصَ من جَهَنَّم، ومن شَرِّ لسانه، فإن الرجلَ ربما يتكلَّمُ بكلام يلحقُه ضررٌ عظيمٌ في الدنيا والآخرة.

روى هذا الحديثَ عبدالله بن عمرو.

* * *

٣٧٦٧ ـ وقَالَ عُقْبَةُ بن عَامِر: لَقِيتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «املِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

قوله: «أَمْلِكْ عليك لسانك»؛ يعني: احفظْ لسانك عما ليس فيه خيرٌ.

قوله: «وليَسَعْكَ بيتُك»؛ يعني: اسكن في بيتك ولا تخرجْ منه إلا إلى أمرٍ ضروري، ولا تجالسِ الناسَ، فإنَّ في مجالسةِ أكثرِ الناس ضَرَراً.

* * *

٣٧٦٨ ـ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ رَفَعَهُ، قَالَ: «إذَا أَصْبَحَ ابن آدَمَ فإنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ فتَقُولُ: اتَّقِ الله فِيْنَا، فإنَّما نَحْنُ بِكَ، فإنْ استَقَمْتَ استَقَمْنا، وإنْ اعْوَجَجْتَ اعْوجَجْنَا».

قوله: «تُكَفِّرُ اللسانَ»؛ أي: تخضَعُ له.

«فتقولُ»؛ أي: فتقولُ الأعضاءُ لِلِّسان: «اتقِ فينا»؛ أي: اتق الله في حِفْظ حقوقنا.

«فإنَّا نحن بك»؛ أي: فإنَّا نتعلَّقُ بك، فإن كنتَ صالحاً تكون صالحة، وإن كنت فاسداً تكون فاسدة.

«اعوَّج»، ضد استقام.

* * *

٣٧٦٩ ـ وقَالَ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلام المرءِ تَرْكُه مَا لا يَعْنيهِ».

قوله: «من حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنيه»؛ أي: ما لا ضرورةَ له فيه ولا ينفعُه؛ يعني: إسلامُ الرجلِ يحسُنُ ويكمُلُ بأن يتركَ من الأفعالِ والأقوالِ ما لا ينفعُه، ولا ضرورةَ له فيه.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٧٧٠ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ رَجُلٌ: أَبْشِرْ بِالجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَلا تَدْرِي، فلعَلَّه تكلَّمَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، أو بَخِلَ بِمَا لا يُنقِصُهُ».

قوله: «أَبْشِرْ بالجَنَّة»؛ يعني: افرح بحصـــولِ الجَنَّـــةِ لك بأن صَحِبْتَ النبيَّ ﷺ.

«أَوْلا تدري»، بسكون الواو؛ يعني: أتدري أنه من أهلِ الجَنَّةِ؟ أو لا تدري بأيِّ شيءٍ علمتَ أنه مِن أهلِ الجنة؟

«فلعلَّه تكلَّمَ فيما لا يعنيه»؛ أي: تكلَّمَ بكلامٍ يضُرُّه في الآخرة.

«أو بَخِلَ بما لا يَنقُصُه»؛ أي: بالتكلُّمِ في الخيرِ، فإنه لا ينقصُ من لسانه شيءٌ بأن يُعَلِّمَ الناسَ ما يحتاجون إليه، ويُرْشِدَهم وينصحَهم، ويتلطَّفَ بهم باللسان، ويعينَهم بيديه، ويمشيَ برجليه في حاجةٍ لهم.

* * *

٣٧٧٢ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا كَذَبَ العَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ المَلَكُ مِيْلاً مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ».

قوله: «مِيلاً»؛ أي: ثُلُثَ فَرْسَخٍ.

«مِن نَتْنِ»؛ أي: من خُبْثِ «ما جاء به»؛ أي: من الكذب الذي تكلَّم به.

روى هذا الحديثَ ابن عمر.

* * *

٣٧٧٣ - وقَالَ: «كَبُرَتْ خِيَـانةً أنْ تُحَـدِّثَ أخَاكَ حَدِيثاً، هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ».

قوله: «كَبُرَ خيانةً»؛ يعني: إذا تُحَدِّثُ أخاك بحديثِ كذبٍ وهو يظنُّ أنك صادقٌ في كلامك، ويغترُّ بكلامك فهذا خيانةٌ عظيمة.

روى هذا الحديث سفيان بن أُسَيد الحَضْرمي.

* * *

٣٧٧٤ - وقَالَ: «مَن كَانَ ذا وَجْهَينِ في الدُّنيا، كَانَ لَهُ يَومَ القِيامةِ لِسَانَانِ مِن نَارٍ».

قوله: «من كانَ ذا وجهين»؛ يعني: من كانَ مع كلِّ واحدٍ من العَدُوَّين كأنه صديقُه، ويذمُّ عند هذا ذلك، وعند ذلك يذمُّ هذا؛ لتزدادَ بينهما العداوةُ، وليحسِنَ إليه كلُّ واحدٍ منهما بأن يظنَّه ناصراً له.

روى هذا الحديثَ عمار بن ياسر.

* * *

٣٧٧٥ - وقَالَ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، ولا باللَّعَّانِ، ولا الفَاحِـشِ، ولا البَذِيءِ»، غريب.

قوله: «ليس المؤمنُ بالطَّعَّان»؛ أي: ليس المؤمنُ الكاملُ طَعَّاناً، وهو الـذي

يعيبُ النـاس، «اللَّعَّـان»: من يُكثِرُ اللَّعْنَ، «الفاحش»: الشاتم، «البذيء»: الذي ليس له حياءٌ.

روى هذا الحديثَ ابن مسعود.

* * *

٣٧٧٦ ـ وقَالَ: «لا يَكُونُ المُؤْمِنُ لَعَّاناً».

وفي رِوَايةٍ: «لا يَنْبَغِي للمُؤْمنِ أنْ يَكُونَ لعَّاناً».

قوله: «لا يكون المؤمنُ لَعَّاناً»؛ أي: ليس من صفة المؤمنِ الكاملِ أن يَلْعَنَ أحداً.

روى هذا الحديثَ ابن عمر.

* * *

٣٧٧٧ ـ وقَالَ: «لا تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله، ولا بِغَضَبِ الله، ولا بِجَهَنَّم».

وفي رِوَايَةٍ: «ولا بالنَّارِ».

قوله: «لا تلاعَنُوا بلعنة الله»، (لا تلاعَنُوا): أصلُه: لا تتلاعَنُوا، فحذَفَ إحدى التاءين للتخفيف؛ يعني: لا تقولُوا لمسلم: عليكَ لعنةُ الله، ولا تقولوا: عليك غضبُ الله، ولا تقولوا: لك جهنمُ، أو لك النارُ، أو أدخلكَ الله جهنَّمَ، وما أشبَه ذلك؛ لأن التكلُّمَ بهذه الألفاظ لأحدٍ، فإن أراد المتكلِّم الإخبارَ ـ يعني: حصولَ هذه الأشياء له ـ فقد أخبر عن الغيب، ولا يعلمُ الغيبَ أحدٌ إلا الله، وإن قال هذا الكلام له على طريق الدعاءِ عليه، فقد ضادَّ الله ورسوله؛ لأنه لا يحصل له لعنةُ الله وغضبُه إلا أن يصيرَ كافراً، أو يفعلَ كبيرةً من الذنوب، وكأنه أرادَ الكفرَ، أو فعلَ كبيرة لأحدٍ، وإرادةُ الكفرِ وفعلُ الكبيرة مضادَّةٌ الله ورسوله.

روى هذا الحديثَ سُمُرَةُ بن جُنْدُب.

* * *

٣٧٧٨ ـ وقَالَ: «إنَّ العَبْدَ إذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتْ اللَّعنةُ إلى السَّماءِ، فتُغلَقُ أبْوَابُ السَّماءِ دُوْنَها، ثُمَّ تَهْبِطُ إلى الأَرضِ فَتُغْلَقُ أبوابُها دونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيْناً وشِمَالاً فإذا لَمْ تَجِدْ مَساغاً رَجَعَتْ إلى الَّذي لُعِنَ، فإنْ كَانَ لِذَلكَ أَهْلاً، وإلاَّ رَجَعَتْ إلى قائِلِها».

قوله: «أخذ يميناً وشمالاً»؛ أي: طَفِقَ يتردَّد يميناً وشمالاً.

«مَسَاغاً»؛ أي: مَدْخَلاً وطريقاً.

«إلى الذي لُعِن»، بضم اللام وكسر العين؛ أي: إلى الملعون إن كانت اللعنةُ عليه بالحقِّ، فإن كان مظلوماً.

«رجعت» اللعنة «إلى قائلها».

روى هذا الحديثَ أبو الدَّرْدَاء.

* * *

٣٧٨٠ ـ وقَالَ: «لا يُبَلِّغنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً فإنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إليكُمْ وأَنَا سَلِيْمُ الصَّدرِ».

قوله: «لا يُبَلِّغُني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئاً»؛ يعني: لا يبلِّغْني أحدٌ عن أصحابي أنه شَتَمَ أحداً أو آذى، أو فيه خَصْلَةُ سوءٍ؛ لئلاَّ أغضبَ عليه، فإني أريد أن أكونَ معكم صادقَ النية، وليس في قلبي غضبٌ وحقدٌ لأحد، وهذا تعليمٌ للأمة؛ يعني: لا يجوزُ لأحدٍ أن ينقُلَ من أحدٍ إلى أحد شَتْماً أو لَعْناً وغيرَها؛ لئلاَّ يقعَ بينهما عداوةٌ، وهذا هو النَّميمة.

روى هذا الحديثَ ابن مسعود.

* * *

٣٧٨١ ـ وعن عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْها قَالَتْ: قلتُ للنَّبيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِن صَفِيَّةَ كَذَا وكَذَا، تَعنِي: قَصِيرَةً، فَقَال: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا البَحْرُ لَمَزَجَتْهُ»، صَحَّ[1].

قوله: «حَسْبُك من صَفِيَّةَ كذا وكذا»؛ يعني: قِصَرُها.

«لمَزَجَتْه»؛ أي: لغلبَتْ كلمتُكِ على البَحْر، وكَدَّرَتْ ماءَه من غاية قُبْحِها.

* * *

٣٧٨٢ ـ وقَالَ: «مَا كَانَ الفُحْشُ في شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، ومَا كَانَ الحَيَاءُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ».

قوله: «إلا شانَه»؛ يعني: إلا كدَّرَه وجعلَه قبيحاً.

روى هذا الحديثَ أنسٌ.

* * *

٣٧٨٣ ـ وقَالَ: «مَن عيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يعمَلَهُ»، منقطع.

قوله: «من عَيَّرَ أخاه»، (التَّعْيِيرُ) ـ بالعين المهملة ـ: اللَّوْمُ.

روى هذا الحديثَ معاذٌ.

* * *

---

(١) كذا وردت في الأصل، ولعلَّها: صحيح.

٣٧٨٤ ـ وقَالَ: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأخِيك، فَيَرْحَمُهُ الله وَيَبْتَلِيَكَ»، غريب.

قوله: «لا تظهرِ الشَّماتةَ»؛ يعني: لا تفرحْ بذنبٍ صدَرَ من عدوِّك أو غيرِه، فلعلَّك تقعُ في مثلِ ذلك الذنبِ.

روى هذا الحديثَ واثلةُ بن الأَسْقَع.

* * *

٣٧٨٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِـيَ الله عَنْها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ أَحَداً وأَنَّ لِيْ كَذا وكَذا»، صَحِيْح.

قوله: «ما أُحِبُّ أني حكيتُ أحداً وأنَّ لي كـذا وكـذا»؛ يعنـي: ما أحبُّ أنْ أتحدثَ بعيبِ أحدٍ، ولو أُعطيتُ كذا وكذا من الدنيا بسببِ ذلك الحديث.

* * *

٣٧٨٦ ـ عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرابِيٌّ فأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ عَقَلَها، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ فصَلَّى خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ، فلَمَّا سَلَّم أَتَى راحِلَتَهُ فأَطْلَقَها، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ نَادَى: اللهمَّ! ارْحَمْني ومُحَمَّداً، ولا تُشْرِكْ في رَحْمَتِنا أحداً، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتقُولُونَ: هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيْرُهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ؟! قَالُوا: بَلَى».

قوله: «فأَطْلَقَها»، (الإطلاقُ): ضـدُّ التقييد؛ يعني: بعثَ راحلتَه وساقَها.

* * *

١١ ـ بابٌ

الوَعْدِ

(باب الوعد)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٨٧ ـ عَنْ جَابِـرٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ، وجَاءَ أَبا بَكْرٍ مَالٌ

مِنْ قِبَلِ العَلَاءِ بن الحَضْرَمِيِّ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ عِدَةٌ فَلْيَأْتِنَا، قَالَ جَابِرٌ ﷺ: فَقُلْتُ: وَعَدَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُعْطِيَنِي هَكَذَا وهَكَذَا وهَكَذَا، فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ، قَالَ جَابِرٌ ﷺ: فَحَثَا لِي حَثْيَةً فَعَدَدْتُها فإذَا هي خَمْسُ مئةٍ، قَالَ: خُذْ مِثْلَيْها.

قوله: «من قِبَلِ العلاءِ بن الحَضْرَمي»؛ يعني: من جهته، ومن عند العلاء، وهو كان عاملَ رسول الله ﷺ.

«قِبَلَه عِدَةٌ»؛ أي: عنده وعدٌ، والعِدَةُ والوَعْدُ واحدٌ، كان أبو بكر خليفةَ رسول الله ﷺ يقضي دينَ رسولِ الله ﷺ، ويفي عنه بما وعدَ أحداً أن يعطيَه شيئاً.

«فحثا لي حَثْيَةً»؛ أي: ملأ كفيه من الدراهم وصبَّه في ذيلي، وقال: خذ كفَّين آخرين.

* * *

٣٧٨٨ - عَنْ أَبي جُحَيْفَةَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ، وكَانَ الحَسَنُ بن عَلِيٍّ ﷺ يُشْبِهُهُ، وأَمَرَ لَنَا بثلاثةَ عَشَرَ قَلُوصاً، فذَهَبنا نَقْبِضُها فَأَتَانا مَوْتُهُ، فلَمَّا قامَ أبو بَكْرٍ قَالَ: مَنْ كانَتْ لهُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ عِدَةٌ فَلْيَجِيءْ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فأَخْبَرْتُهُ، فَأَمَرَ لَنَا بِهَا.

قوله: «بثلاثة عشرَ قَلُوصاً»، القَلُوصُ: الناقةُ الشَّابَّة.

* * *

٣٧٨٩ - عَنْ عَبدِالله بن أَبي الحَسْمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: بايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا في مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، فَذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاثٍ، فإِذَا هُوَ في مَكَانِهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنا مُنْذُ ثَلاثٍ أَنْتَظِرُكَ».

قوله: «بايعتُ النبيَّ ﷺ»؛ أي: اشتريتُ منه شيئاً.

«قبل أن يُبعَثَ»؛ أي: قبل أن يُوْحَى إليه.

«وبقِيَتْ له بقِيَّةٌ»؛ أي: بقِيَ له من ثمنِ ذلك المبيعِ شيءٌ.

«فإذا هو في مكانه»؛ أي: جئتُ إلى ذلك المكانِ فإذا هو ﷺ ينتظرني بذلك المكان، ولم يخرجْ من ذلك المكان وفاءً بما وعدَ من لزوم ذلك المكانِ حتى أجيئَه بما بقِيَ من الثمن، وذلك الانتظـار منه ﷺ كان للوفاء بما وعدَ، لا لحرصِ قَبْضِ باقي الثمن.

* * *

٣٧٩٠ ـ عَنْ زَيْدِ بن أَرْقَمَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ، ومِنْ نِيَّتِهِ أنْ يَفِيَ، فَلَمْ يَفِ وَلَمْ يَجِيءْ للمِيعادِ فلا إثْمَ عَلَيْهِ».

قوله: «إذا وعدَ الرجلُ أخاه ومن نِيَّتِهِ أن يفيَ فلم يفِ، ولم يَجِئْ للميعادِ فلا إثمَ عليه»، الضمائر في هذا الحديث للرجلِ؛ يعني: إذا كان نيةُ الرجلِ أن يفعل فعلاً، أو يفيَ بما وعد، فاعترضَه مانعٌ، ومنعَه عن الوفاء بما وعدَ فلا إثمَ عليه.

* * *

٣٧٩١ ـ عَنْ عَبْدِالله بن عَامِرٍ قَالَ: دَعَتْني أُمِّي يَوْماً ورَسُولُ الله ﷺ قاعِدٌ في بَيْتِنا فقالَتْ: تَعَالَ أُعْطِيْكَ، فقالَ لَهَا رَسُوْلُ الله ﷺ: «أَمَا إنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيْهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ».

قوله: «كُتِبَتْ عليكَ كِذْبَة»؛ أي: كُتِبَتْ هذه الكلمةُ عليكَ كِذْبةً، لا شكَّ أنَّ من قال: أفعلُ كذا، ولم يفعلْ ذلك الشيءَ مع القُدْرة = تكونُ مخالفتُه ما قال مع

القُدْرة كذباً، هذا هو الحقيقة، وأما من قال لأحد: أعطيكَ شيئاً، لم يجبْ عليه الوفاءُ بما وعد، بل الوفاءُ بما وعدَ تبرُّعٌ وإحسان.

* * *

١٢ ـ باب
المزاح

(باب المزاح)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٧٩٢ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخالِطُنَا حتَّى يقُولَ لأخٍ لِي صَغيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» كَانَ لَهُ نُغَيرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ.

قوله: «إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنا»، (إن) هاهنا مخففةٌ بمعنى المشدَّدة؛ أي: إنه ﷺ كان يجالِسُنا ويمزَحُ.

«ما فعل النُّغَير»، نُغَير تصغير نُغَر، وهو اسمُ نوعٍ من الطير.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٧٩٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّكَ تُداعِبنا. قال: «إِنِّي لاَ أَقُولُ إلاَّ حَقّاً».

قوله: «تُدَاعِبنا»؛ أي: تَمْزَحُنا.

* * *

٣٧٩٤ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً استَحْمَلَ رَسُوْلَ الله ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي

حَامِلُكَ على وَلَدِ نَاقَةٍ»، فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وهَلْ تَلِدُ الإِبِـلَ إلاَّ النُّوقُ؟».

قوله: «اسْتَحْمَلَ»؛ أي: طلبَ منه ﷺ أن يحملَه على دابةٍ.

«ما أصنـعُ بولدِ ناقة»، إنما قال الرجلُ هذا الكلامَ؛ لأنه ظنَّ أن رسولَ الله ﷺ يحملُه على ولدٍ صغيرٍ لا يطيقُه، فقال الرجل: ما أصنَعُ بولدِ ناقة؛ يعني: ولدٌ لا يطيقُ أن يَحمِلَني، فقال رسول الله ﷺ:

«وهل تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ»؛ يعني: جميع الإبلِ تَلِدُه النوقُ.

(النوقُ): جمع ناقة، وهي الأنثى من الإبل؛ يعني: جميعُ الإبلِ ولدُ الناقة صغيراً كان أو كبيراً؛ يعني: قوله: أحملك على ولد الناقة، أريدُ ولداً كبيراً يُطيقَ حملَك، هذا من جملةِ مُزاحهِ ﷺ.

* * *

٣٧٩٦ ـ ورُوِيَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لِعَجوزٍ: «إنَّ الجنَّةَ لا يَدْخُلُهَا العُجُزُ»، فَوَلَّتْ تَبْكِي. قَالَ: «أَخْبِـرُوها أنَّها لا تَدْخُلُها وهِيَ عَجُوزٌ، إنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾».

قوله: «لا يَدْخُلُها العُجُز»، (العُجُزُ) ـ بضم العين والجيم ـ جمعُ عجوز.

«فولَّتْ تبكي»؛ أي: أعرضَتْ تبكي؛ لأنها ظَنَّتْ أن العجوزَ لا تدخُلُ الجنةَ قَطُّ، فقال رسول الله ﷺ: أخبروها بأنها لا تدخلُ الجنةَ في حالِ كونِها عجوزاً، بل صيَّرَها الله شابةً بِكْراً، وكذلك جميعُ الإنسان يكونون على سِنِّ مَن له ثلاثون سنة.

قوله تعالى: «﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾»؛ أي: إنا خَلَقْنا وصَيَّرْنا النساءَ يومَ القيامة

أبكـــاراً شـــواب.

* * *

٣٧٩٧ ـ وعَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ البَادِيَةِ اسْمُهُ: زَاهِرُ بن حَرَامٍ كان يُهدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ البَادِيَةِ فيُجَهِّزُهُ رَسُولُ الله ﷺ إذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ زاهراً بادِيَتُنا، ونَحْنُ حَاضِـرُوهُ»، وكَانَ النَّبي ﷺ يُحِبُّهُ، وكَانَ دَمِيْماً، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً وهُوَ يَبِيعُ مَتاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لا يُبْصِرُهُ، فقال: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟ فالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقولُ: «مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟»، فقالَ: يا رسولَ الله! إذاً والله تَجِدُنِي كَاسِداً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ».

قوله: «يُهْدِي»؛ أي: يرسلُ إلى النبي ﷺ من متاع البادية من الرَّياحين والأدوية.

«فيُجَهِّزُه»؛ أي: يهيئُ أسبابَه؛ أي: يعطيه العِوَضَ من أمتعة البَلَد.

«إنَّ زاهِراً بادِيَتُنا، ونحن حاضروه»؛ يعني: إن هذا الرجلَ يأتينا من أمتعة البادية بما نُريد، فكأنه بادِيَتُنا، ونحن نُهْدِي ما يريدُ من أمتعة البَلَدِ فكأنَّا بلدٌ له.

«وكان دَميماً»؛ أي: قبيحَ الوجه.

«فاحتضَنَه»؛ أي: أخذَه «من خَلْفِه».

«فقال»؛ أي: فقال زاهر: «أَرْسِلْني»؛ أي: اترُكني.

«لا يــألو»؛ أي: لا يُقَصِّـرُ، و(لا يــألو) معنـاه: ولا يـزال، (مـا) في «ما أَلْزَقَ»: زائدة، (أَلْزَقَ) معناه: أَلْصَقَ.

* * *

٣٧٩٩ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بن بشيرٍ أَنَّهُ قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكرٍ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عالياً، فَلَمَّا دَخَلَ تناوَلَها لِيَلْطِمَهَا، وقَالَ: لاَ أَراكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبو بَكْرٍ مُغْضَباً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِيْنَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: «كَيْفَ رأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟»، قَالَتْ: فمكثَ أَبُو بكرٍ أَيَّاماً، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُما: أَدْخِلاَنِي في سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي في حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا، قد فَعَلْنا».

قوله: «فتناوَلَها»؛ أي: أَخَذَها «لِيَلْطِمَها»؛ أي: ليضربَها.

«فجعلَ»؛ أي: فطَفِقَ «يَحْجِزُه»؛ أي: يمنعُه كي لا يضربَها.

«أَنْقَذْتُكِ»؛ أي: خَلَّصْتُكِ «مِنَ الرَّجُل»؛ أي: مِن أبيك.

«في سِلْمِكما»؛ أي: في صُلْحِكما.

«قد فَعَلْنا»؛ أي: قد أدخلْناك في صُلْحِنا.

* * *

٣٨٠٠ ـ عَنِ ابن عبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «لا تُمارِ أَخَاكَ، ولا تُمازِحْهُ، ولا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ».

قوله: «لا تُمَارِ أَخَاكَ»، هذا نهيُ مخاطَب، من المماراة وهي المخاصَمة.

«ولا تمازِحْه»، هذا مخالف للحديث المتقدِّم، ومعناه: لا تمازِحْه بما يتأذَّى منه.

* * *

١٣ - باب
المفاخرةِ والعصبيَّةِ

(باب المفاخرة والعصبية)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٠١ - عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أتقاهُمْ»، قالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ الله، ابن نَبِيِّ الله، ابن نَبِيِّ الله، ابن خَليلِ الله»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُوني؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قالَ: «فَخِيارُكُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيارُكُم في الإسْلامِ إذا فَقُهُوا».

قوله: «فأكرَمُ الناسِ يوسُفُ نبيُّ الله. . .» إلى آخره.

«فعن مَعَادِنِ العَرَبِ»، (المعـــادِنُ): جمـع مَعْدِن، وهو موضعٌ يخرجُ منه الجواهر، ذُكِرَ شرحُ هذا في الحديث الرابع من (كتاب العلم).

* * *

٣٨٠٢ - وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الكَريمُ، ابن الكَريمِ، ابن الكريمِ، ابن الكَريمِ: يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ بن إسْحَاقَ بن إبْراهِيمَ صلَّى الله عليْهِم».

قوله: «الكريمُ ابن الكريم. . .» إلى آخره.

يعني: ما أحدٌ هو نبيٌّ، وثلاثةٌ من آبائه أنبياءُ غير يوسفَ صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء.

روى هذا الحديثَ ابن عمر ﷺ.

* * *

٣٨٠٣ ـ عَنِ البَرَاءِ بن عَازِبٍ: أَنَّهُ قَالَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ: كَانَ أبو سُفْيَانَ بن الحَارِثِ آخِذاً بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ ـ يَعْنِي: بَغْلَةَ رَسُولِ الله ﷺ ـ فلمَّا غَشِيَهُ المُشْرِكونَ نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ:

«أَنَــــا النَّبِــــيُّ لا كَـــــذِبْ   أَنَــــا ابــــن عَبْــــدِ المُطَّلِــــبْ»

قَالَ: فَمَا رُئِيَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ مِنْهُ.

قوله: «غَشِيَه المشركون»؛ أي: غلبَه المشركون، وجاؤوا من كل جانب.

«أَشَدُّ منه»؛ أي: أشجع منه عليه الصلاة والسلام.

* * *

٣٨٠٤ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا خَيْرَ البَرِيَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ذاكَ إبراهِيمُ».

قوله: «ذاك إبراهيمُ»، هذا القول منه تواضعٌ، فإنه ﷺ خيرُ المخلوقات أجمعين.

* * *

٣٨٠٥ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تُطْرُونِي كما أَطْرَتْ النَّصَارَى ابن مَرْيَمَ، فإنَّما أنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُالله ورَسُولُهُ».

قوله: «لا تُطْروني كما أَطْرَتِ النَّصَارى»، (لا تُطْروني) أصلُه: لا تُطْرِيُوني، فأُسْكِنَت الراءُ، ونُقِلَت ضمةُ الياء إليها، فحُذِفت الياءُ لسكونها وسكون الواو.

(الإطراء): الغلوُّ في المدح؛ يعني: لا تبالِغُوا في مَدْحِي كما بالغت النَّصارى في مَدْحِ عيسى فاتَّخَذُوه إلهاً.

* * *

٣٨٠٦ ـ عَنْ عِياضِ بن حِمارٍ المُجاشِعيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلىٰ أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ».

قوله: «لا يَبْغِي أحدٌ على أحد»: أي: لا يظلِمُ أحدٌ على أحدٍ.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٨٠٧ ـ عَنْ أَبـي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى الله مِن الجُعَلِ الَّذي يُدَهْدِهُ الخُرْءَ بِأَنْفِهِ، إنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وفَخْرَهَا بِالآباءِ، إنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بنو آدمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ».

قوله: «أهون»: أي: أذلُّ.

«الجُعَل»: ـ بضم الجيم وفتح العين ـ دُوَيْبَّةٌ تديرُ الغائط.

«يُدَهْدِه»: أي: يردِّد، يدير الخراء والغائط.

(العُبِّيَّة) ـ بضم العين وكسر الباء وتشديد الياء ـ: الكِبْرُ والنخوة؛ يعني: لا يجوزُ في الإسلامِ لأحدٍ أن يتكبَّر على أحد.

«إنما هو مؤمنٌ تقيٌّ»: يعني: انقسمَ الخلق على طائفتين: مؤمنٌ تَقِيٌّ، وفاجرٌ شَقِيٌّ، فإن كان مؤمناً فلا ينبغي للمؤمن أن يتكبَّر، وإن كان فاجراً فهو ذليلٌ عند الله، والذليلُ لا يستحقُّ التكبر، فقد علم أن التكبُّر منفيٌّ بكل حال.

* * *

٣٨١٦ ـ وعن مُطَرِّفٍ قَالَ: انطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِيْ عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ»، فَقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: «قُولُوا قَوْلَكُم، أَوْ بَعْضَ قَولِكُمْ، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشَّيْطَانُ».

قوله: «قولوا قولَكم أو بعضَ قولكم»؛ يعني: قولُوا هذا القولَ أو أقلَّ منه، ولا تبالِغُوا في مدحي بحيثُ تمدحونني بشيء يليقُ بالخالق، ولا يَليقُ بالمخلوق.

«ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم الشيطان»، (الجَرِيُّ) ـ غير مهموز ـ: الوكيلُ؛ يعني: لا يجعلنَّكُمُ الشيطانُ ولا يتخذنَّكم وُكلاءَ نفسِه في الإضلال والتكلُّمِ بكلماتِ الكفرِ والبِدَعِ والفِسْق.

والجريء ـ مهموزٌ ـ: الشجاع، فعلى هذا معناه: لا يجعلنَّكم أصحابَ جُرْأَة؛ أي: شجاعة على التكلُّم بما لا يجوز.

ذكر هنا: «أن مُطَرِّفاً قال: انطلقتُ في وَفْدِ بني عامرٍ إلى النبيِّ ﷺ»، هذا سهوٌ، بل الصوابُ أن يقال: مُطَرِّفاً قال: إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ.

* * *

٣٨٠٨ ـ عَنِ الحَسَنِ بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الحَسَبُ المَالُ، والكَرَمُ التَّقْوَى».

قوله: «الحسبُ المالُ، والكرمُ التقوى»، (الحسب): ما يفتخِرُ به الرجل، وما به عزتُه من خصالٍ حميدةٍ توجَدُ فيه، أو في آبائه، و(الكرم): ضد اللُّؤمِ، بضم اللام؛ يعني: الشيءُ الذي يكون الرجلُ به عظيمَ القَدْرِ عند الناس هو المالُ، والشيءُ الذي يكونُ الشخصُ به عظيمَ القَدْرِ عند الله هو التقوى.

قال عمر بن الخطاب: حَسَبُ الرجلِ مالُه، وكرمُه دينُه، وأصلُه عقلُه، ومروءَتُه خُلُقه.

* * *

٣٨٠٩ - وعَنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ ولا تَكْنُوا».

قوله: «من تَعَزَّى بعزاء الجاهلية»: (تَعَزَّى) إلى أحد؛ أي: انتسب إليه، والاسمُ: العَزاء، بفتح العين وبالمد؛ يعني: من افتخر بآبائه وقبائلِه الكُفَّار.

«فأعِضُّوه»؛ أي: قولوا له: اعضضْ بهنِ أبيك، (العَضُّ): أخذُ شيءٍ بالأسنان، «والهَنُ»: القبيح من الفعل والقول؛ يعني: قولوا: اذكرْ قبائحَ آبائك من عبادةِ الصَّنَم والزِّنا وشربِ الخمر وغيرها من القبائح.

ويجوز أن يكون معناه: عُدُّوا أنتم المسلمون قبائحَ آبائه؛ يعني: فمن كان له الكُفْرُ والأفعالُ والأقوالُ القبيحة، فكيف يَليقُ به الافتخارُ بآبائه.

«ولا تَكْنُوا»؛ أي: ولا تَذْكُرُوا قبائحه وقبائحَ آبائه، عن الكناية، بل صَرِّحوا بقبائحه، فلعلَّه يَسْتَحِي من الافتخار بآبائه.

* * *

٣٨١٠ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أَبِي عُقْبَةَ، عَن أَبِـي عُقْبَةَ ﷺ، وكَانَ مَوْلَى مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ، قَالَ: شَهِدْتُ معَ رَسُولِ الله ﷺ أُحُداً، فَضَرَبْتُ رَجُلاً مِنَ المُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ: خُذْها مِنّي وأَنَا الغُلامُ الفَارِسيُّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فقالَ: «هَلاَّ قُلْتَ: خُذْها مِنّي وأَنَا الغُلامُ الأَنْصَارِيُّ؟!».

قوله: «خُذْها مِنّي»، عادةُ المحاربين إذا جَرَحُوا أحداً أن يخبرَ الجارحُ

المجروحَ باسمه؛ لإظهارِ الشجاعةِ بأن يقول: أنا الذي جَرَحْتُك، وأنا فلانُ ابن فلان، من القوم الفلانيِ، فلمَّا انتسبَ هذا الراوي إلى أهل فارسَ، فنهاه رسول الله ﷺ عن الانتسابِ إلى الكفار؛ لأن أهلَ فارس كانوا كفاراً في ذلك الوقت.

الضمير في (خذها) ضميرُ الضربة؛ أي: خذ هذه الضَّرْبةَ أو الطَّعْنةَ مني.

* * *

٣٨١١ ـ عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فَهُوَ كَالبَعيْرِ الَّذي تَرَدَّى، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِـهِ».

قوله: «من نصَر قومَه على غير الحَقِّ فهو كالبعير الذي رَدَى، فهو يَنْزِعُ بذَنَبِه»، (رَدَى)؛ أي: هَلَك.

قال الخَطَّابي: معنى هذا: أنه وقعَ في الإثم وهلكَ وصار كبعيرٍ وقعَ على رأسه في بئر، فينزِعُ بذنَبِهِ؛ أي: ينزِعُ الناسُ ذَنَبَه ليخرجوا من البئر.

* * *

٣٨١٣ ـ وعَنْ سُراقَةَ بن مالِكِ بن جُعْشُمٍ قَالَ: خَطَبَنا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «خَيْرُكُم المُدافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ».

قوله: «خَيْرُكم المُدَافِعُ عن عشيرته ما لم يَأْثَم»؛ يعني: خيرُكم مَنْ يَدْفَعُ الظُّلْمَ عن أقاربه ما لم يظلِمْ على المدفوع؛ يعني: لو قدرَ أن يدفع الظالم بكلام أو ضرب لم يجز له أن يقتله.

* * *

٣٨١٤ ـ عَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعا

إلى عَصَبيَّةٍ، ولَيْسَ مِنا مَنْ قاتَلَ عَصَبيَّةً، ولَيْسَ مِنَّا مَنْ ماتَ عَلَى عَصَبيَّةٍ».

قوله: «من دعا إلى عصبية»، العصبيةُ: معاونةُ الظالمِ؛ يعني: ليس منا من جمعَ جيشاً ليحاربوا قوماً بالباطل.

* * *

٣٨١٥ - عَنْ أَبي الدَّرْداءِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ».

قوله: «حبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ»، (يُعْمِي)؛ أي: يَجْعَلُ أَعْمَى، ويُصِمُّ؛ أي: يَجْعَلُ أَصَمَّ؛ يعني: إذا أحببتَ أحداً لا تبصرُ فيه عيباً، ولا تسمعُ منه كلاماً قبيحاً، بل تعتقِدُ جميعَ ما يَصْدُرُ منه حسناً.

* * *

١٤ - باب
البرِّ والصِّلَة

(باب البر والصلة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨١٧ - عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: «أبوكَ».

ويُرْوَى: مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَباكَ، ثُمَّ أَدْناكَ أَدْناكَ».

قوله: «بحسن صحابتي»؛ أي: بحسن صُحْبتي؛ يعني: من الأولى بأن أُحْسِنَ إليه.

* * *

٣٨١٩ ـ وقَـالَ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُــهُ، رَغِمَ أَنْفُــهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يا رسولَ الله؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُما أَوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ».

قوله: «من أَدْرَكَ والديه عند الكِبَر: أحدُهما أو كلاهما»، (عند الكِبَر): ظرفٌ في موضع الحال، والظرفُ إذا كان في موضع الحال يرفعُ ما بعدَه، فأحدُهما مرفوعٌ بالظرف، و(كلاهما) معطوفٌ على (أحدهما)؛ يعني: من لم يخدمْ أبويه أو أحدَهما بقدرِ ما يدخلُه الله به الجنة صارَ ذليلاً.

وإنما خصَّ حالَ الكِبَر بالخدمة مع أن خدمة الأبوين محمودةٌ في جميع الأحوال؛ لأن أبويه عنده الكِبَر أحوجُ إلى الخدمة، فالثوابُ في الخدمة عند شِدَّةِ الحاجة أكثرُ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٨٢٠ ـ وعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبي بَكْرٍ أَنَّها قَالَت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله! إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهيَ راغِبَةٌ، أَفَأَصِلُها؟ قالَ: «نَعَمْ، صِلِيْهَا».

قوله: «وهي راغبة»؛ أي: طالبةٌ لعطائي، ويُرْوَى: (وهي راغمة)، وعلى هذه الرواية معناه: وهي ذليلةٌ محتاجَةٌ لعطائي.

«أفأَصِلُها»؛ يعني: أفأعطيها شيئاً.

«صِلِيها»؛ أي: أَعْطِيها؛ يعني: الإحسان إلى الكفار.

* * *

٣٨٢٠/ م ـ وعَنْ عَمْرِو بن العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ آلَ أَبي فُلانٍ لَيْسوا لي بأَوْلِياءَ، إنَّما وَليـيَ الله وصَالِحُ المُؤْمِنينَ، ولكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّها بِـبَلالِها».

قوله: «أَبُلُّها»؛ أي: أَصِلُ تلك الرحم.

«بِبلالها»، و(البِلالُ) ـ بكسر الباء ـ: السببُ الذي يوصَلُ الرَّحِمُ به، وهو الإحسان إلى الأقارب، ومعاونتُهم، وخدمتُهم.

* * *

٣٨٢١ ـ وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، وَوَأْدَ البناتِ، ومَنْعاً وَهَاتِ، وكَرِهَ لَكُم قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ».

قوله: «عقوقُ الأُمَّهات»؛ أي: عصيانَ الأُمَّهات، ذَكَرَ الأمهات والمراد: الآباء والأُمَّهات وإن عَلَوا.

«ووَأْد البنات»، (الوَأْدُ): دَفْنُ البنتِ حية؛ يعني: قتل البنات كما هو عادة أهل الجاهلية.

«ومنع وهات»؛ يعني: حرم عليكم أخذ ما لا يجوز لكم أخذه.

«وكَرِهَ لكم قيل وقال»، (قيل): ماضي مجهول، (وقال): ماضٍ معروف، وكَرِهَ الله لكم التحدُّثَ بالحكايات التي ليس فيها ثوابٌ ولا ضرورةَ لكم فيها؛ لأن كثرةَ الكلام قسوةٌ للقلوب.

«وكثرة السؤال»؛ يعني: كثرة السؤال من العلماء فيما لا حاجةَ لكم فيه من المعاندة والمعارَضة، فأما إذا سألتم ما تحتاجون إليه، وما في تعلُّمه خيرٌ وثوابٌ، فلا يُكْرَه كثرةُ السؤال من هذا العلم، بل يُستحَبُّ.

«وإضاعة المال»؛ يعني: صَرْفُ المال فيما ليس في صَرْفِهِ خيرٌ لكم.

روى هذا الحديثَ مغيرةُ.

* * *

٣٨٢٢ ـ وقَالَ: «مِنَ الكَبائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ والِدَيْهِ»، قالوا: يا رسولَ الله! وهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قال: «نعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

قوله: «من الكبائر شَتْمُ الرجل والديه»؛ يعني: إذا شتمتَ أبا أحدٍ فيشتمُ ذاك الأحدُ أباك، وكأنك شتمْتَ أباك، وهل هذا من الكبائر أم لا؟

فانظر، فإنْ كان الشتمُ بنسبة الزِّنا إلى أحد، أو بكفْرٍ، أو بهتانٍ، فهو من الكبائر، وإن كان بلفظ: يا أحمقُ، أو أبوك أحمقُ، أو طويلٌ، أو قصيرٌ، وما أشبه ذلك، فليس من الكبائر الثمانيةَ عشرةَ المعروفة، وقد اختلف في الكبائر اختلافاً كثيراً، وقد ذكر في أول الكتاب في (باب الكبائر).

روى هذا الحديثَ عبدُالله بن عمر.

* * *

٣٨٢٣ ـ وقَالَ: «إنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّي الأَبُ».

قوله: «إن من أبرِّ البرِّ صِلَةَ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّيَ»؛ يعني: أفضلُ البرِّ أنْ يُحْسِنَ الرجل إلى أحباءِ أبيه بعد أن يُوَلِّيَ أبوه.

(وَلَّى يُوَلِّي): إذا أدبر؛ يعني: بعد موت أبيه، هذا إشارةٌ إلى تأكيد حقِّ الأب، فإنه إذا كان الإحسانُ إلى أحباءِ الأب لحرمة الأبِ أفضلَ البرِّ، فالإحسان إلى الأب بطريق الأولى أن يكون أفضلَ القُرُبات.

روى هذا الحديثَ ابن عمر.

* * *

٣٨٢٤ ـ وقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

قوله: «ويُنْسَأَ له في أَثَرِهِ»؛ أي: يؤخَّر في أجله، النَّسْءُ: التأخير، و(الأَثَر): الأجل.

روى هذا الحديثَ أنس.

* * *

٣٨٢٥ ـ وقَالَ: «خَلَقَ الله الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قامَتْ الرَّحِمُ فأَخَذَتْ بِحِقْوَي الرَّحمَنِ، فقالَ: مَهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مَقامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطيعَةِ، قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ! قَالَ: فَذَاكَ لَكِ».

قوله: «بحِقْوَي الرحمن»، الحِقْو: الإزارُ، (بِحِقْوَي الرَّحْمن)؛ أي: بإزارَي الرحمن، والمراد بالإزارين هنا: ما أراد بقوله: «الكبرياءُ رِدائي، والعظمةُ إزاري».

يعني: التجأتِ الرَّحِمُ وعاذت بعزة الله وعظمتِه من أن يَقطعَ أحدُ الرَّحِم.

«مه»؛ أي: اكففْ وامتنعْ عن هذا الفعل؛ أي: التجأ؛ يعني: مالك ولأي سببٍ عُذْتِ بي.

«هذا مقام العائذ بك»؛ يعني: من التجأ إلى أحدٍ وتمسَّكَ بحِقْوِه؛

يعني: سبب عياذي بحقوك تعالى: خشيةُ أن يقطعني أحدٌ.

«فذاك»؛ أي: أفعلُ ما قلتُ مِن وصْلي مَن وصلَكِ، وقطْعي مَن قطعكِ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٨٢٦ - وقَالَ: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، قالَ الله تَعالَى: مَنْ وَصَلكِ وَصَلْتُهُ، ومَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

قوله: «شجْنةٌ»، بضم الشين وكسرها وبالجيم؛ أي: قرابةٌ متَّصلة؛ أي: الرَّحِمُ مُشتقَّةٌ من الرحمن؛ أي: الرَّحِمُ موجودةٌ في حروف الرحمن، وكلا اسمين من الرحمة؛ يعني: صلةُ الرَّحِم رحمةٌ من الله الكريم على عباده؛ لأنه يحصلُ تُواصلِ الرَّحِم رحمةٌ من الله الكريم على عباده، ويصل إلى بعض الأقارب مِن بعضهم شفقةٌ ورحمةٌ ونُصْرةٌ.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٨٢٧ - وقَالَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تَقولُ: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قَطَعَني قَطَعَه الله».

قوله: «الرَّحِمُ معلَّقةٌ بالعَرْش»؛ أي: متمسِّكَةٌ بالعرش، نعوذُ بالله مِن قَطْع الرَّحِم.

روت هذا الحديثَ عائشةُ.

* * *

٣٨٢٨ - وقَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعُ رَحِمٍ».

قوله: «لا يدخلُ الجنةَ قاطعُ الرحم»، إنْ قَطَعَ الرَّحِمَ عن اعتقادِ جَوَازِ قَطْعِها؛ لأنه كافرٌ باستحلاله الحرامَ، وإن لم يستحِلَّ قَطْعَ الرَّحِم، فمعنى هذا الحديث: أنه لا يدخلُ الجنةَ حتى يَطْهُرَ من ذنبِ قَطْعِ الرَّحِمِ، إما بأن يعفوَ الله عنه، أو يعذِّبَه بقَدْرِ ذنبه.

روى هذا الحديثَ جُبير بن مُطْعِم.

* * *

٣٨٢٩ ـ وقَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِئِ، ولَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذي إذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها».

قوله: «ليس الواصلُ بالمكافِئ»؛ يعني: ليس واصِلُ الرَّحِمِ من يفعلُ بأقاربه ما فعلُوه به؛ أي: إذا وصلوه وصَلَهم، وإذا قَطَعُوه قَطَعَهم، بل الواصلُ من إذا وصَلُوه وصَلَهم، وإذا قَطَعُوه وَصَلَهم.

روى هذا الحديثَ عبدالله بن عمر.

* * *

٣٨٣٠ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله! إنَّ لِيْ قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيقْطَعُوني، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويُسيؤونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فقالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِك».

قوله: «فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ»، (سفَّ وأَسَفَّ): إذا ألقى الدَّقيقَ في الفم، وفَرَّقَ الترابَ على وجهِ شيء، (المَلُّ): الجَمْر والرَّماد.

يعني: إذا لم يشكُروا إحسانَك إليهم، فكأنما تلقي إليهم النار؛ لأنَّ

عطاءك عليهم حرامٌ؛ فيحصلُ لهم النارُ بسببِ تركِ شُكْرِهم نِعَمَكَ.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٨٣١ - عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلاَّ الدُّعاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلاَّ البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

قوله: «وإنَّ الرجل لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذنب يصيبُه»؛ يعني: وإن الرجلَ ليصيرُ محروماً من الرزق بشؤمِ اكتسابهِ ذنباً.

وهذا يؤوَّل على تأويلين:

أحدهما: أن يرادَ بالرزق هنا الثوابُ ودرجة الأُخْروية، ولا شكَّ أن الرجلَ متى ما يقِلُّ ذنبُه تكثرُ درجته الأخروية، ومتى ما يكثرُ ذنبه تَقِلُّ درجتُه الأُخْرَوية.

والتأويل الثاني: أن يرادَ بالرزق الرزقُ الدنيوي من المال والصحة والعافية، وعلى هذا التأويل يُشْكِلُ الحديثُ، وإنما ترى الكفارَ والفُسَّاقَ أكثر مالاً وصحةً من الصُّلَحَاء.

ورَفْعَ هذا الإشكالُ بأن يقول: هذا الحديثُ ليس بعامٍّ، بل هو خاصٌّ في حقِّ بعض الناس، فإن الله تعالى إذا أراد أن يحفظَ مسلماً عن الذنب، وأن يريدَ دخولَه الجنةَ بلا تعذيبٍ يُصفِّيه من الذنوب في الدنيا، بأن يعاقبَه في الدنيا بسبب ذنبٍ يفعلُه، فإذا أذنبَ ذلك المسلمُ ذنباً أصابه عَقِيبَ ذلك الذنب فقرٌ وضيقُ قلبٍ ومرضٌ وجراحةٌ وغيرُ ذلك، وألهمَه أن هذا الفقرَ وضيقَ القلب وغيرَها بسبب شؤم ذلك الذنب؛ ليتنبَه ذلك المسلمُ، ويتوب عن الذنب.

فهذا المسلم هو المرادُ بهذا الحديث لا الكُفَّارُ وبعضُ الفُسَّاق، فإنَّ الله

قال في كلامه القديم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

الإملاءُ: الإمهالُ والتأخير في الأجل؛ يعني: نطوّل أعمارَهم، ونكثّرُ أرزاقهم، ونُطَيِّب معايشَهم في الدنيا؛ لتكثيرِ عذابهم في الآخرة، وكذلك في حقّ بعضِ الفُسّاق.

* * *

٣٨٣٣ - وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رِضا الرَّبِّ في رِضَا الوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوَالِدِ».

قوله: «رضا الرب في رضا الوالد»؛ يعني: إذا رضيَ الوالدُ رضيَ الرَّبُّ عنه، وكذلك السُّخطُ، وذَكَرَ الوالدَ، والمرادُ منه: الوالدةُ أيضاً، بل حقُّ الوالدة آكَدُ، وكذلك جميعُ الآباء والأمهات وإن عَلَوا داخلون في هذا الحديث، إلا أنَّ مَن هو أقربُ حَقُّه آكَدُ.

روى هذا الحديثَ عبدالله بن عمر.

* * *

٣٨٣٤ - عَنْ أَبي الدَّرْداءَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أبْوابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ فَحَافِظْ عَلَى البَابِ أَوْ ضَيِّعْ».

قوله: «أَوْسَطُ أبواب الجَنَّة»؛ يعني: للجنّةِ أبوابٌ أَحْسَنُها دخولاً: أَوْسَطُها، وسببُ دخول ذلك الباب المتوسّط: حقوقُ الوالدين، فمن حَفِظَ حقوقَهما يسهلْ عليه دخولُ ذلك الباب، ومن ضَيَّعَ - أي: تركَ - حقوقَهما لم يدخل ذلك الباب، وهذا الحديث تحريضٌ على محافظة حقوق الوالدين.

* * *

٣٨٣٦ ـ عن عبدِ الرَّحمنِ بن عَوْفٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قالَ الله تبارك وتعالى: أنا الله، وأنا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وشَقَقْتُ لها من اسمي، وَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعها بَتَتُّهُ».

قولـــه: «شـــققْتُ لها من اســـمي»؛ ذكر هذا في قوله: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ من الرحمن».

«بَتَتُّه»؛ أي: قَطَعْتُه؛ أي: جعلْتُه محروماً من رحمتي.

* * *

٣٨٣٨ ـ وقال ﷺ: «ما مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصاحِبِـهِ العُقوبَةَ في الدُّنْيا مَعَ ما يَدَّخِرُ لهُ في الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وقَطيعَةِ الرَّحِمِ».

قوله: «أَحْرَى»؛ أي: أَجْدَرُ وأقرب.

«مع ما يَدَّخِرُ»؛ أي: مع ما يُعِدُّ ويهيِّئُ من عذاب الآخرة.

(والبغيُ): الظلْمُ والتكبر.

* * *

٣٨٣٩ ـ وقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنَّانٌ، ولا عاقٌّ، ولا مُدْمِنُ خَمْرٍ».

قوله: «مَنَّانٌ»؛ أي: الذي يَمُنُّ على الناس بما يُعْطِيهم.

«العاقُّ»: الذي يعصي والديه.

«المُدْمِنُ»: المداوم.

* * *

٣٨٤٠ ـ وقال: «تَعَلَّمُوا من أَنْسابِـكُمْ ما تَصِلُونَ بِهِ أَرْحامَكُمْ، فإنَّ صِلَةَ

الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ، مَثْراةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ»، غريب.

قوله: «تعلَّموا من أنسابكم ما تَصِلُون به أرحامَكم»؛ يعني: تعلَّموا أسماء آبائكم وأجدادِكم وأعمامِكم وأخوالِكم وجميع آبائكم؛ لتعرِفُوا أقاربكم؛ ليمكنكم صلةُ الرَّحِم، فإنَّ معنى صلةِ الرَّحِم معاونةُ الأقاربِ والإحسانُ إليهم والتلطُّفُ بهم، ومجالستُهم ومكالمَتُهم ومداخلَتُهم وما أشبهَ ذلك مما يتعلَّق بالتقرب إليهم والشفقةِ عليهم، وما لم يَعْرِفِ الرَّجُلُ أقاربَه لم يُمْكِنْه صلةُ الرَّحِم.

«محبةٌ في الأهل»؛ يعني: إذا كان بين الآباء تواصلٌ وتعارفٌ تكون بين الأولاد محبةٌ مثوبات في المال.

* * *

٣٨٤١ ـ عن ابن عُمَرَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله! إنِّي أَصَبْتُ ذَنْباً عَظيماً، فهل لي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قالَ: «هل لكَ مِنْ أُمٍّ؟» قالَ: لا، قالَ: «وهَلْ لكَ مِنْ خالَةٍ؟» قالَ: نَعَمْ، قالَ: «فَبِرَّها».

قوله: «فبِرَّها»، هذا أمر مخاطب من (بَرَّ يَبَرُّ) بوزن (عَلِمَ يَعْلَم): إذا أحسنَ إلى أحدٍ، كان ذلك الذنب ذنباً.

عَلِمَ النبي ﷺ أن صِلَةَ الرَّحِم تكون كفارةً لها، وكان ذلك الذنبُ من الصغائر لا من الكبائر، وإن كان من الكبائر كان مخصوصاً بذلك الرجل.

فإن قيل: قال الرجل: أصبتُ ذنباً عظيماً، فلم قُلْتم إنه ليس من الكبائر؟

قلنا: ظنَّ ذلك الرجلُ ذلك الذنبَ عظيماً، وإن كان من الصغائر وهكذا؛ ليعتقدَ كلُّ مسلمٍ، فإنه لا يجوزُ أن يَحْتَقِرَ المسلمُ الذنبَ وإن كان صغيراً، فإنَّ عصيانَ الله تعالى ليس بصغيرٍ، وإن كان ذنباً يسيراً، ولكنَّ الذنوبَ وإن كانت

بالنسبةِ إلى عصيانِ الله عظيمةٌ كلها، ولكنْ بينهما تفاوتٌ كثيرٌ في الإثم، فسُمِّيَ بعضُها كبائرَ، وبعضُها صغائرَ، وقد ذكر الكبائر في أول الكتاب في (باب الكبائر).

* * *

٣٨٤٢ - عن أبي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قال: بينا نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَه رَجُلٌ مِن بني سَلَمَةَ فقالَ: يا رسولَ الله! هل بقيَ مِن برِّ أَبَوَيَّ شيءٌ أَبَرُّهُما بهِ بعدَ مَوْتِهِما؟ قال: «نعم، الصَّلاةُ عليهما، والاستِغْفارُ لهما، وإنفاذُ عَهْدِهِما مِن بَعدِهِما، وصِلَةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صَديقِهِما».

قوله: «وصلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما»؛ يعني: صلة الأقارب التي تتعلَّقُ بالأب والأم؛ يعني: الإحسان إلى أقاربِ الأبِ والأمِّ.

* * *

١٥ - باب
الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ على الخَلْقِ

(باب الشفقة والرحمة على الخلق)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٤٥ - عن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: جاءَ أعرابيٌّ إلى النَّبـيِّ ﷺ فقال: أتُقَبِّـلونَ الصِّبيانَ؟ فما نُقَبِّـلهُم، فقال النَّبـيُّ ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ الله مِن قَلْبِـكَ الرَّحْمَةَ؟».

قوله: «أوَأملِكُ لك أنْ نزعَ الله مِن قلبكِ الرحمةَ»؛ أي: أوَأملك دفعَ نَزْعِ الله الرحمةَ من قلبك؛ يعني: تقبيلُ الأطفالِ شفقةٌ ورحمةٌ، فإذا لم يكن في قلبك

هذه الشفقةُ والرحمة، فقد نزعَ الله الرحمةَ من قلبك، ولا أقدِرُ أن أضعَ في قلبك شيئاً نَزَعَه الله من قلبك.

* * *

٣٨٤٦ ـ وعن عائِشَةَ قالت: جاءتني امرَأَةٌ مَعَها ابنتانِ تَسألُني، فلم تَجِدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها، فقَسَمَتْها بينَ ابنتَيْها، ثُمَّ خَرَجَتْ، فدخلَ النبيُّ ﷺ وحدَّثتُه، فقال: «مَن يَلِي مِن هذه البناتِ شيئاً فأَحْسَنَ إليهِنَّ كُنَّ له سِتراً مِن النَّارِ».

قوله: «من يَلِيَ»؛ أي: من ابْتُلِيَ.

* * *

٣٨٤٨ ـ وقال: «السَّاعي على الأَرْمَلَةِ والمِسْكينِ كالسَّاعي في سبيلِ الله»، وأحسِبُه قالَ: «كالقائِمِ لا يَفْتُرُ، وكالصَّائمِ لا يُفطِرُ».

قوله: «الساعي على الأرملة»، (الأرملة): المرأةُ التي لا زوجَ لها؛ يعني: من أعانَ أرملةً وأحسنَ إليها يكونُ ثوابُه كثوابِ الغازي، وكثوابِ الذي يصومُ النهارَ ولا يُفْطِر، ويقومُ الليل ولا يَفْتُر؛ أي: ولا يتركُ العبادة.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٨٤٩ ـ وقال: «أنا وكافِلُ اليَتيمِ، لهُ ولغَيرِهِ، في الجَنَّةِ هكذا»، وأشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفرَّجَ بينَهما شيئاً.

قوله: «أنا وكافلُ اليتيم، له ولغيره»، أراد بكافل اليتيم: الذي يُرَبي يتيماً ويُحسِنُ إليه (له ولغيره)؛ يعني: سواءٌ كان اليتيمُ له كابن ابنِه وإن سَفَلَ، أو ابن

أخيه، أو كانت امرأة تربي ولدَها الذي مات أبوه، أو أحدٌ يربي ولدَ أجنبيٍّ مات أبوه، كلُّ ذلك في الأجر سواءٌ.

روى هذا الحديثَ سهل بن سعد.

* * *

٣٨٥٠ ـ وقال: «تَرَى المُؤْمنينَ في تَرَاحُمِهِم وتَوادِّهم وتَعاطُفِهم كمثَلِ الجَسَدِ، إذا اشتكَى عُضْواً تداعَى لهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى».

قوله: «تَدَاعى له سائرُ الجَسَد بالسَّهَر والحُمَّى»، التَّدَاعِي: أن يدعوَ بعضُ القوم بعضاً، ويتَّفِقُوا على فعلِ شيءٍ.

(السَّهَرُ): مفارقةُ النوم؛ يعني: كما أن الرجلَ إذا تألَّمَ بعضُ جسده يَسْرِي ذلك الألمُ إلى جميع جَسَدِه، فكذلك المؤمنون؛ ليكونوا كنفسٍ واحدةٍ إذا أصابَ أحداً مصيبةٌ ليغتمَّ بتلك المصيبة جميعُ المؤمنين، وليقْصِدُوا إزالتها عنه.

روى هذا الحديثَ والذي بعدَه النعمانُ بن بشير.

* * *

٣٨٥٢ ـ وعن أبي مُوسى، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضاً»، ثُمَّ شَبَّكَ بينَ أصابِعِه.

قوله: «وشَبَّكَ بين أصابعه»، شَبَّكَ تَشْبيكاً: إذا أدخلَ أصابعَ أحدِ اليدين بين أصابعِ اليد الأخرى؛ أي: كما أن هذه الأصابعَ أُدْخِلتْ بعضُها بين البعض، فكذلك ليكنِ المؤمنون داخلين بعضُهم في بعض؛ يعني: ليحتَسِبْ بعضُ المؤمنون بعضاً كنفْسٍ واحدة، وليتَّصِلْ بعضُهم ببعض، وليُعِنْ بعضُهم بعضاً.

* * *

٣٨٥٣ ـ وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه كانَ إذا أتاهُ السَّائِلُ أو صاحِبُ الحاجَةِ قال: «اِشفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، ويقضي الله على لسانِ رسولِهِ ما شاءَ».

قوله: «اشفعُوا فلتؤجروا»؛ يعني: إذا عرضَ صاحبُ حاجةٍ حاجتَه عليَّ اشفعوا له إليَّ، فإنكم إذا شَفَعْتُم له إليَّ حصلَ لكم بتلك الشفاعة أجرٌ سواءٌ قَبِلْتُ شفاعتكم أو لم أقبل؟

قوله: «وإنما يقضي الله على لسان رسوله ما شاء»؛ أي: وإنما يُجْرِي الله على لساني ما شاء؛ يعني: إن قضيتُ حاجةَ مَنْ شَفَعْتُم له فهو بتقدير الله، وإن لم أقضِ فهو أيضاً بتقدير الله تعالى.

* * *

٣٨٥٤ ـ وقال: «أنصُرْ أخاكَ ظالماً أو مَظْلوماً». فقال رَجُلٌ: يا رسولَ الله! أَنصُرُه مَظْلوماً، فكيفَ أنصُرُه ظالِماً؟ قال: «تمنعُه مِن الظُّلمِ، فذلك نَصْرُكَ إيَّاهُ».

قوله: «فذلك نَصْرُك إياه»، (ذلك): إشارةٌ إلى المَنْعِ؛ أي: مَنْعُكَ أخاكَ من أن يظلمَ أحداً نَصْرُك إياه؛ لأنَّ النَّصْرَ دَفْعُ الضَّرَرِ عن أَحَدٍ، وإذا منعتَ أحداً عن الظلم فقد دفعتَه عن الإثم الذي هو سببُ دخولِه النار، فكأنك دفعتَ النارَ عنه، وأيُّ نُصْرةٍ أكملُ مِنْ دفعِكَ النارَ عن أخيك.

روى هذا الحديثَ أنسٌ.

* * *

٣٨٥٥ ـ وقال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كانَ في حاجَةِ أخيهِ كانَ الله في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فرَّجَ الله عنه كُرْبَةً

مِن كُرُباتِ الآخِرَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَه الله يَوْمَ القِيامَةِ».

قوله: «ولا يُسْلِمُه»، بضم الياء وسكون السين؛ أي: ولا يَخْذُلُه عن النُّصْرة، ولا يَتركُه في أيدي الأعداء، بل يُخلِّصُه من أيديهم، والنفيُ هنا بمعنى النهي.

روى هذا الحديثَ سالمُ بن عبدالله بن عمرَ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ.

* * *

٣٨٥٦ ـ وقال: «المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ، لا يَظلِمُه، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُه، التَّقْوَى ههنا»، ويُشيرُ إلى صَدْرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، «بِحَسبِ امرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يحقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرَامٌ، دمُه، ومالُه، وعِرْضُه».

قوله: «التَّقوى هاهنا، ويشيرُ إلى صدره»؛ يعني: لا يجوزُ تحقيرُ المُتَّقي من الشِّرْك والمعاصي، والتقوى محلُّها القلبُ، وما كان محلُّه القلبَ يكونُ مخفياً عن أعينِ الناس، وإذا كان مخفياً، فلا يجوزُ لأحدٍ أن يحكمَ بعدم تقوى مسلمٍ حتى يحتقره، بل لا يجوزُ تحقيرُ مسلم.

ويحتمل أن يكون معناه: محلُّ التقوى هو القلب، فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقِرَ مسلماً؛ لأن المُتَّقِيَ لا يَحْقِرُ المُسْلِمَ.

«بحسْبِ امرئٍ»، الباء زائدة؛ يعني: حَسْبُ امرئ؛ أي: كفى للمؤمن من الشرِّ تحقيرُ المسلمين؛ يعني: إن لم يكن له مِن الشرِّ سوى تحقيرِ المسلمين يكفيه في دخوله النارَ.

روى هذا الحديثَ أنس.

* * *

٣٨٥٧ - وقالَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثلاثةٌ: ذو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رحيمٌ رقيقُ القَلْبِ لكلِّ ذي قُرْبى ومُسْلِمٍ، وعَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ، وأهلُ النَّارِ خَمْسةٌ: الضَّعيفُ الذي لا زَبْرَ لهُ، الذينَ هم فيكم تَبَعٌ، لا يَبغُونَ أهلاً ولا مالاً، والخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ وإنْ دَقَّ إلا خانَهُ، ورَجُلٌ لا يُصْبحُ ولا يُمسي إلا وهو يُخادِعُكَ عن أهلِكَ ومالِكَ»، وذكرَ البُخْلَ والكَذِبَ، «والشِّنْظيرُ الفَحَّاشُ».

قوله: «أهلُ الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مُقْسِط متصدِّق موفَّق»؛ يعني: أحدُ الثلاثة: (ذو سلطان)؛ أي: ذو حُكْمٍ وسَلْطَنة، (مقسط)؛ أي: عادلٌ، (متصدِّق)؛ أي: مُحْسِن إلى الناس، (موفَّق) بفتح الفاء؛ أي: الذي رُزِقَ طاعةَ الله، والعَدْلَ في الحُكْم.

«ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قُربى ومسلم»؛ يعني: الثاني: مَن في قلبه رِقَّة؛ أي: شفقةٌ ورحمةٌ على الأقارب والأجانب.

«وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عِيالٍ»؛ يعني: الثالثُ من كان عفيفاً؛ أي: صالحاً، (متعفِّفاً)؛ أي: مانعاً نفسه عمَّا لا يليقُ مع أنه ذو عِيال؛ يعني: يتركُ المالَ، ويتباعد عنه، وإن كان له عيال، ولا يحمِلُه حبُّ العيال على تحصيلِ المال الحرام، بل يختار حبَّ الله على حبِّ العيال.

(العفيف): الذي يمنع نفسه عن الحرام، و(المتعفِّف): له معنيان:

أحدهما: الذي يحمِلُ على نفسه بالكُرْه العفَّةَ؛ أي: الامتناع من الحرام.

الثاني: الذي يُظْهِرُ عن نفسه العِفَّة مع أن العِفَّة موجودةٌ فيه، بأن يكون عفيفاً، ويُظْهِرُ العِفَّةَ عن نفسه، بلُبس لِباس الصالحين ليقتدي به في الصلاح من رآه.

وبعضُ الناس فيه العِفَّةُ ولا يُظْهِرُها عن نفسه، بل يلبَسُ لِباسَ غيرِ

الصالحين، ويقال لمن له هذه الصفة: ملا ميتا، وهذه الصفة غير مرضيَّةٍ في الشرع، كي لا يغتابَه الناسُ بأن يقولوا فيه: إنه فاسقٌ، وكي لا يغترَّ به بعضُ الناس، ويقول: فإذا كان فلانٌ فاسقاً فأكونُ مثله.

«وأهل النار خمسة: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ له»؛ أي: لا عَقْلَ.

«الذين هم فيكم تَبَعٌ لا يَبْغُون أهلاً ومالاً»؛ يعني: أحدُ الخمسة هذه الطائفة.

وأراد بـ (الضعيف): من كانت شهوتُه غالبةً عليه بحيث لا يقدِرُ على دَفْعِ نفسِه، بل يفعلُ ما أمرتْه نفسُه من المعاصي.

وأراد بـ (العقل) هنا: العقل الذي يمنعُ الرجلَ من المعاصي.

وأراد بـ «الذين هم فيكم تبع»: الذين يدورون حول الأمراء والرئيس ويخدمونهم، ويأخذون الناس ويضربونهم، ولا يبالون بما يأكلُون ويشربون ويلبَسُون ويجامعون، أمن الحرام هو أم من الحلال؟

«لا يبغون»؛ أي: لا يطلبون «أهلاً»؛ أي: زوجةً، بل كلُّ امرأة يقدِرُون عليها يفعلُون بها ما يريدون، ولا يطلبون مالاً حلالاً، بل كل مال يقدِرون عليه يأخذونه.

ويقال لهؤلاء بالفارسي: سرهنك ورده دار، وكذلك عادة الجواليق.

«والخائن الذي لا يَخْفَى له طمعٌ وإن دَقَّ إلا خانه»، روى هذا الحديثَ عياض بن حمار.

* * *

٣٨٥٨ - وقالَ: «والذي نَفْسي بيدِه، لا يؤمنُ عبدٌ حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنَفسِه».

قوله: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»، هذا نفيُ كمالِ الإيمان، لا نفيُ أصلِ الإيمان، ولأنَّ أحدَ العدوَّين لا يحبُّ خيرَ العدوِّ، بل يريد وصولَ الضَّرر إليه، ومع هذا لا يكون كافراً بهذه العداوة.

روى هذا الحديثَ أنس.

* * *

٣٨٥٩ ـ وقالَ: «والله لا يُؤْمِنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ»، قيلَ: مَن، يا رسولَ الله؟ قال: «الذي لا يَأْمَنُ جارُه بَوائِقَه».

قوله: «لا يأمن جارُه بوائِقَه»، (البَوائِقُ): جمع بائقة وهي الداهية، والمراد بها هاهنا الضَّرر والمشقة.

روى هذا الحديثَ أبو شُرَيح الكَعْبي، وأبو هريرة.

* * *

٣٨٦١ ـ وقالَ: «ما زالَ جِبْريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظَنَنْتُ أنه سَيُوَرِّثُه».

قوله: «لا يزال جبريلُ يوصيني بالجار»؛ يعني: يأمرني بحفظ حقِّ الجار، والإحسان ودفعِ الضَّرر عنه.

روت الحديثَ عائشة.

* * *

٣٨٦٢ ـ وقالَ: «إذا كُنتم ثلاثةً فلا يَتَناجَى اثنانِ دونَ الآخرِ حتى يختلِطُوا بالنَّاسِ مِن أجْلِ أنْ يُحزِنَه».

قوله: «إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دونَ الآخر»، لو حضرَ ثلاثةٌ موضعاً، ولم يكنْ معهم غيرُهم، فلا يجوز أن يتناجَى اثنان بحيث لا يسمعُ

الثالثُ كلامَهما؛ لأن الثالثَ يظنُّ حينئذ أنهما يقولان فيه شيئاً قبيحاً، فيحزَنُ من قولهما.

«حتى يختَلِطُوا بالناس»؛ يعني: لا يجوزُ تناجي اثنين حتى يجتمعَ الناسُ أكثرَ من ثلاثة، فإذا كثر الناسُ فلا بأس بتناجي اثنين؛ لأن كلَّ واحدٍ لا يظنُّ أن المتناجِيَيْنِ يقولان فيه، بل يظنُّ أنهما يقولان في حقِّ شخصٍ آخرَ شيئاً لا في حقِّه.

روى هذا الحديثَ ابن مسعود.

* * *

٣٨٦٣ ـ وعن تَميمٍ الدَّارِيِّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصيحَةُ»، ثلاثاً، قلنا: يا رسولَ الله! لِمَن؟ قال: «للهِ، ولِكِتابه، ولرَسُولِه، ولأئِمَّةِ المُسلِمينَ، وعامَّتِهم».

قوله: «الدِّين النصيحةُ»، تقدير هذا الكلام: عمادُ أمور الدين، أو أفضلُ أو أكملُ أعمال الدين: النصيحةُ، و(النصيحةُ): إرادة الخيرِ للمنصوحِ له.

أمر ﷺ بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، النصيحة لله: أن يريدَ الرجلُ ويحبُّ ما يتعلَّقُ بتعظيم الله بطاعته من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإرشادِ المسلمين إلى دينه.

والنصيحة لكتاب الله: أن يكرِمَ الرجلُ القرآنَ، ويأمر الناسَ بإكرامه وإتباعه.

والنصيحةُ لرسول الله: أن يفعلَ الرجلُ ويأمرَ الناسَ بما يتعلَّق بتعظيمه ويأمرهم باقتدائه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: أن يطيعَ الرجلُ الخليفةَ ونُوَّابَه، ويأمرَ الناسَ

بطاعتهم، ويدفع الأذيةَ عنهم.

والنصيحة لعامتهم؛ أي: لجميع المسلمين أن يريدَ خيرَ المسلمين، وما فيه صلاحُهم ونجاتُهم من مكروه الدنيا والآخرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٦٥ ـ عن أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ أبا القاسمِ الصَّادقَ المصدوقَ ﷺ يقولُ: «لا تُنزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقِيٍّ».

قوله: «الصادق المصدوق»، (الصادق): من صدق فيما قال، و(المصدوق): من صدَّقَه المستمعُ في كلامه.

والمصدوق في حق النبي ﷺ: أن صدَّق الله فيما قال في كلامه القديم، فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

«لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا من شَقِيٍّ»؛ يعني: مَن ليس في قلبه شفقةٌ ورحمةٌ فهو شَقِيٌّ.

* * *

٣٨٦٦ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهم الرَّحمنُ، اِرحَمُوا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكم مَن في السماءِ».

قوله: «الرَّاحمون يَرْحَمهم الرحمن»؛ يعني: مَن رَحِمَ عبادَ الله رَحِمَه الله.

«ارحموا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكم مَن في السماء»، ليس لله مكانٌ حتى يُنسَبَ إليه.

(من في السماء) له تأويلان:

أحدهما: من مُلْكِه وقدرته في السماء؛ يعني: السماء أعظمُ وأرفعُ من الأرض، ومع أنه أعظمُ وأرفع من الأرض قدرةُ الله غالبةٌ على السماء.

والثاني: أن يكونَ المرادُ بمن في السماء الملائكة؛ يعني: ارحموا مَن في الأرض من الناس يرحمكم مَن في السماء من الملائكة، تحفظُكم الملائكةُ من الأعداء والمُؤذِيات بأمر الله، ويستغفروا لكم، ويطلبوا لكم الرحمة من الله الكريم.

روى هذا الحديثَ عبدالله بن عمرو.

* * *

٣٨٦٧ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منا مَن لم يَرْحَمْ صَغيرَنا، ويُوَقِّرْ كبيرَنا، ويأمُرْ بالمَعروفِ، ويَنْهَ عن المُنْكَرِ»، غريب.

وقوله: «ليس منا مَن لم يَرْحَمْ صغيرَنا»؛ أي: ليس مِن متابعينا في هذا الفعل.

روى هذا الحديثَ ابن عباس.

* * *

٣٨٦٨ ـ وقال: «ما أكرمَ شابٌّ شَيْخاً مِن أجلِ سِنِّهِ إلا قَيَّضَ الله لهُ عندَ سِنِّهِ مَن يُكْرِمُهُ».

قوله: «قَيَّضَ الله»؛ أي: وكَّلَ الله.

روى هذا الحديثَ أنسٌ.

* * *

٣٨٧٠ ـ وقالَ: «خيرُ بيتٍ في المُسلِمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المُسْلِمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يُسَاءُ إليهِ».

قوله: «يُساءُ إليه»؛ أي: يؤذيه بالباطل، فإن ضربَه كافلُه للتأديب وتعليمِ الدين لم يكن آثماً.

روى هذا الحديثَ أبو هريرة.

* * *

٣٨٧١ ـ وقال: «مَن مَسَحَ رَأْسَ يتيمٍ لم يَمْسَحْهُ إلا للهِ، كانَ لهُ بِكُلِّ شَعْرةٍ تَمُرُّ عليها يدُه حَسَنَاتٌ، ومَن أَحْسَنَ إلى يتيمةٍ أو يتيمٍ عندَهُ كنتُ أنا وهوَ في الجَنَّةِ كهاتينِ، وقَرَنَ بينَ أُصْبُعَيْهِ»، غريب.

قوله: «من مَسَحَ رأسَ يتيم»؛ يعني: من مسح يدَه على رأسِ يتيم للتلطُّفِ به والرحمة إليه، أو دَهَنَ رأسَه أو سترَ رأسَه لله يكون ثوابُه ما ذُكِر.

روى هذا الحديثَ أبو أمامة.

* * *

٣٨٧٢ ـ وقال: «مَن آوَى يتيماً إلى طَعامِه وشَرابِهِ أوجَبَ الله لهُ الجَنَّةَ البَتَّةَ، إلا أنْ يَعْمَلَ ذنباً لا يُغفَرُ، ومَن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مِثْلَهن مِن الأَخَواتِ، فأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ حتى يُغنِيَهُنَّ الله، أَوْجَبَ الله له الجَنَّةَ»، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله! أو اثنَتَينِ؟ قال: «أو اثنتينِ»، حتى لو قالُوا: أو واحدةً، لقالَ: واحِدَةً، «ومَن أَذْهَبَ الله كريمتَيْهِ وجبَتْ له الجنةُ»، فقيلَ: يا رسولَ الله! وما كريمَتاهُ؟ قال: «عيناهُ».

قوله: «إلا أن يَعْمَلَ ذنباً لا يُغْفَر»؛ يعني: إلا أن يُشْرِكَ بالله، فإن الذنبَ

الذي لا يُغفَرُ هو الشِّركُ ومظالمُ الخَلْقِ، وإن مات على الشِّرْكِ لا يدخل الجنةَ أبداً، وإن مات وعليه مَظْلَمَةُ أحدٍ يؤخذ منه القصاصُ بأن يدفعَ من حسناته إلى المظلومِ بقدْرِ حقِّه، فإن لم يكن له حسنةٌ يؤخَذْ من سيئات المظلومِ، وتوضع على الظالم، فلمَّا عُذِّبَ بقدْرِ مَظْلَمتهِ يدخل الجنة.

روى هذا الحديثَ ابن عباس.

* * *

٣٨٧٤ ـ ورُوِيَ: «ما نَحَلَ الوالِدُ وَلَدَهُ مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»، مرسل.

قوله: «ما نَحَلَ الوالدُ»؛ أي: ما أعطى الأبُ.

«مِن نَحْلٍ»، هي جمع نِحْلَة، وهي ما يُعْطَى على سبيل التبرُّع.

* * *

٣٨٧٥ ـ عن عَوْفِ بن مالكٍ الأَشْجَعيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أنا وامرَأَةٌ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ كهاتَينِ يومَ القيامةِ ـ وأَوْمَأَ الرَّاوي بالسَّبابةِ والوُسْطى ـ امرأةٌ آمَتْ مِن زَوْجِها ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، حَبَسَتْ نفسَها على يتاماها حتى بانُوا أو مَاتُوا».

قوله: «سَفْعَاء الخَدَّين»؛ أي: متغيرةُ الخَدَّين من غاية المشقَّة.

«أوْمأ»؛ أي: أشار.

«آمَتْ»؛ أي: صارتْ أيماً، وهي التي مات زوجُها.

«حَبَسَتْ نفْسَها»؛ أي: تركت التزوجَ بزوجٍ آخر، واشتغلت بخدمة أولادها الذين من الزوج الذي مات.

«حتى بانُوا»، وهذا مِن بانَ يَبُونُ بوناً: إذا زاد على غيره في شيءٍ من العلم وغيره؛ أي: حتى زادوا على الأطفال بكثرةِ قوةٍ وعقلٍ ورشدٍ بحيث يقدِرُ كلُّ واحدٍ على خدمة نفسه، وتحصيل قوته.

* * *

٣٨٧٦ ـ وعن ابن عبَّاسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن كانت لهُ أُنثَى فلم يَئِدْها، ولم يُهِنْها، ولم يُؤْثِرْ ولدَه عَلَيها ـ يعني الذُّكورَ ـ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ».

قوله: «فلم يَئِدها»، وأَد يَئِدُ: إذا دَفَنَ حياً؛ أي ولم يقتلْها كما هو عادة أهل الجاهلية فإنهم كانوا يقتلون البناتِ؛ إما فراراً من العار أو من الفقر.

«ولم يُهِنْها»؛ أي: ولم يُذِلَّها، «ولم يُؤْثِرْ»؛ أي: ولم يَخْتَرْ «ولدَه» على البنت.

* * *

٣٨٧٧ ـ عن أنسٍ عن النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «مَن اغتِيبَ عندَه أخوهُ المُسْلِمُ وهوَ يقدِرُ على نَصْرِه فنَصَرَهُ نصرَهُ الله في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فإنْ لم يَنْصُرْه وهو يَقْدِرُ على نَصْرِه أدركَه الله بهِ في الدُّنيا والآخِرةِ».

قوله: «أَدْرَكَه الله»؛ أي: انتقمَ الله منه؛ يعني: يقول له: لِمَ لَم تنصرْ أخاك المغتاب مع قدرتك على أن تدفعَ المغتاب من أن يغتابه.

* * *

٣٨٧٨ ـ وقال: «مَن ذَبَّ عَن لَحْمِ أخيهِ بالمغيبَةِ كانَ حَقّاً على الله أنْ يُعتِقَه مِن النَّارِ».

قوله: «من ذبَّ عن لحمِ أخيه»، (الذَّبُّ): الدفعُ؛ يعني: من منعَ مغتاباً عن غيبة مسلم.

روت هذا الحديثَ أسماء بنت يزيد.

* * *

٣٨٧٩ - وعن أبي الدَّرْداءِ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما مِن مُسْلِمٍ يَرُدُّ عن عِرْضِ أخيهِ، إلاَّ كان حَقاً على الله أنْ يَرُدَّ عنهُ نارَ جَهَنَّمَ يومَ القيامةِ، ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾».

قوله: «يردُّ عن عِرْض أخيه»؛ أي: يمنعُ مغتاباً من غِيبة مسلم.

* * *

٣٨٨١ - وقال: «مَن رأَى عَوْرَةً فستَرها كانَ كمَن أحيا مَوْؤُودَةً».

«مَن رأى عورةً»، (العَوْرَةُ): الشيءُ القبيحُ؛ يعني: من رأى عيباً أو فِعْلاً قبيحاً في مسلم، «فستَرَها» عليه كانَ ثوابُه كثوابِ «مَن أحيى موؤودةً»؛ أي: من رأى حياً مدفوناً في قبر فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت.

ووجه تشبيه الستر على عيوب الناس، بإحياء المَوْؤودة أنَّ من انهتك سترُه يكون من الخجالة كميت، ويحبُّ الموتَ من الخجالة، فإذا سترَ أحدٌ على عيبه فقد دفعَ عنه الخجالةَ التي هي عنده كالموت.

روى هذا الحديثَ عقبة بن عامر.

* * *

٣٨٨٦ - عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحَدَكم مِرْآةُ أخيهِ، فإنْ رأى به أذًى فَلْيُمِطْ عنه»، ضعيف.

وفي رِوايةٍ: «المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤمِنِ، والمُؤْمِن أخو المؤمِنِ، يَكُفُّ عنهُ ضَيْعتَهُ، ويَحُوطُه مِن وَرائِهِ».

قوله: «إن أحدكم مرآةُ أخيه»؛ يعني: كما أنَّ الرجلَ إذا نظرَ إلى المرآة فيرى صورتَه فيها، فإن كان في صورته عيبٌ، فأزال ذلك العيبَ عن نفسه إن قدرَ على إزالته، فكذلك إذا رأى عيباً في أخيه المسلم.

«فليُمِطْ»؛ أي: فليُبْعِدْ ذلك العيبَ عنه، وليشتغلْ بإصلاح حالهِ بأي طريق أمكنَه، وليعلمْ نفسَه كنفسه.

قوله: «يَكُفُّ عنه ضيعتَه»، (الكَفُّ): المَنْعُ، (الضَّيعةُ): التَّلَفُ والخُسْران؛ يعني: ليدفع عنه ما فيه عليه ضَرَرٌ.

«ويحوطه من ورائه»؛ أي: ليحفظه في غيبته، وليدفع عنه مَن يغتابه ويلحقه ضرراً.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٨٨٨ ـ عن ابن مَسْعودٍ قال: قال رَجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: كيفَ لي أنْ أَعْلَمَ إذا أحسنتُ أو إذا أسأْتُ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إذا سَمِعتَ جيرانَك يقولونَ: قد أحسَنْتَ؛ فقد أحسَنْتَ، وإذا سَمِعتَهم يقولونَ: قد أسأتَ؛ فقد أَسَأْتَ».

قوله: «كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت» أراد بهذا الحديث: أن المُحْسِن مَن سلم الناس من يده ولسانه، والمسيء: مَن لم يسلم الناس من يده ولسانه.

* * *

٣٨٨٣ ـ عن عائِشَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهم».

قوله: «أنزلوا الناس منازلهم»؛ يعني: احفظوا حرمة كلِّ أحدٍ على قَدْرِه، فلا يجوز للإمام أن يساوي في الإعزاز بين الخادم والمخدوم، وبين سيد القوم وبين قومه.

* * *

١٦ - باب
الحُبِّ في اللهِ والبُغْضِ في اللهِ

(باب الحب في الله ومِن الله)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٨٨٩ - قالَ رسولُ الله ﷺ: «الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختَلفَ».

قوله: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، (المجندة)؛ أي: المجموعة، (التعارف): جريان المعرفة بين اثنين فصاعداً، (ائتلف)؛ أي: اجتمع، (التناكر): ضد التعارف.

يعني: الأرواح قبل خلق الأجساد مخلوقةٌ مجموعةٌ في الأزل، ويجري بين جماعة من الأرواح تعارفٌ، وبين جماعة تناكرٌ؛ أي: عدم المعرفة؛ فمن جرى بينهم تعارف قبل خلق الأجساد يحصل بينهم تعارف أيضاً بعد دخول الأجساد، ومن لم يجر بينهم تعارف قبل خلق الأجساد لم يحصل بينهم تعارف بعد دخول الأرواح في الأجساد.

قال محيي السنة: في هذا الحديث بيانُ أن الأرواح خلقت قبل الأجساد، وأنها مخلوقة على الائتلاف والاختلاف كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت، وذلك على ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة.

ثم الأجساد التي فيها الأرواح في الدنيا تتآلف وتختلف على حسب ما جُعلت عليه من التشاكُل والتنافر في بدء الخلق، فيُرى البَرُّ الخيـر يحب مثلَه، والفاجر يألف شِكْله وينفر عن ضدُه.

وفيه دليل على أن الأرواح ليست بأعراض، وأنها قد كانت موجودةً قبل الأجساد، وأنها تبقى بعد فناء الأجساد كما أخبر النبي ﷺ عن الشهداء: «أن أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ تسرح من الجنة حيث شاءت».

قال المعتزلة: الروح عرض.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٨٩٠ ـ وقالَ: «إنَّ الله إذا أحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْريلَ فقال: إنِّي أُحِبُّ فلاناً فأَحِبَّهُ»، قالَ: «فيُحِبُّه جِبْريلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيقولُ: إنَّ الله يُحِبُّ فلاناً فأَحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ، وإذا أبغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْريلَ فيقول: إنِّي أُبغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ»، قال: «فيُبْغِضُه جبريلُ، ثُمَّ يُنادِي في أهلِ السَّماءِ: إن الله يُبغِضُ فلاناً فأبغِضُوه»، قال: «فيُبغِضُونَه، ثُمَّ تُوضَعُ لهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

قوله: «ثم يوضع له القبول في الأرض»؛ يعني: ثم يوضع حبه في قلوب الناس.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٨٩١ ـ وقالَ: «إنَّ الله يقولُ يومَ القِيامةِ: أينَ المُتَحابُّونَ بجلالي؟ اليَوْمَ

أُظِلُّهم في ظِلِّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي».

قوله: «أين المتحابون بجلالي»؛ يعني: الذين يحب بعضهم بعضاً بعظمتي؛ يعني: كان في الدنيا سببُ حب بعض الناس بعضاً المالَ والجاه، أو توقُّعَ النصرة، أو غير ذلك، وكان هؤلاء سببُ حب بعضهم بعضاً رضائي، ورجاؤهم ثوابي ولقائي.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٨٩٢ ـ عن أبي هُرَيْرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ رَجُلاً زارَ أخاً له في قَرْيَةٍ أُخرَى، فأَرصدَ الله لهُ على مَدْرَجتِهِ مَلَكاً قال: أينَ تريدُ؟ قال: أريدُ أخاً لي في هذه القَرْيَةِ، قال: هل لكَ عليهِ مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لا، غيرَ أنِّي أَحْبَبْتُه في الله، قال: فإنِّي رسولُ الله إليكَ بأنَّ الله قد أحبَّكَ كما أحبَبْتَهُ فيه».

قوله: «فأرصد الله على مدرجته ملكاً»؛ أي: فأرسل الله على طريقه، (الإرصاد): أن يوقف أحد في الطريق لينتظر أحداً، (المدرجة): الطريق.

«هل لك عليه من نعمة تربها»، (تربُّها)؛ أي: تقوم بإصلاحها؛ يعني: هل هو مملوكك أو ولدك أو غيرهما ممن هو في نفقتك وفي شفقتك، تجيء إليه لتُحسِن إليه.

* * *

٣٨٩٥ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الجليسِ الصَّالحِ والسُّوءِ، كحَامِلِ المِسْكِ ونافخِ الكِيرِ، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أنْ يُحذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منهُ رِيحاً طيبةً، ونافخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يَحْرِقَ ثيابَكَ، وإمَّا أنْ تجدَ منه رِيحاً خَبيثةً».

قوله: «ونافخ الكير»؛ أي: الذي ينفخ في الكير، وهو شيءٌ ينفخ فيه الحداد لتشتعل النار. «يحذيك»؛ أي: يعطيك. «تبتاع»؛ أي: تشتري.

والمراد من هذا الحديث: أن مجالسة الصلحاء تنفع في الدنيا والآخرة؛ لأنك تجد منهم التربية وتعليم الخير، وتصل إليك بركتهم، ويَحسن صيتك بين الناس بأن يقال: فلان يجالس الصلحاء، ومجالسة الفسّاق تكون بعكس هذا.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٨٩٦ ـ عن مُعاذِ بن جَبَلٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «قالَ الله تعالى: وَجَبَتْ مَحبَّتي للمُتحابينَ فِيَّ، والمُتَجَالِسينَ فِيَّ، والمُتَزاوِرِينَ فِيَّ، والمُتَباذِلينَ فِيَّ».

وفي رِوايةٍ قال: «يقولُ الله تعالى: المُتَحابُّون في جلالي لهم منابرُ مِن نورٍ، يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ».

قوله: «للمتحابين فيّ»؛ يعني: الذين يحب بعضهم بعضاً لمرضاتي ولأجلي، لا لغرضٍ دنيوي.

«والمتزاورين فيّ»؛ أي: الذين يزور بعضهم بعضاً لأجلي.

«والمتباذلين فيّ»؛ أي: الذين يبذل؛ أي: يعطي بعضهم بعضاً شيئاً.

* * *

٣٨٩٧ ـ عن أبي مالكٍ الأشعريِّ قال: كنتُ عندَ النَّبيِّ ﷺ إذ قالَ: «إنَّ للهِ عِبَاداً لَيْسُوا بأنبياءَ ولا شُهَداءَ، يغبِطُهم النَّبيُّونَ والشُّهداءُ بِقُرْبِهم ومَقْعَدِهم مِن الله يومَ القِيامةِ»، فقال أعْرابيٌّ: حدِّثْنَا يا رسولَ الله! مَن هُم؟ فقال: «هُم عِبادٌ مِن عِبادِ الله مِن بُلدانٍ شَتَّى وقبائلَ شتَّى، لم يَكنْ بينَهم أرْحامٌ يَتَواصَلُون

بها، ولا دُنيا يتباذَلُون بها، يتحابُّون برُوحِ الله، يَجْعَلُ الله وُجوهَهُم نوراً، وتُجْعَلُ لهم منابرُ مِن نورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرَّحمنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ ولا يَفْزَعُون، ويخافُ النَّاسُ ولا يخافُونَ».

قوله: «يغبطهم النبيون والشهداء»، (الغبطة): أن يتمنى الرجل شيئاً؛ يعني: يتمنى النبيون والشهداء أن يكون لهم تلك المنازل لحسنها وطيبها وعظم قدرها.

وليس تمنِّي النبيين والشهداء تلك المنازل لأَجْلِ أن تكون تلك المنازل خيراً من منازلهم، بل منازل النبيين خير، ولكن عادة الإنسان أن يتمنى ما رآه حسناً، وإن كان له مثل ذلك الشيء، أو خيراً منه.

قوله: «من بلدان شتى»؛ أي: من بلاد متفرقة يزور بعضهم بعضاً، ويحب بعضهم بعضاً لأجل الله تعالى لا لغرضٍ دنيوي.

«برُوح الله» بضم الراء، (الروح): ما به الحياة، والروح هنا: القرآن وأحاديث النبي؛ لأن بهما حياةَ القلوب، والحياةَ التي لا فناء بعدها؛ يعني: يتحابون بما في القرآن والأحاديث من الفوائد؛ يعني: يحب بعضهم بعضاً لمَّا وجدوا أن محبة الصلحاء وخدمتهم ونصرتهم مَرْضيَّة لله تعالى، ومُوجبةٌ للثواب.

«قدام الرحمن» هذا عبارة عن قرب المنزلة من الله تعالى.

«يفزع الناس ولا يفزعون»؛ أي: يخاف الناس ولا يخافون، (الفزع): الخوف، إلا أن الفزع أشدُّ أنواع الخوف.

* * *

٣٨٩٨ - عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رَسولُ الله ﷺ لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرٍّ! أيُّ عُرَا الإيمانِ أَوْثَقُ؟» قال: الله ورَسولُهُ أعْلَمُ! قال: «المُوالاةُ في الله، والحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله».

قوله: «أيُّ عرى الإيمان أوثق؟»، (العرى): جمع عروة، وهي م يتمسك به الأوثق الأحكم، و«الموالاة»: جريان المحبة بين اثنين.

* * *

٣٨٩٩ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا عادَ المُسْلِمُ أخاهُ، أو زارَه، قال الله تبارك وتعالى: طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتَبَوأْتَ مِن الجَنَّةِ منزِلاً»، غريب.

قوله: «إذا عاده» عاد وزار متماثلان في المعنى، إلا أن العيادة تكون في المرض، والزيارة تكون في الصحة.

«طبت»؛ أي: حصل لك طيبُ العيش في الآخرة.

«وطاب ممشاك»؛ أي: صار مشيك سببَ طيب عيشك في الآخرة؛ لحصول الأجر لك.

«وتبوأت»؛ أي: وهيأت.

* * *

٣٩٠١ ـ عن أنسٍ قال: مرَّ رَجُلٌ بالنَّبيِّ ﷺ وعندَه ناسٌ، فقالَ رَجُلٌ مِمَّن عندَه: إنّي لأُحِبُّ هذا للهِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قال: لا، قالَ: «قُمْ إليه فأَعْلِمْهُ»، فقامَ إليه فأَعْلَمَه فقالَ: أحبَّكَ الذي أَحْبَبْتَني له، قال: ثُمَّ رَجَعَ، فسألَهُ النبيُّ ﷺ فأخبرَه بما قالَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «أنتَ مَع مَن أحبَبْتَ، ولكَ ما احتَسَبْتَ».

وفي رِوايةٍ: «المَرْءُ معَ مَن أحبَّ، ولهُ ما اكتَسَبَ».

قوله: «ما احتسبت»؛ أي: ما أمِلْتَ وطمعت من الأجر.

* * *

٣٩٠٣ ـ عن أبي هُرَيرةَ قال: قالَ رَســـولُ الله ﷺ: «المَرْءُ على دينِ خليلِه، فلْيَنظرْ أحدُكم مَن يُخَالِلْ» غريب.

قوله: «من يخالل»؛ أي: مَن يجري بينه وبينك خلةٌ؛ أي: محبةٌ، إن اتخذ صالحاً خليلاً يكون هو صالحاً، وإن اتخذ فاسقاً يكون هو فاسقاً، فإذا كان كذلك فلا يجوز أن يتخذ الرجل فاسقاً خليلاً؛ كي لا يصير بسببه فاسقاً.

* * *

٣٩٠٤ ـ عن يزيدَ بن نَعَامَةَ أنه قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «إذا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فلْيَسألْهُ عن اسمِه واسمِ أبيهِ ومِمَّن هوَ، فإنَّه أَوْصَلُ للمَوَدَّةِ».

قوله: «إذا آخى الرجل»؛ أي: اتخذ الرجلُ أخاً.

«فليسأل عن اسمه واسم أبيه وممن هو»؛ أي: ومن أيِّ قبيلة؟ أو: من أيِّ قرية وبلد هو؟

«فإنه أوصل»؛ أي: فإنه أشدُّ وأكثر صلةً في المودة، والله اعلم.

* * *

١٧ ـ باب

ما يُنهَى من التَّهاجُرِ والتَّقاطُعِ واتباعِ العَوراتِ

(باب ما يُنهَى من التهاجُرِ والتقاطُعِ واتباعِ العوراتِ)[1]

قوله: (واتباع العورات)، (العورات): جمع عورة، وهي ما في الرجل من عيب وخلل؛ يعني: لا يجوز أن يطلب الرجل عيوب الناس حتى يطَّلع على عيوبهم فيعيبَهم.

---

(١) في «م»: «باب ما ينهى من التهاجر»، وفي «ش»: «باب ما ينهى من التهاجر والتقاطع».

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٠٥ ـ قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليالٍ، يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخَيْرُهما الذي يبدَأُ بالسَّلامِ».

قوله: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» وقال الخطابي في شرح هذا الحديث: رخّص لمسلم أن يغضب على أخيه ثلاثة أيام؛ لقلة الثلاثة، ولا يجوز فوق ثلاثٍ لكثرته.

ويجوز للوالد أن يغضب على ولده، وللزوج أن يغضب على زوجته، ومَن كان في معناهما كالوالدة وجميعِ الأصول والسيد، فوق ثلاثة أيام للتأديب؛ لأن النبي ﷺ غضب على زوجاته وتركهن شهراً، واعتكف في المسجد.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٠٦ ـ وقالَ: «إيّاكم والظَّنَّ! فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تَحَاسدُوا، ولا تَبَاغضوا، ولا تَدَابروا، وكونوا عبادَ الله إخْواناً».

ويُروَى: «ولا تَنَافَسُوا».

قوله: «إياكم والظن»؛ يعني: احذروا من أن تظنوا بأحد ظنَّ سوء، فإن ظن السوء في حق المسلم إثمٌ كالحديث الكاذب، بل هو أشد.

وإنما قال: **«أكذب الحديث»** لأن الظن حديث النفس، كما أن التكلُّم حديث الإنسان، وحديث النفس أكذبُ من حديث الإنسان؛ لأن حديث النفس يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان.

«التحسس» بالحاء المهملة: طلبك أن تطَّلع على خبرِ أحدٍ، و**«التجسس»**

بالجيم: طلبك أن تطلع على شر أحد، وكلاهما منهيٌّ؛ لأنك لو اطلعت على خيره ربما يحصل لك حسد بأن لا يكون فيك ذلك الخير، وإن اطلعت على شره تُعيبه وتفضحه.

«ولا تناجشوا»، (التناجش): أن يطلب رفعةً وعلواً على أحد؛ يعني: لا يجوز لأحد أن يرى نفسه أشرف من غيره.

«ولا تدابروا» أصله: ولا تتدابروا، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً، ومعناه: لا تقاطعوا، (التدابر): التقاطع، و(المُدابرة): المعاداة.

«التنافس»: مثل التناجُش.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٠٧ - وقالَ: «تُفتَحُ أبوابُ الجَنَّةِ يومَ الاثنينِ ويومَ الخَميسِ، فيُغفَرُ لكلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شيئاً، إلا رَجُلاً كانَتْ بينَهُ وبينَ أخيهِ شَحْناءُ، فيقالُ: أَنْظِروا هذَينِ حتَّى يَصْطَلِحا».

قوله: «شحناء»؛ أي: عداوة.

«أنظروا هذين»؛ أي: انتظروا في مغفرة هذين اصطلاحَهما؛ أي: أُخِّرت مغفرتُهما إلى أن يصطلحا.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٠٨ - وقالَ: «تُعرَضُ أعمَالُ النَّاسِ في كلِّ جُمُعَةٍ مرَّتينِ، يومَ الاثنينِ ويومَ الخَميسِ، فيُغفَرُ لكُلِّ عبدٍ مؤمنٍ، إلا عَبْداً بينَه وبينَ أخيهِ شَحْناءُ، فيقال:

اُتْرُكُوا هذَيْنِ حتَّى يَفِيْئَا».

قوله: «حتى يفيئا»؛ أي: حتى يرجعا عن الغضب إلى الصلح.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٠٩ ـ وقالَ: «إنَّ الشَّيطانَ قد أَيِسَ أنْ يَعبُدَه المُصَلُّونَ في جَزيرةِ العَرَبِ، ولكنْ في التَّحريشِ بينَهم».

قوله: «إن الشيطان قد أيس» ذُكر هذا الحديث في (باب الكبائر وعلامات النفاق).

* * *

٣٩١٠ ـ وعن أُمِّ كلثومَ بنتِ عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ قالت: سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «ليسَ الكذَّابُ الذي يُصلِحُ بينَ الناسِ ويقولُ خيراً ويَنْمِي خيراً»، قالت: ولَمْ أَسمَعْهُ ـ تَعني النَّبيَّ ﷺ ـ يُرَخِّصُ في شَيءٍ مِمَّا يقولُ النَّاسُ كَذِباً، إلا في ثلاثٍ: «الحَرْبُ، والإصلاحُ بينَ النَّاسِ، وحَديثُ الرَّجُلِ امرأتَه وحَديثُ المَرْأةِ زَوْجَها».

قوله: «وينمي»؛ أي: يُوصل حديثَ خيرٍ من أحد العدوَّين إلى الآخر ليوقع بينهما صلحاً، ولا إثم في الكذب فيما يقول بين العدوين مما يوقع بينهما محبةً وصلحاً.

قوله: «والحرب»؛ يعني: يجوز الكذب في الحرب، بأن يقول المسلم للكافر الذي يحاربه: جيش الإسلام كثير لا طاقة لكم به، لا إثم في هذا وإن لم يكن جيش الإسلام كثيراً، أو مثل أن يقول: قد جاءنا مددٌ كثير، أو يقول له: انظر إلى خلفك فإن جيشاً قد أتاك من خلفك، وأراد المسلم بهذا القول أن

يلتفت الكافر إلى خلفه؛ ليضرب هذا المسلمُ عنقه.

قوله: «وحديث الرجل امرأته»؛ يعني: يجوز أن يكذب الرجل فيما يحدِّث به امرأته مما يتعلق بإيقاع الألفة بينهما، مثل أن يقول لها: لا أحدَ أحبُّ إليَّ منك، وكذلك يجوز للمرأة أن تقول لزوجها مثل ذلك.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩١٢ - عن عائِشَةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يكونُ لِمُسْلِمٍ أنْ يهجُرَ مُسْلِماً فوقَ ثلاثةٍ، فإذا لقِيَهُ سَلَّمَ عليهِ ثلاثَ مَرَّاتٍ، كلُّ ذلكَ لا يَرُدُّ عليهِ فقد باءَ بإثمِهِ».

قوله: «فقد باء بإثمه»: باء، أي: رجع، يعني إذا سلَّم أحد المهاجِرَيْنِ على الآخر ثلاث مرات ولم يرد فقد خرج المسلِّم من إثم المهاجَرة ورجع الإثم على الذي لم يرد على المسلِّم السلام.

* * *

٣٩١٤ - عن أبي خِراشٍ السُّلَمِيِّ: سَمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أخاهُ سَنَةً فهوَ كسَفْكِ دمِهِ».

قوله: «فهو كسفك دمه»، (السفك): الإراقة والصب؛ يعني: إذا كان بين زيد وعمرو مثلاً غضب، فسلَّم زيد على عمرو ولم يردَّ عمرو على زيد السلام، خرج زيد من الإثم وبقي عمرو في الإثم، فإن لم يردَّ عمرو على زيد السلام، فكأنما سفك عمرو دم زيد.

يعني: المُهاجَرة عن الأخ المسلم حرامٌ كسفك دمه، وليس معناه: أن إثم سفك الدم وإثم المهاجرة سواء، بل إثمُ سفك الدم أعظم من جميع الكبائر بعد

الشرك، بل المراد اشتراكهما في حصول الإثم لا في قَدْرِ الإثم، ولا يلزم مساواة المشبَّه والمشبَّه به في جميع الأشياء، بل يكفي المساواةُ بينهما في شيء واحد.

* * *

٣٩١٦ ـ عن أبي الدَّرْداءِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ألاَ أُخبِرُكم بأفضلَ مِن دَرَجةِ الصِّيامِ والصَّدَقةِ والصَّلاةِ؟» قال: قُلنا: بلى، قال: «إصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ، وإفْسادُ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ»، صحيح.

قوله: «وفساد ذات البين هي الحالقة» أراد بـ (ذات البين): المخاصمةَ والمهاجَرةَ بين اثنين بحيث يحصل بينهما بينٌ، و(البين): الفُرقة؛ يعني: إيقاع الفُرقة والعداوة بين المسلمين، (حالقة)؛ أي: ماحية ومزيلة للثواب والخيرات؛ يعني: يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الثواب والطاعات.

* * *

٣٩١٧ ـ وقالَ: «دَبَّ إليكُم داءُ الأممِ قبلَكم: الحَسَدُ والبغضاءُ، هي الحالِقَةُ، لا أقولُ: تحلِقُ الشَّعرَ، ولكنْ تحلِقُ الدِّينَ».

قوله: «دب إليكم داء الأمم»؛ أي: صار فيكم عادة الأمم الماضية، وتلك العادة هي الحسد والبغضاء. وضمير المؤنَّث في **«هي الحالقة»** ضمير البغضاء؛ لأنها مؤنث.

«ولكن تحلق الدين» والمراد بحلق الدين أنها تمنع الإنسان من فعل الخيرات، والحضورِ في الصلوات، والمحبة الكاملة في الله تعالى؛ لأن مَن امتلأ صدره بالحسد والبغضاء لا يكون له محبةٌ كاملة في الله، وذوقٌ من الطاعات.

و**«الحسد»** في الحقيقة: مُضادَّة الله؛ لأن المحسود لا يرضى بقضاء الله، فإن الله تعالى هو الذي رزق المحسود الرفعةَ والزيادة على الحاسد، والحاسد

لا يرضى بما رزق الله المحسود.

روى هذا الحديث الزبير بن العوام.

* * *

٣٩١٨ ـ عن أبي هُرَيرَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إيَّاكُم والحَسَدَ فإنَّ الحَسَدَ يأكلُ الحَسَناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ».

قوله: «فإن الحسد يأكل الحسنات» يحتمل هذا أمرين:

أحدهما: أن يكفر الحاسد بسبب حسده، فإن الحاسد لا يرضى بحكم الله، فربما يغلب عليه حقد وعداوة المحسود بحيث يتكلم بكلمة كفر، أو يغضب على ربه لأجل أنه يعطي المحسود المال والمنصب ولا يعطي الحاسد، فإذا كفر بطلت حسناته.

والأمر الثاني: أن يكون **قوله: «يأكل الحسنات»** معناه: يمنع الحسد الرجل عن فعل الحسنات، كما ذكر قبيل هذا.

* * *

٣٩٢٠ ـ عن أبي صِرْمَةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَن ضَارَّ ضارَّ الله بهِ، ومَن شاقَّ شَقَّ الله عليهِ».

قوله: «من ضار» أي: من أوصل ضرراً إلى مسلم أوصل الله إليه الضرر، والضرر والمشقة متقاربان، إلا أن الضرر يستعمل في إتلاف مال أحد، والمشقة تستعمل في إيصال أذية إلى بدن أحد من تكليفه عملاً شاقاً.

* * *

٣٩٢٢ ـ عن ابن عُمَرَ قال: صَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنْبرَ فنادَى بصَوتٍ

رفيعٍ فقال: «يا مَعْشرَ مَن أَسْلَمَ بلِسانِه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه! لا تُؤْذُوا المُسلمينَ ولا تُعَيروهم، ولا تَتَّبعُوا عَوْراتِهم، فإنَّه مَن يَتَّبعْ عَوْرَةَ أخيهِ المُسلمِ يَتَّبعِ الله عَوْرتَه، ومَن يتبعِ الله عورتَهُ يفضَحْهُ ولو في جَوْفِ رَحْلِهِ».

قوله: «ولم يفض الإيمان إلى قلبه»، (أَفْضَى يُفضي): إذا وصل.

* * *

٣٩٢٣ ـ عن سعيدِ بن زَيدٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مِن أَرْبَى الرِّبَا الاستِطالةَ في عِرْضِ المُسلِمِ بغيرِ حَقٍّ».

قوله: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»، (أربى): أفعل التفضيل من الربا، و(الاستطالة): إطالة اللسان في غيبةِ أحدٍ أو قذفه أو شتمه؛ يعني: غيبة الناس وقذفهم أشد من أكل الربا وأخذه وإعطائه؛ لأن نفس المسلم أشرف من ماله، فإيذاءٌ يتعلق بنفسه أشدُّ من ضررٍ يتعلق بماله.

* * *

٣٩٢٤ ـ وعن أنسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لمَّا عَرَجَ بي ربي مرَرْتُ بقومٍ لهم أظفارٌ مِن نُحاسٍ يَخْمِشُونَ وجُوهَهم وصُدورَهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جِبْريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لحومَ النَّاسِ ويَقَعُونَ في أعْراضِهم».

قوله: «يأكلون لحوم الناس»؛ أي: يغتابونهم.

* * *

٣٩٢٥ ـ وعن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن حَمَى مُؤْمِناً مِن مُنافِقٍ يعيبُه، بعثَ الله مَلَكاً يَحْمي لَحْمَهُ يومَ القيامةِ مِن نارِ جَهَنَّمَ، ومَن قَفا مُسْلِماً بشيءٍ يريدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ الله على جِسْرِ جَهَنَّمَ حتى يَخْرُجَ ممَّا قالَ».

قوله: «من قفا مسلماً»؛ أي: من تبع مسلماً؛ يعني: مَن تجسَّس عن حال مسلم ليُظهر عيبه وليعيره حبسه الله على الصراط حتى ينقى من ذلك الذنب بإرضاء خصمه أو بالتعذيب.

* * *

٣٩٢٧ - عن المُستَوْرِدِ بن شدَّادٍ: أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «مَن أَكَلَ برجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فإنَّ الله يُطعِمُه مِثلَها مِن جَهَنَّمَ، ومَن كُسِيَ ثَوْباً برجُلٍ مُسلِمٍ فإنَّ الله يكسوهُ مثلَه مِن جَهَنَّمَ، ومَن قامَ برجُلٍ مَقامَ سُمعةٍ ورِياءٍ فإنَّ الله يُقيمُهُ مَقامَ سُمْعَةٍ ورِياءٍ يومَ القيامةِ».

قوله: «من أكل برجل مسلم أكلة»؛ يعني: مَن ذم وعيَّر عدواً عند عدوه لرضا العدو المستمع؛ ليطعمه شيئاً، وليقول هذا العدو: إن هذا القائل صديقه = أطعمه الله من غسلين جهنم، ومثله: «من كسا ثوباً برجل مسلم»؛ أي: بسبب غيبة رجل مسلم وقذفه.

«ومن قام برجل مقام سمعة ورياء» الباء في (برجل) يحتمل أن تكون للتعدية، وأن تكون الباء للسببية:

فإن كانت للتعدية يكون معنى الحديث: مَن أقام رجلاً مقام سمعة ورياء؛ يعني: من أظهر رجلاً بالصلاح والتقوى ليعتقد الناس فيه اعتقاداً حسناً؛ ليعطوه المال وليحصل له منهم جاه، وعلم الذي يظهره بالصلاح أنه ليس بصالح، «فإن الله يقوم له مقام سمعة ورياء يوم القيامة»؛ يعني: يأمر الله تعالى ملائكته بأن ينادوا: إن هذا الرجل كذابٌ قد أظهر في الدنيا رجلاً بالصلاح مع علمه بأنه غير صالح؛ ليشترك فيما حصل له من المال.

وإن كانت الباء باء السببية يكون معنى الحديث: أن من قام وأظهر من نفسه الصلاح والتقوى لأجل أن يعتقد فيه رجلٌ عظيمُ القَدْرِ كثيرُ المال الصلاحَ والتقوى؛

ليحصل له منه مالٌ وجاه، كما يقول الناس في العرف: هذا زاهد الأمير.

* * *

٣٩٢٨ ـ وقال: «حُسْنُ الظَّنِّ مِن حُسْنِ العِبادةِ».

قوله: «حسن الظن من حسن العبادة»؛ يعني: اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٢٦ ـ عن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: اعتَلَّ بعيرٌ لِصَفِيَّةَ وعندَ زينبَ فَضْلُ ظَهرٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ لزينبَ: «أَعْطِيها بَعيراً»، فقالت: أنا أُعطي تلكَ اليهوديةَ! فغضِبَ رسولُ الله ﷺ، فهَجَرَها ذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وبعضَ صَفَرَ.

قوله: «اعتل بعير»؛ أي: مرض جمل.

«فضلُ ظهر»؛ أي: دابةٌ زائدةٌ على قَدْرِ حاجتها.

«فهجرها»؛ أي: تركها، ولم يدخل بيتها حتى مضى شهر ذي الحجة والمحرم وبعض الصفر.

* * *

١٨ ـ باب

الحذرِ والتأنّي في الأمورِ

(باب الحذر والتأني في الأمور)

قوله: (التأني): ضد العجلة.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٢٩ - قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتين».

قوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»، يروى (ولا يلدغ) برفع الغين على أنه خبر، وبكسر الغين، وأصله السكون لأنه نهيٌ، فحُركت بالكسر لالتقاء الساكنين.

ومعنى الحديث: أنه لا يجوز لمؤمن أن يُخدع في أمر الدين مرةً بعد مرة، مثل أن يجلس مع أحد فظنه صالحاً، فإذا جرَّبه يقيناً تبيَّن له أنه مبتدعٌ أو فاسق لا يقبل النصيحة، فإذا علم حاله لا يجوز له أن يجالسه بعد ذلك إلا أن يرجع إلى الصلاح، وعلى هذا فقس جميع الأمثلة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٣٠ - وقال لأَشَجِّ عبدِ القَيْسِ: «إنَّ فيكَ لخَصْلَتينِ يُحِبُّهما الله: الحِلْمُ والأَناةُ».

قوله: «الحلم والأناة»، (الحلم): تأخير مكافأة مَن ظلمك، هذا هو الأصل، ويستعمل في العفو عن الذنب.

و(الأناة): ضد العجلة، والأناة أيضاً: الثبات في الأمر؛ يعني: الثباتُ في الطاعات وأمور الخير محمود، والسكونُ وتركُ العجلة في الأمور الدنيوية محمودٌ أيضاً، والتعجيل في الأمور الأخروية مرضيٌّ كي لا يمنعه الشيطان عما قصد من الخير.

روى هذا الحديث ابن عباس.

اسم «الأشج»: المنذر بن عبيد، روي أن الأشج قال لرسول الله ﷺ: أنا

أتخلقهما أم الله جبلني عليهما؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل الله جبلك عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلّتين يحبهما الله.

معنى أتخلقهما: أفعلهما بالتكلُّف، ومعنى جبلَ: خلقَ.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٣٢ ـ عن أبي سعيدٍ قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا حليمَ إلا ذو عَثرةٍ، ولا حَكيمَ إلا ذو تَجرِبةٍ»، غريب.

قوله: «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»؛ أي: لا حليم كاملاً إلا ذو عثرة، ولا حكيم كاملاً إلا ذو تجربة.

(العثرة): الزلة.

يعني: لا حليم كاملاً إلا مَن وقع في زلةٍ وحصل منه خطأ، فإنه إذا وقع في زلة وحصل منه خطأ استخجل وأحبَّ غاية الحب أن يستر مَن رآه على عيبه، وأن يعفو عنه زلته، فإذا أحب أن يعفو عنه مَن رآه، عَلم أن العفو عن الناس والسترَ على عيوبهم محبوبٌ للناس، ومرضيٌّ لله تعالى.

وكذلك مَن جرب الأمور علم نفعها وضرها، والمصالح والمفاسد، فإذا علم مصالح الأمور ومفاسدها لا يفعل ما يفعل إلا عن الحكمة، و(الحكمة): إحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل.

* * *

٣٩٣٣ ـ عن أنسٍ: أنَّ رَجُلاً قالَ للنبيِّ ﷺ: أَوْصِني، فقالَ: «خُذِ الأمرَ بالتَّدبيرِ، فإنْ رأيتَ في عاقبتِه خَيْراً فأَمْضِهِ، وإنْ خِفْتَ غَيّاً فأَمْسِكْ».

قوله: «خذ الأمر بالتدبير»، (التدبير): التفكُّر في الأمر، وطلبُ مصالحه

ومفاسده، والنظرُ في عاقبته.

«فأمضه»؛ أي: فافعله.

«وإن خفت غياً فأمسك»؛ يعني: إن خفت أن تكون عاقبته ضلالاً وخساراً فاتركه.

* * *

٣٩٣٤ - عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ، عن أبيهِ - قالَ الأَعْمَشُ: لا أعلَمُه إلا عن النبيِّ ﷺ - قال: «التُّؤَدَةُ في كلِّ شَيءٍ خيرٌ إلا في عَمَلِ الآخِرةِ».

قوله: «التؤدة في كل شيء»، (التُّؤَدة) بضم التاء وفتح الهمزة بمعنى التأني.

* * *

٣٩٣٦ - وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الهَدْيَ الصَّالحَ، والسَّمْتَ الصَّالحَ، والاقتِصادَ، جُزْءٌ مِن خَمْسةٍ وعِشرينَ جُزْءاً مِن النُّبوَّةِ».

قوله: «إن الهدي الصالح والسَّمْتَ الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»، (هدي الرجل): حالُه ومذهبه.

وقال أبو عبيد: (السمت) يكون على معنيين:

أحدهما: حسن الهيئة والمنظر في الدين، وليس من الجمال، ولكن هيئةُ أهل الخير ومنظرهم.

والوجه الآخر: أن السمت: الطريق.

و(الاقتصاد): سلوك القصد، والقصد: الوسط بحيث لا إفراط ولا تفريط؛ أي: لا إسراف ولا تقصير؛ يعني: لو بالغ في الطاعات لا يقدر أن يكون فيها على

الدوام؛ لأنه يعجز.

قال الخطابي: يريد النبي ﷺ بهذا الحديث: أن هذه الخصال من خصال النبيين، فاقتدوهم فيها، وليس معناه: أن من اجتمعت فيه هذه الخصال يكون فيه جزءٌ من النبوة، بل النبوة مختصةٌ بالأنبياء؛ لأن النبوة عطاءٌ من الله، وليست بمكتسبة.

وقيل: معنى هذا الحديث: أن هذه الخصال مما جاء به النبيون، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فقد حصل فيه جزء من خمسة وعشرين جزءاً مما جاء به النبيون.

* * *

٣٩٣٧ ـ وعن جابرِ بن عبدِالله، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا حَدَّثَ الرَّجلُ بالحديثِ ثُمَّ التفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ».

قوله: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة» الضمير في (هي) ضمير الحكاية؛ لأن (الحديث) بمعنى الحكاية؛ يعني: إذا حدث أحدٌ عندك حديثاً ثم غاب، صار حديثه أمانةً عندك لا يجوز إضاعتها؛ أي: لا يجوز إفشاءُ تلك الحكاية.

* * *

٣٩٣٨ ـ عن أبي هُريرةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لأبي الهَيْثَمِ بن التَّيِّهانِ: «هلْ لكَ خَادِمٌ؟» قال: لا، فقالَ: «فإذا أتانَا سَبْيٌ فائتنا»، فأُتِيَ النَّبيُّ ﷺ برأسَينِ، فأتاهُ أبو الهَيْثمِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «اخترْ مِنْهُما»، فقالَ: يا نبيَّ الله! اخترْ لي، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ المُسْتَشارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هذا فإنِّي رأيتُه يُصلي، واستَوْصِ بهِ مَعْروفاً».

قوله: «إن المستشار مؤتمن»، (المستشار): هو الذي شاورته، و(شاور

واستشار): إذا طلب رأي أحدٍ فيما يريد فعلَه من الأمور؛ أي: يسأله: هل لي مصلحة في هذا الفعل أم لا؟

(المؤتمن): من ائتمنه؛ أي: جعلَه أميناً في حفظ سرك أو مالك؛ يعني: يجب على المستشار أن يخبر المستشير بما هو المصلحة.

«واستوص به معروفاً»؛ أي: مُرْه بالمعروف، وانصح له بالمعروف.

* * *

٣٩٣٩ - وقال: «المَجالِسُ بالأَمانةِ إلا ثلاثةَ مَجالسٍ: سَفْكُ دَمٍ حَرامٍ، أو فَرْجٌ حَرامٌ، أو اقتطاعُ مالٍ بغَيرِ حَقٍّ».

قوله: «المجالس بالأمانة»؛ يعني: يجب على أهل المجلس أن يحفظوا سر أهل المجلس، لا يفشون ما جرى في المجلس من الأحاديث، وهذا إذا كان ذلك الحديث حديثاً يكره صاحبُه إفشاءَه.

أما مثل الزنا، وأخذ مال الغير، وسفك دمٍ: حرام: لا يجوز حفظ السر في هذه الثلاثة؛ يعني: من قال في مجلس: إني أريد قتل فلان، أو الزنا بفلانة، أو أخذ مال فلان؛ لا يجوز على المستمعين حفظ هذا السر، بل يجب عليهم إفشاؤه؛ ليفر مَن يريد قتله، أو الزنا بها، أو أخذ ماله.

روى هذا الحديث جابر.

* * *

٣٩٤٠ - وقال: «إنَّ مِن أعظَمِ الأَمانةِ عندَ الله تعالى يومَ القِيامةِ: الرَّجُلُ يُفْضي إلى امرأتِهِ وتُفْضي إليه ثم يُفْشي سِرَّها».

قوله: «إن من أعظم الأمانة»؛ يعني: أولى سرٍّ بأن يُحفظ هو السر الجاري بين الزوجين، لا يجوز لكل واحد منهما إفشاءَ سر صاحبه.

«يفضي»؛ أي: يصل؛ يعني: رأى الزوج الزوجة وجامعها؛ ورأى كل واحد منهما صاحبه عرياناً، واطلع على ما فيه مما يُحمد أو يذم.

روى هذا الحديث أبو سعيد الخدري ﷺ.

* * *

١٩ - باب
الرفق والحياء وحسن الخلق

(باب الرفق)

(الرفق): المداراة مع الناس، الرفيق: المُلاطف، والمداري: الراحم بصاحبه.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٤٤ - وقال: «إنَّ الحياءَ مِن الإيمانِ».

قوله: «إن الحياء من الإيمان» قد ذُكر في أول الكتاب في قوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» شرحُ هذا الحديث والذي بعده.

روى هذا الحديث أبو بكرة، والذي بعده عمران بن حصين.

* * *

٣٩٤٥ - وقال: «الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ».

ويُروَى: «الحياءُ خيرٌ كلُّه».

قوله: «الحياء خير كله»: هذا عام، والمراد به الخاص؛ أي: الحياء فيما لا يرضاه الله خيرٌ كله.

روى هذا الحديث عمران بن حصين.

* * *

٣٩٤٦ ـ وقال: «إنَّ مِمَّا أدركَ النَّاسُ مِن كلامِ النُّبوّةِ الأولى: إذا لم تَستَحِ فاصْنَعْ ما شئتَ».

قوله: «من كلام النبوة[1] الأولى» قال الخطابي: معنى هذا الكلام: أن الحياء لم يزل أمراً ثابتاً واستعمالُه واجباً منذ زمان النبوة الأولى، فإنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء، وبعث عليه، وإنه لم يُنسخ فيما نُسخ من شرائعهم ولم يبدَّل فيما بدِّل منها، وذلك أنه أمر قد عُلِم صوابه، وبدا فضلُه، واتفقت العقول[2] على حسنه، وما كان هذا صفته لم يَجْرِ عليه النسخُ والتبديل.

«فافعل ما شئت» هذا أمرٌ ومعناه الخبر؛ أي: إذا لم تستح فعلت ما شئت مما تدعوك إليه نفسك.

وقيل: هذا أمرٌ وعيد؛ أي: فافعل ما شئت فإنك تُجازى بما فعلت.

روى هذا الحديث ابن مسعود.

* * *

٣٩٤٧ ـ عن النَّواسِ بن سَمْعانَ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ والإثمِ، فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاكَ في صَدْرِكَ وكَرِهتَ أنْ يطَّلِعَ عليهِ الناسُ».

---

(١) جاء على هامش «ش»: «أضاف الكلام إلى النبوة لإشعار أن ذلك من قضايا النبوة ونتائج الوحي».

(٢) في «ش»: «الخلائق».

قوله: «ما حاك في صدرك»، (حاك يَحيك حيكاً): إذا أثَّر كلام في القلب لكونه قبيحاً، أو (حاك): إذا تردَّد شيء في القلب؛ يعني: الإثم ما تردَّد في قلبك ولم تُرِدْ أن تُظهره لكونه قبيحاً.

* * *

٣٩٤٨ ـ وقال: «إنَّ مِن أحبكم إليَّ أَحْسنَكم أَخلاقاً».

قوله: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً»، (حسن الخلق) معناه: العفو عن الذنوب، ومداراة الناس وتحمُّل أذاهم.

روى هذا الحديث ابن عمرو ﷺ.

٣٩٤٩ ـ وقال: «إنَّ مِن خِيارِكم أَحْسَنَكم أَخْلاَقاً».

قوله: «إن من خياركم»، (الخيار): المختار من كل شيء.

روى هذا الحديث ابن عمرو ﷺ.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٥١ ـ عن أبي هُريرَةَ قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «الحياءُ مِن الإيمانِ، والإيمانُ في الجَنَّةِ، والبَذَاءُ مِن الجَفاءِ، والجَفاءُ في النَّارِ».

قوله: «والإيمان في الجنة»؛ يعني: أهل الإيمان في الجنة.

«والبذاء من الجفاء»، (البذاء): ضد الحياء.

«والجفاء في النار»؛ يعني: أهل الجفـــاء في النـار، و(الجفاء) خلاف البـر.

* * *

٣٩٥٣ ـ عن حارِثَةَ بن وَهْبٍ، قالَ رســولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الجَوَّاظُ ولا الجَعْظَرِيُّ»، قال: الجَوَّاظُ: الذي جَمَعَ ومَنَعَ، والجَعْظَرِيُّ: الغَليظُ الفَظُّ.

قوله: «لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري»، (الجواظ): الضخم المختال في مشيته، و(الجعظري): الغليظ الفظ، وقيل: (الجواظ): الغليظ الفظ، و(الجعظري): الضخم المختال في مشيته.

روى هذا الحديث حارثة بن وهب، وفي بعض نسخ «المصابيح»: عكرمة ابن وهب، وهو سهوٌ من النساخين.

٣٩٥٦ ـ وعن أبي ذرٍّ قال: قال لي رَسولُ الله ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُما كنتَ، وأَتْبِعِ السَّيئةَ الحَسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ».

قوله: «وخالق الناس»؛ أي: استعمل الخلقَ الحسن مع الناس.

* * *

٣٩٥٧ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكم بِمَن يَحرُمُ على النَّارِ وبِمَن تَحْرُمُ النَّارُ عليهِ؟ على كلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قريبٍ سَهْلٍ»، غريب.

قوله: «هين» أصله: هَيْوِن قُلبت الواو ياءً وأُدغمت الياء في الياء، وهو من الهَوْن وهو السهولة، ومعنى (القريب): أن يكون قريباً من الناس ويجالسهم ويلاطفهم.

* * *

٣٩٥٨ ـ عن أبي هريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «المُؤْمِنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجِرُ خِبٌّ لئيمٌ».

قوله: «المؤمن غر كريم»، (الغر): الذي لم يجرب الأمور، و(الخِبُّ): ضده، والخب: الخداع؛ يعني: المؤمن سهلٌ سليم لم يكن فيه حيلة ومكر؛ يعني: المؤمن الكامل مَن يكون بهذه الصفة.

* * *

٣٩٥٩ ـ وقال: «المُؤمنونَ هَينونَ لَينونَ، كالجَمَلِ الأَنِفِ، إنْ قِيدَ انقادَ، وإنْ أُنيخَ على صَخرةٍ استناخَ»، مُرسَلٌ.

قوله: «كالجمل الأنف»، (جملٌ آنِفٌ): على وزن فاعل، و(أَنِفٌ) على وزن فَخِذ، إذا جُعل في أنفه الزمام، والمراد بهذا الحديث: أن المؤمن سهلٌ يقضي حوائج الناس، ويسهِّل أمورهم، ويخدمهم.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٢٠ ـ باب
الغضب والكبر

(باب الغضب والكبر)

٣٩٦٣ ـ وقال: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ».

مِنَ الصِّحَاحِ:

«ليس الشديد بالصرعة»، (الصُّرعة) ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ مبالَغةٌ؛ أي: كثير الصَّرْع، وهو الإسقاط؛ أي: ليس القوي مَن يقدر على إسقاط خصمه وقهره، بل القويُّ من يكظم غيظه ويسكِّن نفسه عند الغضب.

٣٩٦٤ ـ وقال: «ألا أُخبِرُكم بأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لو أقْسَمَ على الله لأبَرَّهُ، ألا أُخبِرُكُم بأهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ».

ويُروَى: «كلُّ جَوَّاظٍ زَنيمٍ مُتكبِرٍ».

قوله: «كل ضعيف متضعّف»، (التضعيف): كسر النفس والتواضع.

«العتل»: الشديد الخصومة الجافي، وقيل: الغليظ الفظ.

«الزنيم»: الفاجر، وقيل: اللئيم، وقيل: مَن نُسب إلى رجل وليس هو منه.

روى هذا الحديث حارثة بن وهب.

* * *

٣٩٦٥ ـ وقال: «لا يدخُلُ النَّارَ أَحَدٌ في قلبهِ مِثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدلٍ مِن إيمانٍ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ في قلبهِ مِثْقالُ حبةٍ من خَرْدلٍ مِن كِبْرياءَ».

قوله: «لا يدخل الجنة...» إلى آخره، يريد: لا يدخل الجنة مع الكبر، بل يُصفَّى من الكبر ومن كل خصلة مذمومة؛ إما بالتعذيب، أو بعفو الله، ثم يدخل الجنة.

«الكبرياء»: الكبر.

روى هذا الحديث ابن مسعود.

* * *

٣٩٦٦ ـ وقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحدٌ في قلبهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ»، فقالَ رجلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسَناً، ونَعْلُهُ حسناً؟ قالَ: إنَّ الله جَميلٌ يُحبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ».

قوله: «الكبر بَطَرُ الحق، وغَمْطُ الناس»، (بطر الحق): التكبر مع أوامر

الله؛ يعني: لا يلتفت إلى أوامر الله ونواهيه، و(غمط الناس): احتقارُهم.

روى هذا الحديث ابن مسعود.

* * *

٣٩٦٧ - وقال: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يومَ القِيامَةِ ولا يُزَكِّيهم - ويُرْوَى: ولا يَنظُرُ إليهم - ولهم عَذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مُستكبِرٌ».

قوله: «عائل مستكبر»، (العائل): ذو العيال، و(المستكبر): المتكبر؛ يعني: من له عيال وليس له مال، ولا يقدر على تحصيل نفقتهم وكسوتهم ونجوُعهم، ولا يطلب الزكاة والصدقة، ولا يقبل أموال الناس من التكبر، ولا يطلب شيئاً من بيت المال، فمَن هذه صفته أَثِمَ لإيصال ضرر الجوع والعري إلى عياله.

روى هذا الحديث والذي بعده أبو هريرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٣٩٦٩ - عن سَلَمَةَ بن الأكْوَعِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزالُ الرَّجُلُ يذهَبُ بنفْسِه حتى يُكتَبَ في الجبَّارِينَ، فيُصيبُهُ ما أصابَهم».

قوله: «يذهب بنفسه» الباء يحتمل أن تكون للتعدية؛ أي: يُعْلي نفسه ويبعدها عن الناس في المرتبة[1]، ويعتقدها عظيمة القَدْرِ، ويحتمل أن تكون الباء للمصاحبة؛ أي: يوافق نفسه ويعزُّزها ويكرمها كما يكرم الخليلُ الخليلَ،

---

(١) في «ش» و«ق»: «ويعززها» مكان «ويبعدها عن الناس في المرتبة».

حتى يعتزَّ بنفسه وتصيرَ متكبرة، وهذا لا يليق بالصالحين، بل ينبغي أن يَحْقِرَ نفسه المتكبرة ويعتقدها أصغر الناس، فإن نفس الرجل[1] أكبر أعدائه.

«فيصيبه ما أصابهم»؛ يعني: يصيبه من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ما أصاب المتكبرين.

* * *

٣٩٧٠ ـ عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يُحشَرُ المُتكبـرونَ أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ في صُورة الرِّجالِ، يَغشـاهُم الذُّلُّ مِن كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سِجْنٍ في جَهَنَّم يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهم نارُ الأَنيارِ، يُسْقَوْنَ مِن عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينةَ الخَبَالِ».

قوله: «أمثال الذر»، (الذر): جمع ذرة، وهي النملة الصغيرة؛ يعني: صورتُهم صورةُ الإنسان، وجثتُهم كجثة الذر في الصغر، والمراد بهذا الحديث: أن المتكبرين يكونون يوم القيامة على غاية الذل والحقارة.

«نار الأنيار»؛ أي: نارٌ حرارتها أشد من جميع أنواع نار جهنم.

«عصارة أهل النار طينة الخبـال»؛ يعنـي: اسـم عصـارة أهل النار طينة الخبال، و(عصارة أهل النار): ما يسيل منهم من الصديد والدم والقيح.

* * *

٣٩٧٣ ـ عن أسماءَ بنت عُمَيْس: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «بِئْسَ العَبْدُ عبدٌ تخيَّلَ واختالَ، ونَسِيَ الكبيرَ المُتَعالِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تجبَّرَ واعتدَى، ونسيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عبدٌ سَها ولها، ونَسِيَ المَقابـرَ والبِـلَى، بِئْسَ

---

(١) في «ق»: «فإن النفس للرجل».

العَبْدُ عَبْدٌ عَتا وطَغَى، وَنَسيَ المُبتدَأَ والمُنتَهى، بِئسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيا بالدِّينِ، بِئسَ العَبْدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بالشُّبُهاتِ، بئسَ العَبْدُ عبدٌ طَمَعٌ يقودُه، بئسَ العَبْدُ عبدٌ هَوًى يُضِلُّه، بئسَ العَبْدُ عبدٌ رَغَبٌ يُذِلُّه»، غريب.

قوله: «تخيَّل»؛ أي: تكبَّر واعتقد نفسه عظيمةً، «اختال»؛ أي: تبختر، «اعتدى»؛ أي: جاوز قَدْرَه بأن تكبر وأعرض عن أوامر الله، «سها»؛ أي: صار غافلاً، «لها»؛ أي: اشتغل باللعب والهذيان.

«البِلى»: الخلوقة، وأن يصير الشخص في القبر رميماً ورفاتاً.

«عتا وطغى» معناهما: تجاوَزَ الحدَّ، «ونسي المبتدأ والمنتهى»؛ يعني: نسي كونه نطفةً ثم علقةً، فأنعم الله عليه فصوَّره صورةً حسنة، ورَزَقَه من أنواع النعم، فلم يشكر هذه الأنعم، ولم يعمل لمنتهاه؛ أي: للقبر والقيامة.

قوله: «يختل الدنيا بالدين»، (الختل): التغرير والمكر؛ يعني: يغرُّ أهل الدنيا بالدِّين؛ يعني: يعمل عمل أهل الصلاح، لا لله بل لأنْ يعتقده الناس صالحاً ويبذلون له المال والجاه.

«يختل الدين بالشبهات»؛ يعني: يُفسد دينَه بأكل الشبهات.

«عبد رغبٌ»؛ أي: عبد كثير الأكل، الرغب: واسع البطن، والله أعلم.

* * *

٢١ - باب

الظُّلمِ

(باب الظلم)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٧٥ - عن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «اتَّقوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ

ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَن كانَ قبلَكم، حَمَلَهم على أنْ سَفَكُوا دِماءَهم واستَحَلُّوا مَحارِمَهم».

قوله: «اتقوا الشح»، (الشح): منعُ الواجب، وقيل: أكلُ مال الغير، وقيل: (الشح): أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له، وقيل: العمل بمعاصي الله، وقيل: الشح بما في يد غيرك، والبخل بما في يدك.

قوله: «حملهم على أن يسفكوا دماءهم»؛ يعني: يحرضهم على جمع المال الحرام، وقتل بعضهم بعضاً لأخذ أموالهم.

«واستحلُّوا محارمهم»؛ أي: اتخذوا ما حرَّم الله من نسائهم حلالاً؛ أي: فعلوا بهن الفاحشة.

* * *

٣٩٧٦ ـ وقال: «إنَّ الله لَيُملي للظَّالِمِ حتى إذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآية».

قوله: «يملي للظالم»؛ يعني: يمهلهم ويطوِّل أعمارهم؛ يعني: يُكثروا من الظلم والفواحش، ثم يأخذهم أخذاً شديداً.

«لم يفلته»؛ أي: لم يخلِّصه، أفلت: إذا خرج من ضيق، وفرَّ وخلص من حبس.

«﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾»؛ أي: إذا أخذ أهلَ القرى من الظالمين، وأراد بالقرى: بلاد ومساكن الكافرين.

* * *

٣٩٧٧ ـ عن ابن عُمَرَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تَدخُلوا

مَساكِنَ الذينَ ظَلَموا أنفسَهم إلا أنْ تَكُونُوا باكِينَ، أنْ يُصيبَكم مِثْلُ ما أصابَهم»، ثم قَنَّعَ رأسَه، وأَسْرَعَ السَّيْرَ حتى اجتازَ الوادِيَ.

«الما مر بالحجر»، (الحجر) هنا: ديار قوم ثمود.

«قَنَّع» بتشديد النون؛ أي: ستر، وعلَّةُ سترِه ﷺ رأسَه تحذيرُ الناس من دخول مساكن الكفار الذين أهلكهم الله بعذابه؛ يعني: أستر رأسي حتى لا يصل إلي غبار ديار الكفرة، حتى لا ينزل عليَّ بلاءٌ من شؤم أهل هذه الديار، وغرضُه ﷺ بهذا تنبيهُ أصحابه ومَن بعدهم.

«اجتاز»؛ أي: قطع وخرج من ذلك الموضع.

* * *

٣٩٨٠ - وقال: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقوقَ إلى أَهْلِها يومَ القِيامةِ حتى يُقادَ للشَّاةِ الجَلْحاءِ مِن الشَّاةِ القَرْناءِ».

قوله: «حتى يقاد»؛ أي: حتى يُقتص.

«الجلحاء»: الشاة التي لا قرن لها، و«القرناء»: ضدُّها؛ يعني: لو نطح شاةٌ قرناءُ شاةً جلحاءَ في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة يؤخذ القرن من الشاة القرناء وتُعطى الجلحاءُ قرناً حتى تقتصَّ لنفسها من الشاة القرناء.

فإن قيل: الشاة غير مكلَّفة فكيف يُقتص منها؟

قلنا: الله تعالى فعَّالٌ لِمَا يريد لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والغرض من هذا: إعلام العباد أنه لا تضيع الحقوق، ويُقتص حق المظلوم من الظالم، وتوفَّى كل نفس ما كسبت.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٣٩٨١ ـ عن حُذَيفة ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تكونوا إمَّعةً؛ تقولونَ: إنْ أحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنا، ولكنْ وَطِّنُوا أنْفُسَكم: إنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أنْ تُحْسِنُوا، وإنْ أساؤُوا فلا تَظْلِموا».

قوله: «لا تكونوا إمعة»، (الإمعة) في اللغة: هو الذي يقول لكل أحد: أنا معك، والمراد به هاهنا: أن الذي يقول: أنا أكون مع الناس كما يكونون معي، فإن أحسنوا إليَّ أحسنت إليهم، وإن أساؤوا أسأت إليهم، جاء النهي عن هذا الفعل، بل قال ﷺ: «أحسن إلى مَن أساء إليك».

«وطِّنوا»: هذا أمرُ مخاطبٍ من التوطين، وهو العزم الجازم على الفعل.

* * *

٣٩٨٢ ـ كتبَ مُعاويةُ إلى عائِشَةَ رضي الله عنها: أنْ اكْتُبي إليَّ كتاباً تُوصِيني فيهِ ولا تُكْثِري، فكتَبَتْ: سلامٌ عليكَ، أمَّا بعدُ: فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنِ التَمَسَ رِضا الله بسَخَطِ النَّاسِ كفاهُ الله مَؤُونَةَ النَّاسِ، ومَنِ التَمَسَ رِضا النَّاسِ بسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إلى النَّاسِ، والسَّلامُ عليكَ».

قوله: «من التمس رضا الله بسخط الناس»؛ يعني بهذا الحديث: أن الرجل إذا عَرَضَ له أمر في فِعْلِه رِضَى الله عنه وغضبُ الناس، أو يكون في فعله رضى الناس وغضبُ الله، فإنْ فعل ما فيه رضى الله وغضبُ الناس؛ ﷺ ودفع عنه شر الناس، وإن فعل ما فيه رضى الناسِ وغضبُ الله وَكَلَه الله إلى الناس؛ يعني: سلَّط الله الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا عليه أو يهلكوه[1]، ولم يدفع عنه شرَّهم.

* * *

---

(١) في «ق»: «ويهلكوه».

٢٢ - باب
الأمر بالمعروف

(باب الأمر بالمعروف)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٨٣ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ: «مَن رأى مِنكم مُنكَراً فلْيُغيِّرْه بيدِه، فإنْ لم يستَطِعْ فَبلسانِه، فإنْ لم يستطِعْ فبقلبِه، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ».

«فليغيره»؛ أي: فليدفع ذلك المنكر، و(المنكر): ما أنكره الشرع؛ أي: كرهه ولم يرضه.

* * *

٣٩٨٤ - وقالَ: «مَثَلُ المُدْهِنِ في حُدودِ الله والواقعِ فيها، مَثَلُ قَوْمٍ استَهَمُوا سَفينةً، فصارَ بَعضُهم في أَسْفَلِها، وصارَ بعضُهم في أعلاها، فكانَ الذي في أَسْفَلِها يَمُرُّ بالماءِ على الذينَ في أعلاها فتَأَذَّوا بِهِ، فأَخَذَ فَأْساً فجعلَ ينقُرُ أَسْفَلَ السَّفينةِ، فأَتَوْهُ فقالوا: ما لكَ؟ فقالَ: تأَذَّيتُم بي، ولا بُدَّ لي مِن الماءِ، فإنْ أَخَذُوا على يَدَيهِ أَنجوْهُ، ونَجَّوا أَنفُسَهم، وإنْ تَرَكُوه أَهْلَكُوه، وأَهْلَكُوا أنفسَهم».

قوله: «مثل المُدْهِن»؛ أي: مثل المُداهِن، (المداهنة): المساهلة في الأمر، والمراد بها في الشرع: أن يرى الرجل منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه؛ لمحافظةِ جانبِ أحدٍ، أو لاستحياءٍ مِن أحدٍ، أو لقلةِ مبالاته في الدين.

«والواقع»؛ أي: الفاعل للشر.

«استهموا»؛ أي: اقترعوا؛ أي: اقتسموا.

«الفأس»: شيء من حديد يشق به الخشب.

«فجعل»؛ أي: فطفق، «ينقر»؛ أي: يثقب.

«فإن أخذوا على يديه»؛ يعني: فإن منعوه من نقر السفينة نجا ونجوا، وإن لم يمنعوه وتركوه حتى نقر أسفل السفينة خرج الماء من البحر إلى السفينة وغرقت السفينة ومن فيها.

فكذلك إن منع الناسُ الفاسق عن الفسق نجوا ونجا من عذاب الله، وإن لم يمنعوه وتركوه حتى يفعل المعاصي ولم يقيموا عليه الحدود لنزل عليه وعليهم العذاب بشؤمه.

روى هذا الحديث النعمان بن بشير.

* * *

٣٩٨٥ ـ وقال: «يُجاءُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ فيُلقَى في النَّارِ فتَندلِقُ أَقتابُه في النارِ، فيَطحنُ فيها كطحنِ الحمارِ بِرَحَاهُ، فيَجتَمِعُ أهلُ النَّارِ عليهِ، فيقولونَ: أَيْ فلانُ! ما شأنُكَ؟ أليسَ كنتَ تأمُرُنا بالمَعْروفِ وتنهانا عن المُنْكَرِ؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمَعْروفِ ولا آتِيهِ، وأنهاكُم عن المُنْكَرِ وآتِيهِ».

قوله: «فتندلق»؛ أي: فتخرج.

«الأقتاب»: الأمعاء، واحدها: (قِتْب) بكسر القاف وسكون التاء.

«فيطحن»؛ أي فيدور ويتردد فيها؛ أي: في أقتابه؛ يعني: يدور حول أقتابه، ويضربها برجله.

روى هذا الحديث أسامة بن زيد.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٣٩٨٦ ـ عن حُذَيفَةَ بنِ اليَمانِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمَعْروفِ ولتَنهَوُنَّ عن المُنْكرِ، أو لَيُوشِكَنَّ الله أنْ يَبْعَثَ عليكم عذاباً مِن عندِه، ثم لَتَدْعُنَّهُ فلا يُستَجابُ لكم».

قوله: «أو ليوشكن الله»؛ يعني: فإن أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر نجوتم من العذاب، وإلا لَيَقْرُبُ أن يرسل الله عليكم عذاباً، ثم لتدعون الله ولا يستجاب دعاؤكم في دفع ذلك العذاب.

* * *

٣٩٨٧ ـ عن العُرْسِ بن عَميرَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا عُمِلَتْ الخَطيئةُ في الأرْضِ مَن شهِدَها فكرِهَها كانَ كمَن غابَ عنها، ومَن غابَ عنها فرَضيَها كانَ كمَن شَهِدَها».

قوله: «من شهدها»؛ أي: من حضرها.

* * *

٣٩٨٨ ـ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: يا أيُّها النَّاسُ! إنَّكم تَقْرؤونَ هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوْا مُنْكَراً فلم يُغَيِّرُوه يُوشِكُ أنْ يعُمَّهم الله بعِقابهِ»، صحيح.

وفي رِوايةٍ: «إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فلم يأخذُوا على يَدَيْه أَوْشَكَ...».

وفي رِوايةٍ: «ما مِن قَوْمٍ يُعمَلُ فيهم بالمَعاصي، ثم يَقْدِرُونَ على أنْ يُغَيِّروا، ثُمَّ لا يُغيرون، إلا يُوشِكُ أنْ يَعُمَّهم الله بعقابٍ».

وفي رِوايةٍ: «يُعمَلُ فيهم بالمَعاصي، هُمْ أَكْثَرُ ممَّن يَعْمَلُه...».

قولـه: «﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾»؛ يعني: الْزَموا حفظ أنفسكم عن المعاصي، فإذا حفظتم أنفسكم لا يضرُّكم معاصي غيركم، وإنما لا يضرُّ الرجلَ معاصي غيره إذا عجز عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قوله: «هم أكثر ممن يعمله»؛ يعني: إذا كان الذي لا يعمل المعاصي أكثر من الذين يعملونها، ولم[1] يمنعوهم عن المعاصي، نزل على الجميع عذاب.

* * *

٣٩٨٩ - عن جريرِ بن عبدِالله البَجَلي، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما مِن قومٍ يكونُ بينَ أظهرِهم رجلٌ يعملُ بالمعاصي، هم أَمْنَعُ منهُ وأَعزُّ، لا يُغيـرُونَ عليهِ - إلا أصابَهم الله بعقابٍ».

قوله: «أمنع»؛ أي: أقوى، ومثله: «أعز».

* * *

٣٩٩٠ - وعن أبي ثَعْلَبَةَ: في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، فقال: أَمَا والله، لقد سألْتُ عنها رسولَ الله ﷺ فقال: «بل ائتمِروا بالمَعْروفِ، وتَناهَوْا عن المُنْكَرِ، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأْيِه، ورأيتَ أمْراً لا بُدَّ لكَ منهُ فعليكَ نفسَكَ، ودَعْ أمْرَ العَوامِّ، فإنَّ وراءَكُم أيامَ الصَّبرِ، فمَن صَبَرَ فيهنَّ كانَ كمَن قَبَضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ أجْرُ خَمسينَ رَجُلاً يعمَلونَ مثلَ عَمَلِهِ»، قالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خَمْسينَ منهم؟ قال: «أجْرُ خَمْسينَ منكُم».

---

(١) في «ش ١»: «فلم».

قوله: «بل ائتمروا»، (ائتمر) بمعنى أمر.

«شحاً مطاعاً»، (الشح): البخل، (المطاع): مفعولٌ مِن أطاع؛ يعني: حتى إذا بلغ الأمر إلى أن يطيع الناس البخل؛ أي: استعملوا البخل فلا يؤدون الزكاة والكفارات والنذور والفطرة، ولا يحسنون إلى الناس.

«وهوى متبعاً»؛ أي: يتبع كل أحدٍ هواه؛ أي: يفعل ما تأمره نفسه.

«ودنيا مؤثرة»، (مُؤْثَرة): مفعولة من الإيثار وهو الاختيار؛ يعني: يختار الناس الدنيا على الآخرة، ويحرصون على جمع المال، ويتركون الأعمال الصالحة.

«وإعجاب كل ذي رأي برأيه»، (الإعجاب): وجدان شيء حسناً؛ يعني: يجد كلُّ أحدٍ فعلَ نفسه حسناً وإن كان قبيحاً، ولا يراجع العلماء فيما فعل، بل يكون مفتيَ نفسه.

«ورأيتَ أمراً لا بد لك منه»؛ يعني: رأيتَ بعض الناس يعملون المعاصي، ولا بد لك من السكوت من عجزك وقدرتهم، فإذا كان كذلك احفظ نفسك عن المعاصي، ولا تأمر أحداً بالمعروف ولا تَنْهَه عن المنكر كي لا يقتلوك أو يؤذوك.

«فإن ورائكم»؛ أي: فإن قدَّامكم وتلقاءكم. «أيام الصبر»؛ أي: لا طريق لكم في ذلك الوقت إلا الصبر.

«فيهن»؛ أي: في تلك الأيام.

«قَبْضَ على الجمر»؛ أي: تلحقه المشقةُ بالصبر، ويكون من غاية المشقة كمن أخذ النار بيده[1].

* * *

(١) جاء على هامش «ش»: «والحديث التالي يدل على أنه كان يعلم الأمور المستقبلة التي علمه إياها ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾».

٣٩٩١ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً بعدَ العَصْرِ فلم يَدَعْ شيئاً يكونُ إلى قيامِ السَّاعةِ إلا ذَكَرَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ من نَسِيَهُ، وكانَ فيما قال: «إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِـرَةٌ، وإنَّ الله مُسْتَخْلِفُكم فيها فناظِرٌ كيفَ تعملونَ؟ ألا فاتَّقُوا الدُّنيا، واتَّقُوا النِّساءَ»، وذَكَرَ أنَّ لكلِّ غادرٍ لِوَاءً يومَ القِيامةِ بِقَدْرِ غَدْرتِهِ في الدُّنيا، ولا غَدْرَ أكبرُ مِن غَدْرِ أميرِ العَامَّةِ، يُغرزُ لِواؤُه عندَ استِهِ، قال: «ولا تَمنعَنَّ أحَداً منكم هيبةُ النَّاسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَه».

وفي روايةٍ: «إنْ رأى منكراً أن يغيـرَه»، فبكى أبو سعيدٍ وقال: قد رأيناهُ فمَنَعَتْنا هيبةُ النَّاسِ أنْ نتكلَّمَ فيهِ، ثُمَّ قال: «ألا إنَّ بني آدَمَ خُلِقُوا على طَبَقاتٍ شَتَّى؛ فمنهم مَن يُولَدُ مُؤْمِناً، ويحيا مُؤْمِناً، ويموتُ مُؤْمِناً، ومنهم مَن يُولدُ كافِراً، ويحيا كافِراً، ويموتُ كافِراً، ومنهم مَن يولدُ مُؤْمِناً، ويحيا مُؤْمِناً، ويموتُ كافِراً، ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيا كافِراً، ويموتُ مُؤْمِناً»، قال: وذكرَ الغَضَبَ، «فمنهم مَن يكونُ سريعَ الغَضَبِ سريعَ الفَيْءِ، فإحداهُما بالأُخرى، ومنهم مَن يكونُ بطيءَ الغَضَبِ بطيءَ الفَيءِ، فإحداهُما بالأخرى، وخِيارُكم مَن يكونُ بطيءَ الغَضَبِ سريعَ الفيءِ، وشرارُكم مَنْ يكون سريعَ الغَضَبِ بطيءَ الفَيءِ»، قال: «اتقوا الغَضَبَ، فإنهُ جَمْرَةٌ على قَلْبِ ابن آدمَ، ألا تَرَوْنَ إلى انتِفاخِ أوداجِهِ وحُمرةِ عَيْنَيهِ؟ فمَن أَحَسَّ بشيءٍ مِن ذلكَ فَلْيَضْطَجِعْ وليتلَبَّدْ بالأَرْضِ»، قال: وذكرَ الدَّيْنَ فقال: «منكم مَن يكونُ حَسَنَ القَضاءِ، وإذا كانَ لهُ أَفْحَشَ في الطلَبِ، فإحداهُما بالأُخرى، ومنكم مَن يكونُ سيِّئَ القَضاءِ، وإنْ كانَ لهُ أَجْمَلَ في الطَّلَبِ، فإحداهُما بالأُخرى، وخِيارُكم مَن إذا كانَ عليهِ الدَّيْنُ أَحْسَنَ في القَضاءَ، وإنْ كانَ لهُ أَجْمَلَ في الطَّلَبِ، وشِرارُكم مَن إذا كانَ عليهِ الدَّيْنُ أساءَ القضاءَ، وإنْ كانَ لهُ أَفْحَشَ في الطَّلَبِ، حتى إذا كانَت الشَّمْسُ على رُؤوسِ النَّخْلِ وأَطْرافِ الحِيطانِ فقالَ: «أَما إنه لم يَبْقَ مِن الدُّنْيا فيما مَضَى منها إلا كما بقِيَ مِن يومِكم هذا فيما مَضَى منه».

قوله: «إن الدنيا حلوة خضرة»؛ يعني: الدنيا طيبة مليحة، وعيون الناس وقلوبهم لا يشبعون من جمع المال ومن الجاه.

«مستخلفكم»، (الاستخلاف): إقامة أحد مقام مَن كان قبله؛ يعني: يُميت ويُهلك قوماً، ويقيم قوماً آخر مقامهم؛ ليختبرهم أيهم يعمل العمل الصالح، وأيهم[1] يعمل العمل السيء.

«وذكر أن لكل غادر لواء»، ذُكر بحثُ الغدر في (باب ما على الولاة من التيسير).

قوله: «ثم قال»؛ أي: ثم قال رسول الله ﷺ.

«فإحداهما بالأخرى»؛ يعني: إحدى الخصلتين تقابل الخصلة الأخرى لا تستحق المدح والذم. «البطيء»: ضد السريع.

«انتفاخ أوداجه»، (الانتفاخ): ظهور الريح في شيء حتى يعظم، (الأوداج): جمع وَدَج، وهو عِرْقُ العنق.

«أحس»؛ أي: أدرك وعلم. «وليتلبد»؛ أي: وليلتصق «بالأرض» لتكسر نفسه ويذهب غضبه.

«وإذا كان له»؛ يعني: فإذا كان له دَيْنٌ على أحد، يؤذيه في طلب دَينه، ويعسر عليه في التقاضي.

«حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل»؛ يعني: كان النبي ﷺ في ذلك المجلس يحدِّث من بعد العصر حتى قربت الشمس من الغروب، ولم تبق الشمس إلا على رؤوس النخيل؛ يعني: ذهبت الشمس عن وجه الأرض.

«الحيطان»: جمع حائط.

* * *

٣٩٩٢ - وقال: «لن يَهلكَ النَّاسُ حتى يُعذِروا مِن أنفُسِهم».

---

(١) في «م» و«ش» و«ق»: «فأيهم»، والصواب ما أثبت.

قوله: «حتى يُعذِروا من أنفسهم»: يجوز كسر الذال وفتحها:

فأما كسر الذال: فهو مِن (أَعْذَرَ): إذا كان ذا ذنبٍ كثيرٍ محتاجاً إلى العذر من كثرة ذنوبه؛ يعني: لن يهلك الناس حتى تكثر ذنوبهم، و(من) في (من أنفسهم) للتبيين؛ أي: حتى تكثر ذنوب أنفسهم لا ذنوبُ غيرهم.

وأما فتح الذال: فهو مضارعٌ مجهولٌ من (أَعْذَر): إذا أزال عُذْرَ أحد؛ يعني: حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بأن يبعث عليهم الرسل، ويبينوا لهم الرشاد من الضلال، والحرام من الحلال، والحق من الباطل، فإذا عرفوا الحق من الباطل ولم يؤمنوا، أو آمنوا ولكن أكثروا المعاصي ولم يتوبوا، فحينئذ أهلكهم الله.

روى هذا الحديث أبو البَخْتَري، عن رجل من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

* * *

٣٩٩٣ - وقال: «إنَّ الله تعالى لا يُعذِّبُ العَامَّةَ بعَمَلِ الخاصَّةِ حتى يَرَوُا المُنْكَرَ بينَ ظَهْرانَيْهِم، وهم قادرونَ على أن يُنكِرُوهُ فلم يُنكِروهُ، فإذا فعلُوا ذلكَ عذَّبَ الله العَامَّةَ والخَاصَّةَ».

قوله: «لا يعذب العامة» أراد بـ (العامة): أكثر القوم، وبـ (الخاصة): أقلَّهم.

«بين ظهرانيهم»؛ أي: بينهم.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٣٩٩٤ - وعن عبدالله بن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولَ الله ﷺ: «لمَّا وَقَعَتْ بنو

إسرائيلَ في المعاصي نَهَتْهُم عُلَماؤُهُم فلم يَنْتَهُوا، فجالَسُوهم في مجالِسِهم، وَواكَلُوهُم وشارَبُوهم، فَضَرَبَ الله قلوبَ بعضِهِم بِبَعْضٍ، ولعنَهم على لسانِ داودَ وعيسَى بن مريمَ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾»، قال: فجَلَسَ رسولُ الله ﷺ وكانَ مُتَّكِئاً فقال: «لا وَالذي نَفْسي بيدِهِ، حتى تَأْطِرُوهم أَطْراً».

وفي رِوايةٍ: «كلا والله، لتأمُرُنَّ بالمَعْروفِ، وَلَتنهَوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخُذُنَّ على يَدَي الظالمِ، ولَتأْطِرُنَّهُ على الحقِّ أَطْراً، أو لَتَقْصُرُنَّه على الحَقِّ قَصْراً، أو ليَضْرِبنَ الله بقلوبِ بعضِكُم على بعضٍ، ثم لَيَلْعَنَنَّكُم كما لَعَنَهُم».

قوله: «فضرب[1] الله قلوب بعضهم ببعض»؛ يعني: سوَّد الله قلوبَ مَن لم يَعْصِ بشؤمِ مَن عَصَى، فصارت قلوب الجميع قاسيةً بعيدةً من قبول الخير والرحمة بسبب المعاصي، وبسبب مخالطة بعضهم بعضاً.

قوله: «لا والذي نفسي بيده»؛ يعني: لا يخلصون من العذاب.

«حتى تأطروهم»، (الأطر): الإمالة والتحريف من جانب إلى جانب؛ يعني: حتى تمنعوا الظَّلَمةَ والفَسَقةَ عن الظلمِ والفسق، وتُميلوهم عن الباطل إلى الحق.

* * *

٣٩٩٦ ـ عن عَمَّارِ بن ياسرٍ قال: قال رسولَ الله ﷺ: «أُنزِلَتْ المائِدَةُ مِن السَّماءِ خُبْزاً ولَحماً، وأُمِروا أنْ لا يَخُونوا ولا يَدَّخِرُوا لغدٍ، فخانُوا وادَّخَروا ورَفَعُوا لِغَدٍ، فمُسِخُوا قِرَدَةً وخنازِيرَ».

قوله: «فمسخوا»؛ أي: تغيَّرت صورهم «قردةً وخنازير» منصوبتان على التمييز، و(القردة): جمع القرد، وهو حيوان معروفٌ كنيته أبو زَنَّة.

□□□

(١) جاء على هامش «ش»: «أي: خلط، ضرب الجص بعضه ببعض؛ أي: خلطه».

(٢٤)

كتاب الرقاق

(كِتَابُ الرِّقَاقِ)

(الرقـــاق): جمع رقيق، وهو الذي فيه رِقَّةٌ؛ أي: لطافةٌ، والرِقة: ضد الغلظ.

ســـميت هذه الأحـــاديث رقاقاً؛ لأن في كل حـديث من الوعـــظ والتنبيه ما يجعل القلب رقيقاً، ويُحدث في القلوب رقةً.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٣٩٩٧ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَرَاغُ».

قوله: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، (مغبون): اسم مفعولٍ من (غُبِـن): إذا خسر الرجل في تجارته، وذهب عنه مطلوبُه؛ يعني: لا يَعرف قَدْرَ هاتين النعمتين كثيرٌ من الناس؛ يعني: لا يعملون في زمان الصحة والفراغ الأعمال الصالحة، ولا يهيئون أمر الآخرة، حتى تتبدل الصحة بالمرض، والفراغُ بالاشتغال، فحينئذ يندمون على تضييع أعمارهم ولا ينفعهم الندم.

روى هذا الحديث ابن عباس.

* * *

٣٩٩٩ ـ وعن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فقال: «أيُّكم يُحِبُّ أنَّ هذا لهُ بدرهمٍ؟» فقالوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لنا بشَيْءٍ، فقال: «فَوالله، للدُّنيا أَهْوَنُ على الله مِن هذا عَلَيْكُم».

قوله: «بجدي أَسَكَّ»، (الأَسَكُّ): صغير الأذن.

«أن هذا له بدرهم»؛ يعني: أن يشتريه بدرهم.

* * *

٣٩٩٨ ـ وقال: «والله، ما الدُّنيا في الآخِرَةِ إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحدُكم إصبَعَهُ في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟».

قوله: «في اليم»؛ أي: في البحر.

روى هذا الحديث المستورد بن شداد.

٤٠٠٠ ـ وقال: «الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمنِ وجَنَّةُ الكافِرِ».

قوله: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»؛ يعني: الدنيا سجن المؤمن بالنسبة إلى ما يكون له في الآخرة من النعيم المقيم، والدنيا جنة الكافر بالنسبة إلى ما يكون له في الآخرة من عذاب الجحيم.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٠١ ـ وقال: «إنَّ الله لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً، يُعطَى بها في الدُّنْيا، ويُجزَى بِها في الآخِرَةِ، وأمَّا الكافرُ فيُطعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنْيا، حتى إذا أفضَى إلى الآخِرَةِ لم يَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجزَى بها».

قوله: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة»؛ يعني: لا يُضيعُ حسنةَ المؤمن، بل

يعطي المؤمن بحسنته أجر الدنيا وأجر الآخرة، فأما أجر الدنيا: فهو أن يدفع عنه البلاء، ويوسّع رزقه، ويُحسن جماله، ويحببه في قلوب الناس، وأما أجر الآخرة: فاللقاء والجنة.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٤٠٠٢ ـ وقال: «حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَتْ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ».

قوله: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»؛ أي: حفَّت النار وأُدير حولها الطيباتُ وما تشتهيه الأنفس، والجنة على عكس هذا، فمن فعل ما اشتهته نفسه فقد سلك طريق النار، ومَن منع نفسه عما تشتهيه فقد سلك طريق الجنة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٠٣ ـ وقال: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيْكَ فلا انتَقَشَ، طُوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرسِهِ في سبيلِ الله أشعثَ رأسُه، مُغْبَرَّةٍ قدَماهُ، إنْ كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحراسةِ، وإنْ كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقةِ، إنْ استأذَنَ لم يُؤذَنْ لهُ، وإنْ شَفَعَ لم يُشَفَّعْ».

قوله: «تعس»؛ أي: هلك وسقط على وجهه، «عبد الدينار»؛ أي: الحريص على جمع الدنيا.

«الخَميصة»: كساء أسود مربعٌ له علمان، وأراد بعبد الخميصة. مَن يحبُّ

كثرة الثياب النفيسة، ويحرص على التجمُّل فوق قَدْرِ الحاجة.

«وانتكس»؛ أي: صار خسيساً ذليلاً. «شيك» ماضٍ مجهولٌ من الشوك؛ أي: أدخل الشوك في جسده. «فلا انتقش»؛ أي: فلا أخرج الشوك منه.

هذه الكلمات دعاءٌ من النبي على مَن ترك عمل الآخرة، واشتغل بجمع أموال الدنيا؛ يعني: مَن كانت هذه صفته صار ذليلاً، وإذا أصابه غمٌّ وجراحةٌ ما أزال الله عنه ذلك الغم.

«أشعث»؛ أي: متفرق شعر الرأس لا يكون له فراغ غسل رأسه، «أغبر»؛ أي: صار ذا غبارٍ من كثرة المشي على التراب.

«إن كان في الحراسة»؛ يعني: إن كان في حراسة الجيش كان شغله ذلك.

«وإن كان في الساقة»؛ أي: يمشي خلف الجيش، (الساقة): الجماعة المتأخِّرة من الجيش؛ يعني: يكون مشغولاً بالخيرات.

«إن استأذن لم يؤذن له»؛ يعني: لا يخالط الناس، ولا يجعل نفسه مشهورة، بل لا يعرف الناس، حتى لو استأذن في دخول الدار أو مجلسٍ لم يؤذن له من قلة قَدْرِه عند الناس.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٠٤ - عن أبي سعيد الخُدْرِيّ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «إنَّ مِمَّا أخافُ عليكُم مِن بعدي ما يُفتَحُ عليكُم مِن زَهْرَةِ الدُّنيا وزينَتِها»، فقالَ رجلٌ: يا رسـولَ الله! أَوَ يأتي الخَيْرُ بالشَّرِّ؟ فسكتَ حتى ظنَنَّا أنهُ يُنزَلُ عليهِ، قال: فَمَسَـحَ عنه الرُّحَضَاءَ وقال: «أينَ السَّائِلُ؟» وكأنَّهُ حَمِدَهُ، فقال: «إنَّه لا يأتي الخَيْرُ بالشَّرِّ،

وإنَّ مِمَّا يُنبِتُ الرَّبيعُ يَقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ، إلاَّ آكِلَةَ الخضراءِ، أَكَلَتْ حتى إذا امتَدَّتْ خاصِرتَاهَا استقبَلَتْ عينَ الشَّمسِ فَثَلَطَتْ وبالَتْ، ثم عادَتْ فأَكَلَتْ، وإنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَن أخذَهُ بحَقِّه ووَضَعَهُ في حَقِّه فنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، ومَن أخذَهُ بغيرِ حقِّهِ كانَ كالذي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ، ويكونُ شهيداً عليهِ يومَ القيامةِ».

قوله: «ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا»، (الزهرة): ما نستلذُّه ونستمتع به؛ يعني: أخاف إذا كثرت أموالكم أن تشتغلوا بالأموال وتتكبروا، وتقلَّ أعمالكم الصالحة.

«أو يأتي الخير بالشر؟» الباء للتعدية؛ يعني: حصول الغنيمة لنا خيرٌ، وهل يكون ذلك الخير سبباً للشر وترك الطاعات؟.

«الرُّحَضاء»: العرق الذي يظهر للنبي عند نزول الوحي عليه.

«وإن مما يُنبت الربيعُ ما يقتل أو يُلِمُّ»، (ألمَّ): إذا نزل، وألمَّ أيضاً: إذا قارب شيئاً؛ يعني: مثال كثرة المال كمثال ما ينبت في فصل الربيع، فإن بعض النبات حلوٌ في فم الدابة، وهي حريصةٌ على أكله، ولكن ربما تأكل كثيراً فيحصل بها داءٌ من كثرة الأكل، فتموت من ذلك الداء، أو تقرب من الموت، وإن لم تأكل الدابة إلا بقَدْرِ ما يطيقه كرشُها، فتأكل، وتترك الأكل حتى تهضم ما أكلت، وحتى تبول وتروث روثاً، ويحصل لها خفةٌ من خروج الروث والبول منها، فلا يضرها الأكل.

فكذلك مَن حصل له مال كثير، فإن حرص على المال، ويُكثر الأكل والشرب والتجمُّل، فيقسو قلبه، وتتكبر نفسه، ويرى نفسه أفضل من غيره، ويحتقر الناس ويؤذيهم، ولا يُخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور، وإطعام السائلين والأضياف، وحقوق الجار.

فمَن كانت هذه صفته لا شك أن المال شرٌ له، ويبعده من الجنة، ويقرِّبه من النار، ومَن أدى حقوق المال، ولا يحتقر الناس، ولا يفخر عليهم، ولا يشتغل بجمع المال بحيث تفوت عنه طاعةٌ، ويُحسن إلى الناس، فمالُه خيرٌ له، كما قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

فإذا عرفت هذا؛ فقد عرفت أن الخير والشر لا يحصلان للرجل من عين المال، بل نفسُ الرجل هي التي تصرف المال فيما فيه خير له، أو فيما فيه شرٌّ له.

قوله: «فثَلَطت»؛ أي: أخرجت الروث عنها حتى تجد خفةً في بطنها، ثم تعود بعد الخفة إلى الرعي.

* * *

٤٠٠٥ ـ وقال: «والله لا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُم، ولكِنْ أَخْشَى عليكُم أنْ تُبْسَطَ عليكُم الدُّنيا كما بُسِطَتْ على مَن قَبْلَكم، فَتَنَافسُوها كما تَنَافَسُوها، وتُهلِكَكُم كما أَهلَكَتْهُم».

قوله: «فتنافسوها»؛ أي: فتختاروها وترغبوا فيها، ويَكثر اشتغالكم في جمعها، وتقل طاعتكم، ويحصل بينكم العداوة بسبب المال، فيقتل بعضكم بعضاً وتقعوا في المعاصي.

روى هذا الحديث عمرو بن عوف.

* * *

٤٠٠٦ ـ وقال: «اللهمَّ اجعلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً»، ويُروَى: «كَفَافاً».

قوله: «كفافاً»، (الكفاف) من القوت: ما يَكفُّ؛ أي: يمنع الرجلَ عن الجوع، أو عن السؤال وإراقة ماء الوجه.

قد عُلم بهذا الحديث أن القوت لا بد منه، والأقل منه مذمومٌ عند بعض الناس، والأكثر منه أيضاً مذمومٌ عند بعض الناس.

فالنبي ﷺ بيّن ما هو الأصلح للعوامّ والخواصّ، فهذا الحديث حديثٌ يدخل فيه جميع الناس؛ لأن القوت عبارةٌ عما يحتاج إليه الرجل لسد القوت بحيث لا إسراف ولا إقتار؛ أي: لا ضرر فيه، والناس يختلفون في القوت، فبعضهم اعتاد في الأكل في كل عشرة أيام يوماً، ومنهم من اعتاد فوق ذلك، فإذا بلغ الرجل الوقت الذي كان يعتاد فيه الأكل، وعلم أنه لو لم يأكل فيه للحقه ضرر، فقوتُه ما يدفع عن نفسه الضرر في ذلك الوقت، فإن طلب ذلك الشخص أكثر ممَّا كان يعتاد من القوت؛ لكان طلبه أكثر من المعتاد إسرافاً في حقه، ولم يكن إسرافاً في حق مَن لم يكن بتلك المنزلة من التوكُّل وذَوْقِ الطاعة.

وكذلك الناس يختلفون في كثرة العيال وقلّتها، فقوتُ كلّ أحدٍ يتعلق بقَدْرِ عياله.

فالمحمود من المال ما يحصل للرجل به القوةُ على الطاعة، ولا يمنعه الاشتغالُ به من الطاعة، ولا يمنعه الجوع أيضاً من الطاعة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٠٧ ـ وقال: «قد أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، ورُزِقَ كَفَافاً، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه».

قوله: «قنعه»؛ أي: جعله الله قانعاً ولم يطلب الزيادة.

روى هذا الحديث عبدالله بن عمرو.

* * *

٤٠٠٨ ـ وقال: «يقولُ العبدُ: مالي، مالي، إنَّما لهُ مِن مَالِهِ ثلاثٌ:

ما أكلَ فأفنَى، أو لَبِسَ فأبْلَى، أو أعْطَى فاقتنَى، وما سِوَى ذلك فهوَ ذَاهِبٌ وتَارِكُه للنَّاسِ».

وقوله: «أو أعطى فاقتنى»، (اقتنى) بمعنى: ادَّخر؛ يعني: ما تصدَّق به يكون له ذخيرة يوم القيامة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٠٩ ـ وقال: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثلاثةٌ، فيَرجعُ اثنانِ ويبقَى معَهُ واحدٌ، يتبعُهُ أهلُه ومالُه وعَمَلُه، فيَرْجِعُ أهلُه ومالُه، ويبقَى عَمَلُه».

قوله: «يتبع الميت ثلاثة» يريد بهذا الحديث: أن بعض ماله يتبعه وهو العبيد والإماء.

روى هذا الحديث أنس.

* * *

٤٠١٢ ـ وقال: «ليس الغِنى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

قوله: «غنى النفس» معنى (الغنى): عدم الاحتياج إلى الناس، فمن كان في قلبه حرصٌ على جمع المال فهو فقير وإن كان له مال كثير؛ لأنه يحتاج إلى طلب الزيادة، ويُتعب نفسه بطلب الزيادة، ولا ينفق ماله على نفسه وعياله من خوفِ أن ينقص ماله.

ومن كان له قلب بعيد عن الحرص، راضٍ بالقوت، فهو غني وإن لم يكن له مال؛ لأنه لا يطلب الزيادة من القوت، ولا يتعب نفسه في طلب المال.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠١٤ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله يقولُ: ابن آدَم! تَفَرَّغْ لعبادتي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وأَسُدَّ فقرَكَ، فإنْ لم تفعلْ مَلأْتُ يدَكَ شُغْلاً، ولم أَسُدَّ فقرَكَ».

قوله: «وإن لا تفعل»؛ يعني: وإن لا تفعل ما أمرتك من الإعراض عن الدنيا، والاشتغال بطاعتي «ملأت يدك شغلاً»؛ أي: كثَّرتُ شغلك الدنيويَّ، فتُتعب نفسك بالشغل وكثرة التردُّد في طلب المال والغنى، ولا يحصل لك الغنى، فتُجعل محروماً من ثوابي، ولا يحصل لك من الرزق إلا ما قدَّرت لك.

* * *

٤٠١٥ ـ «عن جابرٍ قال: ذُكِرَ رَجُلٌ عندَ رسولِ الله ﷺ بعبادةٍ واجتهادٍ، وذُكِرَ آخرُ بِرِعَةٍ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَعدِلْ بالرِّعَةِ شيئاً»، يعني: الوَرَعَ.

قوله: «لا تعدل بالرِّعة»، (الرِّعة): الورع؛ يعني: لا تقابلْ شيئاً بالورع، فإن الورع أفضل من كل خصلة.

يجوز: (لا تَعْدِلْ) بفتح التاء وجزم اللام، على أنه نهيُ مخاطَبٍ مذكَّرٍ[1]، ويجوز: (لا تُعدَلُ) بضم التاء وفتح الدال، على أنه نفيٌ؛ أي: لا تُعْدَلُ خصلةٌ بالرِّعة.

* * *

(١) في «م»: «على أنه نهي خطاب».

٤٠١٦ ـ وقال رسولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وهو يَعِظُه: «اغتنمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَراغَكَ قبلَ شُغُلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ»، مرسل.

قوله: «اغتنم»؛ أي: اتخذ هذه الأشياء غنيمةً واتخذها نعمة؛ يعني: اعمل في الشباب الأعمال الصالحة، وكذلك في الصحة، وفي الغنى، وفي حالة الفراغ والحياة.

روى هذا الحديث عمرو بن ميمون الأَوْدي.

* * *

٤٠١٨ ـ عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما يَنْتَظِرُ أَحَدُكم إلا غِنًى مُطْغِياً، أو فَقْراً مُنْسِياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو هَرَماً مُفْنِداً، أو مَوْتاً مُجْهِزاً، أو الدَّجَّالَ، فالدَّجَّالُ شَرُّ غائبٍ يُنْتَظَرُ، أو السَّاعةَ، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾».

قوله: «ما ينتظر أحدكم إلا غنًى مطغياً»، (المُطْغي): الشيء الذي يجعل المرء طاغياً، والطاغي: العاصي والمجاوِزُ عن الحد؛ يعني: لم لا يعمل أحدكم الأعمال الصالحة في حال وجدانه كفافاً من القوت، وليس له غنًى يمنعه عن الطاعة، وليس به فقر يمنعه أيضاً من الطاعة، فإذا لم يعمل في حال الفراغ الأعمالَ الصالحة، ربما يأتيه ما يمنعه من الطاعة كهذه الأشياء المذكورة.

«أو فقراً مُنْسِياً»؛ يعني: أو فقراً ينسيه الطاعة من الجوع والعري، أو التردُّد في طلب القوت.

«أو هرماً مفنداً»، (المفند) بسكون الفاء وكسر النون، وفتح الفاء والنون وتشديدها: الذي لا يدري ما يقول من غاية كبره.

«أو موتاً مُجْهِزاً»؛ أي: قاتلاً فجأةً بحيث لا يقدر على التوبة.

«أدهى»؛ أي: أشقُّ وأشد، «وأمر»؛ أي: أشد مرارة.

* * *

٤٠١٧ - عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ألا إنَّ الدُّنيا مَلْعونةٌ، مَلْعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ الله وما وَالاَهُ، وعالِماً أو مُتَعلِّماً».

قوله: «وما والاه»، (الموالاة): جريان المحبة بين اثنين، وقد يأتي ولا يكون إلا من واحدٍ؛ يعني: ملعونٌ ما في الدنيا إلا ذكر الله أو ما أحبَّ الله؛ يعني: ما يجري في الدنيا ممَّا يحبه الله غير ملعون، والباقي ملعون؛ أي: مطرودٌ مبغوض عند الله.

* * *

٤٠١٩ - وعن سهل بن سعد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو كانَت الدُّنيا تَعْدِلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ ما سقَى كافراً منها شربةَ ماءٍ».

قوله: «تعدل»؛ أي: تَزِنُ وتقابل؛ يعني: لو كان للدنيا وقعٌ وقَدْرٌ عند الله بقدر جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة؛ لأن الكافر عدو، ولا يُعطى العدو إلا من الشيء الخسيس الذي لا يلتفت إليه من حقارته.

* * *

٤٠٢٠ - عن ابن مَسْعودٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَتَّخِذوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنيا».

قوله: «لا تتخذوا الضيعة[1]»، (الضيعة): البستان والمزرعة؛ يعني:

---

(١) جاء في هامش «ش»: وضيعة الرجل ما يكون من مكاسب كالصنعة والتجارة والزراعة ونحو ذلك.

لا تحصِّلوا البساتين والمزارع، فإنكم لو حصَّلتم واحداً لحرصتم على طلب الزيادة، ولا تشبعوا حينئذ من الدنيا.

* * *

٤٠٢١ ـ وقال: «مَن أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بآخِرتهِ، ومَن أَحَبَّ آخرتَهُ أَضَرَّ بدنياهُ، فآثِروا ما يَبْقَى على ما يفْنَى».

قوله: **«أضر بآخرته»**، (الإضرار): إيصال النقصان والمضرة إلى أحد، ويَعدَّى بالباء؛ يعني: مَن أحب دنياه نقص درجته في الآخرة؛ لأنه يشتغل ظاهره وباطنه بالدنيا، فلا يكون له فراغه لطاعة الله.

روى هذا الحديث أبو موسى.

* * *

٤٠٢٣ ـ عن ابن كَعْبِ بن مالكٍ، عن أبيه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما ذِئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأَفْسَدَ لها مِن حِرْصِ المَرْءِ على المالِ والشَّرَفِ لدينِهِ».

قوله: **«بأفسد لها»** الضمير في (لها) يرجع إلى (الغنم)، وهو مؤنث لأنه جمع في المعنى.

«من حرص المرء على المال والشرف لدينه»، (والشرف) معطوفٌ على (المال)؛ أي: حرص المرء على المال وحرصه على الشرف؛ أي: على المنصب والجاه؛ يعني: حرصُ المرء على المال والشرف أكثر إفساداً لدينه من إفساد الذئبين للغنم.

* * *

٤٠٢٤ ـ عن خَبَّابٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ما أَنْفَقَ المُؤْمِنُ مِن نَفَقَةٍ إلا أُجِرَ فيها، إلاَّ نَفَقَتَهُ في هذا التُّرابِ».

قوله: «إلا نفقته في هذا التراب»؛ يعني: إلا صَرْفَه مالَه في بناء البيوت والقصور، والزيادةِ على قَدْرِ حاجته؛ يعني: صرفُ المال في البناء الذي يبنيه للزينة والمفاخرة لا للحاجة لا يكون له فيه ثواب.

* * *

٤٠٢٧ ـ عن أبي هاشمِ بن عُتبة قال: عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إنَّما يَكْفيكَ مِن جَمْعِ المالِ خادِمٌ ومَرْكَبٌ في سبيلِ الله».

قوله: «عهد إلي»؛ أي: أوصاني.

* * *

٤٠٢٨ ـ عن عُثمانَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ لابن آدَمَ حقٌّ في سِوَى هذه الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وثَوْبٌ يُوَارِي بِهِ عَوْرَتَهُ، وجِلْفُ الخُبْزِ والماءِ».

قوله: «جلف الخبز»، (الجلف) بكسر الجيم وسكون اللام: الظرف؛ يعني: ينبغي له أن يطلب بيتاً وثوباً وظرفاً يضع فيه الخبز.

«والماء»؛ يعني: لا ينبغي له أن يضيع عمره في تحصيل المال، إلا ما لا بد له منه.

قوله: «يواري»؛ أي: يستره.

* * *

٤٠٢٩ ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ قال: جاءَ رَجُلٌ فقال: يا رسولَ الله! دُلَّني

على عَمَلٍ إذا أنا عَمِلْتُهُ أَحَبَني الله وأَحَبني النَّاسُ، قال: «ازهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ الله، وازهَدْ فيما عندَ الناسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

قوله: «ازهد في الدنيا»؛ أي: كن تاركاً للدنيا ومُعْرِضاً عنها، (زهد في الأمر): إذا أعرض عنه، و(زهد عن الأمر): إذا مال إليه، بخلافِ رَغِبه، فإن لفظة (رَغِبَ) إذا كان بعدها (في) معناه: مال إليه، وإذا كان بعدها «عن» معناه: أعرض عنه.

* * *

٤٠٣٠ ـ عن ابن مَسْعودٍ: أن رسولَ الله ﷺ نامَ على حَصيرٍ، فقامَ وقد أَثَّرَ في جَسَدِهِ، فقال ابن مَسْعودٍ: يا رسولَ الله! لو أَمَرْتَنا أن نَبْسُطَ لكَ ونَعْمَلَ، فقالَ: «ما لِي وللدُّنيا، وما أنا والدُّنيا إلا كَراكِبٍ استَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ راحَ وتركَها».

قوله: «لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل»؛ يعني: لو أذنت لنا أن نبسط لك فراشاً ليناً لطيفاً، ونعمل لك ثوباً حسناً وبيتاً حسناً، يكون لك أحسن وأطيب من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن.

«ما لي وللدنيا» يجوز أن تكون (ما) للنفي؛ يعني: ليس لي ألفةٌ ومحبة مع الدنيا، ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب فيها وأجمعَ ما فيها، ويجوز أن تكون للاستفهام؛ يعني: أيُّ ألفةٍ ومحبة لي مع الدنيا حتى أرغب فيها؟

* * *

٤٠٣١ ـ وعن أبي أُمامَةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَغْبَطُ أوليائي عِنْدي لَمُؤْمِنٌ خَفيفُ الحَاذِ، ذو حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ، أَحْسَنَ عِبادةَ ربـهِ وأطاعَهُ في السِّرِّ، وكانَ

غامِضاً في النّاسِ لا يُشَارُ إليه بالأصابِعِ، وكانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، فصَبَرَ على ذلكَ»، ثم نَقَرَ بيدِهِ فقال: «عُجِّلَتْ مَنِيَّتُه، وقَلَّتْ بواكِيهِ، وقَلَّ تُرَاثُه».

قوله: «أغبطُ أوليائي»، (الأغبط): الذي حالُه أحسنُ وأربحُ من حال غيره؛ يعني بـ (أوليائي): الصالحين، والصالحون كلُّهم أحسن الحال، ولكن أحسنهم حالاً مَن هو موصوفٌ بما وُصف في هذا الحديث.

«خفيف الحاذ» قال في «صحاح اللغة»: فلان خفيفُ الحاذ؛ أي: ضعيفُ الظهر؛ يعني: مَن ليس له كثرةُ عيال وكثرة شغل.

«غامضاً»؛ أي: مستوراً عن الناس لا يعرفه الناس، فإن الصالح إذا عرفه الناس يفتنونه، بأن يجتمعوا عليه ويحمدونه، فربما يظهر في نفسه غرور ورياء.

«ثم نقر بيده»، (نقر) بالراء المهملة: صوت ضرب بيده؛ يعني: ثم ضرب رسول الله ﷺ إبهامَه بوسطاه حتى سُمع منه صوت.

وهذا فعلُ مَن تعجَّب مِن شيء، أو رأى شيئاً حسناً، أو أظهر عن نفسه قلة المبالاة بشيء وقلة الحزن، أو أظهر طرباً؛ يعني: مَن كانت هذه صفته، بمنزلة أن يُتعجَّب من حُسن حاله وقلة حزنه وقلة مبالاته بالدنيا وكثرة طربه وفرحه.

«عجُلت منيته»؛ أي: كان قبضُ روحه سهلاً؛ لأن بعض الناس يكون قبض روحه شديداً؛ لالتفاته إلى ما تَرَك في الدنيا من المال والعيال والأحباب، وطيبِ العيش، والمساكن الرفيعة.

«قلَّت بواكيه»، (البواكي): جمع باكية، وهي المرأة التي تبكي على الميت؛ يعني: قلت عياله، وإذا قلَّت عياله قلَّ التفاتُ خاطره إلى الدنيا.

«التراث»: الميراث.

* * *

٤٠٣٢ ـ وقال: «عَرَضَ عليَّ رَبي لِيَجْعَلَ لي بَطْحاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فقلتُ: لا يا رَبِّ! ولكنْ أَشْبَعُ يَوْماً وأَجُوعُ يوماً، فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وشَكَرْتُكَ».

قوله: «بطحاء مكة»، البطحاء والأبطح: مسيل الماء، ويريد النبي ﷺ ببطحاء مكة: عرصة مكة وصحاريها.

* * *

٤٠٣٣ ـ عن عبدالله بن مِحْصَنٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَصْبَحَ منكم آمِناً في سِرْبِه، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَه قُوتُ يومِهِ، فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنيا بحَذَافيرِها»، غريب.

قوله: «آمناً في سِربه»، (السِّرب) بكسر السين: النفس والجماعة؛ يعني: من كانت نفسه آمنةً من شر الأشرار، وأهلُه أيضاً آمنين، «معافى في جسده»؛ أي: صحيحاً بدنُه، سليماً من العيوب والآفات، «حِيزَ»؛ أي: جُمِعَ.

* * *

٤٠٣٤ ـ وعن المِقْدَامِ بن مَعْدِ يْكَرِبَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما ملأَ آدميٌّ وِعَاءً شَرّاً مِن بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالةَ، فثُلُثٌ طَعامٌ، وثُلُثٌ شَرابٌ، وثُلُثٌ لِنَفَسِه».

قوله: «يقمن صلبه»، (يقمن): ضمير جماعة مؤنَّثٌ يرجع إلى الأُكُلات، وهو من (أقام): إذا حفظ شيئاً عن السقوط.

«الأُكُلات»: جمع أُكْلَة وهي اللقمة؛ يعني: لا بد للإنسان من قوتٍ يَقُوتُه ويحفظه عن أن يَضعف.

«فإن كان لا محالة»؛ يعني: فإن كان لا بد من أن يملأ بطنه ولا يشبع بأدنى قوتٍ فليملأ ثلثَ بطنه بالطعام، وثلثه بالماء، ويترك ثلثه خالياً لخروج النَّفَس.

* * *

٤٠٣٥ - وعن ابن عُمَرَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَتَجَشَّأُ فقال: «أَقْصِرْ مِن جُشَائِكَ، فإنَّ أطولَ النَّاسِ جُوْعاً يومَ القِيامةِ أطولُهم شِبَعاً في الدُّنْيا».

قوله: «يتجشأ»؛ أي: يُخرج الجشاءَ من صدره، و(الجشاء): ريحٌ يخرج عن الصدر عند امتلاء المعدة من الطعام.

* * *

٤٠٣٦ - وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتي المالُ».

قوله: «إن لكل أمة فتنة»، (الفتنة) هاهنا: ما يوقع أحداً في الضلالة أو المعصية.

روى هذا الحديث كعب بن عياض.

* * *

٤٠٣٧ - عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يُجَاءُ بابنِ آدَمَ يومَ القِيامَةِ كأنَّه بَذَجٌ، فيُوقَفُ بينَ يدي الله، فيقولُ له: أَعْطَيْتُكَ وخَوَّلْتُكَ وأنعمتُ عليكَ، فما صَنَعْتَ؟ فيقولُ: رَبِّ! جَمَّعْتُهُ وثَمَّرْتُهُ فَتَرَكْتُه أكثرَ ما كانَ، فارجِعْني آتِكَ بهِ كلِّه، فيقولُ لهُ: أَرِني ما قَدَّمْتَ، فيقولُ: ربِّ! جَمَّعْتُه وثَمَّرتُه فتركتُه أكثرَ ما كانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بهِ كلِّه، فإذا عَبْدٌ لم يُقَدِّمْ خَيْراً فيُمضَى بهِ إلى النَّارِ»، ضعيف.

قوله: «يجاء بابن آدم» يريد شخصاً واحداً، وليس المراد بابن آدم هنا

جميعَ ولد آدم.

«كأنه بذج»، (البذج): معرَّبٌ، وأصله بالفارسي: بره؛ أي: ولد الضأن، يريد بهذا الكلام بأنه كبَذَجٍ في الحقارة.

«خوَّلتك» بالخاء المعجمة؛ أي: جعلتك ملكاً على بعض الناس، ومالكاً لبعض الأموال والدُّور والقصور والبساتين والمزارع.

«وثمرتك»، (التثمير): تكثير المال.

* * *

٢ ـ باب
فضلِ الفُقَراءِ وما كانَ من عَيْشِ النَّبيِّ ﷺ

(باب فضل الفقراء)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٤٠ ـ قال رسولَ الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفوعٍ بالأبوابِ لو أَقسمَ على الله لأبَرَّهُ».

«رب أشعث»؛ أي: ربَّ رجلٍ متفرِّقِ شعر الرأس، «مدفوع بالأبواب»؛ أي: يُدفع من الأبواب أن يدخلها من غاية حقارته في نظر الناس؛ يعني: رب رجلٍ فقيرٍ حقيرٍ عند الناس «لو أقسم على الله لأبره»؛ يعني: لو قال: بعزتك يا رب افعل كذا وكذا، لفعل الله ذلك حتى يبر قسمه من غاية عزته عند الله.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٤١ ـ وقال: «هل تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلا بِضُعفَائِكُم؟».

قوله: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»؛ يعني: يحصل لكم النصرة على أعدائكم ويحصل لكم أرزاقكم ببركة الفقراء والضعفاء فأكرِموهم.

روى هذا الحديث سعد بن أبي وقاص.

* * *

٤٠٤٢ ـ وقال: «قُمْتُ على بابِ الجَنَّةِ، فكانَ عامَّةُ مَن دَخَلَهَا المَساكِينُ، وأصحابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غيرَ أنَّ أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ، وقُمْتُ على بابِ النَّارِ، فإذا عامَّةُ مَن دَخَلَهَا النِّساءُ».

قوله: «فكان عامة من دخلها المساكين»؛ يعني: أكثر من دخلها المساكين.

«وأصحاب الجد محبوسون»، (الجد): العظمة، وقد يكون بمعنى المال؛ يعني: أصحاب المناصب والمال محبوسون في العرصات لطول حسابهم، والمساكين يدخلون الجنة.

قيل: الجنةُ مكافأةٌ لهم عن فقرهم في الدنيا، ولأن طول الحساب من كثرة المال والتلذُّذ في الدنيا، وليس لهم مالٌ وتلذذٌ ومنصبٌ في الدنيا حتى يُحبسوا في القيامة لأجل الحساب.

«غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار»؛ يعني: أصحاب الجد محبوسون مَن كان منهم مسلماً، وأما الكفار لا يوقفون في العرصات، بل يؤمرون بدخول النار.

روى هذا الحديث أسامة بن زيد.

* * *

٤٠٤٣ ـ وقال: «اطَّلَعتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أكثرَ أَهْلِها الفُقَرَاءَ، واطَّلَعْتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثرَ أهلِها النِّساءَ».

قوله: «فرأيت أكثر أهلها النساء» وعلة كون النساء أكثر أهل النار قد ذُكرت في أول الكتاب في قوله: «أُريتكن أكثر أهل النار».

روى هذا الحديث ابن عباس.

* * *

٤٠٤٤ ـ وقال: «إنَّ فُقَراءَ المُهاجِرينَ يَسبِقونَ الأَغْنياءَ يومَ القِيامةِ إلى الجَنَّةِ بأربعينَ خَرِيفاً».

قوله: «بأربعين خريفاً»، (الخريف): السنة.

روى هذا الحديث عبدالله بن عمر.

* * *

٤٠٤٥ ـ عن سهلِ بن سَعْدٍ قال: مرَّ رَجُلٌ على رَسولِ الله ﷺ فقالَ لرَجُلٍ عِنْدَه جالسٍ: «ما رأيُكَ في هذا؟» فقال: رجلٌ مِن أَشْرافِ الناسِ، هذا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشفَّعَ، قال: فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «ما رأيُكَ في هذا؟» فقالَ: يا رسولَ الله! هذا رَجُلٌ مِن فُقَراءِ المُسلِمينَ، هذا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ لا يُنكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْمَعَ لقولِهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هذا خيرٌ مِن ملءِ الأرضِ مِن مثلِ هذا».

قوله: «ما رأيك في هذا»؛ يعني: ما ظنك بهذا، أتظنُّه خيراً أم شراً؟.

«حري»؛ أي: جديرٌ وحقيقٌ «إن خطب»؛ أي: طلب تزوُّج امرأة.

«أن يشفَّع» بضم الياء وفتح الفاء وتشديدها؛ أي: تُقبل شفاعته.

«أن لا يسمع لقوله»؛ أي: لا يستمع أحد لكلامه، ولا يلتفت إليه أحد، من غاية فقره وحقارته.

٤٠٤٨ ـ عن أنسٍ: أنه مَشَى إلى النَّبيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعيرٍ وإهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولقد رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعاً بالمَدينةِ عندَ يهوديٍّ وأخذَ منهُ شَعيراً لأهْلِهِ، ولقد سَمِعْتُه يقولُ: ما أَمْسَى عندَ آلِ مُحَمَّدٍ صاعُ بُرٍّ ولا صاعُ حَبٍّ، وإنَّ عِنْدَه لَتِسعَ نِسْوَةٍ.

قوله: «وإهالةٍ سَنِخَةٍ»، (الإهالة): الوَدَك، (السَّنِخَة): المتغيرة.

قوله: «ولقد سمعته» التاء في (سمعت) ضميرُ مَن سَمِعَ هذا الحديث عن أنس، والضمير المذكور الغائب في (سمعته) ضمير أنس.

«ما أمسى عند آل محمد»؛ يعني: لم يكن يدَّخر القوتَ في الليل للغداة، والواو في «وإن عنده» واوُ الحال.

* * *

٤٠٤٩ ـ وقال عُمَرُ ﷺ: دَخَلْتُ على رَسولِ الله ﷺ، فإذا هو مُضْطَجِعٌ على رِمالِ حَصيرٍ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ فِرَاشٌ، قد أثَّرَ الرِّمَالُ بجَنْبِه، مُتَّكِئاً على وِسادةٍ من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ، قلتُ: يا رسولَ الله! أُدْعُ الله فَلْيُوَسِّعْ على أُمَّتِكَ، فإنَّ فارِسَ والرُّومَ قد وُسِّعَ عليهم، وهم لا يَعبُدونَ الله، فقال: «أَوَ في هذا أنْتَ يا ابن الخطابِ! أُولئكَ قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم في الحياةِ الدنيا».

وفي رِوايةٍ: «أَمَا تَرْضَى أنْ تكونَ لَهُم الدُّنيا ولَنَا الآخِرَةُ؟».

قوله: «على رمال حصير»، (الرمال): جمع رَمِيلٍ، وهو بمعنى المَرْمُول وهو المنسوج، هذا هو الأصل، ولكن الرمال ـ مع أنه جمعٌ ـ يستعمل في الواحد، و(رمال الحصير) إضافة الجنس إلى النوع كـ (خاتم فضة)؛ أي: رمال من حصير لا من شيء آخر، والمراد برمال الحصير هنا: حصيرٌ منسوج من ورق النخل.

* * *

٤٠٥٠ ـ عن أبي هُريرةَ قال: «لقد رأيتُ سَبْعينَ مِن أصحابِ الصُّفَّةِ، ما مِنهم رَجُلٌ عليه رِداءٌ، إمَّا إزارٌ وإمَّا كِساءٌ، قد رَبطوا في أعْناقِهم، فمِنْها ما يبلُغُ السَّاقَيْنِ، ومنها ما يَبْلُغُ الكَعْبينِ، فيَجمعه بيدِه كراهِيةَ أنْ تُرَى عورتُه».

قوله: «ما منهم رجل عليه رداء»؛ يعني: لم يكن رجل منهم عليه رداءٌ وإزار، بل لم يكن له إلا إزارٌ واحدٌ يستر به عورته، أو كساءٌ واحد.

* * *

٤٠٥١ ـ وقال رَسولُ الله ﷺ: «إذا نَظَرَ أَحَدُكم إلى مَن فُضِّلَ عليهِ في المالِ والخَلْقِ، فلْيَنظرْ إلى مَن هو أسْفَلَ منهُ».

قوله: «إذا انظر أحدكم...» إلى آخره؛ يعني: إذا رأيتم من هو أكثر منكم مالاً وجبةً ولباساً وجمالاً، فانظروا إلى مَن هو أقل منكم مالاً وجبة ولباساً وجمالاً؛ لتعرفوا أن لله عليكم نعماً كثيرة بالنسبة إلى مَن هو أقل منكم في المال وغيره.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٥٢ ـ وقال: «انظُرُوا إلى مَن هو أَسْفَلَ منكم، ولا تَنظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكم، فهوَ أَجْدرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله علَيْكم».

قوله: «انظروا إلى من هو أسفل منكم» هذا الحديث مثل الحديث المتقدم.

«أجدر»؛ أي: أحق وأولى «أن لا تزدروا»؛ أي: أن لا تحتقروا، (تزدروا) أصله: تَزْتَرِيُوا، قُلبت التاء دالاً لمجاورة الزاي، ونُقلت ضمة الياء إلى الراء، وحُذفت الياء لسكونها وسكون الواو.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٥٣ ـ قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَبْشِروا يا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ المُهاجرينَ! بالنُّورِ التامِّ يومَ القيامةِ، تَدْخُلونَ الجَنَّةَ قبلَ أغنياءِ النَّاسِ بنصْفِ يَوْمٍ وذلكَ خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ».

قوله: «صعاليك المهاجرين»، (الصعاليك): جمع صعلوك وهو الفقير.

روى هذا الحديث أبو سعيد.

* * *

٤٠٥٤ ـ وقال: «يدخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قبلَ الأغْنياءِ بِخَمْسِ مِئَةِ عامٍ نصفِ يومٍ».

قوله: «بخمس مئة عام نصف يوم»، (نصف): مجرور على أنه عطفُ بيان، أو بدلٌ من قوله: (بخمس مئة عام)؛ يعني: خمس مئة عام هو نصف يوم من أيام القيامة.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤٠٥٥ ـ عن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ! أَحْيِني مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحشُرْني في زُمْرةِ المَساكينِ»، فقالت عائِشَةُ: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّهم يَدْخُلونَ الجَنَّةَ قبلَ أغنيائهم بأَرْبعينَ خَريفاً، يا عائِشَةُ! لا تَرُدِّي المِسْكِينَ، ولو بِشِقِّ تمرةٍ، يا عائِشَةُ! أَحِبي المَساكينَ وقَرِّبيهم، فإنَّ الله يُقَرِّبُكِ يومَ القِيامةِ».

قوله: «اللهم أحيني مسكيناً» هذا منه ﷺ تعليمٌ لأمته أن يعرفوا فضل الفقر وفضل الفقراء ليحبوهم ويجالسوهم؛ لينالهم بركتهم.

ويجوز أن يريد بهذا الحديث: أن يجعل قوته كفافاً ولا يشغله بالمال، فإن كثرة المال مذموم في حق المقرَّبين.

«بأربعين خريفاً»؛ أي: بأربعين سنة.

* * *

٤٠٥٦ ـ عن أبي الدَّرْداءِ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ابغُوني في ضُعَفَائِكُم، فإنَّما تُرْزَقُونَ وتُنصَرونَ بضُعَفائِكُم».

قوله: «ابغوني في ضعفائكم»؛ أي: اطلبوني في ضعفائكم؛ يعني: أنا صحب الضعفاء ورفيقُهم وجليسهم؛ لأن لهم فضلاً، فإذا كنت معهم فمَن أكرمَهم فقد أكرمني، ومن آذاهم فقد آذاني.

* * *

٤٠٥٧ ـ ورُوِيَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَستفتِحُ بصَعَاليكِ المُهاجِرينَ.

«يستفتح»؛ أي: يطلب الفتح من الله الكريم ببركة الفقراء المهاجرين.

روى هذا الحديث أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد.

* * *

٤٠٥٨ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَغْبِطَنَّ فاجِراً بنِعْمَةٍ، فإنَّكَ لا تَدري ما هوَ لاقٍ بعدَ مَوْتِه، إنَّ لهُ عندَ الله قاتِلاً لا يَموتُ»، يعني: النَّار.

قوله: «لا تغبطن فاجراً»؛ أي: لا تطلبن أن تكون مثل فاجر في النعمة الدنيوية، فإن نعمته عذابٌ يومَ القيامة، (الغبطة): أن يتمنى أحد أن يكون مثل أحد في المال أو غيره.

* * *

٤٠٥٩ ـ وقال: «الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وسَنَتُهُ، فإذا فارقَ الدُّنْيا فارقَ السِّجْنَ والسَّنَةَ».

قوله: «وسَنَتُه»؛ أي: قحطُه وشدة عيشه.

روى هذا الحديث عبدالله بن عمرو.

* * *

٤٠٦٠ ـ وعن قَتادةَ بن النُّعْمانِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ الله عَبْداً حَماهُ الدُّنْيا كما يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحمِي سَقيمَهُ الماءَ».

قوله: «حماه الدنيا»؛ يعني: حفظه من مال الدنيا ومن المناصب وما يضر بدينه. «كما يظل»؛ أي: كما طفق.

* * *

٤٠٦٢ ـ عن عبدِالله بن مُغَفَّلٍ قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي أُحِبُّكَ، قالَ: «انظُرْ ما تقولُ»، فقالَ: والله إنِّي لأُحِبُّكَ، ثلاثَ مرَّاتٍ، قال: «إنْ كُنتَ صادِقاً فأَعِدَّ لِلفَقْرِ تِجْفافاً، لَلْفَقْرُ أَسْرَعُ إلى مَنْ يُحِبني مِنَ السَّيْلِ إلى مُنْتهاهُ»، غريب.

قوله: «انظر ما تقول»؛ يعني: فكِّر فيما تقول من أنك تحبني: أنت صادق في هذا الدعوى أم لا؟.

«فأعد»؛ أي: فهيئ.

«التجفاف»: شيء يلبس لدفع السلاح؛ يعني: كما أن الفارس يُهيىء أسباب المحاربة، فكذلك مَن يدعي محبتي لِيُهيىء نفسه للفقر والمشقة: فإنه لا بد من دخول الفقر إلى مَن يحبني.

* * *

٤٠٦٣ ـ عن أنسٍ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «لقدْ أُخِفْتُ في الله وما يُخافُ أَحَدٌ، ولقدْ أُوذِيتُ في الله وما يُؤْذَى أَحَدٌ، ولقدْ أَتَتْ عليَّ ثلاثونَ منْ بين ليلةٍ ويَوْمٍ وما لِي ولِبلالٍ طَعامٌ يأكلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلا شَيءٌ يُوارِيهِ إبْطُ بِلالٍ».

قوله: «أخفت في الله»، (أخفت): ماض مجهول من (أخاف) بمعنى: خوَّف؛ يعني: كنت وحيداً في ابتداء إظهاري[1] الدين، فخوَّفني في ذلك وآذاني الكفار.

«في الله»؛ أي: في دين الله، ولأجل إظهار دينه، ولم يكن معي أحد يوافقني في تحمل أذية الكفار حينئذ.

«ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم»؛ يعني: قد كان بعض الأوقات مر علي ثلاثون يوماً وليلة ولم يكن لي طعامٌ وكسوة، وكان في ذلك الوقت بلال رفيقي.

«إلا شيء يواريه إبط بلال»، (يواريه)؛ أي: يستره؛ يعني: ما لنا من الطعام إلا شيء قليلٌ بقَدْرِ ما يأخذه بلال تحت إبطه، ولم يكن لنا ظرف نضع الطعام فيه.

* * *

---

(١) في «ش»: «بإظهار».

٤٠٦٤ - عن أبي طَلْحَةَ قال: «شَكَوْنا إلى رَسولِ الله ﷺ الجُوعَ، ورَفَعنا عنْ بُطونِنا عنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ عنْ بَطْنِه عنْ حَجَرَيْنِ»، غريب.

قوله: «ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر» وعادة أصحاب الرياضة إذا اشتد جوعهم أن يربط كلُّ واحد منهم حجراً على بطنه كي لا يسترخي وتنزل أمعاؤه، فيَشُقُّ عليه التحرك، فإذا ربط حجراً على بطنه يشتد بطنه وظهره، فتسهل عليه الحركة، ومَن كان جوعه أشد يربط على بطنه حجرين، فكان رسول الله ﷺ أكثرهم جوعاً، وأشدَّهم رياضة، فربط على بطنه حجرين، وربط كل واحد منهم على بطنه حجراً.

* * *

٤٠٦٦ - عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أَبيه، عن جَدِّه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «خَصْلتانِ مَنْ كانتا فيهِ كتَبَهُ الله شاكِراً صابِراً: مَنْ نَظَرَ في دِينِه إلى مَنْ هوَ فَوْقَهُ فاقْتَدَى بهِ، ونظَرَ في دُنْياهُ إلى مَنْ هوَ دُونَهُ، فحَمِدَ الله على ما فضَّلَهُ الله عليهِ؛ كتَبَهُ الله شاكِراً صابِراً، ومَنْ نظرَ في دِينِه إلى مَنْ هوَ دُونَهُ، ونظرَ في دُنْياهُ إلى مَنْ هو فَوْقَهُ، فأَسِفَ على ما فاتَهُ منهُ؛ لمْ يكتُبْهُ الله شاكِراً ولا صابِراً».

قوله: «من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به»؛ يعني: من نظر في الأعمال الصالحة إلى مَن هو أكثر منه عبادةً ورياضةً وقناعةً (فاقتدى)؛ أي: فاجتهد أن يكون مثله في العبادة، وحرص على تحصيل عبادة ورياضة وقناعة مثله، ونظر في قلة المال إلى من هو أقل مالاً منه، فشكر على ما أعطاه الله من الفضل في المال على ذلك الفقير الذي هو أفقر منه.

فمن كانت هذه صفته كتبه الله شاكراً صابراً، ومن كان نظره على عكس

هذا لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً.

«فأسف»؛ أي: فغضب وحزن على قلة ماله.

* * *

٣ - باب
الأملِ والحرْصِ

(باب الأمل والحرص)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٦٧ - عن عبدِالله بن مَسْعودٍ ﷺ قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً، وخَطَّ خَطّاً في الوَسَطِ خارِجاً منهُ، وخَطَّ خُطُوطاً صِغاراً إلى هذا الذي في الوَسَطِ من جانِبِهِ الذي في الوسَطِ فقال: «هذا الإنسانُ، وهذا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بهِ، وهذا الذي هوَ خارِجٌ أَمَلُهُ، وهذِهِ الخُطُوطُ الصِّغارُ الأَعراضُ، فإنْ أَخطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا».

قوله: «خط النبي ﷺ خطاً مربعاً» صورة هذه الخطوط: هي هذه:
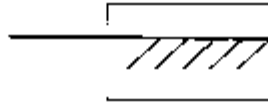
الخط الوسط هو الإنسان، والخط المربع هو أجَلُه أحاط به بحيث لا يمكنه الفرار والخروج منه، والخطوط الصغار هي أعراضه؛ أي: الآفات والعاهات من المرض والجوع والعطش، وغيرها من العلل والحوادث، وهذه الأعراض متصلةٌ به، والقَدْرُ الخارج من المربع أمله؛ يعني: هو يظن أني أصل إلى أملي قبل الأجل فظنُّه خطأ، بل الأجل أقرب إليه من الأمل؛ يعني: يموت قبل أن يصل إلى أمله.

قوله: «فإن أخطأه هذا نهشه هذا»، (أخطأه)؛ أي: تجاوزه، (نهشه)؛ أي: لدغه؛ يعني: فإن لم يصل إليه بعض هذه الأعراض، وصل إليه بعضٌ آخر.

* * *

٤٠٦٨ ـ وعن أنسٍ قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال: «هذا الأَمَلُ، وهذا أَجَلُهُ، فبينَما هو كذلكَ إذْ جاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ».

قوله: «فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»، (الخط الأقرب): الأجل، والأبعد: الأمل؛ يعني: في الحالة التي هو يرجو أن يصل إلى أمله يأتيه الأجل قبل أن يصل إلى أمله.

* * *

٤٠٧١ ـ وقال: «أَعْذَرَ الله إلى امرئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

قوله: «أعذر الله إلى امرئ»؛ الهمزة هنا همزة الإزالة والسَّلْب؛ يعني: أزال الله عذرَ مَن بلغ في العمر إلى ستين سنة؛ يعني: إذا بلغ الرجل ستين سنة ولم يتب عن المعاصي، ولم يُصلح حاله، لم يبق له عذر؛ يعني: الشاب يقول في العرف: أنا شاب، إذا صرت أَشْيَبَ أتوب، والأشيب إذا لم يتب فماذا ينتظر؟.

* * *

من الحِسانِ:

٤٠٧٤ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو قال: مَرَّ بنا رَسولُ الله ﷺ وأنا وأُمِّي نُطيـنُ شَيْئاً فقال: «ما هذا يا عبدَالله؟» فقُلْتُ: شَيءٌ نُصْلِحُهُ، قال: «الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذلِكَ»، غريب.

قوله: «تطين شيئاً»؛ أي: تصلح شيئاً من البيت بالطين.

«الأمر أسرع من ذلك»؛ يعني: الأجل أقرب من تخرُّق[1] هذا البيت؛ يعني: تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت، وربما تموت قبل أن ينهدم البيت، فإذا كان كذلك فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك.

* * *

٤٠٧٦ - عن أنسٍ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «هذا ابن آدَمَ، وهذا أَجَلُهُ»، ووَضَعَ يدَهُ عندَ قَفَاهُ، ثُمَّ بَسَطَ فقال: «وثَمَّ أَمَلُهُ».

قوله: «هذا ابن آدم وهذا أجله»؛ يعني: وضع يده على قفاه وقال: هذا أجله، ثم مَدَّ يده وأشار إلى موضع أبعد من قفاه وقال: هذا أمله، يعني: أجله أقرب إليه من أمله.

* * *

٤٠٧٧ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ غَرَزَ عُوداً بينَ يدَيهِ، وآخرَ إلى جَنْبِـهِ، وآخرَ أَبْعَدَ منهُ فقال: «هلْ تدرونَ ما هذا؟» قالوا: الله ورسولُه أَعْلَمُ، قال: «هذا الإنسـانُ، وهذا الأَجَلُ»، أُراهُ قال: «وهذا الأملُ، فيتَعاطَى الأَمَلَ، فَلَحِقَهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ».

قوله: «فيتعاطى الأمل»، (التعاطي): التناول، أو مباشرة فعل؛ يعني: فبينما طفق يشتغل بعمارةِ ما يأمله من بيتٍ وبستانٍ وغيرِهما يأتيه الموت.

«دون»؛ أي: قبل أن يتم أمله.

* * *

(١) في «ق»: «تخرُّب».

٤٠٧٨ ـ عن عبدِالله بن الشِّخِّيرِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مُثِّلَ ابن آدَمَ وإلى جَنْبِه تِسعٌ وتِسعونَ مَنيَّةً، إنْ أَخطَأَتْهُ المنَايا وَقَعَ في الهَرَمِ».

قوله: «مثل ابن آدم...» إلى آخره، ذُكر شرح هذا الحديث في آخر (باب عيادة المريض).

* * *

٤٠٨٠ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «أَعْمارُ أُمَّتي ما بينَ السِّتينَ إلى السَّبْعينَ، وأقلُّهم مَنْ يَجُوزُ ذلكَ».

قوله: «وأقلهم من يجوز ذلك»؛ يعني: أكثر أمتي يموتون إذا كان أعمارهم سبعين سنة أو أقل، وقليلٌ مَن يزيد عمره على سبعين سنة.

* * *

٤ ـ باب

استحبابِ المالِ والعُمرِ للطَّاعة

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٨١ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَينِ: رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ، فهوَ يقومُ بهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً، فهوَ يُنفِقُ منه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ».

قوله: «لا حسد إلا في اثنتين» ذكر شـــرح هذا الحديث في أول (كتاب العلم).

روى هذا الحديث ابن عمر.

* * *

٤٠٨٢ ـ وقال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

قوله: **«إن الله يحب العبد التقي»** أولُ هذا الحديث: عن عامر بن سعد: أن سعداً كان في إبله، فجاء ابنه عُمر بن سعد، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي».

أراد بالتقي: مَن لا يصرف ماله في المعاصي، وأراد بالخفي: مَن لا يتكبر على الناس، ولا يفخر بالمال، بل يجعل نفسه منكسرة من غاية التواضع.

وليس المراد بالخفي من يكتم ماله ولا يظهره، بل هذا مذموم، بل ليُظْهِرِ الرجلُ نعمةَ الله عليه؛ ليقصده المحتاجون لأخذ الزكاة والصدقات[1].

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٨٥ ـ وعن أبي كَبْشَةَ الأَنْمارِيِّ: أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عَلَيهِنَّ، وأُحَدِّثُكُمْ حَديثاً فاحفَظُوهُ، فأمَّا الذي أُقسِمُ عليهِنَّ، فإنَّهُ ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عليها إلا زادَهُ الله بها عِزاً،

---

(١) جاء على هامش «ش»: «النقي؛ أي: من الذنوب، أو النقي الثيابِ من الأوساخ. الغني بغنى القلب، والخفي عن أعين الناس في نوافله لئلا يدخله الرياء، وقيل: الخفي الذِّكْرِ لخموله، أو قليل التردد والخروج إلى الأسواق ونحوها، وهو مناسب أو...».

ولا فَتَحَ عَبْدٌ بابَ مَسْأَلَةٍ إلاَّ فتحَ الله عَلَيهِ بابَ فَقرٍ، وأمَّا الذي أُحَدِّثُكُمْ حديثاً فاحفَظُوه»، قال: «إنَّما الدُّنيا لأَرْبعةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالاً وعِلْماً، فهوَ يَتَّقي فيهِ ربَّهُ، ويَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ويَعملُ لله فيهِ بحقِّهِ، فهذا بأفضَلِ المنازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْماً ولمْ يرزُقْهُ مالاً، فهوَ صادِقُ النِّيَّةِ يقولُ: لوْ أنَّ لي مالاً لعَمِلتُ بعَمَلِ فُلانٍ، فهوَ ونِيَّتُهُ، فأَجْرُهُما سَواءٌ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالاً ولمْ يَرزُقْهُ عِلْماً، فهو يتخبَّطُ في مالِهِ بغيرِ عِلْمٍ، لا يَتَّقي فيهِ ربَّهُ، ولا يَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ولا يَعمَلُ فيهِ بحَقٍّ، فهذا بأَخبَثِ المنازِلِ، وعَبْدٍ لمْ يرزُقْهُ الله مالاً ولا عِلْماً، فهوَ يقولُ: لوْ أنَّ لي مالاً لعمِلْتُ فيهِ بعَمَلِ فُلانٍ، فهوَ بنيَّتِهِ، فوِزْرُهُما سَواءٌ»، صحيح.

قوله: «فهو يتقي فيه ربه»؛ يعني: لا يصرف ماله في معصية، بل يجتنب ما لا يرضاه الله.

قوله: «ويعمل لله فيه بحقه»؛ أي: بحق المال، أو يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارات وإطعام الضيف وغيرها، ويجوز أن يكون الضمير في حقه راجعاً إلى الله تعالى؛ أي: بحق الله الواجب في المال.

قوله: «وعبد رزقه الله علماً» أراد بالعلم هنا: علمُ كيفية صرف المال في وجوه البر. «فأجرهما سواء»؛ أي: أجر القسم الأول والثاني؛ لأن الثاني كانت نيته صرفَ المال في وجوه الخير لو كان له مال، فهو يثاب بنيته كما يثاب صاحب المال ببذل المال في وجوه الخير.

«لعملت بعمل فلان»؛ يعني: يقول: لو كان لي مالٌ لصرفته فيما تشتهيه نفسي من لبس الملابس الفاخرة، واستماعِ الملاهي، وأكلِ الطيبات المحرَّمة، وغير ذلك من المناهي. «فهو بنيته»؛ أي: فهو يجد الإثم؛ أي: يكتب له إثم الذنب بنيته قَصْدَ الفساد.

«ووزرهما سواء»؛ يعني: القسم الثالث والرابع في الوزر سواء، كما أن

الأول والثاني سواء في الأجر.

* * *

٤٠٨٧ - عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعَمِلَ لِما بعدَ المَوْتِ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نفسَهُ هَواها وتَمَنَّى على الله تعالى».

قوله: «الكيس من دان نفسه»، (الكيس): العاقل ذو الحزم والاحتياط في الأمور. (دان يَدين): إذا حاسب؛ يعني: الكيس مَن حاسب نفسه أنها عملت خيراً أو شراً، فإن عملت خيراً يحمد الله، وإن عملت شراً يلوم نفسه، ويتوب ويستغفر الله.

و(دان): إذا قهر؛ يعني: جعل نفسه مطيعة لأمر الله.

«والعاجز من أتبع نفسه هواها»؛ يعني بـ (العاجز): الذي غلبت عليه نفسه، وعمل ما أمرته به نفسه، فصار عاجزاً لنفسه، (وأتبع نفسه)؛ أي: وأعطى نفسه ما أرادت من المحرَّمات.

«وتمنى على الله»؛ أي: يذنب ويتمنى الجنة من غير توبة واستغفار.

* * *

٥ - باب
التَّوَكلِ والصَّبرِ

(باب التوكل والصبر)

(التوكل): سكون القلب بمضمون الرب؛ أي[1]: يطمئن القلب بما وعد الله

---

(١) في «م»: «بمعنى».

من إيصال الرزق إلى العباد، وغيره مما قدَّر الله له.

* * *

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٨٨ ـ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يدخُلُ الجنَّةَ مِنْ أُمَّتي سَبعُونَ ألفاً بغيرِ حِسابٍ، هُمُ الذينَ لا يَسْتَرْقونَ، ولا يَتَطيَّرونَ، وعلى ربـهمْ يَتوَكَّلونَ».

قوله: **«لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»**، (لا يستَرْقُون) أصله: لا يسترقيون، فأُسكنت الياء ونقلت ضمتها إلى القاف، وحذفت لسكونها وسكون الواو، ومعناه: لا يطلبون الرُّقية. وقد ذكر بحث التطيُّر في (باب الفأل والطيرة).

اعلم أن التوكل فرضٌ وشعبةٌ من شعب الإيمان، والتوكُّل نوعان: عام وخاص.

فالعام: ما يجب أن يكون في جميع المسلمين.

والخاص: ما يكون في الخواص من العباد.

فالعام: أن يعلم الرجل أنْ لا مؤثر إلا الله تعالى، ولا يؤثِّر شيء إلا بأمر الله، فالطعام لا يُشبـع إلا بأمر الله، والماء لا يروي إلا بأمره، والأدوية لا تشفي إلا بأمره، والسـم لا يقتل إلا بأمره، والنار لا تحرق إلا بأمره، وكذلك جميع الأشياء، ومن له هذا العلم والاعتقاد جاز له أن يتداوى ويسترقي، ويفر من عدو إلى قلعة، وجاز له أن يكتسب المال بالتجارة والحرف وغيرهما إذا علم أن الرازق هو الله تعالى، والكسبُ واسطةٌ كما أن التداوي واسطة للشفاء.

والتوكل الخاص: أن يترك الرجل التداوي والاسترقاء؛ ليقينه بأنه لا يصيبه

إلا ما كتب الله له من النفع والضر، والمراد بالتوكل في هذا الحديث هو التوكل الخاص.

* * *

٥٠٨٩ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ يوماً فقال: «عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمرُّ النَّبيُّ ومَعَهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ ومَعَهُ الرَّجُلانِ، والنَّبيُّ ومَعَهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ وليسَ مَعَهُ أَحَدٌ، فرأَيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ يكونَ أُمَّتي، فقيلَ: هذا موسَى في قومِهِ، ثُمَّ قيلَ لي: انظُرْ هكذا، فرأيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيلَ: انظُرْ هكذا وهكذا، فرأيتُ سَواداً كثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيلَ: هؤلاءِ أُمَّتُكَ، ومعَ هؤلاءِ سَبْعونَ ألفاً قُدَّامَهُمْ، يَدخُلونَ الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ؛ هُمُ الذينَ لا يَتطيَّرونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، ولا يَكْتَوُونَ، وعلَى ربِّهِمْ يَتَوكَّلونَ»، فقامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقالَ: ادعُ الله أنْ يَجعَلَني منهُمْ، فقال: «اللهمَّ! اجْعَلْهُ منهُمْ»، ثمَّ قامَ رَجُلٌ آخرُ فقال: ادعُ الله أنْ يَجعلَني منهُمْ، قال: «سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ».

قوله: «عرضت علي الأمم»؛ يعني: أراني الله الأنبياء وأممهم؛ لأرى كلَّ نبي ومَن تبعه ومن آمن به. «فجعل»؛ أي: فطفق «يمر النبي ومعه الرجل»؛ يعني: قد كان من الأنبياء من لا يؤمن به إلا واحد، ومنهم من لا يؤمن به إلا اثنان، ومنهم من لا يؤمن به أحد، ومنهم من آمن به جمعٌ.

«سدَّ الأفق»؛ أي: ستر الأفق من كثرته. «فقام رجل آخر» قيل: ذلك الرجل كان سعد بن عبادة.

قوله: «سبقك بها عكاشة»، (بها)؛ أي: بتلك المسألة، أو بتلك الدعوة، ومعنى هذا الكلام: أنه لم يؤذن لي أن أدعو بهذا الدعاء في هذا المجلس إلا لرجلٍ

واحد، فدعوت لمكاشة به، ولم يؤذن لي أن أدعو في هذا المجلس لغيره، وهذا تحريض للناس على المسارعة في الخيرات، وطلبِ الأدعية الصالحة من الصلحاء؛ لأن للتأخير موانع.

* * *

٤٠٩١ ـ وقال: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ، إِحْرِصْ على ما ينفَعُكَ، واستَعِنْ بالله ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كذا كانَ كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قَدَّرَ الله وما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لوْ تفتحُ عَمَلَ الشَّيطانِ».

قوله: «المؤمن القوي خير وأحب»؛ يعني بـ (القوي): مَن صبر على مجالسة الناس، وتحمُّل أذيتهم، وتعليمهم الخير، وإرشادهم إلى الهدى، فهو أحب إلى الله من المؤمن الذي يفر من الناس، ولا ينفع إلا نفسَه.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٠٩٢ ـ عن عمرَ بن الخَطَّاب ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لوْ أنَّكُمْ تتوكَّلونَ على الله حَقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كما يَرْزُقُ الطَّيرَ، تَغْدو خِماصاً، وتَرُوحُ بِطاناً».

قوله: «حق توكله»؛ يعني: لو اعتمدتم بالله اعتماداً تاماً، وعلمتم أن الله لا يُخلف وعده فيما قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، لوصل إليكم رزقكم من غير حرفةٍ، وسعيٍ منكم.

«**كما يرزق الله الطير تغدو**»؛ أي: تمشي في أول النهار «**خماصاً**»: جمع خميص، وهو الجائع، «**وتروح**»؛ أي: تمشي في آخر النهار «**بطاناً**»: جمع بطين وهو الشبع.

وهذا الحديث ليس لمنع الناس عن الاكتساب والحرف، بل لتعليم الناس وتعريفهم أن الكسب ليس رازقاً، بل الرازق هو الله تعالى.

فإن قيل: لِمَ خصَّ النبي ﷺ الطير بقوله: (كما يرزق الطير) مع أن الطير مشتركةٌ بسائر الحيوانات غيرِ أولي العقل في عدم الاتِّجار والحرف والاكتساب، بل كما تسعى السباع والحشرات في طلب الرزق، فكذلك تسعى الطير في طلب الرزق؟.

قلنا: (تغدو وتروح) في هذا الحديث ليس معناهما الذهاب في وقت الغداة والرواح، بل (تغدو) معناه: تصبح؛ أي: يمر عليه الصباح، و(تروح)؛ أي: تمشي؛ أي: يمر عليها المساء؛ يعني: بعض الطيور يصل إليه رزقه بلا سعي منه.

قد حكي: أن النُّعَّاب ـ وهو فرخ الغراب ـ إذا خرج من البيض يكون أبيض، فإذا نظر إليه الغراب يرى لونه مخالفاً للون نفسه؛ لأن الغراب أسود، فينكر كونَه فرخَه، فيتركه ويذهب عنه، فيبقى الفرخ ضائعاً متحيراً لا يقدر على الطيران في طلب الرزق، وليس له من يأتي إليه برزقه، فأرسل الله إليه الذباب والنمل، فيلتقط الذباب والنمل ويأكل، فيكون سببُ رزقه أكلَ الذباب والنمل حتى يكبر ويسودَّ لونه، فترجع أمه فتراه أسود، فتضمه إلى نفسها وتتعهده، فهذا طير يصل إليه رزقه من غير سعي منه.

هذا هو المراد في الحديث.

* * *

٤٠٩٣ ـ عن عبدالله بن مَسْعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أيُّها النَّاسُ! ليسَ مِنْ شيءٍ يُقرِّبُكُمْ إلى الجَنَّةِ ويُباعِدُكُمْ مِنَ النارِ إلاَّ قدْ أَمَرْتُكُمْ بهِ، وليسَ شيءٌ يُقرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ويُباعِدُكُم مِنَ الجنَّةِ إلاَّ قدْ نَهيْتُكُمْ عنهُ، وإنَّ الرُّوحَ الأَمينَ ـ ويُروى: وإنَّ رُوحَ القُدُسِ ـ نَفَثَ في رُوْعِي: أنَّ نَفْساً لنْ تموتَ حتَّى تَستكمِلَ رِزْقَها، ألا فاتَّقُوا الله وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ، ولا يَحمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ تَطلُبُوهُ بمَعاصِي الله، فإنَّهُ لا يُدرَكُ ما عِندَ الله إلاَّ بطاعتِهِ».

قوله: «نفث في رُوعي»؛ أي: نفخ في قلبي؛ أي: أوقع في قلبي

«وأَجْمِلوا في الطلب»؛ أي: أحسنوا في طلب الرزق؛ أي: اطلبوه من الحلال.

«ولا يحملنكم استبطاء الرزق»، (الاستبطاء): المكث والتأخير؛ يعني: لا تطلبوا الرزق من الحرام بأن يتأخَّر ويمكث إتيانُ رزقكم إليكم من الحلال، كما هو عادة جماعة من الناس، فإنهم يبيعون الخمر وآلات الملاهي، ويتعلمون اللعب والضرب بالملاهي، بسبب قلة ربحهم في الاكتساب من الحلال.

«ما عند الله»؛ أي: الجنة.

* * *

٤٠٩٤ ـ عن أبي ذَرٍّ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الزَّهادَةُ في الدُّنْيا ليستْ بتَحْريمِ الحَلالِ، ولا إضَاعَةِ المالِ، ولكنِ الزَّهادَةُ في الدُّنْيا أنْ لا تكونَ بما في يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِمَّا في يَدَي الله، وأنْ تكونَ في ثَوابِ المُصيبَةِ إذا أَنْتَ أُصِبْتَ بها أَرْغَبَ فيها لوْ أنَّها أُبْقِيَتْ لكَ»، غريب.

قوله: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال»، (الزهادة في الدنيا)؛ يعني: عدم الرغبة في الدنيا ليس بأن تحرِّم حلالاً على نفسك، مثل أن لا تأكل اللحم، ولا تلبس ثوباً جديداً، بل هذا ليس بزهد، فإن الله تعالى قال:

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[المائدة: ٨٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢].

«ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله»؛ يعني: ليكن اعتمادك بوعد الله من إيصال الرزق إليك أقوى وأشد مما في يديك من المال؛ فإن ما في يدك من المال يمكن تَلَفُه، وما وعد الله به لا يمكن خُلْفُه، بل يصل إليك البتة.

«لو أنها أُبقيت لك»؛ أي: لو أن تلك المصيبة منعت وأخرت عنك، هذا الكلام يحتمل شيئين:

أحدهما: أن يكون معناه: ينبغي أن تكون في وصول المصيبة أرغب من عدم وصولها إليك، ومن عدم تقدير وصول تلك المصيبة؛ لتجد ثواب المصيبة.

والثاني: أن يكون معناه: ينبغي أن تكون في وصول تعجيل مصيبةٍ مقدَّرة أرغبَ من تأخيرها مع أنها مقدَّرة أن تصل إليك في وقت آخر؛ لأن الزاهد في تعجيل نيل الثواب أرغب من تأخيره.

* * *

٤٠٩٥ - عن ابن عبَّاسٍ قال: **«كُنْتُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يَوْماً، فقال: يا غلامُ! احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فاسأَلِ الله، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله، واعلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمَعَتْ على أنْ يَنفَعُوكَ بشيءٍ لَمْ يَنفعوكَ إلا بشَيْءٍ قدْ كتبَهُ الله لكَ، ولو اجتمَعُوا على أنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ لمْ يَضرُّوكَ إلا بشَيْءٍ قدْ كتبَهُ الله عليكَ، رُفِعَتْ الأَقلامُ، وجَفَّتْ الصُّحُفُ»**.

قوله: **«تجده تجاهك»**؛ أي: تلقاءك؛ يعني: فإذا حفظت الله يحفظك

وينصرك أينما توجّهت من الأمور، ويسهل أمورك التي تقصدها.

«رفعت الأقلام وجفت الصحف»؛ يعني: كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات، ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر، فما قدِّر وصولُه إليك لا يمكن أن لا يصل، وما لم يكتب وصوله إليك لا يمكن أن يصل

* * *

٤٠٩٦ ـ عن سَعْدٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مِنْ سَعادةِ ابن آدمَ رِضاهُ بما قَضَى الله لهُ، ومِنْ شَقاوَةِ ابنِ آدمَ تركُهُ استِخارَةَ الله، ومِنْ شَقاوَةِ ابن آدمَ سَخَطُهُ بِما قَضَى الله لهُ»، غريب.

قوله: «تَرْكُه استخارةَ الله»، (الاستخارة): طلب الخير؛ يعني: من شقاوة الرجل أن لا يطلب خير الله فيما يفعل؛ يعني: ينبغي للمؤمن أن يستعين بالله في أموره، ويتوكَّل عليه، ويطلب الخير والمعونة منه.

«سخطُه»؛ أي: غضبه؛ يعني: يغضب بما يجري عليه من الآفات والفقر والمرض وغير ذلك.

* * *

٦ ـ باب

الرِّياءِ والسُّمْعَةِ

(باب الرياء والسمعة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٠٩٨ ـ وقال: «قالَ الله تعالَى: أنا أغنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشركَ فيهِ معي غَيْري تركتُهُ وشِرْكَهُ».

وفي رِوايةٍ: «فأنا منهُ بَرِيءٌ، هوَ للذي عملَهُ».

«فأنا منه بري»؛ أي: من ذلك العمل. «هو»؛ أي: ذلك العمل «للذي عمله»؛ أي: لفاعله؛ يعني: تركت ذلك العمل وفاعله، لا أقبله ولا أجازي فاعله بذلك العمل؛ لأنه لم يعمله لي.

قد ذكر هذا الحديث في أول الكتاب في (كتاب الإيمان).

* * *

٤٠٩٩ - وعن جُنْدَبٍ قال: قال النَّبـيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بهِ، ومَنْ يُرائي يُرائي الله بهِ».

قوله: «من سمَّع سمع الله به»؛ يعني: من أسمعَ الناس فعله، ويقول: فعلت كذا وكذا، ليمدحه الناس على فعله، سمع الله به يوم القيامة؛ يعني: ذكره وشهَّره بين أهل العرصات، بأن يقول: إنما فعل الفعلَ الفلاني ليمدحه الناس فلم يثبه الله بفعله.

«ومن يرائي يرائي الله به»؛ يعني: من فعل فعلاً من الأفعال الصالحة ليراه الناس ويعطوه شيئاً، أو يمدحوه على فعله، جزاه الله يوم القيامة بذلك الفعل جزاءَ المرائين، بأن يقول له: اطلب جزاء فعلك ممن فعلته لأجله.

* * *

٤١٠٠ - وعن أبي ذَرٌ قال: قِيلَ لِرَسولِ الله ﷺ: أرأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخيرِ ويَحْمَدُهُ النَّاسُ عليهِ؟ قال: «تلكَ عاجِلُ بُشْرى المُؤْمِنِ».

وفي رِوايةٍ: «ويُحِبُّهُ النَّاسُ عليهِ».

قوله: «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس»؛ يعني:

أخبرنا بحال من يعمل عملاً صالحاً لله لا للناس، ويصفه الناس بالعمل ويمدحونه، هل يبطل ثوابه بما مدحه الناس أم لا؟. فقال رسول الله ﷺ:

«تلك عاجل بشرى المؤمن»؛ يعني: مَن عمل عملاً صالحاً خالصاً لله، وليس في قلبه الرياء، أعطاه الله ثوابين: ثواباً في الدنيا، وثواباً في الآخرة. فثوابه في الدنيا: أن يوقع محبته في قلوب الناس، ويوقع على ألسنتهم ذكره بالخير، وثوابه في الآخرة: اللقاء والجنة؛ يعني: لا بأس بمدح الناس الرجلَ الصالح إذا لم يكن في قلبه رياء وسمعة.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٤١٠٣ ـ عن أنسٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كانتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ جَعَلَ الله غِناهُ في قلبِهِ، وجَمَعَ لهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيا وهي راغِمَةٌ، ومَنْ كانتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيا جَعَلَ الله الفَقْرَ بينَ عَيْنَيْهِ، وشَتَّتَ عليهِ أَمْرَهُ، ولا يأتيهِ منها إلا ما كُتِبَ لهُ».

قوله: «جعل الله غناه في قلبه»؛ أي: جعل الله قلبه غنياً بأن جعله قانعاً بالكفاف، ولا يتعب نفسه في طلب الزيادة، فهذا هو الغِنَى الحقيقي.

«وجمع له شمله»، (الشمل): ضد التفرق؛ يعني: جعله الله مجموع الخاطر، وهيأ أسبابه من حيث لا يدري.

«وأتته الدنيا وهي راغمة» الواو في (وهي) للحال، (راغمة)؛ أي: ذليلة؛ يعني: تقصده الدنيا طوعاً وكرهاً؛ يعني: حصل له من الدنيا ما يحتاج إليه.

«شتَّت»؛ أي: فرَّق.

* * *

٤١٠٤ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ! بَيْنا أنا في بيتي في مُصَلاَّيَ، إذْ دَخَلَ عليَّ رَجُلٌ، فأَعْجَبَني الحالُ التي رآني عليها، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَكَ الله يا أبا هُريرةَ! لكَ أجرانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وأَجْرُ العلانِيَةِ»، غريب.

قوله: «أعجبتني»؛ أي: حسنت عندي.

«لك أجران» وإنما قال ﷺ له: (لك أجران)؛ لأن نيته الإخلاص في الصلاة، فحصل له الأجر بإخلاصه، وأحب أن يراه الناس مصلياً ليقتدوا به؛ يعني: ليعملوا مثل عمله، فحصل له الأجر بنيته تعليمَ الناس الخيرَ.

وكذلك جميع الناس ممن عمل عملاً صالحاً لله، وهو يحب أن يعمل الناس مثل عمله، فله أجران: أجرُ العمل، وأجر تعليم الناس الخير.

* * *

٤١٠٥ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَخرجُ في آخرِ الزَّمانِ رِجالٌ يَختِلونَ الدُّنْيا بالدِّينِ، يَلْبَسونَ للنَّاسِ جُلودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُم أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وقُلوبُهُمْ قُلوبُ الذِّئابِ، يقولُ الله تعالى: أَبِي يَغتَرُّونَ؟ أَمْ عليَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فبي حَلَفْتُ، لأَبْعَثَنَّ على أُولئِكَ منهُمْ فِتنةً تَدَعُ الحَليمَ فيهِمْ حَيْرانَ».

قوله: «يختلون الدنيا بالدين»، و(الختل): الخداع، وهو أن يعمل الرجل عملاً وفي نيته غيرُ عمله؛ ليغرَّر أحداً، وتقدير هذا الكلام: يختلون أهل الدنيا بعمل الدين؛ يعني: يعملون الأعمال الصالحة ليعتقد الناس فيهم الخير والصلاح ويظنونهم الصلحاء؛ ليدفعوا إليهم الأموال، وليخدموهم، وليس في نيتهم إخلاص، بل جذب المال والجاه.

«يلبسون للناس جلود الضأن»؛ يعني: يلبسون اللباس من الصوف؛

ليظنهم الناس زهّاداً عبّاداً تاركين الدنيا، لبس الصوف إن كان بهذه النية فهو مذموم، وإن كان من الفقراء أو لكسر النفس وغير ذلك فهو جائز.

«**من اللين، ألسنتهم أحلى من السكّر**» أراد بـ (اللين): التملّق والتواضع في وجوه الناس؛ ليصير الناس لهم مريدين، «**وقلوبهم قلوب الذئاب**»؛ يعني: قلوبهم شديدة مسودةٌ من غاية حبِ الدنيا وحب الجاه، وكثرةِ العداوة والبغض والصفات المذمومة الثابتة في قلوبهم.

«**أبي يغترون أم عليَّ يجترئون**» الهمزة في (أبي) للاستفهام، (الاغترار): الانقياد، مِن غرّك؛ يعني: يمكر بك مكراً وأنت لا تعلم، وتظنه صديقاً نصوحاً، والمراد بـ (الاغترار) هنا: عدم الخوف من الله، وترك التوبة من فعلهم القبيح، و(الاجتراء): الانبساط والتشجُّع؛ يعني: الذين يختلون الدنيا بالدين[1]، لا يخافونني، ويجترئون عليَّ بمكرهم الناس في إظهار الأعمال الصالحة.

«**فبي حلفتُ**» الباء للقسم؛ يعني: يقول: الله تعالى: حلفتُ بعظمتي وكبريائي لأبعثن عذاباً على هؤلاء، «**تدع**»؛ أي: تترك «**الحليم**»: العاقل «**حيران**»؛ يعني: لا يقدر العاقل وذو تجربة وجلادة على دفع ذلك العذاب.

وسنة الله تعالى في إرسال العذاب أن يعم المذنب والبريء، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ أي: تعم المذنبَ والبريء.

وطريق البريء: أن ينهى المذنب عن الذنب، فإن لم ينته فليترك مجالسته، وليبعد عن تلك القرية أو البلدة.

* * *

(١) في «ق»: «والذين».

٤١٠٦ ـ عن ابن عُمَرَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تباركَ وتعالى قال: لقدْ خلقتُ خَلقاً ألسِنتُهُمْ أحلَى مِنَ السُّكَّرِ، وقُلوبُهُمْ أمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، فبي حَلَفْتُ لأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَليمَ فيهِمْ حَيْرانَ، فبي يغترُّونَ؟ أمْ عليَّ يَجْتَرِئُونَ؟»، غريب.

قوله: «لأُتيحَنَّهُمْ»؛ أي: لأقدِّرن، أتاح: إذا قدَّر وقضى.

* * *

٤١٠٧ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ لكُلِّ شَيءٍ شِرَّةً، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فإنْ كانَ صاحبُها سَدَّدَ وقارَبَ فارْجُوهُ، وإنْ أُشيرَ إليهِ بالأصابعِ فلا تعُدُّوهُ».

قوله: «إن لكل شيء شِرَّةً»، (الشِّرَّة): الحِدَّة، والمراد بالشِّرَّة في هذا الحديث: أن العابد يغلو ويبالغ في العبادة في أول أمرِه، وكل مبالغٍ يفتر وتسكن حِدَّته ومبالغته في أمره بعد حين.

«فإنْ صاحبُها سدَّد وقارب فأرجُوه»، (التسديد): إعطاءُ الله العبدَ التوفيقَ والتقويم والتسوية، تقدير هذا الكلام: فإن سدَّد وقارب صاحبها؛ أي: صاحب الشرة؛ يعني: فإن كان العابد مستقيماً متوسطاً في العمل من غير غلوٍّ ولا تقصير، و(سدد)؛ أي: جعل عمله متوسطاً، و(قارب)؛ أي: دنا من الاستواء والاستقامة.

(فارجوه)؛ أي: فكونوا على رجاء الخير منه، فإن مَنْ سلكَ الطريق المستقيم يقدر على الدوام عليه، وأفضل الأعمال عند الله أدومها وإنْ قَلَّتْ، وإن [مَن] بالغ في العمل وأتعب نفسه لا يقدر على الدوام عليه، بل يضعف وينقطع عن سلوك الطريق.

ولما رآه الناس مبالغاً في العمل تعجبوا منه، وأجمعوا عليه، وأدنوا منه الجاه والمال، وقبّلوا يديه ورجليه، وربما يصير ذلك العابد أحمق مغروراً بعمله متكبراً، ويعتقد أنه خير من غيره، ولا شك أن هذا الاعتقاد مذموم عند الشرع، فلهذا قال ﷺ في آخر هذا الحديث: «وإن أشير [إليه] بالأصابع فلا تَعُدُّوه»؛ يعني: وإن صار معروفاً مشاراً إليه بالعبادة، فلا تَعُدُّوه شيئاً؛ أي: فلا تعتقدوه صالحاً.

فإن قيل: قد نُقل عن جماعة من المشايخ أنهم قد اجتهدوا في العبادة، وأتعبوا أنفسهم إتعاباً شديداً، فبدليل هذا الحديث ينبغي أن نقول: هم مسيئون في اجتهادهم في العبادة؟

قلنا: هذا الحديث عام، والمراد به الخاص يعني: قد يكون بعض الناس يبالغ في العبادة ليشتهرَ بين الناس، فمن كانت نيتُهُ الاشتهار فهو، الذي يُراد في هذا الحديث، ومن كان نيته الإخلاص في العبادة لا الاشتهار بين الناس لم يكن عليه بأس باجتهاده في العبادة.

والمشايخ الذين اجتهدوا في العبادة كانوا قد فَرُّوا من الناس، وسكنوا البوادي والجبال، والمواضع الخالية؛ حذراً من الرياء واجتماع الناس عليهم، فلما كملوا في الطريقة دخلوا البلاد، وسكنوا بين الناس لتربيتهم ودعوتهم إلى الله تعالى، فلما بلغوا هذا الحدَّ قللوا العبادة والرياضات، وكَثَّروا مجالسة الناس ومواعظتهم وتربيتهم، ولم يضرهم قَبول الناس؛ لأن قلوبَهم مطمئنةٌ بالحق مزينةٌ بنور التَّجلي، فصارَتْ قلوبُهُم كالبحر، فكما أن القذرات لا تكدِّر البحر، فكذلك اجتماع المال وتوجه الجاه والقبول إليهم لا يكدِّر صفاء خواطرهم[1].

* * *

---

(١) في «ش» و«ق»: «قلوبهم».

٧ - باب

البُكاءِ والخَوْفِ

(باب البكاء والخوف)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٠٩ - عن أبي هُريرَةَ ﷺ قال: قالَ أبو القاسم ﷺ: «والذي نَفْسي بيدِه، لوْ تَعْلَمونَ ما أعلمُ لبَكَيْتُم كثيراً، ولضحِكْتُمْ قليلاً».

«لو تعلمون ما أعلم»؛ يعني: لو تعلمون ما أعلم من صفة النار وشدته، وغضب الله، وحق العبادة لله على الناس، «لبكيتم كثيراً»: من خشية الله، «ولضحكتم قليلاً».

* * *

٤١١٠ - وقال: «والله لا أَدْري وأنا رسولُ الله ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُمْ».

قوله: «والله لا أدري - وأنا رسولُ الله - ما يُفْعَلُ بي ولا بكم»؛ (الواو) في (وأنا) للحال، و(ما) في (ما يُفعَل) للاستفهام.

قال الحسن البصري: معناه: لا أدري أأموت أم أقتل، ولا أدري أيُّها الأمم المكذِّبة؛ أتُرمَوْنَ بالحجارة من السماء، أم يخسف بكم، أم يُفْعَلُ بكم ما فُعِلَ بالأمم المكذِّبة من مسخ الصور؟.

ويحتمل أن يريد بقوله: (لا أدي ما يفعل بي) من الجُوع والشِّبع، والعطش والرِّي، والمرض والصحة، والغنى والفقر، وكذلك لا أدري ما يفعل بكم من هذه الأشياء، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة: ليس له شكٌّ في أنه في الجنة، ومن كذبه في النار.

روت هذا الحديث أم العلاء الأنصارية.

* * *

٤١١١ ـ وقال: «عُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فيها امرأةً منْ بني إسرائيلَ تُعذَّبُ في هِرَّةٍ لها، رَبَطَتْها فلم تُطْعِمْها، ولم تَدعْها تأكُلُ مِنْ خَشاشِ الأَرْضِ حتَّى ماتَتْ جُوْعاً، ورأيتُ عَمْرَو بن عامِرٍ الخُزَاعِيَّ يجُرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ، وكانَ أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ».

قوله: «من خَشَاش الأرض» بفتح الخاء: دواب الأرض.

«قُصْبَهُ»؛ أي: أمعاءه.

«وكان أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ»؛ أي: وضع تحريم السوائب، وهي جمع سائبة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[المائدة: ١٠٣].

قال المفسرون: (البَحِيرة): الناقة إذا نَتجت خمسة أبطن، شقوا أذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا يُجَزُّ لها وبر، ولا يُحمل على ظهرها، ولا تُمنع عن ماء ولا مرعى.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ قال أبو عبيدة: كان الرجل إذا مرضَ، أو قدمَ من سفر، أو نذر نذراً، أو شكر نعمة = سَيَّبَ بعيراً، وكان بمنزلة البحيرة في جميع ما حكموا لها.

قال الفراء: إذا ولدَتِ الناقةُ عشرةَ أبطنٍ كلهنَّ إناث، سُيِّبَتْ فلم تُرْكَب.

وقال ابن عباس: هي التي تُسيَّب للأصنام؛ أي: تعتق لها.

وقال سعيد بن المسيب: السائبة من الإبل، كانوا يسيبونها لطواغيتهم.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، (الوصيلة) من الغنم؛ كانت الشاة إذا ولدت أنثى

فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى، قالوا: وَصَلَتْ أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

﴿وَلَا حَامٍ﴾: قال ابن عباس وابن مسعود: إذا نتجت من صُلْبِ الفحلِ عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، وسُيِّب لأصنامهم، فلا يُحمل عليه.

قال قتادة: هذا كله تشديد شدده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وأنفسهم تغليظاً، وأن أول من فعل ذلك عَمرو بن لحي، وهو عمرو بن عامر المذكور.

روى هذا الحديث جابر ﷺ.

* * *

٤١١٢ ـ عن زَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ عليها يَوْماً فَزِعاً يقولُ: «لا إله إلا الله، وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثْلُ هذهِ»، وحَلَّقَ بإصبعَيْه، الإبهامِ والتي تَلِيها، قالتْ زَيْنَبُ: فقلتُ: يا رسولَ الله! أَنَهْلِكُ وفِينا الصَّالِحونَ؟ قال: «نعَمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ».

قوله: «مِنْ شرٍّ قد اقترب»؛ يعني: قرب خروج جيش يقاتلُ العرب من ردم يأجوج ومأجوج، (الرَّدْمُ): السَّدُّ، وهو سدٌّ بناه ذو القرنين على وجه يأجوج كي لا يخرجوا من مواطنهم في الأرض، ويأجوج ومأجوج، وهما قومان كافران من الترك، وهما جنسان من بني آدم.

والمراد بهذا الحديث: أنه لم يكن في ذلك الرَّدْم ثقبة إلى هذا اليوم، وقد انفتحت فيه ثقبة، وانفتاح الثقبة فيه من علامات القيامة، فإذا توسَّعت تلك الثقبة خرجوا منها، وخروجهم يكون بعد خروج الدَّجَّال في الوقت الذي ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام، ويقتل الدَّجَّال، ويأتي شرحُهُ في موضعه.

* * *

٤١١٣ ـ وقال: «لَيَكُونَنَّ في أُمَّتي أَقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ والخَمْرَ والمَعازِفَ، ولَيَنْزِلَنَّ أَقْوامٌ إلى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عليهمْ بسارِحَةٍ لهُمْ، يأتيهمْ رَجُلٌ لحاجةٍ فيقولون: ارجِعْ إلينا غداً، فَيُبيِّتُهمْ الله، ويَضَعُ العَلَمَ، ويَمسَخُ آخرينَ قِردَةً وخنازيرَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ».

قوله: «يَستحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ»، (الحِرَ) بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة، وأصله (حِرْحٌ)، فحذفت الحاء الأخيرة، وجمعه: أَحْراح، و(الحِرَ): الفرج؛ يعني: قد يكون جماعة في آخر الزمان يزنون ويعتقدون حِله، ويقولون: إذا رضي الرجل والمرأة حَلَّ بينهما جميع أنواع الاستمتاعات، ويقولون: المرأة مثل بستان، فكما أن لصاحب البستان أن يبيح ثمرة بستانه لمن شاء، فكذلك يجوز للزوج أن يبيح استمتاع زوجته لمن شاء، والذين لهم هذا الاعتقاد: الجوالقيون والملاحدة.

وأما لبس الحرير: فهو حرام على الرجال، وكثير من الناس يلبسونه ويعتقدون حِلَّه، ومَن اعتقدَ حِلَّه فهو كافر.

«المعازف»: آلات الملاهي كالطنبور والمزمار وغيرهما.

«ولينزلن أقوام إلى جنب علم»؛ يعني: سينزل أقوام إلى جنب جبل، «يَرُوحُ عليهم رجل بسارحة لهم»، (يَرُوح)؛ أي: يذهب في وقت الرَّواح، وهو أول الليل، (السارحة): القطيعة من الغنم والبقر والجمل.

يعني: يأتيهم راعيهم بدوابهم كلَّ يوم وليلة، فيأتيهم يوماً لحاجة، ويطلب منهم تلك الحاجة فيقولون له: ارجع وأتنا غداً لنقضي حاجَتَكَ.

«فيبيتُهُم الله»، (التبييت): إرسال العذاب والإهلاك في الليل؛ يعني: يهلكهم الله في تلك الليل.

«ويَضَعُ العَلَمَ» عليهم؛ أي: يوقع ذلك الجبل عليهم حتى يهلكوا.

«ويمسخ»؛ أي: يغيرُ صورَ قومٍ منهم؛ يعني: يهلك بعضهم، ويمسخ بعضهم.

ولم يبين في هذا الحديث مكانهم ولا ذنوبهم[1]، وإنما أفاد هذا الحديث: أنه يكون في آخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور، فليجتنب المؤمنُ المعاصيَ كي لا يقعَ في العذاب ومسخ الصور.

وفي هذا الحديث: اختلف نسخ «المصابيح» في موضعين: أحدهما في (الحر)؛ فإنه في بعض النسخ: «الخز» بالخاء والزاي المعجمتين، والصواب: ما قلنا؛ فإنه ذكر في «سنن أبي داود» أنه بالحاء والراء المهملتين.

والموضع الثاني قوله: «يروح عليهم رجلٌ بسَارحةٍ» ففي بعض النسخ هكذا، وفي بعض النسخ: «يروح عليهم بسارحة» من غير لفظة رجل، و(الرجل) مذكور في «سنن أبي داود».

روى هذا الحديث أبو عامر الأشعري.

* * *

٤١١٤ - وقال: «إذا أَنْزَلَ الله بقَوْمٍ عَذاباً؛ أصابَ العَذابُ مَنْ كانَ فيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا على أَعْمَالِهِمْ».

قوله: «إذا أنزلَ الله بقومٍ عذاباً أصابَ مَنْ كان فيهم»؛ يعني: إذا أذنبَ بعضُ القوم نزلَ العذابُ بجميع مَنْ كان في القومِ الذين فيهم المذنب، وهلكوا جميعاً بشؤم المذنب، فصاروا مستوين في لحوقِ العذابِ بهم، ولكنهم مختلفون يوم القيامة، وكل واحد منهم يُبعث بأعماله، فالصالح ينجو والطالح يُعذَّب.

---

(١) في «ش»: «دينهم».

روى هذا الحديث ابن عمر.

* * *

٤١١٥ ـ وقال: «يُبعَثُ كُلُّ عَبْدٍ على ما ماتَ عليه».

قوله: «يُبعَثُ كلُّ عبد على ما مات عليه»؛ يعني: يُحشر كل عبد يوم القيامة على ما مات من العمل.

روى هذا الحديث جابر.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١١٦ ـ عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما رأيتُ مِثْلَ النَّارِ نامَ هارِبُها، ولا مِثْلَ الجنَّةِ نامَ طالِبُها».

قوله: «نامَ هارِبُها»، (الهارِبُ): الذي يفرُّ؛ يعني: النار شديدة والخائفون منها نائمون غافلون، وليس هذا طريق الهارب، بل طريق هارب النار: أن يهربَ من المعاصي إلى الطاعات.

٤١١٧ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتَّى يَعودَ اللَّبنُ في الضَّرْعِ».

قوله: «لَن يلجَ النَّارَ»؛ أي: لن يدخل النار، (وَلَجَ يَلِجُ): إذا دخل.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١١٨ ـ وعن أبي ذَرٍّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي أرَى ما لا تَرَوْنَ، وأَسْمَعُ ما لا تَسْمَعونَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، والذي نَفْسي بيدِه،

ما فيها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصابعَ إلاَّ ومَلَكٌ واضعٌ جَبْهَتَهُ ساجداً لله، والله لو تَعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً، وما تلذَّذْتُمْ بالنِّساءِ على الفُرُشاتِ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرونَ إلى الله». قالَ أبو ذَرٍّ: يا لَيْتَني كنتُ شَجَرةً تُعْضَدُ.

قوله: «أطَّتِ السَّماء»؛ أي: صَاحت وأَنَّتْ.

«وحُقَّ لها أن تَئِطَّ»، (حق) على بناء المجهول؛ معناه: ينبغي لها أن تصيحَ وتَئِنَّ؛ يعني: تَئِنُّ السماء من خشية الله مع أنها موضع عبادة الملائكة؛ يعني: فإذا تخشى السماء مع أنها جماد فأولى بالإنسان أن يخشى من الله العظيم مع أنه ملوَّثٌ بالذنوب.

«الصُّعُدَات»: جمع صُعُد ـ بضم الصاد والعين ـ، وهو جمع صَعِيد، وهو وجه الأرض والتراب.

«تَجْأَرون»؛ أي: تتضرعون.

«يا ليتني كنتُ شجرةً تُعْضَدُ»؛ أي: تقطع؛ يعني: يا ليتني كنت بريئاً من الذنوب كالشجرة، ويا ليتني لم أحشر يوم القيامة ولم أعذب كالشجرة التي تعضد، وهذا القول منه مِنْ غَاية خشية الله تعالى.

* * *

٤١١٩ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، ومَنْ أدلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله غالِيةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله الجنَّةُ».

قوله: «مَنْ خَافَ أدْلَجَ»؛ يعني: من خافَ من شيءٍ أدلَجَ؛ أي: هَرَبَ في أول الليل، فإن الرجلَ إذا هربَ في أول الليل ينجو من العدو، فإن العدو يُغير بعد الصبح؛ يعني: من خاف الله فليهرب من المعاصي إلى الطاعات.

«السِّلعة»: المتاع، و«الغالية»: الرفيعة القيمة؛ يعني: سلعةُ الله الجنةُ، وهي عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال.

* * *

٤١٢٠ ـ عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله جلَّ ذِكرهُ: أخرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكرني يَوْماً، أو خافَني في مَقامٍ».

«أخرجوا من النار مَنْ ذكرني يوماً»؛ يعني: من ذكرني يوماً بشرط أن يكون مؤمناً بنبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أو نبي آخر قَبْلَ نسخِ دينه.

* * *

٤١٢٢ ـ عن أُبيِّ بن كَعْبٍ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثا اللَّيلِ قامَ فقالَ: «يا أيُّها النَّاسُ! اذكُروا الله، اذكُروا الله، جاءتِ الرَّاجِفَةُ، تتبَعُها الرَّادِفةُ، جاءَ المَوْتُ بما فيه، جاءَ المَوْتُ بما فيه».

قوله: «جاءت الرَّاجِفَةُ تتبَعُها الرَّادِفَةُ»، (الرَّاجِفَةُ): النفخة الأولى يموت منها الخلق، و(الرَّادِفةُ): النفخة الثانية التي يحيى فيها الخلق.

«جاءَ الموتُ بما فيه»؛ أي: جاءَ الموتُ مع ما فيه مِن أحوالِ القبر والقيامة.

* * *

٤١٢٣ ـ عن أبي سعيدٍ قال: خرج النَّبيُّ ﷺ لِصَلاةٍ فرأى النَّاسَ كأنَّهُمْ يَكْتَشِرونَ، فقالَ: «أمَا إنَّكُمْ لوْ أكثرتُمْ ذِكْرَ هادِمِ اللَّذَّاتِ لَشغلَكُمْ عمَّا أرى، فأكْثِروا ذِكْرَ هادِمِ اللَّذَّاتِ المَوْتِ، فإنَّهُ لمْ يأتِ على القَبْرِ يَوْمٌ إلاَّ تكلَّمَ فيقولُ: أنا بَيْتُ الغُربةِ، وأنا بيتُ الوَحْدةِ، وأنا بيتُ التُّرابِ، وأنا بيتُ الدُّودِ، وإذا دُفِنَ

العَبْدُ المُؤْمِنُ قالَ لهُ القَبْرُ: مَرْحباً وأهلاً، أمَا إنْ كنتَ لأحَبَّ مَنْ يَمْشِي على ظَهرِي إليَّ، فإذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ وصِرْتَ إليَّ فَستَرى صَنيعِي بكَ»، قال: «فيتَّسعُ لهُ مَدَّ بَصَرِه، ويُفتَحُ لهُ بابٌ إلى الجَنَّةِ، وإذا دُفِنَ العَبْدُ الفاجِرُ أو الكافِرُ قالَ لهُ القَبْرُ: لا مَرحَباً ولا أهلاً، أمَا إنْ كنتَ لأبغَضَ مَنْ يَمشي على ظَهري إليَّ، فإذْ وُلِّيتُكَ اليومَ وصِرْتَ إليَّ فَستَرى صَنيعِي بكَ، قال: فيَلْتَئِمُ عليهِ حتَّى تَختَلِفَ أضْلاعُهُ»، قالَ: وقالَ رسولُ الله ﷺ بأصابعِهِ، فأدْخَلَ بعضَها في جَوْفِ بعضٍ، قال: «ويُقيَّضُ لهُ سَبعونَ تِنِّيناً، لوْ أنَّ واحِداً منها نَفَخَ في الأَرْضِ ما أنبَتَتْ شَيئاً ما بَقِيتِ الدُّنْيا، فيَنْهَشْنَهُ ويَخْدِشْنَهُ حتى يُفْضَى بهِ إلى الحسابِ».

قال: وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّما القبرُ رَوْضةٌ مِنْ رِياضِ الجنَّةِ، أوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ».

قوله: «يَكْتَشِرون»؛ أي: يتبسَّمون.

«لو أكثرتُمْ ذكرَ هادِمِ اللذَّات لشغلَكُم»؛ أي لمنعكم «عمَّا أرى»، يعني: عما أرى «الموت»، (الموت): تفسيرٌ لـ (هادم اللذات)، أو مفعول فعل محذوف، تقديره: أعني: الموت، (لشغلكم)؛ أي: لمنعكم، (عما أرى)؛ يعني: عما أرى منكم من التبسم والضحك.

«أما»؛ أي: أعلم.

«وُلِّيتُك»، (وَلِيَ): إذا قرب وصار حاكماً على أحد؛ يعني: إذا وصلت إليَّ، وصرتُ حاكماً وقادراً عليك، وصرتَ مقهوراً تحت أمري ولم يبقَ لك قوة وقدرة.

«فسترى صَنيعي بكَ»؛ أي: سوف ترى فعلي بك؛ يعني: أُحْسِنُ إليك.

«فيلتئم عليه»؛ أي: يتكئ عليه كل جَانب من القبر، ويضمُّهُ ويعصرُهُ.

«حتى تختلف»؛ أي: تختلط وتدخلُ أضلاعُ جانبه الأيمن على جانبه الأيسر، وجانبه الأيسر على جانبه الأيمن.

«ويُقَيِّضُ»؛ أي: يُوكل، «التنين»: نوع من الحية.

«فينهشه»؛ أي: فتلدغه، «حتى يفضي به»؛ أي: يوصل إلى يوم القيامة.

* * *

٤١٢٤ - عن أبي جُحَيْفَةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله! قدْ شِبْتَ، قال: «شَيَّبَتْني هُودٌ وأخَوَاتُها».

وفي رِوايةٍ: «شَيَّبَتْني هُودٌ، والواقِعةُ، والمُرْسَلاتُ، ﴿وعَمَّ يتساءَلُون﴾، ﴿وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَت﴾».

قوله: «قد شِبْتَ»؛ أي: صرتَ أشيب.

«فقال ﷺ: شيبتني»؛ أي: جعلني أشيب سورة «هود وأخواتها»؛ أي: أشباهها من السورة التي فيها ذكر القيامة والعذاب؛ يعني: من خوف ما ذكر في هذه السورة من التخويفات قد صرتُ أشيب، والله أعلم.

* * *

٨ - بابٌ
تَغَيُّرِ النَّاسِ

(باب تغير الناس)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٢٥ - قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّما النَّاسُ كالإبلِ المئةِ، لا تَكادُ تجِدُ فيها راحِلةً».

قوله: «إنما الناسُ كالإبـلِ المئة»؛ يعني: صار الناس قليل المنفعة لا تجد في مئة رجل مثلاً رجلاً يعاونك ويحفظُ سرَّك، كمئة من الإبل لا تجد فيها جَملاً أو ناقة تصلح لحمل أقمشتك.

روى هذا الحديث ابن عمر.

* * *

٤١٢٦ ـ وقالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبلَكُمْ، شِبْراً بِشِبرٍ، وذِراعاً بِذِراعٍ، حتَّى لوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعتُموهم»، قيلَ: يا رسولَ الله! اليهودَ والنَّصارَى؟ قالَ: «فَمَنْ؟».

قوله: «لتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبلَكم»، (السَّنَنَ): جمع سُنَّةٍ، وهي هنا: الرسم والعادة؛ يعني: لتفعل أمتي مثل ما فعلت الأمم الماضية من الأفعال القبيحة.

«شبراً بشبر»، يريد بهذا الكلام: أنكم ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء «حتى لو دخلوا جحر ضب»، (الجحر): الثقبة، يريد بهذا اللفظ أيضاً: أنكم تفعلون مثل فعلهم.

«قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى»: الذين نتبعهم هم اليهود والنصارى، أم قوم آخر؟

فقال ﷺ: «فَمَنْ»؛ يعني: فَمَنْ هُمْ إن لم يكونوا اليهود والنصارى؛ يعني: الذين تتبعونهم هم اليهود والنصارى لا غيرهم.

روى هذا الحديث أبو سعيد.

* * *

٤١٢٧ ـ وقالَ: «يَذهبُ الصَّالِحونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وتبقَى حُفَالَةٌ كحُفالَةِ

الشَّعيرِ أو التَّمرِ، لا يُباليهِمُ الله بالةً».

قوله: «يذهبُ الصالحون»؛ أي: يموتُ الصالحون.

«الأَوَّلُ فالأَوَّلُ»؛ أي: قرناً بعد قرن، حتى لا يبقى من الناس إلا جماعة أشرار لم يكن فيهم خير.

«كحفالة الشعير والتمر»، (الحُفَالة): ما يسقط من رديء الشعير والتمر.

«لا يباليهم الله بَالَةً». (المبالاة): التحقير وعدم الالتفات إلى أحد، وعدم الخوف من أحد، ويعدى بالباء وبمن وبنفسه، يقال: لا أبالي بفلان، ولا أبالي من فلان، ولا أبالي فلاناً.

ومعنى الحديث: أن الله لا يعظمهم، ولا يكون لهم عند الله وقار.

روى هذا الحديث المِرْداسُ الأسلمي.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٢٨ - عن ابن عُمَرَ ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «إذا مشَتْ أُمَّتي المُطَيْطِيَاءَ، وخدَمَتْهُم أبناءُ المُلوكِ، أبناءُ فارِسَ والرُّومِ، سَلَّطَ الله شِرارَهَا على خِيارِها»، غريب.

قوله: «إذا مشَتْ أمتي المُطَيْطِياء»، (المُطَيْطِياء): التبختر، وهو منصوب على الحال، وهو حال معرفة بمعنى التنكير، نحو: لا إله إلا الله وحده، (وحده): منصوب على الحال وهو معرفة بمعنى التنكير؛ يعني: إذا صارت أمتي متكبرين زعظم ملكهم وأخذوا الفارس والروم، وخدمتهم أبناء ملوك الفرس والروم.

«سَلَّط الله شرارَها على خيارها»؛ يعني: جعل الله حُكْمَ الأمةِ بأيدي الظالمين، فيظلمون الصالحين ويؤذونهم، ويكون هذا نتيجة فساد بعض الأمة.

* * *

٤١٢٩ ـ عن حُذَيفةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تَقْتُلوا إمامَكُمْ، وتَجْتَلِدُوا بأَسيافِكُمْ، ويَرِثَ دُنياكُمْ شِرارُكُمْ».

قوله: «تَقْتُلوا إمامَكُم»؛ أي: حتى تقتلوا الخليفةَ والسُّلطانَ، وقد رأينا قَتْلَ المسلمين الخليفةَ المعتصم ـ رحمه الله ـ وذلك أن مقدمةَ الجيش [...] الكافر كانوا مسلمين حين قصدوا بغداد، وسمعنا أن جيشَ المسلمين بالغوا في تخريبِ بغداد وقتل أهلها، حتى قال واحدٌ من جيش المسلمين قتلتُ عدداً كثيراً من العلويين من أهل بغداد.

«وتجتَلِدُوا بأسيافِكُمْ»، (الاجتلاد): المقاتلة؛ يعني: حتى يحارب بعضُ المسلمين بالسيوفِ بعضاً.

«ويَرِثَ دُنياكم»؛ يعني: يصيرُ الملكُ والمالُ في أيدي الكَفَرَةِ والظَّلَمَةِ.

* * *

٤١٣٠ ـ وقالَ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يكونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بالدُّنيا لُكَعُ ابن لُكَعٍ».

قوله: «أسعد الناس بالدنيا»؛ أي: أكثر الناس في أموال الدنيا، وأطيبهم عيشاً، وأكثرهم حكماً.

«لُكَعُ بن لُكَعٍ»؛ أي: لئيم ابن لئيم.

روى هذا الحديث حذيفة.

* * *

٤١٣١ ـ وعن مَنْ سَمِعَ عليَّ بن أبي طالِبٍ قال: إنَّا لَجُلوسٌ معَ النَّبيِّ ﷺ في المَسْجِدِ، فاطَّلعَ علينا مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ ما عليهِ إلاَّ بُرْدَةٌ لهُ مَرْقُوعَةٌ بفَرْوٍ، فلَمَّا

رآهُ رسولُ الله ﷺ بكى للَّذِي كانَ فيهِ مِنَ النِّعْمَةِ، والذي هُوَ فيهِ اليومَ، ثُمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «كيفَ بكُمْ إذا غَدا أَحَدُكُمْ في حُلَّةٍ وراحَ في حُلَّةٍ، ووُضِعَتْ بينَ يدَيْهِ صَحْفَةٌ ورُفِعتْ أُخرَى، وسَتَرْتُمْ بُيوتَكمْ كما تُستَرُ الكَعْبَةُ؟» فقالوا: يا رسولَ الله! نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خيرٌ مِنَّا اليومَ، نتفرَّغُ للعِبادَةِ، ونُكفَى المُؤْنَةَ؟ قال: «لا، أنتُمُ اليومَ خَيْرٌ منكُمْ يَوْمَئِذٍ».

قوله: «كيفَ بكُمْ»؛ يعني: كيف الحال بكم؛ يعني: كيف يكون حالكم إذا كثرت أموالكم، ويلبسُ كل واحد منكم ثوباً في أول اليوم، وثوباً في آخره من غاية التنعم.

«الصَّحْفَة»: القصعة.

«وسترتُمْ بيوتَكُمْ»؛ أي: تزينون بيوتَكُمْ بالثياب النفيسة مثل الحَجَلَةِ، والستر من غاية التنعم.

«ونُكْفَى المُؤْنَةَ»؛ أي: يُدفع عنا هَمُّ تحصيلِ القُوت، بل تكون أسبابنا مهيأة ونشتغل بالكلية بالعبادة، فقال رسول الله ﷺ: «لا أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذ»؛ يعني: ليسَ الأمرُ كما تظنون، بل أنتم اليوم خير؛ لأن الفقير الذي له كفاف خير من الغني؛ لأن الغني يشتغل بدنياه، ولم يكن له فراغ العبادة من كثرة اشتغاله بالمال.

* * *

٤١٣٢ - عن أنسٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يأتي على النَّاسِ زَمانٌ الصَّابِرُ فيهِمْ على دِينِهِ كالقابِضِ على الجَمْرِ»، غريب.

قوله: «كالقَابِضِ على الجَمر»، (الجَمْرُ): الحطب المحترق قبل أن تخبو ناره؛ يعني: كما أن أخذَ النار بالكفِّ شديدٌ، فكذلك الصبرُ مع أهل

ذلك الزمان شديدٌ.

* * *

٤١٣٣ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ أُمَراؤُكُمْ خِيارَكُمْ، وأَغْنِياؤُكُمْ أَسْخِياءَكُمْ، وأُمورُكُمْ شُورَى بينَكُمْ، فظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُمْ مِنْ بَطْنِها، وإذا كانَ أُمَراؤُكُمْ شِرارَكُمْ، وأَغْنِياؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وأُمورُكُمْ إلى نِسائِكُمْ، فبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لكُمْ مِنْ ظَهْرِها»، غريب.

قوله: «وأمرُكُم شورى بينكم»، (الشورى): المشورة؛ يعني: ما دمتم يُشاوِر بعضكم بعضاً في أموركم.

* * *

٤١٣٤ ـ عن ثَوْبانَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تُوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعَى عَلَيْكُمْ كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها»، فقالَ قائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «بَلْ أنتُمْ يَوْمَئِذٍ كثيرٌ، ولكنَّكُمْ غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ الله مِنْ صُدورِ عدُوِّكُم المَهابَةَ مِنْكُمْ، ولَيَقْذِفَنَّ في قُلوبِكُم الوَهْنَ». قالَ قائِلٌ: يا رسولَ الله! وما الوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيا وكَراهِيَةُ المَوْتِ».

قوله: «يُوشِكُ»؛ أي: يَقْرُبُ.

«أن تداعى عليكم» أصله (تتداعى) فحذفت تاء الاستقبال؛ يعني: سيجتمعُ أعداؤكم على محاربتكم ويغلبوا عليكم.

(تَدَاعَى القومُ): إذا أقبلوا على شيء، و(تَدَاعَتِ الحيطانُ): إذا تساقطت.

«الأَكَلَةُ»: جمع آكل.

«ولكنكم غُثاء»، و(الغُثاء): ما يكون فوق الماء مثل الحشيش والتبن؛

يعني: لا يكون لكم قوة وشجاعة، بل تخافون من الأعداء.

* * *

٩ - باب

(باب)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٣٥ - عن عِياضِ بن حِمارٍ المُجَاشِعيِّ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ ذاتَ يَوْمٍ في خُطبتِهِ: «ألا إنَّ ربي أمَرَني أنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلتُمْ مِمَّا علَّمني يومي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنفاءَ كُلَّهم، وإنَّهم أتَتْهُمُ الشَّياطينُ فاجتالَتْهُمْ عنْ دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهمْ ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وأمَرَتْهُمْ أنْ يُشْرِكوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ بهِ سُلْطاناً، وإنَّ الله نَظَرَ إلى أهلِ الأرْضِ فمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وعجَمَهُمْ، إلاَّ بَقايا منْ أهلِ الكِتابِ، وقال: إنَّما بَعَثْتُكَ لأبتَلِيَكَ وأبتَليَ بكَ، وأنْزَلتُ عليكَ كِتاباً لا يَغْسِلُهُ الماءُ، تَقرَؤُهُ نائِماً ويَقْظانَ، وإنَّ الله أمَرَني أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً، فقلتُ: رَبِّ! إذاً يَثْلَغوا رَأْسي فيَدَعوهُ خُبْزَةً، قال: استَخْرِجْهُمْ كما أخْرجُوكَ، واغزُهُمْ نُغْزِكَ، وأنْفِقْ فسَنُنْفِقَ عليكَ، وابعَثْ جَيْشاً نَبعَثْ خَمْسةً مِثلَهُ، وقاتِلْ بمَنْ أطاعَكَ مَنْ عَصاكَ».

قوله: «كلُّ مالٍ نحلتُهُ عبداً حلال»، (نحلتُهُ)؛ أي: أعطيته؛ يعني بهذا الحديث: أن ما أعطاه الله تعالى عبداً من المال، فهو حلال له، يجوز له أكله وجميع التصرفات فيه إلا ما نهى الله عنه، فالبَحِيرة والسَّائبة والوَصيلة والحَام ليس فيما نهى الله تعالى عنه، فهنَّ حلالات، وما قال فيهنَّ الكفار من التحريم، فهو كذب.

«حُنفاء»: جمع حَنِيف، وهو المائل عن الباطل.

«فاجتالَتْهُم»، قد يجيء الافتعال بمعنى حمل أحد على فعل كقولهم: اختطب زيدٌ عمراً على نكاح فلانة؛ أي: حمله على خِطبتها، وهنا (اجتالتهم) معناه: حملتهم الشيطان على حولانهم «عن دينهم»؛ أي: انحرافهم وميلهم عن الدين.

«وحرمت عليهم»؛ أي: حَرَّمَتِ الشياطين عليهم ما أحللْتُ لهم نحو: البحيرة والسَّائبة والوَصيلة والحَام.

«ما لم أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا»؛ أي: ما لم آمرهم به، ولم أنزل على نبي به كتاباً، وذلك مثلُ اتخاذِ بعضــهم الأصنام آلهةً، وبعضهم عيسى عليه السلام، وبعضهم الشمس، وبعضهم عُزير.

(أمقَتُهُم)؛ أي: أبغضهم، وإنما أبغضهم لأنهم كانوا قَبْلَ محمدٍ ﷺ كفاراً، فقومُ موسى غَيَّروا دينَ موسى، وقومُ عيسى؛ زَعَمَ بعضُهم: أن عيسى ابن الله، وبعضهم: أنه شريك الله وغير ذلك، وباقي الناس كانوا يعبدون الأصنام أو الشمس أو الملائكة أو النار.

«إلا بقايا من أهل الكتاب»؛ يعني: إلا جماعة من قوم عيسى بقوا على متابعته عليه السَّلام.

«وقال»؛ أي: قال الله تعالى: «إنما بعثْتُكَ»: يا محمد «لأبتليَكَ»؛ أي: لأختبرك هل تصبر على بلاء إيذاء قومك إياك، وهل تبلغ رسالتي.

«وأبتَلِيَ بكَ»؛ أي: ولأختبرَ بسببك قومَك، هل يؤمنون بك أم يكفرون بك.

«وأنزلتُ عليك كتاباً»؛ أي: القرآن.

«لا يغسلُهُ الماءُ»؛ يعني: يَسَّرْتُ حفظَهُ عليك وعلى أمتك، وحفظتكم عن النسيان، فإذا كنتم تحفظونه، فكيف يغسله الماء عن صدوركم.

«تقرؤه نائماً ويقظان»؛ أي: تقرؤه في حال الاضطجاع والقعود.

وقيل: معناه: يكون في صدرك نائماً ويقظانَ.

«إذن يَثْلِغُوا رأسي فيدعوه خُبْزَةً»، (الثَّلْغُ): كَسْرُ الرأس، (فيدعُوه)؛ أي: فيتركوه، (خبزة)؛ أي: مثل خبزة.

يعني: إن حَرَقْتُ[1] قريشاً يكسروا رأسي، ويجعلوه كخبزة؛ يعني: جيشي قليلٌ وهم جَمْعٌ كثيرٌ لا أقدر على محاربتهم.

«نُغْزِكَ» بضم النون؛ أي: ننصرْكَ ونقوِّي جيشَكَ؛ يعني: لا تخف من محاربتهم فإنا نشجع جيشك، ونمدك بالملائكة وننصرك، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة.

«نبعثْ خمسةً مثله»؛ يعني: نمدك بالملائكة أكثر من جيشك.

* * *

٤١٣٦ ـ عن ابن عبَّاسٍ قال: لمَّا نَزَلتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ الصَّفا، فَجَعَلَ يُنادي: «يا بني فِهْرٍ! يا بني عَدِيٍّ!» لِبُطونِ قُرَيْشٍ، حتَّى اجْتَمعُوا، فقالَ: أرأَيْتَكُمْ لوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بالوادِي تُريدُ أَنْ تُغيرَ عليكُمْ، أكنتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعمْ، ما جَرَّبْنا عليكَ إلاَّ صِدْقاً، قال: «فإنِّي نَذيرٌ لكُمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شديدٍ»، قالَ أبو لَهَبٍ: تبّاً لكَ سائِرَ اليَوْمِ، أَلِهذا جَمَعْتَنا؟ فنزلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ويُروَى: «نادَى: يا بني عبدِ مَنافٍ! إنَّما مَثَلي ومَثَلُكُمْ كمثَلِ رَجُلٍ رأَى العَدُوَّ، فانطَلَقَ يَرْبأُ أَهْلَهُ، فخَشيَ أنْ يَسبِقُوهُ، فجَعَلَ يهتِفُ: يا صَباحاه!».

قوله: «الصَّفا»: اسم جبل بمكة.

---

(١) في «ق»: «خوفت».

«**فجعلَ**»؛ أي: فطفق.

(**بني فهر وبني عدي**) بطنان؛ أي: قبيلتان من أقارب النبي ﷺ.

«**لبطون قريش**»؛ يعني: ينادي قبائل قريش.

«**أرأيتكُمْ**»؛ أي: أخبروني، (أرأيْتَكَ)؛ أي: أخبرني، (أرأيْتكُمَا)؛ أي: أخبراني، وفي المؤنث: (أرأيْتَكِ أرأيتكُمَا أرأيتكُنَّ) كلها بفتح التاء.

«**أن خيلاً بالوادي**»؛ أي: أن جيشاً بالوادي، وهو هاهنا موضع معروف بقرب مكة.

«**ما جَرَّبْنا عليك إلا صدقاً**»؛ يعني: اختَبَرْنَاك وجَرَّبناك، وما رأينا منكَ إلا صدقاً، كانوا يعتقدونه ﷺ صادقاً في الأمور الدنيوية، وكاذباً فيما أخبر من أمر الدين والآخرة.

«**فإني نذير**»؛ أي: منذر «**لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ**»؛ أي: قبل نزول عذاب شديد.

(**لكم**)؛ يعني: إن لم تؤمنوا ينزلُ عليكم عذابٌ شديدٌ عن قريب.

«﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ**﴾»؛ أي: هَلَكَتْ وخسرت يدا أبي لهب.

«﴿**وَتَبَّ**﴾»؛ أي: تب هو، والمراد بـ (تباب اليد): أنه لا حاصل له فيما يفعل ويقول من عبادة الأوثان وجمع المال وغيرهما.

«**يربوا أهله**»؛ أي: يصعد جبلاً، وينظر إلى حوالي قومه كي لا يأتيهم العدو بغتة، وليخبرهم بمجيء العدو إذا رأى العدو من البعد، ويقال لهذا الرجل: الدَّيْدَبَانُ.

«**فخشي أن يسبقوه**»؛ أي: فخشي الديدبان إذا رأى العدو أنه لو أتى إلى قومه لسبقه العدو؛ أي: لوصلَ العدو إلى قومه وأغارهم قبل أن يصل الديدبان

إليهم، فلما خشي الديدبان وصول العدو إلى قومه قبل وصوله إليهم، نادى الديدبان قومه من رأس جبل: (يا صَباحاه)، هذا اللفظ يستعمل في مجيء العدو؛ يعني: اهربوا وفروا فإن العدو قد جاء.

والغرض من تلفظ النبي ﷺ بهذا الكلام: أني أخبركم بقرب نزول العذاب إليكم فاهربوا منه بأن تؤمنوا بي.

«يا صباحاه»: تقديره: يا قوم احذروا الإغارة في وقت الصباح، أو قد قرب إغارة في وقت الصباح، وإنما خص قرب الإغارة في وقت الصباح؛ لأن العادة لمن أغار قوماً أن يغيرَهم في وقت الصباح.

* * *

٤١٣٧ ـ عن أبي هُريرةَ قال: لمَّا نَزلتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دَعا النَّبيُّ ﷺ قُريْشاً، فاجتَمَعُوا، فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «يا بني كَعْبِ بن لُؤَيٍّ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني مُرَّةَ بن كَعْبٍ أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النارِ، يا بني عبدِ شَمْسٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ مَنافٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني هاشِمٍ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المُطَّلِبِ! أَنقِذوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا فاطِمَةُ! أَنقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فإنِّي لا أَمْلِكُ لكُمْ مِنَ الله شيئاً، غيرَ أنَّ لكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّها بِبلالِها».

وفي رِوايةٍ: «يا مَعْشرَ قُرَيْشٍ! اشتَرُوا أنفُسَكُمْ، لا أُغْني عنكُمْ مِنَ الله شَيْئاً، يا بني عبدِ مَنافٍ! لا أُغني عنكُمْ مِنَ الله شيئاً، يا عبَّاسُ بن عبدِ المُطَّلِبِ! لا أُغني عَنْكَ مِنَ الله شيئاً، ويا صَفِيَّةُ! عمَّةَ رسولِ الله ﷺ لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً، ويا فاطِمَةُ بنتَ مُحَمَّدٍ! سَلِيني ما شِئْتِ مِنْ مالي، لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً».

قوله: «أنقذوا»؛ أي: خلِّصُوا.

«فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»؛ يعني: لا أقدرُ أن أدفعَ عنكم شيئاً من عذاب الله، إن أراد أن يعذبكم، فإني أشفع لمن أذن الله تعالى أن أشفعَ له، فأما مَنْ أرادَ الله أن يعذبَهُ، لم يأذن لي في أن أشفع له.

«غيرَ أنَّ لكم رَحِمَاً» يعني: لا أقدر أن أردَّ عذابَ الله عن أقاربي الكفار غير أن لهم قرابة، «سأبُلُّها»؛ أي: سأصِلُ تلك القرابة.

«ببلالِها»؛ أي: بالشيء الذي يتوصل به إلى الأقارب من الإحسان ودفع الظلم عنهم وغيرهما.

قوله: «اشتروا أنفسكم»، أصله (اشترِيُوا) بكسر الراء وضم الياء، فأسكنت الراء ونُقلت ضمةُ الياء إليها، وحذفت الياء لسكونها وسكون الواو؛ أي: خلصوا أنفسَكُم من النار بتركِ الكُفْرِ.

مِنَ الحِسَانِ:

* * *

٤١٣٨ ـ عن أبي مُوسى ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُمَّتي هذهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، ليسَ عَلَيها عَذَابٌ في الآخِرَةِ، عذابُها في الدُّنيا: الفِتَنُ والزَّلازِلُ والقَتْلُ».

قوله: «أمتي هذه أُمَّةٌ مرحومَةٌ ليس عليها عذابٌ في الآخرة» هذا الحديث مشكل؛ لأن مفهومه: أن لا يُعذَّبَ أحدٌ من أمة النبي ﷺ، فيلزم أن لا يُعذَّبَ مَنْ قتلَ من المسلمين أعداداً كثيرة، وسرقَ أموالهم وآذاهم وقذفهم وفعلَ الكبائر كلها، ومعلوم أن هذا لم يقل به أحد، وقد جاءت أحاديث بتعذيب الزاني والقاتل بغير الحق والقاذف وغيرهم من أصحاب الكبائر.

وتأويل هذا الحديث: أن قوله: «أمتي هذه أمة مرحومة»، أراد بهم: من

اقتداه ﷺ كما ينبغي، ويحب الله ورسوله، فأما من فعل كبيرةً فقد استحقَّ العذاب، ثم أَمْرُهُ إلى الله تعالى؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه.

* * *

٤١٣٩ ـ عن أبي عُبَيْدَةَ ومعاذِ بن جَبَلٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ هذا الأمرَ بدأَ نُبوَّةً ورَحْمَةً، ثمَّ يكونُ خِلافةً ورَحْمَةً، ثمَّ مُلكاً عَضُوضاً، ثمَّ كائِنٌ جَبْرِيَّةً وعُتُواً وفَساداً في الأرْضِ، يَستَحِلُّونَ الحَريرَ والفُروجَ والخُمورَ، يُرْزَقونَ على ذلكَ ويُنْصَرونَ، حتَّى يَلْقَوا الله».

قوله: «إنَّ هذا الأمر»؛ أي: إن هذا الدين والإسلام وما بُعِثْتُ به.

«بدأَ نُبُوَّةً ورحمةً»، (بدأ)؛ أي: ظهر، و(نبوّةً): منصوبة على التمييز أو على الحال؛ يعني: أول الدين إلى زمان حياته ﷺ لم يكن فيه باطل، بل كان جميعه زمان نزول الوحي والرحمة، ثم بعد وفاته ﷺ زمان الخلافة إلى انقضاء خلافة الخلفاء الراشدين، فزمان خلافتهم ﷺ كان زمانَ الرحمة والشفقة والعدل، ثم بعد خلافتهم تشوَّشَ الأمرُ وظهرَ بعض الظلم بين الناس، ولم يقتد الخلفاءُ بالنبي ﷺ اقتداءً تاماً، بل خلطوا العدل بالظلم كما هو معروف من حكاية يزيد، وقتل الحسين، وظلم حجَّاج بن يوسف، وغير ذلك.

قوله: «مُلْكاً عَضُوضاً»، (العَضُوض): مبالغة من العَضِّ، وهو أخذ الشيء بالسِّنِّ.

وروي: «ثم ملكُ عُضوض» بإضافة (ملك) إلى (عضوض) ـ بضم العين ـ وهي جمع العِض ـ بكسر العين ـ، وهو الرجل الخبيث الشرير؛ يعني: يكون الملوك يظلمون الناس ويؤذونهم بغير حق.

«ثم كائن جَبْرِيَّةً»؛ أي: ثم يغلب الظلم والفساد على الملوك بحيث يَقِلُّ

عَدْلُهم، ويكثرُ ظلمُهم وفسادُهم.

* * *

٤١٤٠ ـ عن عائِشَةَ قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أوّلَ ما يُكْفَأُ ـ قال الرَّاوي: يعني: الإسلامَ ـ كما يُكْفَأُ الإناءُ»؛ يعني: الخَمْرَ. قيلَ: فكيفَ، يا رسولَ الله! وقدْ بيَّنَ الله فيها ما بيَّن؟ قال: «يُسَمُّونَها بغَيْرِ اسمِها فيَستحِلُّونَها».

قوله: «إن أول ما يكفأ ـ قال الراوي: يعني: في الإسلام ـ كما يُكْفَأُ الإناء»؛ يعني: الخمر»، قصَّةُ هذا: أن النبي ﷺ كان يتحدثُ في الخمر، فقال في أثناء حديثه: «إن أولَ ما يُكْفَأُ الإناء»؛ يعني: أن الخمر التي يتحدث فيها أول شيء يُكفأ «كما يكفأ الإناء»، و(الكَفْءُ): تنكيسُ الإناء ليَنصبَّ ما فيه، والمراد بـ (الكفء) هنا: صبُّ ظرفِ الخمر في الفم؛ أي: شرب الخمر.

يعني: أولُ معصيةٍ تظهرُ وتُعلَنُ في الإسلام شرب الخمر.

«كيف وقد بيَّنَ الله فيها ما بين»؛ يعني: كيف يشربون الخمر، وقد بيَّنَ الله تحريمها.

قال: «يُسمُّونَهَا بغير اسمها»؛ يعني: يتخذون الخمر من الذرة والعسل وغيرها، ويقولون: هذا بِتْعٌ، وهو الخمرُ المُتَّخَذُ من العسل، وهذا جِعَةٌ، وهي من الشعير، وهذا مِزْرٌ، وهو من الذرة، وغير ذلك، ويعتقدون حِلَّ هذه الأشربة، ويقولون: ليست بخمر؛ لأن الخمر ما يُتخذ من العنب.

وهذا باطل؛ لأن الخمر ما خَامَرَ العقل؛ أي: سَتَرَهُ سواء كان من العنب وغيره، والله أعلم.

□ □ □

(٢٥)
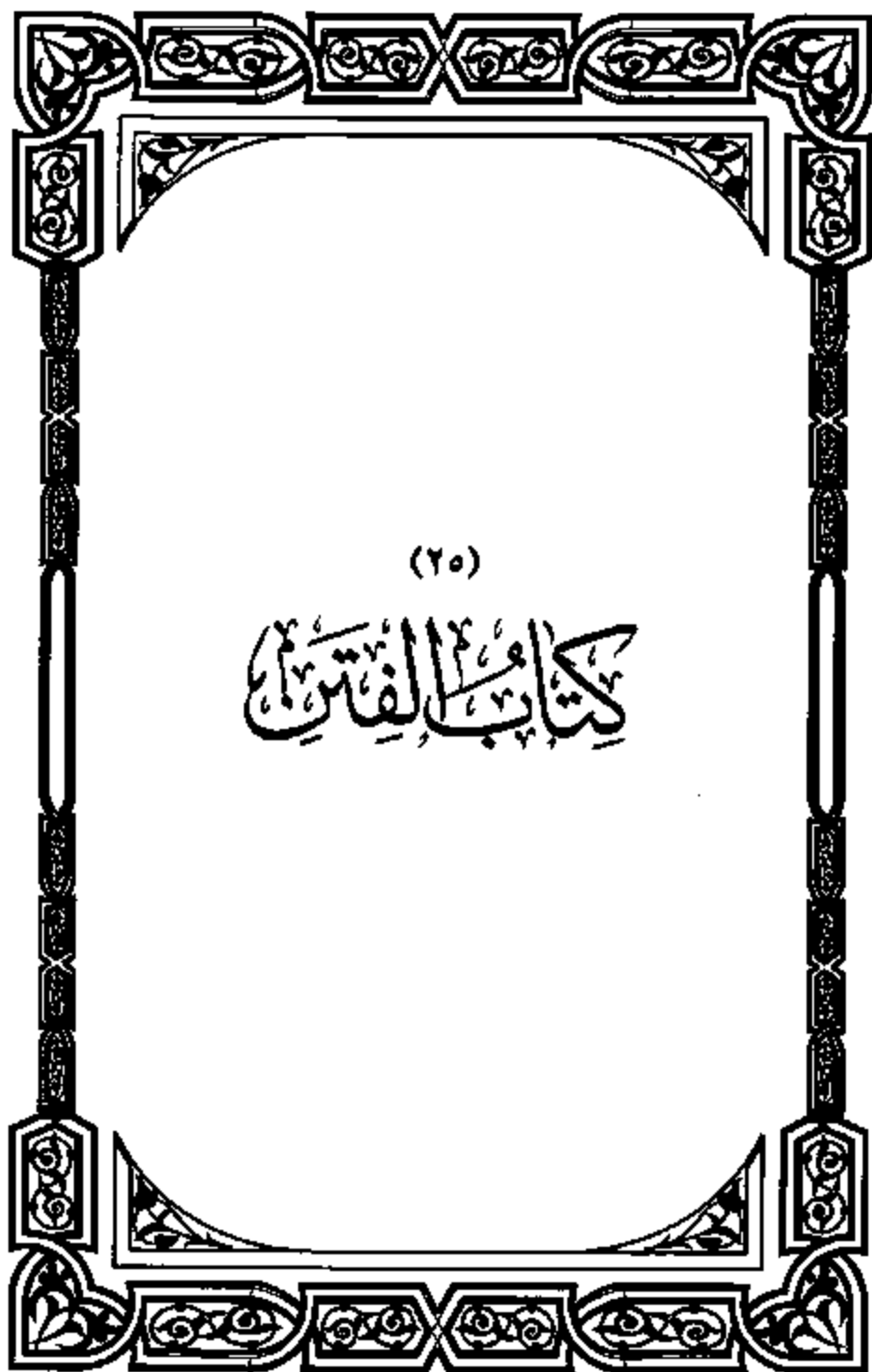
كِتَابُ الفِتَنِ

(كتاب الفتن)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٤١ ـ عن حُذَيْفَةَ قال: «قامَ فِينا رَسولُ الله ﷺ مَقاماً، ما تركَ شيئاً يكونُ في مَقامِهِ ذلكَ إلى قِيامِ السَّاعةِ إلاَّ حدَّثَ بهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قدْ عَلِمَهُ أصحابي هؤلاءِ، وإنَّهُ لَيكونُ منهُ الشَّيءُ قدْ نسيتُهُ، فأراهُ فأذكُرُه كما يَذكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذا غابَ عنهُ، ثُمَّ إذا رآهُ عَرَفَهُ».

قوله: «قام فينا رسول الله ﷺ مَقاماً»؛ يعني: خطبنا ووعظنا وأخبرنا بما يظهرُ من الفِتنِ من ذلك الوقت إلى يومِ القيامة.

* * *

٤١٤٢ ـ وعن حُذَيْفَةَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ كالحَصيرِ عُوْداً عُوْداً، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنكرَها نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ بَيضاءُ، حتَّى تَصيرَ على قلبَيْنِ: أبيضَ مِثلِ الصَّفا، فلا تَضُرُّهُ فِتنةٌ ما دامَتِ السَّماواتُ والأرضُ، والآخرُ أسودُ مُرْبادًّا كالكُوزِ، مُجَخِّياً لا يَعرِفُ مَعروفاً، ولا يُنكِرُ مُنكراً، إلاَّ ما أُشْرِبَ مِنْ هَواه».

قوله: «تُعرَضُ الفتن كالحصير عوداً عوداً»، (عوداً): مفعولُ فعل

محذوف؛ أي: تُنسج عوداً فعوداً؛ أي: عُودٌ بعدَ عودٍ حتى يصير حصيراً.

يعني: كما أن الحصير يجتمع من عودات واحداً واحداً، فكذلك الفتن تظهرُ في القلوب واحدةً بعد واحدة، حتى تَسْتُرَ الفتنُ جميعَ القلوب وتسوِّدها؛ لأنه يظهر من كل فتنة في القلب نكتة سوداء، فإذا اجتمعت نكت كثيرة في القلب فصار القلب مستوراً بالنكَت، فحينئذ لا يعرف الخير من الشر؛ لانعدام نور القلب، وأراد بـ (الفتن): الاعتقادات الفاسدة.

«أُشرِبَها»: هذا ماضٍ مجهول، يقال: شربَ زيدٌ الماءَ، وأَشْرَبَ زيدٌ عَمراً الماءَ؛ أي: سقى زيدٌ عَمراً الماء، ثم يستعمل (أُشرِبَ) بمعنى خلط؛ لأن الماء يختلط بالشارب.

قوله: «فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها»؛ أي: فأيُّ قلبٍ خلط فيه الفتن ودخلَتْهُ الفتن.

«نكتت فيه»؛ أي: أثَّرتْ فيه، ونُقِشَتْ فيه (نكتة)؛ أي: نقطة سوداء.

«وأيُّ قلبٍ أنكرها»، يعني: أيُّ قلبٍ امتنع عن قَبولِ تلك الفتن ظهر فيه النور.

«حتى تصير على قلبين»: الضمير في (تصير) ضمير القلوب؛ يعني: حتى تصيرَ قلوبُ أهلِ ذلك العصر على نوعين:

أحدهما: «أبيض مثل الصَّفا» وهو الحجر الأبيضُ شديد البياض، «فلا تضرُّهُ فتنة»؛ يعني: مِنْ حِفْظِهِ الله تعالى في ذلك الوقت عن الفتن، يُحْفَظُ بعدَ ذلك أيضاً عن الفتن إلى يوم القيامة.

والنوع الثاني: «أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ»، (المُرْبَادُّ): الطين المتغير المتن، الذي صار أسوداً من غاية تغيره وطول مكثه بمكان، ثم يستعمل المُرْبَادُّ في كل متغير، وفي الأسود الذي هو على غاية السَّواد؛ يعني: والآخر يصير أسود غاية السَّواد لا يعرف الخير، ولا يبصر الحق؛ لانعدام النور عنه، فيصير خالياً عن الخير.

«كالكُوز مُجَخِّياً»، (مُجَخِّيًا): منصوب على الحال، ومعناه: المائل والمنكوس؛ يعني: كما أن الكُوز إذا نُكِسَ لا يبقى فيه ماء، فكذلك هذا القلب لا يبقى فيه خير إلا ما أُشْرِبَ من هواه.

يعني: لا يُعرف هذا القلب إلا ما قَبِلَ مِنَ الاعتقادات الفاسدة، ومِنَ الشهوات النفسانية؛ يعني: يقبَلُ كلَّ شرٍّ.

* * *

٤١٤٣ ـ وقال حُذَيْفَةُ: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حَديثَيْنِ، رأَيتُ أَحَدَهُما، وأنا أَنتَظِرُ الآخرَ، حَدَّثَنا أنَّ الأمانةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلوبِ الرِّجالِ، ثمَّ عَلِموا مِنَ القُرآنِ، ثمَّ عَلِموا مِنَ السُّنَّةِ. وحَدَّثَنا عنْ رفعِها قال: «يَنامُ الرَّجُلُ النَّوْمةَ فَتُقْبَضُ الأَمانةُ مِنْ قلبِهِ، فيَظَلُّ أثرُها مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثمَّ يَنامُ النَّوْمةَ فتُقْبَضُ، فيَبقَى أثرُها مِثْلَ أثَرِ المَجْلِ كجَمْرٍ دَحْرَجتَهُ على رِجلِكَ فنَفِطَ، فتَراهُ مُنتَبِراً وليسَ فيهِ شيءٌ، ويُصْبحُ النَّاسُ يَتَبايَعونَ ولا يكادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأمانةَ، فيُقال: إنَّ في بني فُلانٍ رَجُلاً أميناً، ويُقالُ للرَّجُلِ: ما أَعْقَلَهُ، وما أَظْرَفَهُ، وما أَجْلَدَهُ، وما في قَلْبِهِ مِثقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ».

قوله: «رأيتُ أحدَهما» أراد بـ (أحدهما): نزول الأمانة، وهي الإيمان هاهنا، وأراد حذيفةُ بالحديث الثاني: ارتفاعَ الأمانة، وهي الإيمان ـ أيضاً ـ وانتقاصه؛ يعني: لم أرَ انتقاصَ الإيمان وارتفاعَه، بل سيكون في عصرٍ آخر لا في عصر الصحابة ﷺ.

«في جَذْرِ قلوب الرجال»، (الجَذْرُ): الأصل، فتلفظ بـ (الرجال)، وأراد الرجال والنساء جميعاً.

«ثم عَلِمُوا من القرآن»؛ يعني: وضعَ الله تعالى بفضلِهِ نورَ الإيمان في قلوب المسلمين، ثم علموا بنور الإيمان حقيقةَ الدين، وعلموا أحكامَ الشرع من

القرآن و«من السُّنَّة»، وهي الأحاديث النبوية.

«فتقبَضُ الأمانة»؛ أي: الإيمان، وأرادَ بقبضِ الأمانة هنا: قبضَ بعض الإيمان لا جميعه؛ يعني: ينتقص الإيمان.

«فيظلُّ أثرُها»؛ أي: فيصيرُ أثرُ الأمانة؛ أي: الإيمان.

«مثل أثَرِ الوَكْتِ»، (الوَكْتُ): نقطة بيضاء تظهرُ في سَوَادِ العين؛ يعني: يبقى أثر من الإيمان في قلوب بعض الناس، فيزول أكثره، فإذا كان كذلك تكون أعماله القبيحة أكثر من أعماله الصالحة.

«ثم ينامُ النَّوْمَة»؛ يعني: ثم يزولُ عن قلبه بعض ما بقي فيه من الإيمان.

«مثل أثر المَجْلِ»، (المَجْلُ): ظهورُ نقطةٍ كبيرة في الكَفّ من العمل؛ يعني: كما أنَّ المَجْلَ باطنُهُ مجوَّفٌ يراه الناس، ويحسبون أن في جَوْفِهِ شيئاً، ولم يكن فيه شيء، فكذلك هذا الرجل يحسبه الناس صالحاً، ولا يكون فيه من الصلاح والإيمان إلا قليل.

«كَجَمْرٍ دحرجْتَهُ على رِجْلِكَ» هذا صفة المَجْلِ.

(الجَمْرُ): خشبٌ محترقٌ قبل أنْ تُخمدَ ناره.

و(دحرجْتَهُ)؛ أي: رددْتَهُ.

يعني: كما أنك إذا وضعت رجلك على جمر فتحترق رجلك، ويظهر فيها نقطةٌ كبيرة مجوفةُ الباطن؛ يعني: ذاك الرجل الذي نقصَ إيمانُهُ مرةً بعد أخرى، يكون مثل مَجْلٍ، يشبه نقطة تظهر برِجْلِ مَنْ دَحْرَجَ جَمراً برجله.

«فَنَفِطَ»؛ أي: ظهر برجله نقطة؛ أي: بَثْرَةٌ مجوفة.

«مُنْتَبِراً»؛ أي: كبيراً مرتفعاً.

«يتبايعون»؛ أي: يجري بينهم البيع، ولا يحفظون الأمانة في المعاملات؛

لأن حفظَ الأمانة أثرُ كمَال الإيمان، فإذا نقص الإيمان نقصَتِ الأمانة، فيقال: «إن في بني فلان رجلاً أميناً»؛ يعني: لا يبقى مَنْ يحفظ الأمانة إلا قليلاً حتى يكون في كل ناحية واحد، ويُقال: «ما أعقله»، (ما) في هذه الكلمات الثلاث: (ما) التعجب؛ يعني: يمدحُ أهلُ ذلك الزمان الرجال بكثرة العقل والظرافة والجلادة، ولا يمدحونهم بكثرة الصَّلاح، والواو في: «وما في قلبه» واو الحال، و(ما) للنفي.

* * *

٤١٤٤ ـ وعن حُذَيفةَ قال: كانَ النَّاسُ يَسألونَ رسولَ الله ﷺ عنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أسألُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافةَ أنْ يُدرِكَني، فقُلْتُ: يا رسولَ الله! إنَّا كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ وشرٍّ، فجاءَنا الله بهذا الخَيْرِ، فهلْ بعدَ هذا الخيرِ مِنْ شرٍّ؟ قال: «نعمْ»، قلتُ: وهلْ بعدَ ذلكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قال: «نعمْ، وفيهِ دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قومٌ يَسْتَنُّونَ بغيرِ سُنَّتي، ويَهدونَ بغيرِ هَدْيي، تَعرِفُ منهمْ وتُنكِرُ». قلت: فهلْ بعدَ ذلكَ الخَيرِ منْ شرٍّ؟ قال: «نعمْ، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أجابَهُمْ إليها قَذَفوهُ فيها». قلتُ: يا رسولَ الله! صِفْهُمْ لنا. قال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا، ويتكلَّمونَ بألسِنَتِنا». قلتُ: فما تأمُرُني إنْ أدركَني ذلكَ؟ قال: «تَلْزَمُ جَماعَةَ المُسْلِمينَ وإمامَهُمْ». قلتُ: فإنْ لمْ يكُنْ لهُمْ جَماعَةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتَزِلْ تلكَ الفِرَقَ كلَّها، ولوْ أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ حتَّى يُدرِكَكَ المَوْتُ وأنتَ على ذلكَ».

وفي رِوايةٍ: «تكونُ بعدِي أئِمَّةٌ لا يَهتَدونَ بهُدايَ ولا يَستَنُّونَ بسُنَّتي، وسيقومُ فيهِمْ رِجالٌ قُلُوبُهُمْ كقلوبِ الشَّياطينِ في جُثمانِ إنسٍ». قالَ حُذَيفةُ، قلتُ: كيفَ أَصْنَعُ يا رسولَ الله إنْ أدركْتُ ذلكَ؟ قال: «تَسْمَعُ وتُطيعُ الأميرَ، وإن ضُرِبَ ظَهْرُكَ وأُخِذَ مالُكَ».

قوله: «فهل بعد هذا الخير من شر»؛ يعني: هل يجيء بعد الإسلام الكفر والضلالة والبدع والفتن.

«وهل بعد ذلك الشر من خير»؛ يعني: وهل تزول الفتن والبدع، ويجيء بعدها العدل والصلاح؟.

«وفيه دَخَنٌ» بفتح الدال والخاء؛ أي: كُدُوْرَةٌ؛ أي: لا تكون الاعتقادات الصحيحة والأعمال الصالحة وعدل الملوك في ذلك الوقت خالصة، بل يخالطُهَا المكروهات.

«قومٌ يستنُّونَ بغير سنتي»؛ يعني: يكون في ذلك الوقت قوم يعتقدون اعتقادات، ويعملون أعمالاً غير ما أنا عليه.

«ويَهدون بغير هَدْيِي»؛ أي: ويتخذون سِيَرَاً غير سيرتي، والسِّيرة: الطريقة التي عليها الرجل من الفعل والقول.

«تَعرِفُ منهم وتُنكِرُ»؛ أي: ترى فيهم ما تعرفُه أنه من ديني، وترى فيهم أيضاً ما تنكِرُ كونَهُ من ديني؛ يعني: ترى فيهم السُّنة والخيرَ والشرَّ.

«فهل بعد ذلك الخيرِ من شر»؛ يعني: هل يضعف الإسلام بعد ذلك ويقوى أهل الشر؟

«قال: نعم دعاةٌ على أبوابِ جهنم»، (دُعَاة): جمع الداعي؛ يعني: يظهر بعد ذلك جماعة من أهل البدعة والضلالة، يدعون الناس من الخير إلى الشر، ومن السُّنة إلى البدعة.

«مَنْ أجابَهُمْ»: فكأنما قذفوهُ في نارِ جهنَّمَ.

«قال: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا»؛ يعني: هم بشرٌ مثلنا.

«ويتكلمون بألسنتنا»؛ أي: بلغتنا؛ يعني: لا نقدرُ أن نعرفَهُم بصورِهِمْ بل بِسِيَرِهِمْ.

قوله: «في جُثْمَانِ إنْسٍ»، و(الجُثمان): الشخص.

«تسمعُ وتطيعُ»؛ يعني: طريق النجاة في ذلك الوقت: أن تسمعَ ما يأمرُكَ الأميرُ، وتطيعُه ولا تعصيه، إلا إذا أمرك بمعصية، فإنك حينئذ لا تطيعه، ولكن لا تقاتله، بل فرَّ منه.

* * *

٤١٤٥ - وقالَ رسولُ الله ﷺ: «بادِرُوا بالأعْمالِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مُؤمِناً ويُمْسي كافِراً، ويُمْسي مُؤْمِناً ويُصْبحُ كافِراً، يبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا».

قوله: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل»، (بادروا)؛ أي: أسرعوا وسابقوا، (القِطَع): جمع قِطْعَةٍ، وهي بعض الشيء؛ يعني: ستأتي فتنٌ شديدة كالليل المظلم لا يعرفُ أحدٌ سببَهَا، ولا يُعْرَفُ طريقُ الخلاص منها، فتعجَّلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيئها، فإنكم لا تطيقون الأعمال الصالحة إذا أتتكم الفتن.

«يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً»؛ يعني: يكفرُ كثيرٌ من المسلمين بالله في تلك الفتن، والفتن التي يكفر المسلم فيها تحتمل احتمالات:

أحدها: أن تكون بين طائفتين مسلمَتَيْن حربٌ، فتستحلُّ كلُّ واحدةٍ من الطائفتين مالَ الأخرى ودمَها بالتعصب والغضب، فيكفرون باستحلالهم أموالَ المسلمين ودمائَهم.

والاحتمال الثاني: أن يغلب الكفارُ على بلاد المسلمين، ويكون ملوكُ بلادهم كفاراً، فيأمرون الرعيَّة بالارتداد عن الإسلام إلى الكفر، وربما يرتدُّ المسلمُ لطلبِ جَاهٍ ومَالٍ منهم من غير أن يطلبوا منه الكفر.

والاحتمال الثالث: أن يكونَ ملوكُ بلاد المسلمين مسلمين، ولكن يغلبُ عليهم الظلمُ والفسقُ، فيريقونَ دماءَ المسلمين، ويأخذون أموالهم بغير حق، ويزنون، ويشربون الخمر، ويلبسون الحرير، ويعتقد بعضُ الناس أنهم على الحق، ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات، وربما يغضبُ الملكُ على أحد من الرعيَّةِ، ويأمر الناس بقتله، أو بأخذ ماله، فيعتقدُ بعض الناس كَوْنَ أمره حقاً، وربما يأمر بصلبِ السَّارق، فيعتقد الناسُ جوازَهُ، فيكفرون به، لأن حدَّ السَّارقِ القَطْعُ لا الصَّلب.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٤٦ ـ وقال: «ستكونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشي، والماشي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعي، مَنْ تَشرَّفَ لها تَسْتَشرِفْهُ، فمَنْ وَجَدَ مَلْجأً أو مَعاذاً فلْيَعُذْ بِهِ».

وفي رِوايةٍ: «النَّائِمُ فيها خيرٌ مِنَ اليَقْظانِ، واليَقْظانُ خيرٌ مِنَ القائِمِ».

قوله: «ستكون فتن القاعدُ فيها خيرٌ من القائم»: وإنما كان القاعد فيها خيراً من القائم؛ لأن القائمَ أقربُ إلى تلك الفتن من القاعد؛ لأنه يرى ويسمع، ما لا يراه ويسمعه القاعد، وكذلك القائم بمكانه خيرٌ من الماشي إلى الفتن.

«من تَشرَّفَ لها تَسْتَشرِفْهُ»، (تَشرَّفَ واسْتَشْرَفَ): إذا صعد مكاناً شَرَفاً؛ أي: مرتفعاً؛ لينظر إلى شيء، هذا هو الأصل، ثم يستعمل (التَّشرُّفُ والاستِشْرافُ) في النظر إلى شيء في أيِّ مكانٍ كان؛ يعني: مَنْ قَرُبَ من تلك الفتن، ونظرَ إليها، نظرتْ إليه الفتنُ؛ يعني: مَنْ قَرُبَ منها تَجره إلى نفسها؛ يعني: الخلاص في التباعد منها، والهلاك في مقاربتها.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٤٦/ م ـ وفي رواية: «فإذا وَقَعَتْ فمَنْ كانَ له إبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بإبِلِهِ، ومَنْ كانَتْ لهُ غَنَمٌ فليلْحَقْ بغَنَمِهِ، ومَنْ كانَتْ لهُ أرضٌ فليلْحَقْ بأرضِهِ». فقالَ رَجُلٌ: يا رسُولَ الله! أرأيتَ مَنْ لمْ تكُنْ لهُ إبِلٌ ولا غَنَمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «يعمِدُ إلى سيفِهِ فيدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بحَجَرٍ، ثمَّ لِيَنْجُ إن استطاعَ النَّجاءَ، اللهمَّ هلْ بلَّغتُ؟» ثلاثاً. فقال رَجُلٌ: يا رسُولَ الله! أرأيتَ إنْ أُكْرِهْتُ حتَّى يُنْطَلَقَ بي إلى أحَدِ الصَّفَّيْنِ فضربَني رَجُلٌ بسيفِهِ، أوْ يَجيءُ سَهْمٌ فيقتُلُني؟ قال: «يبوءُ بإثمه وإثمِك ويكونُ مِنْ أصْحابِ النَّارِ».

قوله: «فمَنْ كان له إبلٌ فليلحق بإبله»؛ يعني: فليطْرِدْ إبلَه، وليبعدْ من تلك الفتنِ إلى موضع بعيد.

«فيدق على حده بحجر»؛ يعني: فليكسرْ سلاحَه كي لا يذهب به إلى الحرب، وإنما أمر النبي ﷺ بكسر السلاح؛ لأن تلك الفتن تكون الحرب بين المسلمين، ولا يجوز حضور تلك الحرب.

«ثم لينج»؛ أي: ثم لِيسرعْ في الفرار عن تلك الفتن، (النَّجا): الإسراع.

«يبوءُ بإثمِهِ وإثمِكَ»: (يبوء)؛ أي: يرجع؛ يعني: يكون لمَنْ أكرهَكَ إثمُ نفسِه وإثمُكَ.

روى هذا الحديث أبو بكرة.

* * *

٤١٤٧ ـ وقال: «يُوشِكُ أنْ يكونَ خَيْرَ مالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

قوله: «يوشِك» ... إلى آخره، أي: سوف تكون المواشي أفضل مال الرجل بسبب أن يذهب مع مواشيه إلى الصحاري والجبال ليرعَاها، ويكون معها مقيماً هناك، ويخلص بسبب إقامته هناك عن الفتن، ومحاربته المسلمين؛ لأن المحاربة حينئذ تكون بين المسلمين.

«شَعَفَ الجبالِ»؛ أي: رؤوسها، واحدها: (شَعَفَة).

«ومواقعَ القَطْرِ»، (المَوَاقع): جمع مَوْقِع، وهو موضع الوقوع.

و(القَطْرِ): المطر؛ أي: المواضعُ التي ينزل فيها المطر، يريد بها الصحاري والجبال.

روى هذا الحديث أبو سعيد.

* * *

٤١٤٨ ـ عن أُسامَةَ قال: أَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ على أُطُمٍ مِنْ آطامِ المَدينةِ فقال: «هل تَرَوْنَ ما أَرَى؟» قالوا: لا، قال: «فإنِّي لأَرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيوتِكُمْ كوَقْعِ المَطَرِ».

قوله: «أَشْرَفَ النبيُّ ﷺ»؛ أي: طَلَعَ ونَظَرَ.

(الأُطُمُ): الأَكَمَةُ، (الخِلال): الوسَط؛ يعني: أرى الله تعالى نبيَّه ﷺ حين صعدَ ذلك الموضع اقترابَ الفتن؛ ليخبرَ بها أمته؛ ليكونوا على حذر منها.

* * *

٤١٤٩ ـ وقال: «هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَيْ غِلْمَةٍ مِن قُرَيْشٍ».

قوله: «هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَيْ غِلْمَةٍ مِن قُريشٍ»، (الغِلْمَةُ): جمع غُلام، والمراد بـ (الغِلمَة): الشبان، لعله ﷺ يريد بأولئك الغِلمَة: الخلفاءُ الذين كانوا

بعد الخلفاء الراشدين ﷺ مثل يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهم، فإنه قد لحقَ المسلمين من أولئك الخلفاء قتل وظلم.

روى هذا الحديث أبو هريرة ﷺ.

* * *

٤١٥٠ ـ وقال: «يتقارَبُ الزَّمَانُ، ويُقبَضُ العِلمُ، وتظهَرُ الفِتَنُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، ويكثرُ الهَرْجُ». قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: «القتلُ».

قوله: «يتقاربُ الزمان»: قال الخطابي: معناه: قصرُ زمان الأعمال[1]، وقلةُ البركة في الأعمار، وقيل: هو دُنُوُّ الساعة، وقيل: هو قصر مدة الأيام والليالي على ما رُوي: أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السَّعَفَة، والسَّعَفَةُ: ورق النخل.

«ويُلْقَى الشُّحُّ»؛ أي: يُلقى البخلُ في القلوب حتى يحبوا المال، ولا يؤدوا الزكاة والكفارات والنذور.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٥١ ـ وقال: «والذِي نَفْسِي بيدِه، لا تَذْهَبُ الدُّنْيا حتَّى يأتِيَ عَلَى النَّاسِ يومٌ لا يَدْرِي القاتِلُ فيمَ قتلَ، ولا المَقْتُولُ فيمَ قُتِلَ». فقيلَ: كيفَ يكونُ ذلكَ؟ قال: «الهَرْجُ، القاتِلُ والمَقتولُ في النَّارِ».

قوله: «الهَرْجُ» يعني: تكون حرب بين طائفتين من المسلمين للعصبية

---

(١) في «م»: «الأعمار».

وطلب الجاه يقتل بعضهم بعضاً.

«القاتل والمقتول في النار»؛ أما القاتل: فلأنه يقتل المسلمين ظلماً، وأما المقتول: فلأنه كان حَريصاً على قتل المسلمين أيضاً، هكذا جاء تفسير هذا الحديث عن النبي ﷺ في حديث آخر.

روى هذا الحديث أبو هريرة ﷺ.

* * *

٤١٥٢ ـ وقال: «العِبادةُ في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ».

قوله: «العبادة في الهَرْجِ كهجرة إليَّ»؛ يعني: ثواب عبادة في زمان الفتن والمحاربة بين المسلمين كثواب هِجْرَةٍ من مكة إلى المدينة في زمانه ﷺ قبل فتح مكة.

روى هذا الحديث معقل بن يسار ﷺ.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٥٤ ـ عن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: والله ما أَدْري أَنَسِيَ أَصْحابي أَوْ تَناسَوْا؟ والله ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ مِنْ قائِدِ فِتْنَةٍ إلى أَنْ تَنقضيَ الدُّنْيا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثلاثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً إلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لنا باسمِهِ واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلَتِهِ.

قوله: «قائد فِتْنَةٍ»: أراد بـ (قائد الفتنة): مَنْ تَحْدُثُ بسببه بِدعةٌ أو ضلالةٌ أو محاربةٌ كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة، أو أمير جَائر يحارب المسلمين.

«يبلغُ مَنْ معه»؛ يعني: يَتْبَعُهُ.

«ثلاث مئة» إنسان **«فصاعداً»**؛ أي: زائداً.

* * *

٤١٥٥ ـ وقال: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وإذا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنهمْ إلى يَوْمِ القِيامةِ».

قوله: «إنما أخافُ على أُمَّتي الأئمَّة المضلِّين»، (الأئِمَّة): جمع الإمام، وهو رأسُ القوم، ومن يدعوهم إلى فعل أو قول أو اعتقاد؛ يعني: أخاف أن يحدث بين أمتي المبتدعون، فيدعونهم إلى البدعة والضلالة.

«فإذا وُضِعَ السَّيفُ في أمتي لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة»؛ يعني: إذا ظهرت الحربُ بين أمتي، تبقى الحرب بينهم إلى يوم القيامة، إن لم يكن في بلد يكن في بلد آخر.

روى هذا الحديث ثوبان ﷺ.

* * *

٤١٥٦ ـ عن سَفِينةَ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «الخِلافَةُ ثلاثونَ سنةً ثمَّ تكونُ مُلْكاً». ثُمَّ يقولُ سَفِينةُ: أَمْسِكْ، خِلافَةُ أبي بكرٍ سَنَتين، وخِلافَةُ عُمرَ عَشراً، وخِلافةُ عُثمانَ اثنَتيْ عَشْرَةَ، وعليٍّ سِتًّا».

قوله: «الخلافة ثلاثون سنة ثم ملكاً»؛ يعني: الخلافةُ المرضية لله تعالى ولرسوله ﷺ تكون ثلاثين سنة، وهو زمن خلافة الخلفاء الراشدين المهديين، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ، ثم بعد ذلك لا يكون الخلفاء متبعين بالنبي ﷺ، بل يظلمون الناس، ويخلطون الشرَّ بالخير.

* * *

٤١٥٧ ـ وعن حُذَيْفَةَ قال: قلتُ: يا رسُولَ الله! أيكونُ بعدَ هذا الخَيْرِ شَرٌّ كما كانَ قبلَهُ شرٌّ؟ قال: «نعم». قلتُ: فما العِصْمَةُ؟ قال: «السَّيفُ». قلتُ: وهَلْ بعدَ السَّيفِ بقيَّةٌ؟ قال: «نعم، تكونُ إمارَةٌ على أَقْذاءٍ وهُدْنَةٌ على

دَخَنٍ». قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ تَنْشأُ دُعاةُ الضَّلالِ، فإنْ كانَ للهِ في الأرْضِ خَليفةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ وأَخَذَ مالَكَ فأَطِعْهُ، وإلا فَمُتْ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلِ شَجَرةٍ». قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بعدَ ذلكَ، معَهُ نَهَرٌ ونارٌ، فمَنْ وَقَعَ في نارِهِ وجَبَ أَجْرُهُ وحُطَّ وِزْرُهُ، ومَنْ وقعَ في نَهَرِهِ وجَبَ وِزْرُهُ وحُطَّ أجرُهُ». قالَ: قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يُنْتَجُ المُهْرُ فلا يُركَبُ حتَّى تقُومَ السَّاعةُ».

وفي رِوايةٍ: «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ، وجَماعةٌ على أقذاءٍ». قلتُ: يا رسولَ اللهِ! الهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ ما هيَ؟ قال: «لا تَرْجِعُ قلوبُ أقوامٍ على الذي كانتْ عليهِ». قلتُ: بعدَ هذا الخَيْرِ شرٌّ؟ قال: «فِتْنَةٌ عَمْياءُ صَمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبوابِ النَّارِ، فإنْ مِتَّ يا حُذَيْفَةُ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلٍ خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تَتَّبِعَ أَحَداً منهُمْ».

قوله: «أيكون بعد هذا الخير شر»: هذا الحديث معناه مثل الحديث الرابع من (كتاب الفتن)، وقد ذكرناه.

قوله: «فما العِصْمَةُ؟»؛ يعني: فما طريق النجاة من ذلك الشر؟

قال ﷺ:

«السَّيفُ»؛ يعني: طريقُ النجاة أن تضربَهم بسيفِكَ.

قال قتادة: المراد بهذه الطائفة: هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ في زمن خلافة أبي بكرٍ الصديق.

«وهل بعد السَّيف بقية؟»؛ يعني: إذا ضربناهم بالسيف فهل يبقى الإسلام بعد محاربتنا إياهم، وهل يصلح أهل ذلك الزمان بعد ذلك؟

فقال ﷺ: «نعم تكونُ إمارةٌ على أقْذاءَ، وهُدْنَةٌ على دَخَنٍ»، (الأقْذَاء): جمع القَذَى، و(القَذَى): جمع القَذَاة، وهي ما يقع في العين من التِّبن والتراب،

(الهُدْنَةُ) بضم الهاء: الصلح، (الدَّخَن): الكُدُورَةُ واللون الذي يَضرب إلى السَّواد.

يعني: يكون في أهل ذلك الزمان أميرٌ بينه وبينهم صلحٌ غير خالص، بل يظهرون الصلح ويبطنون العداوةَ والبغضَ، كما أن العين التي تقع فيها القذاة ظاهرها صحيح، وباطنها سقيم.

«تنشأ»؛ أي: تظهر.

«وأنت عاضٌّ على جِذْلِ شجرة»، (الجِذْلُ): الجِذْعُ؛ يعني: لا تخالطهم، بل فرَّ منهم، ولازم موضعاً بعيداً تحت شجرة.

«فمن وقع في ناره»؛ يعني: فمَنْ خالَفَهُ حتى يلقيه في ناره.

«فلا يُركِب»: بضم الياء وكسر الكاف، وهو مضارع (أَرْكَبَ): إذا بلغَ المُهْرُ وقتَ الرُّكوب؛ يعني: يكون مجيء القيامة قريباً.

«لا ترجعُ قلوبُ قومٍ على الذي كانت عليه»؛ يعني: لا تكون قلوبهم صافيةً من الحقد والبغض، كما كانت صافية قبل ذلك.

«فتنةٌ صماءُ صَمَّاءُ»؛ يعني: فتنةٌ شديدة، لا يكون قتال أهل ذلك الزمان عن بصيرة، بل كما أن الأعمى لا يدري أين يذهب، فكذلك أولئك الجماعة لا يدرون بأي سبب يقاتلون، وهذا مثل قوله ﷺ: «لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيما قُتل».

وسُميت (صَمَّاء)؛ لأنها شديدة، يقال: (صخرة صَمَّاء)؛ أي: شديدة، ويحتمل أن يكون (الصَّمَّاء)؛ لكون أهل تلك الفتنة صُماً؛ أي: لا يسمعون الحق والنصيحة، بل يحاربون عن الجهل والعداوة، ولصيرورة أهلها كالأصم من كثرة أصواتهم، ووَقْعِ السلاح والضرب.

* * *

٤١٥٨ ـ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: كنتُ رَديفاً خَلْفَ رسولِ الله ﷺ يوْماً على حِمارٍ، فلمَّا جاوَزْنا بُيوتَ المَدينةِ قال: «كيفَ بكَ يا أبا ذَرٍّ إذا كانَ في المدينةِ جُوعٌ تقومُ عنْ فِراشِكَ فلا تبلُغُ مَسْجِدَكَ حتَّى يُجْهِدَكَ الجُوعُ؟» قالَ: قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قالَ: «تعفَّفْ يا أبا ذرٍّ»، ثمَّ قالَ: «كيفَ بكَ يا أبا ذرٍّ إذا كانَ بالمَدينةِ مَوْتٌ يبلُغُ البَيْتُ العبدَ حتَّى أنَّهُ يُباعُ القَبْرُ بالعبدِ؟» قالَ: قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: «تصَبَّرْ يا أبا ذرٍّ»، قالَ: «كيفَ بكَ يا أبا ذرٍّ إذا كانَ بالمَدينةِ قَتْلٌ تَغْمُرُ الدِّماءُ أَحْجارَ الزَّيْتِ؟» قال: قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: «تأتي مَنْ أنتَ منهُ» قالَ: قلتُ: وألبَسُ السِّلاحَ؟ قال: «شارَكْتَ القَوْمَ إذاً» قُلتُ: فكيفَ أَصْنَعُ يا رسولَ الله؟ قال: «إنْ خَشِيْتَ أنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فألْقِ ناحِيَةَ ثوبِكَ عَلَى وَجْهِكَ لِيَبُوءَ بإثْمِكَ وإثْمِهِ».

قوله: «يُجْهِدكَ الجُوعُ»، (الجَهْد): الإيذاء؛ يعني: يظهر قحطٌ، وتزول قوتُكَ، بحيث لا تقدر أن تمشيَ من البيت إلى المسجد من غاية الجوع.

«تعفَّفْ»؛ يعني: لازم العِفَّةَ، وهي الصلاح؛ يعني: اصبر على الجوع، ولا تأكل حراماً ولا شبهة.

«يبلُغُ البيتُ العَبدَ»؛ يعني: يُباع بيتٌ بعبدٍ؛ يعني: يكونُ البيت رخيصاً من غاية قِلَّةِ الناس بالموت، ويحتمل أن يريد بالبيت هنا: القبر، فيكون ما بعده تفسيراً له؛ يعني: لا يحفر الحفار قبراً حتى يأخذَ عبداً بالأجرة، أو لا يجد أحدٌ موضعَ قبرٍ إلا بعبد يعطيه في ثمنِ موضع قبر من كثرة الموتى.

«تَصَبَّرْ»؛ أي: اصبر؛ يعني: اصبر بالبلاء ولا تجزع، تُصِبِ الأجْرَ.

«تغمُرُ الدِّماء أحجارَ الزَّيتِ»، (الغَمْرُ): الستر. (أحجارَ الزَّيتِ): اسم موضع بالمدينة؛ يعني: تكثرُ دماء القتلى حتى تغمرَ الدماء أحجار الزَّيت. «تأتي مَنْ أنت منه»؛ يعني: خيرك في أن تأتي مَنْ كان على الحق.

«شاركْتَ القومَ»؛ يعني: لو لبستَ السلاح، فكنتَ منهم في الإثم.

«إن خشيتَ أن يَبْهَرَكَ شعاعُ السَّيف»، (البهر): الغَلَبَةُ.

يعني: لا تحاربهم فإن جاءك أحدٌ يحاربك فلا تحاربه، بل استسلم نفسك للقتل حتى يحصل له إثمُ قتلك، والاستسلام إنما يكون إذا لم يمكنه الفرار، وإنما نهاه عن المحاربة؛ لأن أهل تلك الحرب كلهم مسلمون.

وقيل: حارب يزيدُ بن معاوية أهل المدينة في أحجار الزيت.

* * *

٤١٥٩ ـ وعن عبدالله بن عَمْرٍو بن العاصِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كيفَ بِكَ إذا بَقيتَ في حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأماناتُهُمْ، واخْتَلَفُوا فكانُوا هكذا؟» وشَبَّكَ بينَ أَصَابعِهِ، قال: فبِـمَ تأمُرُني؟ قال: «عليكَ بِما تعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعَلَيكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وعَوَامَّهُمْ».

وفي روايةٍ: «الزَمْ بيْتَكَ، واملِكْ عَليكَ، لسانَكَ، وخُذْ ما تَعْرِفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليكَ بأمرِ خاصَّةِ نفسِكَ، ودَعْ أمْرَ العَامَّةِ»، صحيح.

قوله: «كيفَ بكَ»؛ أي: كيف يكونُ حالُكَ إذا أتى عليك زمان يكون أهلها بلا خير.

(الحُثَالَة): الرديء من كل شيء، و(الحُفَالَة) مثلها.

«مَرِجَتْ عهودُهُمْ»؛ أي: اختلطت عهودُهُمْ؛ يعني: لا يكون أمرهم مستقيماً، بل يكون كل يوم أو كل لحظة على طبع، وعلى عهد ينقضون العهد ويعصون ربهم.

«عليك بما تعرِفُ»؛ أي: الزم وافعل ما تعرفُ كونه حقاً، واترك ما تنكر أنه حق.

«وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامَّهم»؛ يعني: الزم أمر نفسك، واحفظ نفسك ودينك، واترك الناس ولا تتبعهم، وهذا منه ﷺ رخصة في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذا كَثُرَ الأشرار، وضعف الأخيار، ولم يقدر الأخيار على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

«املِكْ عليكَ لسانَك»، (الإملاك): الشدُّ والإحكام؛ يعني: اشدد لسانك، ولا تتكلم في أحوال الناس كي لا يؤذوك.

* * *

٤١٦٠ ـ عن أبي مُوسى، عن النَّبـيِّ ﷺ: أنَّه قال: «إنَّ بينَ يَدَي السَّاعةِ فِتَناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ، يُصْبِـحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِناً ويُمسي كافِراً، ويُمْـسِي مُؤْمِناً ويُصْبِـحُ كافِراً، القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والماشي خيرٌ مِنَ السَّاعي، فكسِّرُوا فيها قِسِيَّكُمْ، وقطِّعُوا فيها أوْتارَكُمْ واضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بالحِجَارَةِ، والزَمُوا فيها أَجْوافَ بُيوتِكُمْ، فإنْ دُخِلَ على أَحَدٍ منكُمْ فَلْيَكُنْ كخَيْرِ ابنيْ آدمَ»، صحيح.

ويُروَى: أنَّهم قالوا: فَما تأْمُرُنا؟ قال: «كونوا أَحْلاسَ بُيُوتِكُمْ».

قوله: «كَقِطَعِ الليل المظلمِ»، (القِطَعُ): جمع قطعة، وهي طائفة من الشيء، والمراد به هاهنا: بعض من الليل؛ يعني: تكون فتنة لا يكون فيها ضياء وخلاص لأهلها، ولا يُعرف المحق من المبطل.

«فكسِّروا فيها قِسِيَّكم» يريد بهذا الكلام: النهي عن المحاربة؛ لأن أهل تلك الحرب كلهم مسلمون.

«الأوتار»: جمع الوتر: القوس.

«فليكنْ كخيرِ ابني آدمَ»؛ يعني: فليستسلم حتى يكون مقتولاً كهابيل، ولا يكن قاتلاً كقابيل.

«كونوا أحلاسَ بيوتكم»، (الأَحْلاس): جمع حِلْسٍ، وهو نوع من الكساء؛ يعني: الزموا أجوافَ بيوتكم، ولا تخرجوا منها؛ كي لا تقعوا في الفتنة.

* * *

٤١٦١ ـ وعن أُمِّ مالكٍ البَهْزِيَّةِ قالت: ذكَرَ رسُولُ الله ﷺ فِتنةً فقرَّبَها، قلتُ: مَنْ خيرُ النَّاسِ فيها؟ قال: «رَجُلٌ في ماشِيَتِهِ يُؤدِّي حَقَّها ويَعبُدُ ربَّهُ، ورَجُلٌ آخِذٌ برأْسِ فَرَسِهِ يُخِيفُ العَدُوَّ ويُخوِّفُونَه».

قوله: «رجلٌ في ماشِيَتِهِ»؛ يعني: رجلٌ هَرَبَ من الفتنةِ ومخالطةِ الناس إلى باديةٍ بعيدة، يرعى مواشيه، ويقيم معهم؛ كي لا يقع في الفتنة.

«ورجلٌ آخذَ برأسِ فرسِهِ يُخيفُ العدوَّ ويخوِّفُونَهُ»: أراد بـ (العدو) هنا: الكفار لا المسلمين؛ يعني: ورجلٌ هربَ من الفتن وقتال المسلمين، وقصدَ الكفارَ يحاربُهم ويحاربُونه.

* * *

٤١٦٢ ـ عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتنةٌ تستنظِفُ العربَ قَتلاها في النَّارِ اللِّسـانُ فيها أشدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيفِ».

قوله: «تستنظِفُ العرب»، (الاستِنْظَاف): الاستيعاب؛ يعني: تصل تلك الفتنة إلى جميع العرب.

«قَتلاها في النار»، (القتلى): جمع قَتيل؛ بمعنى: مَقْتُول، وإنما كان قَتلى تلك الفتنة في النار؛ لأنهم كانوا مسلمين، ويحاربون للعصبية، يفرح كل أحد بقتل صاحبه، ويقصدُ قتلَه وأخذَ مالِه.

«اللِّسانُ فيها أشَدُّ من وَقْعِ السَّيف» يحتمل هذا احتمالين:

أحدهما: أنَّ مَنْ ذَكَرَ أهلَ تلك الحربِ بسوءٍ يكون آثماً كَمَنْ حارَبَهم؛ لأنهم مسلمين، وغيبة المسلم إثم، ولعل المراد بهذه الفتنة: الحربُ التي وقعت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبين معاوية ﷺ، فلا شكَّ أن مَنْ ذكر أحداً من هذين الصدرين وأصحابهما يكون مبتدعاً؛ لأن أصحابهما أكثرهم كانوا أصحابَ رسول الله ﷺ، وسبُّ أصحاب رسول الله ﷺ بدعة.

والاحتمال الثاني: أن المراد بهذا الكلام: أن مَنْ مَدَّ لسانَهُ فيهم بشتمٍ أو غيبةٍ، يقصدونه بالضربِ والقتلِ، ويفعلون به ما يفعلون بمَنْ حارَبَهم.

٤١٦٣ - وعن أبي هُريرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ستكونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ بَكْماءُ عَمْياءُ، مَنْ أَشْرَفَ لها استَشْرَفَتْ لهُ، وإشْرافُ اللِّسانِ فيها كوُقُوعِ السَّيفِ».

قوله: «ستكونُ فتنةٌ صمَّاء بكماءُ عَمياءُ»: ذكر شرح (الصماء والعمياء) في الحديث الرابع من الحِسَان، وأما (البَكْمَاء) فمعناها: أن أحداً لا يقدرُ على الأمر بالمعروف فيها، والنهي عن المنكر، فمن تكلم بحقٍ يؤذيه الناس.

«من أَشرَفَ لها»؛ أي: مَن اطَّلَعَ عليها وقَرُبَ منها.

«استشرفَتْ»؛ أي: اطَّلعت تلك الفتنةُ عليه، وجَرَّتْهُ إلى نفسها، و(**إشرافُ اللِّسانِ**)؛ أي: إطالة اللسان، معنى هذا مثلُ معنى قوله: «اللسانُ فيها أشدُّ مِنْ وَقْعِ السيف».

* * *

٤١٦٤ - عن عبدِالله بن عُمَرَ قال: كُنَّا قُعُوداً عندَ النَّبيِّ ﷺ فذَكَرَ الفِتَنَ، فأكْثَرَ حتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ، فقالَ قائِلٌ: وما فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قال: «هيَ هَرَبٌ وحَرْبٌ، ثمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُها مِنْ تحتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بيتي، يَزْعُمُ

أنَّهُ منِّي وليسَ منِّي، إنَّما أَوْليائي المُتَّقُونَ، ثمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ على رَجُلٍ كوَرِكٍ على ضِلَعٍ، ثمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْماءِ لا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هذهِ الأُمَّةِ إلا لطَمَتْهُ لَطْمةً، فإذا قِيلَ: انقضَتْ تمادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِناً ويُمْسِي كافِراً، حتَّى يَصيرَ النَّاسُ إلى فُسْطاطَيْنِ: فُسطاطِ إيْمانٍ لا نِفاقَ فيهِ، وفُسْطاطِ نِفاقٍ لا إيْمانَ فيهِ، فإذا كانَ ذلكُمْ فانتظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ».

قوله: «كُنَّا قُعوداً»؛ أي: كنا قاعدين.

«ذَكَرَ فِتنَةَ الأَحْلاسِ»: قال الخطابي: إنما أُضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامِها وطولِ لبثها، يقال للرجل إذا لزم بيته ولا يبرح منه: (هو حِلْسُ بيتِهِ)، ولأن الحِلْسَ مفترش، فيبقى على المكان ما دام لا يرفع، وقد يحتمل أن تكون هذه الفتنة إنما شُبِّهَتْ بالأحلاس؛ لسوادِ لونها وظلمتها.

«هي هَرَبٌ»؛ أي: فِرَارٌ، يفرُّ بعض الناس من بعض؛ لما بينهم من المحاربة، (الحرَب) بفتح الراء: أخذ المال.

و«فتنة السَّرَّاء»، (السَّرَّاء) بفتح السين: داءٌ يأخذ الناقة في سُرَّتها، يقال: (ناقة سَرَّاء)؛ أي: بها داء السَّرَر، فعلى هذا، معنى هذا الكلام: فتنةٌ الواقعةٌ في الناس التي تُوجِعُ صدورَ الناس من الحزنِ ولحوق الضرر بهم.

«دَخَنُها»؛ أي: دُخانُها؛ يعني: تظهر تلك الفتن بواسطة.

«رجلٌ من أهل بيتي، وليس من أهلي»: لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنة؛ يعني: هو في النسب من أهل بيتي، ولكنه في الفعل ليس مني.

«ثم يصطلح الناس على رجل كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ»، قال الخطابي: هذا مثلٌ، ومعناه: الأمر الذي لا يثبتُ ولا يستقيمُ، وذلك أن الضِلَع لا يقومُ بالوَرِكِ، ولا يحمله، وإنما يقال في باب الملازمة والموافقة إذا وصفوا: هو ككفٍ على ساعد، وكساعد في ذراع، ونحو ذلك.

يريد: أن هذا الرجل غيرٌ جديرٍ للملك، ولا مستقل به.

«ثم فتنة الدهيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطَمَتْه»، (الدهيماء): تصغير الدَّهْمَاءِ، وهي الداهية، وسميت بذلك؛ لإطلاقها. (اللَّطْمُ): الضربُ على الوجه ببطْنِ الكَفِّ؛ يعني بهذا الكلام: أن أثرَ تلكَ الفتنة يصل إلى كل واحد ممنْ حضرَ تلك الفتنة.

«حتى يصير الناسُ إلى فُسْطَاطين»، (الفُسْطَاط): الخيمة؛ يعني: يصير أهل ذلك الزمان فرقتين: مسلمٌ خالصٌ، وكافرٌ صِرْفٌ.

* * *

٤١٦٥ ـ عن أبي هُريرة ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقترَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يدَهُ».

قوله: «ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقتربَ» لعله يريد بهذا الشر: الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين في عهد أمير المؤمنين علي، ومعاوية ﷺ، وبين الحسين ﷺ، وبين يزيد.

«أفلحَ مَنْ كفَّ»؛ يعني: أفلحَ مَنْ حفظ يدَه عن القتال؛ لأن قتالَ المسلمين غير جائز.

* * *

٤١٦٦ ـ عن المِقْدادِ بن الأَسْوَدِ: أنَّه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ، ولَمَنْ ابتُلِيَ فَصَبَرَ فَواهاً».

قوله: «ولمن ابتُليَ فصَبَرَ فَواهاً»؛ يعني: مَنْ وقع في الفتنة فصبر على

ظلم الناس إياه، وتحمَّل أذاهم ولم يحاربهم.

(فواها)؛ أي: فَوَاهاً له؛ أي: فطوبى له.

* * *

٤١٦٨ - عن عبدالله بن مَسْعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «تدورُ رَحَى الإسلامِ لخَمْسٍ وثلاثينَ، أو سِتٍّ وثلاثينَ، أو سَبْعٍ وثلاثينَ، فإنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وإنْ يَقُمْ لهمْ دينُهُمْ يقُمْ لهمْ سبعينَ عاماً». قلتُ: أَمِمَّا بقيَ أوْ مِمَّا مَضَى؟ قال: «مِمَّا مَضَى»، صحيح.

قوله: «تدورُ رَحَا الإسلام...» إلى آخره.

قال الخطابي: (دَوَران الرَّحا): كناية عن الحرب والقتال، شبهها بالرحا الدوَّارة التي تطحنُ الحَبَّ؛ لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس، ويشبه أن يكون هذا ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس، وكان ما بين استقرار ملك بني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان، وضعف أمر بني أمية، ودخل الوَهْنِ فيه نحواً من سبعين سنة.

«لخمس وثلاثين، أو لست وثلاثين، أو لسبع وثلاثين» كلٌّ ذلك شكٌّ من الراوي أن رسول الله ﷺ قال: لخمس وثلاثين، أو قال: لست وثلاثين، أو قال: لسبع وثلاثين، واللام هنا بمعنى (في)؛ يعني: يحارب المسلمون المسلمين بعضهم بعضاً هذا القدر، وأولها أول محاربة علي ومعاوية ﷺ.

يعني: فإن هلك المسلمون في المحاربة في هذا القدر من الزمان، فقد هلكوا كما هلك كثير من الناس من الأمم الماضية، وإن لم يهلكوا في هذا القدر، بل بقوا وبقي دينهم بقي دينهم سبعين سنة.

يعني: بقيت خلافةُ من استقرت خلافته في هذا القتال إلى سبعين سنة،

وهم بنو أمية؛ لأنه انتقلَتْ الخلافة إلى بني أمية بعد وفاة أمير المؤمنين الحسين ابن علي ﷺ.

«قلت: أممَّا بقيَ أو ممَّا مَضَى؟»؛ يعني: قلت يتم لهم دينهم سبعين سنة بعد زمان الحرب الذي هو خمس وثلاثون أم يكون سبعين مع الخمسة والثلاثين؟

فقال ﷺ: «ممَّا مضى»؛ يعني: يكون سبعين مع الخمسة والثلاثين، لا بعد الخمسة والثلاثين، والله أعلم.

* * *

٢ ـ باب
المَلاحِمِ

(باب الملاحم)، (الملاحِم): جمع مَلْحَمَة، وهي الحرب.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٦٩ ـ عن أبي هُريرَةَ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتانِ عَظيمَتانِ، يكونُ بينَهُما مَقْتَلَةٌ عَظيمةٌ دَعْواهُما واحِدَةٌ، وحتَّى يُبعَثَ دجَّالونَ كَذَّابونَ قَريبٌ مِنْ ثلاثينَ، كلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رسولُ الله، وحتَّى يُقبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، ويتقارَبَ الزَّمانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ وهو القَتْلُ، وحتَّى يَكْثُرَ فيكُمُ المالُ فيَفيضَ حتَّى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وحتَّى يَعرِضَهُ فيقولُ الذي يَعرِضُهُ عليهِ: لا أَرَبَ لي بِهِ، وحتَّى يَتطاوَلَ النَّاسُ في البنيانِ، وحتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فيقولَ: يا ليتَني مَكانَهُ، وحتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فذلكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾، ولتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدْ

نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوبَهُما بينَهُما فلا يَتَبايَعانِهِ ولا يَطْوِيانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدِ انصَرَفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ حَوْضَهُ فلا يَسقِي فيهِ، ولَتَقومَنَّ السَّاعَةُ وقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيهِ فلا يَطعَمُها».

قوله: «دعواهما واحدة»؛ يعني: تدعي كل واحدة منهما: أني مسلم.

«حتى تكثر الزلازل»، (الزَّلازِل): جمع زَلْزَلَةٍ، وهي تحريك الأرض.

يعني: يكون تحريكُ الأرضِ في آخرِ الزمان كثيراً.

«يتقاربُ الزَّمانُ»، ذُكِر شرح هذا قبيل حِسَان (كتاب الفتن) بحديثين.

«فيفيضُ»، (الفيضُ): كثرةُ الماء وسيلانه.

«حتى يُهِمَّ ربَّ المالِ مَنْ يقبلُ صدقتَهُ»، (الإهمام): الحزن، وتقديره: حتى يُهِمَّ ربَّ المال فقدانُ من يقبل صدقته.

«لا أَرَبَ»؛ أي: لا حاجة.

«يا ليتَنِي مكانَه»؛ يعني: يا ليتني كنتُ ميتاً حتى لا أرى الفتن والغُصَص.

«حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعَتْ ورآها الناسُ أجمعون، فذلكَ حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»؛ يعني: إذا طلعَتْ الشمسُ من المغرب لم يُقبل إيمانُ من لم يؤمن قبلَ طلوع الشمس من المغرب؛ لأن هذا الإيمان إيمان البَأس، وإيمان البَأسِ غير مقبول؛ لأن الإيمانَ المقبولَ هو الذي يكون بالغيب، وأما إذا طلعت الشمس من المغرب تَيَقَّنَ الناس مجيء القيامة؛ لأنه من علامات القيامة، فإذا تيقن الرجل مجيء القيامة لم يكن إيمانه إيماناً بالغيب.

قوله: «﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»؛ يعني: أو تاب المؤمن توبة لم تقبل توبته أيضاً كما ذكرنا في (الإيمان).

وقصة طلوع الشمس من المغرب قد جاء في الحديث الصحيح: أن الليلة التي تطلعُ الشمسَ من المغرب في اليوم الذي بعدَها تطولُ تلك الليلة يقوم المتهجدون في تهجدهم، فلما فرغوا من أورادهم ولم يَروا أثر الصبح، ظنُّوا أنهم أخطئوا الوقت في القيام إلى التهجد، فظنوا أنهم قاموا قبل الوقت، فاستأنفوا أورادَهم، فلما فرغوا من أورادهم مرةً ثانيةً ولم يروا أثرَ الصبح، علموا أنه يحدث من الغيب شيء، فالتجؤوا إلى الله تعالى، وإلى الذِّكر وتلاوة القرآن، وبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى، فإذا هم كذلك طلع الصبح من المغرب، ثم طلع الشمس من المغرب، ولم يكن لها نور، وشاهد الناس كلهم طلوعها من المغرب.

ففي رواية عن رسول الله ﷺ: «أن الشمس تطلع من المغرب يوماً واحداً»: وفي رواية: «أنها تطلع من المغرب ثلاثة أيام، ثم تطلع من المشرق إلى يوم القيامة».

واختلف أهل السنة في أن عَدم قَبول إيمان الكافر، وتوبة المذنب بعد طلوع الشمس، هل عام أم لا؟

فقال بعضهم: لا يُقبل إيمانٌ ولا توبةٌ لأحدٍ بعد طلوع الشمس من المغرب إلى يوم القيامة.

وقال بعضهم: ذلك مختصٌ بمن شاهدَ طلوع الشمس من المغرب، وهو مُمَيِّزٌ، فأما مَنْ يُولد بعد طلوع الشمس من المغرب، أو وُلد قبله ولم يكن مميزاً، فصار مميزاً بعد ذلك، ولم يشاهد طلوعَ الشمس من المغرب يقبل إيمانه وتوبته، وهذا هو الأصح.

«بِلَبنِ لِقْحَتِهِ»، (اللِّقْحَة): الناقة ذات اللبن؛ يعني: حَلَبَ الرجلُ ناقتَهُ وقامَتْ القيامةُ قبلَ أن يشربَ اللبنَ؛ يعني: إذا نُفِخَ في الصور فلم يقدر أحد على

عملٍ؛ لا على قليل، ولا على كثير.

«يَلِيطُ»؛ أي: يطين، «حَوْضَهُ» ليسقيَ به إبله.

* * *

٤١٧٠ ـ وقال: «لا تقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا قَوْماً نِعالُهُمُ الشَّعَرُ، وحتَّى تُقاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعيُنِ حُمْرَ الوُجوهِ ذُلْفَ الأُنوفِ، كأنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

قولـه: «ذُلْفَ الأُنوفِ»، (الذُّلْفُ): جمعُ الأَذْلَف، و(الأَذْلَفُ): الأنفُ الغليظُ المُسَطَّح.

«المَجَانُّ»: جَمع مِجَنٌّ، وهو التُّرس.

«المُطْرَقَةُ» بضم الميم: مفعول من الإطراق، ومعناه هنا: جعل الطِّرَاق على وجه التُّرس، و(الطِّراقُ) بكسر الطاء: الجِلد؛ يعني: وجوهُهُم عريضةٌ، ووجناتُهم مرتفعة كالمِجَنِّ.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٧١ ـ وقال: «لا تقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا خُوزاً وكِرْمانَ مِنَ الأعاجِمِ، حُمْرَ الوُجوهِ فُطْسَ الأُنوفِ صِغارَ الأَعيُنِ، كأنَّ وُجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ نِعالُهُمُ الشَّعَرُ».

ويُروَى «عِراضَ الوُجُوهِ».

قوله: «حتى تقاتلوا خُوزاً وكِرْمَانَ»: فرقتان من الناس.

«الفُطْسُ»: جمعُ الأفطس، وهو مثل (الأَذْلَف)، وقد ذُكر قُبيل هذا.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

٤١٧٢ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليهودَ، فيقتُلُهُم المُسْلِمونَ حتَّى يَخْتَبِيءَ اليهوديُّ مِنْ وَراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، فيقولُ الحَجَرُ والشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ! يا عَبْدَالله! هذا يَهُودِيٌّ خَلفِي، فتَعَالَ فاقتُلْهُ، إلا الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهودِ».

قوله: «حتى يَختبئ»؛ أي: حتى يختفي.

«إلا الغَرْقَدَ فإنه من شجرِ اليهود» قيل: (الغَرْقَدُ): الصنوبر.

روى هذا الحديث ابن عمر.

* * *

٤١٧٣ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطانَ يَسوقُ النَّاسَ بعَصاه».

قوله: «حتى يخرج رجلٌ من قَحْطان»، (قَحْطَان): اسمُ قبيلة من قبائل عرب اليمن.

«يسوقُ الناسَ بعصاه»؛ أي: يصيرُ حاكماً عليهم، ويصيرهم مطيعِينَ منقادين لنفسه، ويأمرهم بما شاء، وكيف شاء، كما يسوقُ الراعي الغنمَ بعصاه.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٧٤ ـ وقال: «لا تَذْهَبُ الأيَّامُ واللَّيالي حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقالُ لهُ: الجَهْجَاه».

وفي رِوايةٍ: «حتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ المَوالي يُقالُ لهُ: الجَهْجَاه».

«حتى يملِكَ رجلٌ»؛ أي: حتى يصيرَ حاكماً على الناس.

«المَوَالي»: جمع المولى، وهو المملوك هاهنا، أو العتيق.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٧٥ ـ وقالَ: «لَيَفْتَتِحَنَّ عِصابَةٌ مِنَ المُسْلِمينَ كَنْزَ آلِ كِسرَى الذي في الأبْيَضِ».

قوله: «في الأبْيَضِ»، (الأبْيَضُ): اسم لقصرٍ مبني من الجَصِّ والحَجَر، كان لكسرى، وفيه كنزه.

روى هذا الحديث جابر بن سَمُرَة.

* * *

٤١٧٦ ـ وقالَ: «هَلَكَ كِسْرَى فَلا يكونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ثمَّ لا يكونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، ولَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُما في سبيلِ الله». وسَمَّى الحَرْبَ خُدْعَةً.

قوله: «هَلَكَ كِسرى فلا يكونُ كِسرى بعده وقيصر»: هذا ماضٍ بمعنى المستقبل؛ يعني: سَيهلك كسرى، وهو اسم لِمَنْ مَلَك العَجَم؛ يعني: سيفتح المسلمون العَجَم، ويكون بعد ذلك ملوكُ العَجَم المسلمون، لا كسرى ولا واحد من أبنائه.

و(قيصر): اسم لمن ملك الروم؛ يعني: سيفتح المسلمون الروم، ولا يكونُ ملكَ الروم إلا مسلماً.

«وسمى الحرب خدعة».

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٧٧ ـ وقال: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ العَرَبِ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ فارِسَ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُها الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ الله».

قوله: «تغزونَ جزيرةَ العربِ» ذُكر شرح (جزيرة العرب) في أول الكتاب في (باب الكبائر) قبيل الحِسان من (فصل الوسوسة).

روى هذا الحديث نافع بن عتبة بن أبي وقاص.

* * *

٤١٧٨ ـ عن عَوْفِ بن مالِكٍ قال: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ وهو في قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فقالَ: «اُعْدُدْ سِتًّا بينَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوْتي، ثمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثمَّ مُوْتانٌ يَأْخُذُ فيكُمْ كقُعاصِ الغَنَمِ، ثمَّ استِفاضَةُ المالِ حتَّى يُعطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دينارٍ فَيَظَلُّ ساخِطًا، ثمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بيتٌ مِنَ العَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْه، ثمَّ هُدْنَةٌ تكونُ بينَكُمْ وبينَ بني الأَصْفَرِ فيَغْدِرونَ فيأْتُونَكُمْ تحتَ ثمانينَ غايَةً، تَحْتَ كُلِّ غايَةٍ اثْنا عَشَرَ ألفًا».

قوله: «اعدُدْ ستاً بين يدَي السَّاعة»؛ يعني: اعدُدْ ستَّ علامَاتٍ ستحدث قبل القيامة.

«ثم موتان يأخذ فيكُم كقُعَاصِ الغنم»: القُعَاص: داءٌ يقع في صدر الغنم فيموت في الحال.

قوله: «ثم استفاضةُ المال»؛ أي: ثم كثرة المال.

«فيظلُّ ساخطاً»؛ أي: يصير الفقير غضبان بأن يعد المئة قليلاً.

«هُدْنة»؛ أي: صُلح.

«بني الأصفر»: أهل الروم.

«الغَايةُ»: العَلَمُ.

* * *

٤١٧٩ ـ وقال: «لا تقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بالأَعْماقِ أوْ بدابِقَ، فيَخْرُجُ إليهِمْ جَيْشٌ منَ المَدينةِ منْ خِيارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فإذا تَصَافُّوا قالت الرُّومُ: خَلُّوا بيْنَنا وبينَ الذينَ سَبَوْا مِنَّا نُقاتِلْهُمْ، فيقولُ المُسْلِمونَ: لا والله لا نُخلِّي بينَكُمْ وبينَ إخوانِنا، فيُقاتِلونَهُمْ، فيَنْهزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ الله عَليهمْ أبَداً، ويُقْتَلُ ثُلُثٌ هُمْ أَفْضَلُ الشُّهداءِ عندَ الله، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أبَداً، فيَفْتَتِحونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمونَ الغَنائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيوفَهُمْ بالزَّيْتونِ إذْ صاحَ فيهِم الشَّيطانُ: إنَّ المَسِيحَ قدْ خَلَفَكُمْ في أَهْليكُمْ، فيَخْرُجُونَ، وذلكَ باطِلٌ، فإذا جاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فبَيْنَما هُمْ يُعِدُّونَ للقِتالِ ويُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إذْ أُقيمَتِ الصَّلاةُ، فينزِلُ عيسَى بن مَرْيَمَ فأَمَّهُمْ، فإذا رآهُ عدُوُّ الله ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ، فلو تَرَكَهُ لانذابَ حتَّى يَهلِكَ، ولكنْ يَقْتُلُهُ الله بيدِهِ، فيُريهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ».

قوله: «حتى ينزلَ»؛ أي: أهل الروم «بالأعماقِ أو بدابـق»: هما موضعان بالشام، والشكُّ من الراوي.

«قد خلفَكُمْ»؛ أي: قَامَ مقامَكُمْ.

«في أهليكم»؛ يعني: نزل الدجال في ديارِكم ومنازِلكم بعدَ خروجكم منها.

«فإذا جاءوا الشَّام خرجَ»؛ أي: فلمَّا جاءَ جيشُ الإسلام الشامَ، فحينئذ يخرجُ الدَّجَّال.

روى هذا الحديث أبو هريرة.

* * *

٤١٨٠ ـ عن عبدِالله بنِ مَسْعودٍ قالَ: إنَّ السَّاعةَ لا تَقُومُ حتَّى لا يُقْسَمَ مِيراثٌ ولا يُفْرَحَ بغَنيمةٍ. ثمَّ قالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعونَ لأهْلِ الشَّامِ ويَجْتَمِعُ لهُمْ أهْلُ الإسْلامِ، يعني الرُّومَ، فيَتَشَرَّطُ المُسْلِمونَ شُرْطةً للمَوْتِ لا تَرْجِعُ إلا غالِبةً، فَيَقْتَتِلونَ حتَّى يَحْجُزَ بينَهُمُ الليلُ، فَيَفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ، كلٌّ غيرُ غالِبٍ، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثمَّ يَتَشَرَّطُ المُسْلِمونَ شُرْطَةً للمَوْتِ لا ترجِعُ إلا غالِبةً، فيَقْتَتِلونَ حتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هؤلاءِ وهؤلاءِ، كلٌّ غيرُ غالِبٍ، وتفنَى الشُّرْطَةُ، فإذا كانَ اليومُ الرَّابعُ نَهَدَ إليهِمْ بَقِيَّةُ أهْلِ الإسلامِ، فيجعلُ الله الدَّبْرَةَ عليهِمْ فيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لمْ يُرَ مِثْلُها، حتَّى إنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بجنَباتِهِمْ فما يُخَلِّفُهُمْ حتَّى يخِرَّ مَيْتاً، فيَتَعادُّ بنو الأَبِ كانوا مِئَةً فلا يَجِدونَهُ بَقِيَ منهُمْ إلاَّ الرَّجُلُ الواحِدُ، فَبِأَيِّ غَنيمةٍ يُفْرَحُ؟ أو أَيِّ مِيراثٍ يُقَسَمُ؟ فبينا هُمْ كذلكَ إذْ سَمِعُوا ببَأْسٍ هو أكْبَرُ منْ ذلكَ، فجاءَهُمُ الصَّريخُ أنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيهِمْ فيَرْفُضُونَ ما في أَيديهِمْ ويُقبِلونَ، فيَبعثونَ عَشْرَةَ فوارِسَ طَلِيعةً، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي لأَعْرِفُ أَسْماءَهُمْ وأَسْماءَ آبائِهِمْ، وألوانَ خُيولِهِم هُمْ خَيرُ فَوارِسَ، أو مِنْ خيرِ فَوارِسَ على ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

قوله: «يعني الروم»: هذا تفسير قوله: (عدو)؛ يعني: العدوُّ يكونُ مِنْ أهل الروم.

«يجمعونَ»؛ أي: يجمعونَ الجيشَ والسلاحَ والخيلَ للحرب.

«فَيَشْتَرِطُ المسلمون شُرْطَةً للموت»؛ يعني: شَرَطَ المسلمين مع أنفسهم أن لا يَنهزموا ولا يَرجعوا عن الحرب حتى يغلبوا على الكفار، و(الموت) هنا: بمعنى الحرب.

«حتى يَحجُزَ بينهم الليلُ»؛ أي: حتى يدخلَ الليل فتركوا القتال، (الحَجْزُ): المنع.

«فيفيءُ»؛ أي: فيرجع «هؤلاء»؛ أي: المسلمون، «وهؤلاء»؛ أي: الكفار.

«وتفنى الشُّرْطَةُ»؛ أي: بَطَلَ الشَّرطُ بتركهم القتالَ غير مختارين بسبب دخول الليل.

و«نَهَدَ إليهم»؛ أي: قام وقصد.

«فيجعلُ الله الدَّبَرَةَ»؛ أي: الانهزام «عليهم»؛ أي: على الكفار.

«بجَنَبَاتِهم»؛ أي: بنواحِيْهِم.

«فما يُخلِّفُهُمْ» بتشديد اللام؛ أي: فما يمرُّ عليهم؛ يعني: طارَ الطيرُ على أولئك الموتى فما وَصَلَ إلى آخرهم.

«حتى يخرَّ»؛ أي: سقط «مَيْتاً» من نتنهم، أو من طولِ مسافة مسقط الموتى.

«فيتعادُّ بنو الأب»؛ يعني: يعدُّ جماعةٌ حضروا تلكَ الحرب كلُّهم أقارب فلم يبق من مئة إلا واحد.

«البأس»: الحرب.

قوله: «الصَّريخُ»: الاستغاثة.

«فَيَرْفُضونَ»؛ أي: يَرْمُون ويُلقُون ما في أيديهم من الغنيمة.

«فَيَبْعَثون»؛ أي: فيُرْسِلون.

«عشرةَ فوارسَ طليعةً»؛ أي: مقدمةً للجيش كالجاسوس؛ ليعرفوا حال عدوِّهم.

(الطليعة): الجيشُ القليل الذين يقال لهم بالفارسي: يزدك.

«هم خيرُ فوارس أو من خير فوارس»: هذا شكٌّ من الراوي.

* * *

٤١٨١ ـ عن أبي هُريرةَ أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «هل سَمِعْتُمْ بمَدينةٍ جانِبٌ منها في البَرِّ وجانِبٌ منها في البَحْرِ؟» قالوا: نَعَمْ يا رسولَ الله، قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يغْزُوَهَا سَبْعونَ ألفاً منْ بني إسحاقَ، فإذا جَاؤُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقاتِلُوا بسِلاحٍ ولَمْ يَرمُوا بسَهْمٍ، قالوا: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيَسقُطُ أحدُ جانِبَيْها الذي في البَحْرِ، ثمَّ يقولون الثَّانِيَةَ: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيَسقُطُ جانِبُها الآخرُ، ثم يقولون الثَّالثةَ: لا إلهَ إلاَّ الله والله أكبَرُ، فيُفَرَّجُ لهُمْ، فيَدخُلونَها فيَغْنَمُون، فبَيْنا هُمْ يَقْتَسِمُونَ المَغَانِمَ إذْ جاءَهُمُ الصَّرِيخُ فقالَ: إنَّ الدَّجَّالَ قدْ خَرَجَ، فيَترُكُونَ كلَّ شَيْءٍ ويَرْجِعُونَ».

قوله: «هل سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البرِّ، وجانبٌ منها في البحرِ»: هذه المدينة في الروم.

«من بني إسحاق»؛ أي: من أكراد الشام، وهم من نسل إسحاق النبي عليه السلام وهم مسلمون.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤١٨٢ ـ عن معاذِ بن جَبَلٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عُمْرانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرابُ يَثْرِبَ، وخَرابُ يَثْرِبَ خُروجُ المَلْحَمةِ، وخُروجُ المَلْحَمةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينيَّةَ، وفَتْحُ قُسْطَنْطِينيَّةَ خُروجُ الدَّجَّالِ».

قوله: «عُمران بيتِ المَقدس خَرابُ يَثرب»؛ يعني: بيتُ المقدسِ يخربُ ثم يعمرُ في آخر الزمان، وإذا عمرَ بيتُ المقدس تخربُ يثربُ، وهي المدينة، وعند ذلك تظهر ملحمة؛ أي: حرب عظيمة بين أهل الشام والروم، ثم يفتح المسلمون القسطنطينية، ثم يخرج الدَّجَّالُ.

* * *

٤١٨٤ ـ عن عَبْدِالله بن بُسْرٍ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينَ المَلْحَمَةِ وفَتْحِ المَدينةِ سِتُّ سِنِينَ، ويَخرُجُ الدَّجَّالُ في السَّابِعةِ»، قالَ أبو داودَ: وهذا أَصَحُّ.

قوله: «هذا أصح»؛ يعني: الأصح أنَّ بينَ الملحمةِ العظمى وبين خروجِ الدَّجَّالِ سبعَ سنين لا سبعةَ أشهرٍ.

* * *

٤١٨٥ ـ وعن أبي الدَّرْداءِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ فُسْطاطَ المُسْلِمينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ بالغُوطَةِ، إلى جانِبِ مَدينةٍ يُقالُ لها: دِمَشْق، مِنْ خَيْرِ مَدائِنِ الشَّامِ».

قوله: «إن فُسْطاط المسلمين يوم المَلحمة بالغُوطة»، (الفُسْطَاط): شِبْهُ الخيمة، (الغوطة): بلدٌ قريب من دمشق؛ يعني: ينزل جيش المسلمين ويجتمعون هناك.

* * *

٤١٨٦ ـ وعن ابن عُمَرَ: «يُوشِكُ المُسْلِمونَ أنْ يُحاصَروا إلى المَدينةِ حتَّى يكونَ أبعَدَ مَسالِحِهِمْ سَلاحِ» وسَلاحِ: قريبٌ من خَيْبَرَ.

قوله: «يوشكُ المسلمونَ أن يحاصِرُوا إلى المدينة، حتى يكونَ أبعدُ مَسالِحِهِمْ سَلاَحِ»، (المَسَالح): جمع مَسْلَحَةٍ وهي كالثغر، «سَلاَحِ»: اسم موضع (قريب من خَيبر)؛ يعني: يفر المسلمون من بين الكفار، ويجتمعون بين المدينة وسَلاَحِ.

* * *

٤١٨٧ ـ عن ذي مِخْبَرٍ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ستُصالِحونَ

الرُّومَ صُلْحاً آمِناً، فتغزونَ أنتمْ وهمْ عَدُوّاً منْ وَرائِكُمْ، فتُنْصَرونَ وتَغْنَمونَ وتَسْلَمونَ، ثمّ ترجِعونَ حتّى تنزِلُوا بمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فيرَفَعُ رَجُلٌ منْ أهلِ النَّصْرانِيَّةِ الصَّليبَ، فيقولُ: غَلَبَ الصَّليبُ، فيغضَبُ رَجُلٌ منَ المُسْلمينَ فيدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذلكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وتَجْمَعُ للملحمةِ».

وزادَ بَعْضُهم «ويثورُ المُسْلِمونَ إلى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلونَ، فيُكرِمُ الله تِلْكَ العِصابةِ بالشَّهادةِ».

قوله: «وهم عدداً[1] من ورائكم»، (عددا)؛ أي: وهم من ورائكم عَدد أي: وهم غيرُكم في العدد؛ يعني: عددهم أكثرُ من عددكم.

«بمَرجٍ»؛ أي: بروضة فيها تُلول، وهو جمع تَل، وهو الموضع المرتفع، والله أعلم بالخير والصواب[2].

❐❐❐

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعلها رواية المصنف، والرواية المعروفة: «عدواً».

(٢) جاء في النسخة الخطية المرموز لها بـ «م» ما نصه: «وصل الشارح إلى هنا، وتوفي، غفر الله له، وأتم هذا الكتاب المبارك الفقيه العالم البارع الكامل شرف المتحال عثمان مدَّ الله ظلَّه، ابتدأ شرحه من هاهنا».

تتمة
المفاتيح
في شرح
المصابيح

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله حقَّ المحامد والثناء، وأشكره على جميع نعمائه وجزيل آلائه، شكراً يوازي جميع ذرات أجزاء الأرض والسماء، وأصلي على نبيه محمد المصطفى، أفضل الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحبه البررة الأصفياء، وبعد:

فإن جمعاً كثيراً من الأصدقاء التمسوا من هذا الضعيف أن أتمم «شرح المصابيح» في الحديث لمولانا وسيدنا أفضل عصره وعلامة دهره، مُظهر الملة والدين الحسين بن محمود بن الحسين الزيداني قدس الله روحه، وأدام إليه فتوحه، فأجبتُ لمُلتمَسِهم، ممتثلاً لأوامرهم، ومشمراً له ذيل تقصيري بيُمْنِ نَفَسِهم، واستخرت الله تعالى مستعيناً به، ومستمداً بكرمه جل جلاله أن لا يكلني إلى نفسي وجهلي، ويعينني على إتمامه، ويوفق لي على تحصيل ما هممت إليه، ويجعله لي ذُخراً، ولوزري وإصري تمحيصاً وغفراناً، فإنه سميع بصير، وبالإجابة حقيق جَدير.

* * *

٤١٨٨ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اتْرُكوا الحَبَشَةَ ما تَركوكُمْ، فإنَّهُ لا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الكعبةِ إلاَّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ منَ الحَبَشَةِ».

قوله: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرجُ كنزَ الكعبة إلا ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة»، قيل: هو كنز مدفون تحت الكعبة، و(ذو السويقتين) هما تصغير السّاق، والسّاق مؤنث، فلذلك أدخل في تصغيرها التاء، وعَامةُ الحبشة في سوقهم حَمُوْشَةٌ ودِقَّةٌ.

قال الخطابي في «المعالم»: اعلم أنَّ الجمعَ بين قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[التوبة: ٣٦] وبينَ هذا الحديث: أن الآية مطلقةٌ، والحديثُ مقيد، فيحمل المطلق على المقيد، ويجعل الحديث مخصصاً لعموم الآية، كما خُصَّ ذلك في حق المَجوس، فإنهم كفرة، ومع ذلك أخذ منهم الجزية؛ لقوله ﷺ: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهل الكتاب».

بيانه: أنه إذا قام بعض المسلمين بقتال الكفار، فأبيح للباقين ترك القتال معهم بشرط أنهم كانوا في ديارهم، ولم يتعرضوا لهم في شيءٍ ما، ويدل على هذا المعنى قوله: «ما تركوكم».

فإن قيل: الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هجموا على الفرس والروم، وقاتلوهم مبتدئين من غير أن يطؤوا ديار الإسلام، فما تخصيص تلك الجهتين ـ يعني: الحبشةَ والتُّركَ ـ بالتَّرْكِ؟

قلنا: أما الحبشة: فبلادُهم وَعِرَةٌ ذاتُ حرٍّ عظيم، بين المسلمين وبينهم تهامة، وقفار وبحار، فلم يكلف المسلمين دخولَ ديارهم؛ لكثرة التعب، وعظم المشقة.

وأما الترك: فبأسهم شديدٌ، وبلادهم أيضاً بعيدة، وهم بأسرهم مقاتِلون، فطباعهم غليظةٌ لا تفقهُ دقائقَ الإيمان، وبلادُهم باردةٌ لا تخلو صيفاً وشتاء من الثلوج، والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة، فلم يكلفهم دخول بلاد لم تكن من طباعهم، فلهذين الشيئين خصّصهما.

وأما إذا دخلوا في بلاد المسلمين قَهراً والعياذ بالله سبحانه، فلا يباح لأحدٍ البتة تركَ القتال من الأحرار والعبيد؛ لأن الجهادَ في هذه الحالة فرضُ عين، وفي الحالة الأولى فرض كفاية.

* * *

٤١٨٩ ـ عن رَجُلٍ من أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «دَعُوا الحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ، واتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَرَكُوكُمْ».

قوله: «دَعُوا الحبشة ما وَدَعُوكُم»: معنى هذا الحديث مذكور في الحديث المتقدم، وفيه بحثٌ لغوي، وهو أنه ﷺ قال: «ما وَدَعُوكُمْ» على بناء الماضي، وهو خلاف زَعْمِ العرب وهو أن لفظة (يدع) ما له مصدر ولا ماض ملفوظان.

وإنما قيل: ملفوظان؛ ليخرج التقدير، فإن لفظة (ودع) مقدرةٌ ذهناً، وإن لم تَبرز لفظاً، وكيف لا يكون وقد جَاء (يدعُ ودَع)؛ لأن المضارع ناشئٌ عن الماضي، والأمر عن المضارع، كما دل الأمر على وجود المضارع، كذا دل المضارع على وجود الماضي.

وكلام النبي ﷺ متبوعٌ لا تابع، بل فصحاء العرب عن آخرهم بالإضافة إليهم بأقل، وأيضاً فلغاتُ العرب مختلفةٌ، منهم مَن انقرض وانقرضت لغتُه، فيكون ﷺ أتى بها من لغة أخرى غريبة، أو على أصل اللغة، أو لغةِ مَن انقرض.

قال شَمِر: زعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدره وماضيه، والنبي ﷺ أفصح، قاله في «الغريبين».

* * *

٤١٩٠ ـ عن بُرَيْدَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ: «يُقاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغارُ

الأَعْيُنِ - يعني التُّركَ - قال: تَسوقونَهُمْ ثلاثَ مرَّاتٍ حتَّى تُلْحِقوهُمْ بجَزيرَةِ العَرَبِ، فأمَّا في السَّاقَةِ الأولَى فيَنْجُو مَنْ هَرَبَ منهُمْ، وأمَّا في الثَّانيةِ فيَنْجُو بَعْضٌ ويَهْلِكُ بَعْضٌ، وأمَّا في الثَّالثةِ فيُصْطَلَمُونَ»، أو كما قالَ.

قوله: «تسوقونَهُمْ ثلاثَ مَرَّات»؛ يعني: قومٌ صغارُ الأعين من الترك يقاتلونكم، لكنهم صاروا مغلوبين منهزمين بحيث أنكم تسوقونهم ثلاث مرات.

«حتى يلحقوا بجزيرة العرب»، قال مالك بن أنس: (جزيرة العرب): المدينة.

وقال أبو عبيدة: ما بين حفر أبي[1] موسى إلى أقصى اليَمَن في الطول، وما بين رمل يَبْرِيْنَ إلى منقطع السَّمَاوَة في العرض، قاله في «الغريبين».

و«السَّاقة»: السَّوق، «فيَصْطَلَمُون»: فيستأصلون، من الصَّلْمِ، بمعنى القطع، والطاء في (يصطلمون) بدل من التاء؛ لأن (فاء الافتعال) إذا كان حرفاً من حروف الإطباق تبدل طاء للثقل، وللمتجانس بينه وبين التاء، وحروف الإطباق الصاد والضاد والطاء والظاء.

* * *

٤١٩١ - عن أبي بَكْرَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ أُناسٌ مِنْ أُمَّتي بغائِطٍ يُسَمُّونَهُ: البَصْرَة، عِند نَهْرٍ يُقالُ لهُ: دِجْلَةُ، يكونُ عَلَيهِ جِسْرٌ يكثُرُ أهلُها، وتكونُ مِنْ أَمْصارِ المُسْلِمين، فإذا كانَ في آخرِ الزَّمانِ جاءَ بنو قَنْطُوراءَ عِراضُ الوُجوهِ صِغارُ الأعيُنِ، حتَّى يَنزِلُوا على شَطِّ النَّهْرِ فيتفرَّقُ أهلُها ثلاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يأخُذونَ في أذنابِ البَقَرِ والبَرِّيَةِ، وهلَكوا، وفِرْقَةٌ يأخُذونَ لأنفُسِهِمْ، وهلَكوا، وفِرقةٌ يَجْعَلونَ ذَرارِيَّهِمْ خَلْفَ ظُهورِهِم ويُقاتِلونهم، وهُمُ الشُّهداءُ».

---

(1) في «ش»: «ابني».

قوله: «ينزل [أناس] من أمتي بغائِطٍ يُسمُّونَهُ البَصرَة»: يقال: (غَاطَ في الأرض يَغُوْطُ ويَغِيْطُ): إذا غارَ.

قال الخطابي: المطمئن من الأرض.

و(البصرة): الحجارة الرَّخوة، وبها سمِّيت البصرة بصرة.

و«بنو قَنْطُوراء»: هم الترك، يقال: إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم عليه السلام ولدَتْ له أولاداً، وجاء من نسلهم الترك.

قولــه: «فرقــةٌ يأخذونَ في أذنابِ البقرِ والبَرِّية»: يقال: أخذَ الشيءَ الفُلاني: إذا شرع فيه؛ يعني: إذا لقوا العدو هربوا مع أموالهم طالبين للنجاة، وما نجوا، بل هلكوا في البوادي.

قوله: «وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم»؛ أي: يأخذون الأمان لخَلاص أنفسِهم من العدو، و«فهلكوا بأيديهم غدراً.

يعني: إذا نزل بأهلها الكفارُ المذكورون كان أهلها على ثلاث طوائف:

طائفة: يأخذون البقر ويمشون إلى الصحارى طلباً لخلاص أنفسهم، وما ينجون، بل يهلكون.

وطائفة: يأخذون الأمان؛ أي: يطلبون من الكفرة الأمان لأنفسهم وما ينجون أيضاً، بل يهلكون بأيديهم.

وطائفة: يجعلون أنفسهم وقايةً لأزواجهم وذرياتهم ويقاتلونهم حتى استشهدوا.

وظاهر الحديث يدل على أن البصرة هي البصرةُ المعهودة، وما سمعنا أن الكفار نزلوا بها قط للقتال، ولكن الصادق ﷺ أخبر بأنه كذا وقوله حقٌّ وصدقٌ، فلعله يقعُ بعد ذلك، ويحتمل أن يكون مراد النبي ﷺ بالبصرة بغداد؛ لأن بغداد كانت قريةً في عهد النبي ﷺ من قرى البصرة وجملتها، فكأن سماه البصرة؛

إطلاقاً لاسم الكل على الجزء، وهذا مجازٌ شائعٌ فصيح جداً.

فإذا تقرر هذا؛ فالواقعة المذكورة بالكيفية المذكورة وقعت فيها بأسرها كما ذكرت، والله أعلم.

* * *

٤١٩٢ ـ عن أنس: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يا أَنَسُ إنَّ النَّاسَ يُمَصِّرونَ أمْصَاراً، وإن مِصْراً منها يُقالُ لهُ: البَصْرَة، فإنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بها أو دَخَلْتَها فإيَّاكَ وسِباخَها وكَلاءَها وسُوقَها وبابَ أُمرائِها، وعليكَ بِضَواحِيها، فإنَّه يكونُ بها خَسْفٌ وقَذْفٌ ورَجْفٌ، وقومٌ يَبيتونَ ثم يُصْبِحونَ قِردةً وخَنازيرَ».

قوله: «إن الناس يُمَصِّرُون أمصاراً...» إلى آخره، (التَّمصِيرُ): وضعُ أساسِ مصر وبناءه، و(السِّبَاخ): جمع سَبخَة، وهي أرضٌ ذاتُ ملح، يقال: (أرضٌ سَبِخَة)؛ أي: ذاتُ سِبَاخٍ، (الضواحي): جمع الضَّاحية، وهي الناحية البارزة، (مكان ضاحٍ)؛ أي: بارز.

(الخَسْفُ) هاهنا: الإذهاب في الأرض، (خَسَفَ الله به الأرضَ)؛ أي: غابَ به فيها، قال الله سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

(القَذْفُ بالحِجَارة): الرمي بها، (الرَّجْفُ والرَّجْفَةُ)؛ أي: الزلزلة، و(الرَّجَفَان): الاضطراب.

(القِردةُ): جمع قرد، و(الخنازير): جمع خنزير.

أراد بـ (الكَلاَ) هاهنا: مواضعَ الرعي؛ يعني: قال رسول الله ﷺ لأنس: يا أنس! إن الناس يبنون أمصاراً كثيرة ويسكنون فيها، وإن مِصراً منها يقال له: البصرة، فإن اتفق مرورُك بها، أو دخولك فيها، فاحذر عن سباخها وكَلأها.

وفي بعض النسخ: بدل: «كلأها»: «نخيلها وسوقها».

«ورباب أمرائِها، وعليكَ بضواحيها»، (عليك) بمعنى الزم، والظاهر: أنه إغراء كما تقول: عليك بزيد؛ أي: الزمه، كما قال ﷺ: «فعليه بالصوم» أي: ليلزم الصوم، فعلى هذا يكونُ مفعولاً به، أو الباء زائدة على مذهب الأخفش.

«فإنه يكون بها»؛ أي: فيها «خَسْفٌ وقَذْفٌ ورَجْفٌ، وقومٌ يبيتون يُصبحون قردةً وخنازير»؛ أي: يصيرون قردةً وخنازيرَ، (يصبحون) تكون ناقصة، (وقردة) خبره، و(يصبحون) محله النصب على أنه خبر (يبيتون)؛ لأنه من أخوات كان، والجملة صفة للقوم، و(القوم) يحتمل أن يكون مرفوعاً بخبر المبتدأ؛ أي: أهل ذلك المصر مكيفون بهذه الكيفية المذكورة.

ويحتمل أن يكون مرفوعاً بالمبتدأ، تقديره: قوم يبيتون مصبحين قردة وخنازير في ذلك المصر.

وتحذيرُ رسول الله ﷺ أنساً عن المواضع المذكورة في البصرة إشارة إلى أن في تلكَ المواضع أقواماً من أهل القدر؛ لأن الخسف وغير ذلك من المذكور يكون للمكذبين بالقدر، والدليل عليه: قوله ﷺ: «يكونُ في أمتي خَسْفٌ ومَسْخٌ، وذلك في المكذبين بالقدر»، ولم يقعْ بعدُ.

قوله: «فإيَّاكَ وسِباخَهَا»، وهو من التحذير، تقديره: احذر نفسَك عن سِبَاخِهَا، واحذرها عن نفسك، فحذف الفعل تخفيفاً، وحذفت (النفس)، فصار ضمير المتصل ـ وهو الكاف في (نفسك) ـ منفصلاً، وهو (إياك) كما تقول: إياك والأسد.

* * *

٤١٩٣ ـ عن صالح بن دِرْهَمٍ يقولُ: انطَلَقْنَا حاجِّينَ، فإذا رَجُلٌ فقالَ لنا: إلى جَنْبِكُمْ قَرْيَةٌ يُقالُ لها الأُبُلَّة، قُلنا: نَعَم، قال: مَنْ يَضْمَنُ لي منكُمْ أنْ يُصَلِّيَ في مَسْجِدِ العَشَّارِ رَكعتَيْنِ أو أَرْبعاً، ويقولَ: هذا لأبي هُريرَةَ؟ سَمِعْتُ

خليلي أبا القاسم ﷺ يقولُ: «إنَّ الله تعالَى يَبْعَثُ مِنْ مَسجدِ العَشَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ شُهَدَاءَ لا يَقُومُ مع شُهداءِ بَدْرٍ غَيْرُهُم».

قال أبو داودَ رحمه الله هذا المَسْجِدُ مِمَّا يلي النَّهرَ.

قوله: «انطلقنا حاجِّين فإذا رجل...» الحديث، (حاجِّين)؛ أي: قاصدين، من (حَجَّ): إذا قصد، (إذا) هاهنا للمفاجأة، ويلزم أن يكون ما بعده مبتدأ خبره جائز الحذف، كقولك: (خرجتُ فإذا السبع)؛ يعني: فإذا السبع حاضرٌ.

و(الأُبُلَّةُ) واحدةٌ من جنان الدنيا، وهي أربع: أُبُلَّةُ البصرة، وغُوطَةُ دمشقَ، وسُغْدُ سمرقند، وشِعْبُ بَوَّان، واختلف في أنه هو شعب بَوَّان كرمان أو شعب بَوَّان نوبندجان في الفارس.

و(من) في «مَنْ يضمنُ» ليس للشرط هاهنا، بل للاستفهام المُخْرَج من موضعه إلى الطلب والسؤال، كما يقول الفقير: مَن يعطيني درهماً.

والواو في (ويقول) هذه عطف على قوله: (أن يصليَ)، و(هذا) إشارةٌ إلى الصلاة.

* * *

٣ - باب
أشراط الساعة

(باب أشراط الساعة)

(الأَشْرَاط): العلامَاتُ، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد: ١٨] أي: علاماتها.

وقال في «الغريبين»: يقال: أشرط نفسه للشيء: إذا أعلمه، وبه سُمِّيَتْ

(الشُّرَطُ)؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامةً يُعرفون بها، ومنه الحديث أنه قال ﷺ: «إن من أَشْرَاط السَّاعة أن يكون كذا وكذا»؛ أي: مِنْ عَلاماتها.

* * *

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤١٩٤ ـ قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعةِ أنْ يُرْفَعَ العِلمُ، ويَكثُرَ الجهلُ، ويكثُرَ الزِّنا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلَّ الرِّجالُ، ويَكْثُرَ النِّساءُ، حتَّى يَكونَ لخَمْسينَ امرأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ».

وفي رِوايةٍ: «يَقِلُّ العِلمُ ويَظهَرُ الجَهْلُ».

قوله: «يكون لخمسينَ امرأةً القَيِّمُ الواحدُ»؛ يعني: مِنْ أشراطِ السَّاعة أنه يقلُّ الرجالُ ويكثرُ النساءُ، حتى يكون لخمسينَ امرأة قيِّمٌ واحدٌ، وليس المراد منه: أن تكون منكوحاته، و(القيم): القائم بمصالحهن، فيكنَّ زوجاتِهِ وأمهاته وجداته وأخواته وعماته وخالاته.

* * *

٤١٩٥ ـ عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعةِ كذَّابينَ فاحْذَرُوهُم».

قوله: «إن بينَ يَدَي السَّاعةِ كَذَّابين فاحذَرُوهم»، معنى (كذابين) ظاهر، والمراد: كثرةُ الجهل، وقلةُ العلم، والإتيانُ بالموضوعات من الأحاديث، وما يفترونه على رسول الله ﷺ كما ترى في زماننا مما يرويه القصاص والفصالون.

ويحتمل أن يكونَ مرادُهُ: ادعاءَ النبوة كما كان في زمانه وبعد زمانه.

ويحتمل أن يكون المراد بـ (الكذَّابين): جماعةٌ يدعون أهواءً فاسدة، ويسندون اعتقادهم الباطل إليه ﷺ كأهل البدع كلهم، ونعوذ بالله من ذلك.

* * *

٤١٩٦ ـ عن أبي هُريرةَ قال: بَيْنَما النَّبيُّ ﷺ يُحَدِّثُ إذْ جاءَ أعْرابيٌّ قال: متَى السَّاعةُ؟ قالَ: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظِرِ السَّاعةَ». قالَ: كَيْفَ إضاعَتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غَيْرِ أهْلِهِ فانتظِرِ السَّاعةَ».

قوله: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتظرِ الساعة»؛ يعني: إذا فُوِّضَتْ وِسَادةُ الحُكْمِ إلى غير مَن يستحقُّهُ فانتظرِ السَّاعة، فإن هذا التفويض من أَماراتها، وفي قوله: «إذا وسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله» تضمينُ معنى (فُوِّضَ)، فلهذا يعدى بإلى؛ لأن لفظ (وُسِّد) تعدى بنفسه، يقال: (وسَّدْتُهُ فتَوَسَّدَ).

* * *

٤١٩٧ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يكثُرَ المالُ ويَفِيضَ حتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زَكاةَ مالِهِ فلا يَجِدُ أَحَداً يقبَلُهَا منهُ، وحتَّى تَعُودَ أرْضُ العَرَبِ مُرُوجاً وأنْهاراً».

قوله: «حتى تعودَ أرضُ العربِ مُرُوجاً وأنهاراً»: قيل: في زمانٍ قديمٍ كان أكثر أرض العرب مُرُوجاً وصحاري متدفقة بالمياه ذات أشجار وثمار، فتبدل العمران بالخراب، والريف بالتَّباب، والاجتماع بالافتراق، وذلك دأبُ الله تعالى في البلاد والعباد، كذا ذكره عبد المسيح بن بقيلة الغساني لخالد بن الوليد حين ورد العراق غازياً في خلافة الصديق مع جمهور الصحابة، وقد كان نصرانياً، رأى كسرى أنوشروان بل رأى شابور ذا الأكتاف، قد عمر حتى قارب أربع مئة ونيفاً، وقد أدرك من رأى المسيح عليه السلام.

(المُروج): جمع مَرْجٍ، وهو الروضة.

* * *

٤١٩٨ ـ وقالَ: «تَبْلُغُ المَساكِنُ إهابَ أوْ يَهابَ».

قوله: «تبلغ المساكن إيهابَ أو يَهَابَ»: قيل: (إهاب ونهاب) موضعان قريبان من خيبر، وقيل: بينهما وبين المدينة أميال.

قال الإمام التوربشتي في «شرحه»: الرواية الصحيحة: «نهاب» ـ بالنون المكسورة ـ، ولا يرويه بالياء إلا بعض رواة «صحيح مسلم» وهو غير صحيح عندي، والشكُّ من الراوي.

وقيل: (أو) للتخيير لا للشك.

فإذا كان للشك فمعناه: أنه يكثر عمران المدينة بحيث يبلغ دورها إهَاب، إذا كان مراده ﷺ من ذلك إهَاب، ويبلغ دورها نِهَاب، إذا كان مراده ﷺ من ذلك نِهاب.

وإذا كان للتخيير فمعناه: يبلغُ دورُها إهابَ إن شئت، ويبلغُ دورُها نهابَ إن شئت.

وإن روي (إهاب أو نهاب) منصرفين، فوجهه: أنهما مذكوران باعتبار المكان كـ (واسط ودابق)، وإن رويا بمنع الصرف ففيهما التعريف والتأنيث كـ (دمشق وبغداد).

* * *

٤١٩٩ ـ وقالَ: «يكونُ في آخرِ الزَّمانِ خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّهُ».

وفي رِوايةٍ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خَليفةٌ يَحْثِي المالَ حَثْياً لا يَعُدُّهُ عَدّاً».

قوله: «يكون في آخرِ الزمانِ خليفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يعده»: يحتمل أنه أراد ﷺ بالخليفة: المهدي.

(لا يَعُدُّهُ) ـ بفتح الياء وضم العين ـ من حيث الرواية؛ يعني: يقسم المال من غير عَدٍّ وإحصاء، ويحتمل أن يكون ـ بضم الياء ـ من الإعداد، وهو جعل

الشيء عدة وذخيرة؛ أي: لا يَدَّخِر لغد، ولا يكون له خزانة كفعل الأنبياء صلوات الله عليهم.

والسرُّ فيه: أن ذلك الخليفة تظهر له كنوز الأرض، أو يعلم الكيمياء، أو حينئذ لا حاجة له في الإعداد؛ لعدم النفاد، وقدرته على الإيجاد ساعة فساعة، أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر أو النحاس ذهباً كرامةً له، كما روي من الأولياء رحمة الله عليهم.

* * *

٤٢٠٠ ـ وقالَ: «يُوشِكُ الفُراتُ أنْ يَحْسِرَ عنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فمنْ حَضَرَ فلا يأْخُذْ منهُ شيئاً».

قوله: «يوشكُ الفراتُ أن يحسِرَ عن كنزٍ من ذهب، فمن حضر فلا يأخذ منه شيئاً»: (يوشِكُ) بكسر الشين: مضارعُ (أوشَكَ)، وهو من أفعال المقاربة الاستقبالية؛ يعني: ينبغي أن يكون خبرها مقروناً بـ (أن)؛ لأنه للطمع والرجاء كـ (عسى)، فإذا كان للطمع والرجاء فهو استقبالي، وإن علم للاستقبال فلهذا قُرِن بـ (أن).

وقيل: قد يستعمل استعمال (كاد)، وأفعال المقاربة ناقصة مثل: كان، سوى، عسى، فإنها قد تكون تامة بمعنى (قَرُبَ)، فإذا كان ناقصة معناه: تقارب، وإذا كان تامة معناه: قَرُبَ، وهي ها هنا ناقصة، فمعناه: يقارب الفراتُ حَسر نفسه عن كنزٍ من ذهب؛ يعني: سيظهر الفراتُ عن نفسه كنزاً من ذهب، فمن وصل إليه، «فلا يأخذ منه شيئاً»، وللحسر مفعولان ثانيهما يعدى بـ (عن) كقولك: (حسرت يدي عن الثوب).

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الأَخْذِ نظراً لأمته، ودفعاً لثائرة الفتنة والمقاتلة الشديدة.

ويحتمل أن يريد أنه مال مغضوب عليه كَمَالِ قارون، والمالُ المغضوب عليه غضباً إلهياً كثير النكد يحرمُ الانتفاع به، والحديث الذي بعده يدل عليه، وهو قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا تقومُ السَّاعة حتى يَحْسِرَ الفراتُ عن جَبلٍ من ذهبٍ يقتتلُ الناسُ».

* * *

٤٢٠٢ ـ وقالَ: «تَقيءُ الأَرْضُ أفْلاذَ كَبِـدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، فيَجِيءُ القاتِلُ فيقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجِيءُ القَاطِعُ فيقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحِمي، ويَجِيءُ السَّارِقُ فيقولُ: في هذا قُطِعَتْ يَدي، ثم يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذونَ منهُ شيئاً».

قوله: «تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِـدِهَا. . .» الحديث.

قال في «شرح السنة»: (أفلاذَ كَبِـدِهَا): أراد به: أن تخرج الكنوز المدفونة فيها، كما قال جل جلاله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة: ٢]، و(الفِلْذَةُ): لا تكون إلا للبعير، وهي قطعة من كبدها، وتجمع فِلَذاً وأفلاذاً، وهي القطع المقطوعة طُولاً.

و(قيئُها): إخراجُها، شبه بالكبد الذي في بطن البعيرِ؛ لأنه من أطايب الجزور.

وقيل: تُخْرِجُ ما في بطنها من معادن الذهب والفضة. هذا كله لفظ «شرح السنة».

قوله: «أمثالَ الأُسطُوان»: منصوبة على الحال، تقديره: مشابهةً للأسطوان، ويجوز أن يكون بدلاً عن (أفلاذ كبدها) وهو بدل الكل عن الكل.

* * *

٤٢٠٣ ـ وقالَ: «والذي نَفْسِي بيدِه، لا تَذْهَبُ الدُّنيا حتَّى يمُرَّ الرَّجُلُ على القَبْرِ فيَتمرَّغُ عليهِ ويقولُ: يا لَيْتَنِي كنتُ مَكانَ صاحِبِ هذا القَبْرِ، وليسَ بِهِ الدِّينُ إلا البَلاءُ».

قوله: «يا ليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبر، ليسَ به الدِّين إلا البَلاء»: (الدين) هاهنا: العادة، (ليس) منصوبٌ في موضع الحال من الضمير في (يتمرغ)؛ يعني: يتمرغُ على رأس القبر ويتمنى الموتَ في حال ليس التمرغ من عادته، وإنما حمل عليه البلاء.

* * *

٤٢٠٤ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخْرُجَ نارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجازِ تُضِيءُ أَعْناقَ الإبِـلِ بِبُصْرَى».

قوله: «لا تقومُ السَّاعة حتى تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تُضيُء أعناقَ الإبلِ ببصرى»، (بُصرى) بضم الباء: بلدة بالشام.

قيل: (الأَعْنَاق): جمع عَنَق ـ بفتح العين والنون ـ وهو الجماعة.

وقيل: (الأَعْنَاق): جمع عُنُق ـ بضم النون والعين ـ وهو العضو المشهور.

وقيل: إنما خصَّ الأعناق؛ لكبرِهَا وطولِهَا، وهذا أظهر.

وتخصيص (بصرى) دون غيره من البلاد مُطلقاً مِنْ أسرار النبوة.

* * *

٤٢٠٥ ـ وقالَ: «أَوَّلُ أَشْراطِ السَّاعةِ نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ».

قوله: «أولُ أشراطِ السَّاعة نارٌ تَحْشُرُ الناسَ من المشرقِ إلى المغربِ»:

قيل: (النار): معنوية وهي عبارة عن ظهور الكفار وغَلَبتهم بحيث يحشرونَ الناسَ من المشرق إلى المغرب؛ يعني: يقتلون بعضهم، ويهرب بعضهم بحيث يصير مَنْ في المشرق إلى المغرب، فإذا ثبت هذا، فقدْ وقعتْ منذُ سنين، ونحن بعدُ فيه.

وقيل: إنه خبرية فما وقعت بعدُ، إلاَّ أنه لا بدَّ من الوقوع؛ لأن الصادق ﷺ أخبر به، وقوله لا محالة الصدق، ولعل هذا هو الأصح؛ لأن كل ما يمكن من الآيات والأخبار أن يجري إلى الظاهر لا يحتاج إلى التأويل والعدول إلى المعنى.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٠٦ - عن أنسٍ ﷺ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يَتقارَبَ الزَّمانُ، فتكونُ السَّنَةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، وتكونُ الجُمُعةُ كاليَوْمِ، ويكونُ اليَوْمُ كالسَّاعةِ، وتكونُ السَّاعةُ كالضَّرْمَةِ بالنَّارِ».

قوله من الحسان: «لا تقومُ الساعةُ حتى يتقاربَ الزمانُ فتكونُ السنةُ كالشَّهر» إلى آخره.

يعني: تكونُ السنةُ سريعةَ الانقضاءِ كالشهر، والشهرُ كالجمعة، والجمعةُ كاليوم، واليومُ كالساعة.

قيل: ذلك قصر الزمان مطلقاً، وقيل: لكثرة الغَفلة والاشتغال بالدنيا، وهذا أولى؛ لأن قصر الزمان فيه نظر، قال في «منتخب الصحاح»:

الضَّرَمَةُ: السَّعَفَةُ والشِّيْحَةُ في طرفها نار.

قال في «الغريبين»: (الضَّرَمَةُ): النار بعينها، يقال: ما بالنار نافخ ضَرمة؛

أي: ما بها أحد.

شُبهت بها[1]؛ لأنه كان يخضبُهَا بالحنَّاء، والكاف للتشبيه، وقد تكون اسماً، وقد تكون حرفاً، فإذا كانت حرفاً، فقد احتاج إلى مُتَعلق كقولك: زيد كعمرو؛ يعني: زيد مستقرٌ كعمرو.

واستدل الفارسي على حرفيتها بصلة الذي بها، كقولك: جاءني الذي كزيد؛ لأن الصلة لا تكون إلا جملة، ولو كان اسماً؛ لكان منفرداً، فإذا كان حرفاً تعلق بفعل إيجاب الجملة، فأما إذا كان اسماً فهو بمعنى المثل، فلا يحتاج إلى متعلق كقولك: زيد كعمرو؛ أي: زيدٌ مثل عمرو.

* * *

٤٢٠٧ ـ عن عبدالله بن حَوالةَ قال: بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ لِنَغْنَمَ علَى أَقْدامِنا، فَرَجَعْنا فلمْ نَغْنَمْ شَيْئاً، وعَرَفَ الجَهْدَ في وُجوهِنا، فقامَ فينا فقالَ: «اللهمَّ لا تَكِلْهُمْ إليَّ فأَضْعُفَ عنهُمْ، ولا تَكِلْهُمْ إلى أنفُسِهِمْ فيَعْجِزُوا عنها، ولا تَكِلْهُم إلى النَّاسِ فيَستأْثِروا عليهِمْ». ثمَّ وَضَعَ يدَهُ علَى رأْسِي ثُمَّ قال: «يا ابن حَوالَةَ! إذا رأيتَ الخِلافةَ قدْ نزلَت الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ، فقدْ دَنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابِـلُ والأُمورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هذهِ إلى رأْسِكَ».

قوله: «بعثنا رسول الله ﷺ لنغْنَمَ على أقدامِنا...» الحديث، (على أقدامِنا): حالٌ من الضمير في (بعثنا)؛ أي: بعثنا رجالاً غيرَ ركاب؛ لأنك تقول: بعثه راجلاً، وبعثه راكباً، فيتنوع البعث كذا يتنوع المبعوث؛ مرة راجلاً، ومرة راكباً.

---

(١) أي: شبهت اللحية بالضرمة كما في حديث قيل: «وكأن لحيته ضرام».

و(الجُهْد): بضم الجيم: الطاقة، وبفتحها: المشقة، وقيل: لا فرق بينهما.

قوله: «لا تَكِلْهُمْ إليَّ فأضْعُفَ»: منصوب على جواب النهي، فكذا (يعجزوا).

«فيستأثِرُوا عليهم»: أي: يختاروا لأنفسهم الجيد، ويدفعون الرديء إليهم: أي: إلى أمتي، فحينئذ يتجبرون ويعلون، ويحتمل أن يريد يستولُون على أمتي، فيضعفونهم ويستضعفونهم حتى يخاف عليهم فواتُ دينهم

وفي هذا الدعاء: تعليم لأمته ﷺ أن يَكِلوا أمورهم وحوائجهم إلى الله تعالى، ولا يعتمدون على غيره، بل ينبغي أن يعتمدوا في جميع الأمور على الله تعالى؛ لأنهم لو اعتمدوا فيما عَنَّ لهم مِنَ الحوائج على خالِقهم كفاهُمْ مُؤْنَتَهُم، كقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

«الأرضُ المقدسة»: عبارةٌ عن أرضِ الشام.

«الزَّلازِل»: جمع زَلْزَلة.

«والبَلابِل»: جمع بَلْبَلة، وهي وسوسةُ الصدرِ والهَمُّ.

وهذا الحديث أيضاً دليل على قرب الساعة.

* * *

٤٢٠٨ ـ وعن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا اتُّخِذَ الفَيْء دُوَلاً، والأَمانةُ مَغنَماً، والزَّكاةُ مغرماً، وتُعُلِّمَ لغيرِ دِينٍ، وأطاعَ الرَّجُلُ امرأتَهُ، وعَقَّ أُمَّهُ، وأدْنَى صَديقَهُ، وأقْصَى أباهُ، وظَهَرتِ الأَصْواتُ في المَساجِدِ، وسادَ القَبيلةَ فاسِقُهُمْ، وكانَ زَعيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخافَةَ شَرِّهِ، وظَهَرتِ القَيْناتُ والمَعازِفُ، وشُرِبَتِ الخُمورُ، ولَعَنَ آخِرُ هذِه الأُمَّةِ أوَّلَها، فارتَقِبُوا عِندَ ذلكَ رِيحاً حَمْراءَ، وزَلْزَلَةً وخَسْفاً ومَسْخاً وقَذْفاً، وآياتٍ تتابَعُ كنِظامٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فتتابَعَ».

قوله: «إذا اتُّخِذَ الفَيء دُوَلاً»، (الدُّوَل): جمع دُوْلَة ـ بضم الدال ـ وهو في المال؛ [يقال:] صارَ الفيءُ دُولةً بينهم يَتَدَاوَلونه مرةً لهذا ومرة لهذا، و(الدَّولة) بالفتح: في الحرب أن تُدَال إحدَى الفِئتين على الأخرى، ذكره في «منتخب الصحاح».

قال الأزهري: (الدُّوْلة) بالضم: اسم لما يتداول من المال؛ يعني: الفيء، و(الدَّولة) بالفتح: الانتقال من حالِ البؤسِ والضرِّ إلى حال الغِبطة والسرور، ذكره في «الغريبين».

يعني: إذا قسموا الفيء بين الأغنياء، وحرموا الفقراء من ذلك كما هو عادة الجاهلية.

ذكر محيي السنة في «معالم التنزيل»: أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمةً أخذَ الرئيسُ رُبعها لنفسه وهو المِرْباع، ويصطفي منها بعد المِرْباع ما شاء، فجعله الله لرسول الله ﷺ يقسمه فيما أمر، ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾؛ أي: وما أعطاكم الرسول من الفيء والغنيمة، ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]، وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه.

«المَسْخُ»: تحويل صورةٍ إلى ما هو أقبحُ منها.

قوله: «فارتقبوا»: جوابٌ لـ (إذا)؛ يعني: إذا صدر عن الناس الأشياء المذكورة، فانتظروا عند ذلك ريحاً حمراء، وباقي الآيات متتابعة كعِقْدٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فتتابَعَ.

* * *

٤٢١٠ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَذْهَبُ الدُّنيا حتَّى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ منْ أَهْلِ بَيْتي يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي».

وفي رِوايةٍ: «لوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلاَّ يَوْمٌ لَطَوَّلَ الله ذلكَ اليَوْمَ حتَّى يَبْعَثَ فيهِ رَجُلاً منِّي ـ أوْ منْ أَهْلِ بَيْتي ـ يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي، واسمُ أبيهِ اسمَ أبي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً».

قوله: «يواطئ اسمه اسمي»، (يواطئ)؛ أي: يوافق.

قوله: «يملأُ الأرض قِسْطاً»: (القِسط) بكسر القاف: مترادف للعَدْل، وهو اسم من (أقسَطَ): إذا عَدَلَ، و(القَسط) بفتح القاف: الجَوْرُ.

قوله: «حتى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي»، يريد: أنه يملِكُ العربَ والعجمَ جميعاً، إلا أنه ذكر العربَ دون العجم؛ لغلبة العرب في ذلك الزمان.

* * *

٤٢١١ ـ عن أُمِّ سَلَمةَ قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «المَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتي مِنْ وَلَدِ فاطِمَةَ».

قوله: «المَهْدِيُّ من عِتْرَتي»: من أولاد فاطمة.

(العِتْرَةُ): نَسْلُ الرَّجُلِ ورَهْطُهُ الأَدْنَوْن، ذكره في «منتخب الصحاح».

قال الخطابي: (العِتْرَة): ولدُ الرجل لصلبه، وقد تكون العِتْرَةُ أيضاً للأقرباء وبني العمومة، ومنه قول أبي بكر يوم السقيفة: نحنُ عترةُ النبي ﷺ.

* * *

٤٢١٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «المَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الجَبْهَةِ أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجَوْراً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنينَ».

قوله: «أَجْلَى الجبهةِ أَقْنَى الأنفِ»، (الأَجْلَى): الواسعُ الجبهة. (الأقنى):

المرتَفِعُ الأنف، وكلاهما صفة مدح. (القَنى): احْدِيدَابٌ في الأنف، رجلٌ أقنى الأنف.

* * *

٤٢١٤ - عن أُمِّ سَلَمَةَ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يكونُ اختِلافٌ عِنْدَ مَوتِ خَليفَةٍ، فيَخرُجُ رَجُلٌ منْ أهلِ المَدينةِ هارِباً إلى مكَّةَ، فيأتيهِ ناسٌ مِنْ أهلِ مَكَّةَ فيُخْرِجونَهُ وهو كارِهٌ، فيُبايعونَهُ بينَ الرُّكْنِ والمَقامِ، ويُبْعَثُ إليهِ بَعْثٌ منَ الشَّامِ، فيُخْسَفُ بهِمْ بالبَيْداءِ بينَ مكَّةَ والمَدينةِ، فإذا رأَى النَّاسُ ذلكَ أتاهُ أبْدالُ الشَّامِ وعَصَائِبُ أَهْلِ العِراقِ فيُبايعونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ منْ قُرَيشٍ، أَخْوالُه كَلْبٌ، فيَبْعَثُ إليهم بَعْثاً فيَظهرونَ عَلَيهِمْ، وذلكَ بَعْثُ كَلْبٍ، ويَعْمَلُ في النَّاسِ بِسُنَّةِ نبيِّهِمْ، ويُلقي الإسلامُ بجِرانِهِ إلى الأرْضِ، فيَلْبَثُ سبعَ سِنينَ، ثمَّ يَتَوفَّى ويُصلِّي عليهِ المُسْلمونَ».

قوله: «أبدالُ الشَّامِ»، (الأبدال): عبارةٌ عن أولياءِ الله سبحانه وتعالى، سُمُّوا أبدالاً؛ لأنه إذا مات واحدٌ منهم أبدلَ الله مكانه بشخص آخر، وواحدُ الأبدال: بَدَلٌ، وقيل: بَدِيلٌ.

قوله: «فيظهرون عليهم»: الضمير في (فيظهرون) للمتابعين، والضمير في (عليهم) لبعث النبي؛ يعني: إذا ظهر المهدي، ودعا إلى الحق ظهرَ قرشيٌّ منازع له، باغٍ حاسد، واتفق أن أمه تكون من قبيلة كَلْبٍ، فتكون تلك القبيلة أخواله، فينتصرون لابن أختهم فيقاتل شيعة المهدي مع شيعة القرشي أخواله من كلب، فتغلب شيعة المهدي، وهم الداخلون في بيعته على بني كَلْب جيشِ القُرشي.

قوله: «ويُلقي الإسلام بِجرانِهِ إلى الأرض»، (الجِران): مُقَدَّمُ العُنُقِ، وأصله في البعير: إذا مدَّ عنقَهُ على وجه الأرض، فيقال: ألقى البعير جِرانَهُ،

وإنما يفعل ذلك إذا طال مقامُه في مُنَاخه، فضرب الجِرَان مثلاً للإسلام إذا استقرَّ قرارُه، فلم تكن فتنةٌ ولا هيجٌ، وجَرَتْ أحكامه على العَدْل والاستقامة، ذكره الخطابي في «المعالم».

* * *

٤٢١٥ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: «ذكَر رسولُ الله ﷺ بلاءً يُصيبُ هذِهِ الأُمّةَ حتَّى لا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إليهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ الله رَجُلاً، مِنْ عِتْرَتِي أهلِ بَيْتِي، فَيَمْلأُ بِهِ الأَرضَ قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرضَى عنهُ ساكِنُ السَّماءِ، وساكِنُ الأَرْضِ، لا تَدعُ السَّماءُ مِنْ قَطْرِها شَيْئاً إلاَّ صبَّتْهُ مِدْراراً، ولا تَدَعُ الأرضُ من نَبَاتِها شَيْئاً إلاَّ أَخْرَجَتْهُ، حتَّى تَتَمَنَّى الأَحياءُ الأَمْوَاتَ، يعيشُ في ذلكَ سَبْعَ سِنينَ، أو ثَمانِ سِنينَ، أو تِسعَ سِنِينَ».

قوله: «لا تَدعُ السَّماءُ مِنْ قَطْرِهَا شيئاً إلا صبَّتْهُ مِدْراراً».

قال في «الفائق»: (المِدْرار): الكثير الدَّر، مِفْعَال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، كقولهم: (رجل وامرأة مِعْطَار ومِطْفَال)، و(مدرارا) نُصِبَ على الحال من ضمير (السماء).

قوله: «يعيشُ في ذلكَ سبعَ سنين، أو ثَمان سنين، أو تسعَ سنين»، (ذلك) إشارة إلى المذكور من العَدْل وغير ذلك من أنواع الخَيرات والأفعال المحمودة.

و(أو) في (ثمان أو تسع): يحتمل أن تكون للشكِّ من الراوي، ويحتمل أن تكون للتنويع كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ﴾ [المائدة: ٣٣].

* * *

٤٢١٦ ـ عن عليٍّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخرُجُ رَجُلٌ منْ وَراءِ النَّهرِ يقالُ له الحارِثُ بن حَرَّاثٍ، على مُقدِّمَتِهِ رَجُلٌ يقالُ لهُ: مَنْصُورٌ، يُوَطِّنُ ـ أو يُمَكِّنُ ـ لآلِ مُحَمَّدٍ كما مكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسولِ الله ﷺ، وَجَبَ علَى كلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُه ـ أو قال: إجابَتُهُ».

قوله: «يُوَطِّنُ او يُمَكِّنُ لآلِ محمَّد»، (التوطين): جَعْلُ الوطنِ لأَحَدٍ، وقد يُستعمل في معنى: تهيئة الأسباب مجازاً، (أو) للشك من الراوي، وكذلك (أو) في (أو قال إجابته) أيضاً للشك، ويجوز (أو) في (أو يمكّن) للإباحة، فمعناه: يوطِّنُ ويمكِّنُ.

فإن قيل: الأنصار وطنوا له ﷺ وللمهاجرين، وأخرجه قريش من مكة كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٤٠] فَلِمَ قال: (كما مكَّنَتْ قريشٌ لرسول الله ﷺ)؟

قيل: أراد بـ (قريش) مَنْ آمنَ منهم، ودخل في التمكين أبو طالب، إذا كان هو أصل التمكين، وإن لم يُؤمن عند أهل السنة.

* * *

٤٢١٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تُكلِّمَ السِّباعُ الإنْسَ، وحتَّى تُكلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وشِراكُ نَعْلِهِ، وتُخبِرَهُ فَخِذُهُ بما أَحْدَثَ أهلُهُ بَعْدَهُ».

قوله: «عَذَبَةُ سَوْطِهِ...» الحديث، (العَذَبَةُ): رأسُ السَّوط، وهي عبارةٌ عن قِدٍّ يكون في طرفه، وهو سير مضفور، يُسَاقُ به الفرس، و(عَذَبَةُ العمامة): ما يدلى من خيوطها تشبيهاً بعَذَبَةِ السَّوط.

قيل: في تسمية العذبة للاشتقاق وجهان:

أحدهما: مِنْ (عَذُبَ الماءُ): إذا طابَ وساغَ في الحلق، وكذا بهذه العَذَبَة يطيبُ سيرُ الفرسِ ويستريحُ راكبه ويَعْذُبُ له.

والثاني: أن يكون من (العَذَاب)؛ إذ به يُجلد الفَرَسُ ويُعَذَّبُ، وكذا عَذَبَةُ العمامة متعرضة للتلطُّخ والتشبث بمواضع تتمزق منها العمامة، فهي عَذَابُ اللابس.

* * *

٤ - باب

العلاماتِ بين يَدَي السَّاعةِ، وذِكْرِ الدَّجَّالِ

(باب العلامات التي بين يدي الساعة، وذكر الدجال)

«بينَ يَدي السَّاعة»؛ أي: قُدَّامها، فأصله: وضعتُ الشيءَ بين يدي فلان: أن يُستعمل في المكان الذي يُقابل صدره، ويكونُ بين يديه، ثم نُقِلَ إلى الزمان، فقيل: ما بين أيدينا وما خلفنا، والمراد به: الزمان الماضي والمستقبل، على اختلاف بين أرباب المعاني، وكل ما كان قبلَ قيامِ السَّاعةِ يكونُ بين يديه.

و(الدَّجَّالُ): مأخوذ من الدَّجَلِ، وهو اللَّبْسُ والتَّمويه، يقال: (دَجَلَ): إذا مَوَّهَ ولَبَّسَ، حكاه ابن الأنباري.

وقيل: سُمِّيَ دَجَّالاً؛ لأنه يضرِبُ في الأرض؛ أي: يسيرُ فيها ويقطعُ أكثرَ نواحيها، يقال: (دَجَلَ الرَّجُلُ): إذا سَاحَ في الأرض، حكاه ثعلب.

وقيل: (الدَّجَلُ): السِّحْرُ، وسمي الدَّجَّال دَجَّالاً؛ لأنه ساحر، يقال: دَجَّلَ فلانٌ الحقَّ بباطله): إذا غطَّاه، ومن ذلك أُخِذَ (الدَّجَّال)، ودَجَلَهُ: سَحَرَهُ

وكَذَّبَهُ، وكل كَذّابٍ دَجّال.

* * *

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢١٩ - وقال: «بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: الدُّخانَ، والدَّجّالَ، ودابَّةَ الأَرْضِ، وطُلوعَ الشَّمسِ مِنْ مَغرِبِها، وأَمْرَ العامَّةِ، وخُوَيْصَّةَ أحَدِكُم».

قوله: «بادروا بالأعمال ستاً»؛ أي: ستَّ آياتٍ، فحذف المضاف إليه؛ لأنه يفسرها ما بعدها، والشيء إذا أُبهم ثم فُسِّر كان أفخَمَ عند السامع؛ أي: أسرعوا إلى الأعمال الصالحة قبل ظُهورِ الآيات الستِّ المذكورة؛ لأن ظهورَها يُوجِبُ عدمَ توبة التائبين؛ أي: عدم قَبولها؛ لكونها ملجئةً إلى الإيمان، فلا يُثاب المكلفُ عند الإلجاء على عمله، فإذا انقطع الثواب انقطع التكليف.

قوله: «وأمرَ العَامَّةِ وخُوَيصَّةَ أحَدِكُمْ»، (وأمر العَامَّة): القيامة؛ لأنه يعمُّ الخلائق.

(الخُوَيصَّة): تصغيرُ الخَاصَّة، وهي الموت الذي يخصُّ كلَّ واحدٍ، وإنما صغَّره تصغيرَ تحقيرٍ؛ لأن الموتَ بالإضافةِ إلى الدَّواهي الأُخر من البعث والحساب وغير ذلك من شدائد الآخرة العظام صغيرٌ وحقير.

* * *

٤٢٢٠ - عن عبدالله بن عَمْرٍو قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُرُوجاً طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ

ضُحًى، وأيَّتهُما ما كانتْ قبلَ صاحِبَتِها فالأُخرى على أثَرِها قَرِيباً».

قوله: «إن أولَ الآياتِ خُروجاً طلوعُ الشمسِ من مَغرِبِها»، (خروجاً): نُصب على التمييز؛ يعني: (أول الآياتِ) مبهمٌ، وكلُّ اسم كان مبهماً يكون مفسرُهُ منصوباً على التمييز، إذ (أول): أفعل التفضيل، فنصب التمييز لإبهامه، فإنَّ الإبهام يستدعي تفسيراً، أو المستدعي هو العامل عند النحويين.

* * *

٤٢٢١ ـ عن أبي هُريرَةَ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾: طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبها، والدَّجَّالُ ودابَّةُ الأَرْضِ».

قوله: «ثلاثٌ»؛ أي: ثلاثُ آيات، فحذف المضاف إليه.

* * *

٤٢٢٢ ـ وقال: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ منْ مغربِها، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وذلكَ حينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾»، ثمَ قرأَ الآيَةَ.

قوله: «إذا طلعت الشمس» من مغربها، «ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾»، (أجمعون): تأكيدٌ للضمير في (آمنوا).

وإنما لا يُقبل الإيمانُ بعد طلوع الشمس من المغرب؛ لأنه انقضى زمنُ التكليف بالإيمان، إذ طلوع الشمس من المغرب من أحكام السَّاعة، فحينئذ كأنه ظهرت الساعة، وظهورُ السَّاعة علامةُ انقضاءِ التَّكليفِ.

* * *

٤٢٢٣ ـ وعن أبي ذَرٍّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ حِينَ غَرَبَت الشَّمسُ: «أتَدْرِي أينَ تَذْهَبُ هذه؟» قلتُ: الله ورسولُهُ أعلَمُ، قال: «فإنَّها تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فتستأذِنُ فيُؤذَنُ لها، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ فلا يُقبَلُ مِنها، وتَستَأذِنَ فلا يُؤذنَ لها، ويقالُ لها: ارجِعي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغرِبِها، فذلكَ قولُهُ تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾. قال: مُستَقَرُّها تَحْتَ العَرْشِ».

قوله: «يقال لها: ارجعي من حيثُ جِئْتِ، فتطلُعُ من مَغرِبِها، فذلك قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: مستقرُّها تحتَ العَرشِ»: قال محيي السنة في «شرح السنة»: قال الخطابي في قوله: ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[يس: ٣٨]: إنَّ أصحابَ التفسير من أهلِ المعاني قالوا فيه قولين:

قال بعضهم: معناه: ثمَّ الشمسُ تجري لمستقرٍ لها؛ أي: لأجَلٍ قُدِّرَ لها؛ أي: إلى انقطاعِ مدَّةِ بقاءِ العالَم.

وقال بعضهم: (مستقرُّها): غايةُ ما تنتهي إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم في السنة.

وأما قوله ﷺ: «مستقرُّها تحتَ العرشِ»، فلا ننكرُ أن يكونَ لها استقرارٌ تحتَ العرشِ من حيثُ لا ندرِكُهُ ولا نشاهِدُهُ، وإنما أخبَرَ عن غيبٍ، ولا نكذِّبُ به ولا نكيِّفُهُ؛ لأن علمَنا لا يحيطُ بِهِ.

ويحتمل أن يكون المعنى: إنَّ عِلْمَ ما سألْتَ عنه من مُستقرِّها تحت العرش في كتابٍ كُتب فيه مبادئُ أمورِ العالَمِ ونهاياتها، والوقتُ الذي تنتهي إليه مُدَّتُها، فينقطعُ دورانُ الشمسِ ويستقرُّ عند ذلك، فيبطُلُ فعلها، وهو اللوح المحفوظ.

وقال أبو سليمان: وفي هذا ـ يعني: وفي هذا الحديث الأول ـ إخبارٌ عن

سجود الشمس تحت العرش، فلا يُنكر أن يكون ذلك عند محاذاتِها العرشَ في مَسيرِها، وليس في سجودِها تحتَ العرش ما يعوقُها عن الدَّأْبِ في مَسِيْرِها، والتصرُّف لما سُخرت له.

* * *

٤٢٢٤ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيامِ السَّاعةِ أمْرٌ أكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ».

قوله: «ما بينَ خلقِ آدمَ إلى قيامِ السَّاعةِ أمرٌ أكبرُ من الدجال»؛ أي: لعظيم فتنتِهِ، وفظيعِ بليَّتِهِ، وليسَتْ بليَّته وفتنته وخوف النبي ﷺ على أمته منه مِن قِبَلِ شُبهةٍ تلحَقُ المؤمنين الموقنين العارفين بالله تعالى وصفاتِه، فإن المؤمنين عَرفوا الله تعالى معرفةً لا تتخالجهم فيها الظنون، ولا تعترضهم الشبهة؛ لأنه تعالى لا يُشبه شيئاً، ولا يُشبه شيءٌ، وأنه ليس كمثله شيء، وإن أوصَافَ المحدث عنه منفيةٌ سبحانه وتعالى وتنزَّه عن ذلك.

وإنما أنذَرَ أمته أنه يكونَ خروجُهُ في شِدَّةٍ من الزمان، وعُسْرٍ من الحال، وأن الناس يصيبُهُم شدةٌ، وأنه يستولي على أموالِهم ومواشِيهم، فيجوزُ أن يتَّبِعَهُ أقوامٌ بأبدانِهم وبألسنتِهم، وإن عَرفوا بقلوبهم كذبَهُ، وأن الله تعالى ليسَ كمثله شيء، ويكونُ تصديقُهم إيَّاه وإتباعهم تقيةً على حسبان تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ويحسبون أنَّ في تصديقه رُخصَةً، كما جاز في غيره، فَمَنْ تبعَهُ، صَرَفَ الله قلبَهُ، ولم يقبَلْ منه إيمانَ قلبه بالله، ولم يعذرْهُ في نفسِهِ، فإنه لم يأتِ في شيء من الأخبار رخصةٌ في اتباعه تقية، فأنذر النبي ﷺ قومَه، وخافَ عليهم فتنَتَهُ لذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقال في قصة ثعلبة: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾[التوبة: ٧٥ ـ ٧٧] أخبرَ أنهم لمَّا فعلوا ما نُهوا عنه صرفَ الله قلوبهم عن الإيمان، فكذلك مَن اتَّبع الدَّجّال؛ تقيةً رغبةً فيما عنده ورهبةً منه، صرفَ الله قلوبهم عن الإيمان به، فيكفرون.

ويجوز أن يكونَ شأنُ الدجال وأتباعه من المناهي التي شدَّد الله فيها، ولم يُجعل فيها رُخصة، وأنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ لم ينفعْهُ إيمانُهُ، كما جُعِلَ طلوعُ الشَّمسِ من مغربها فِتْنَةً لا يُقبل بعدَها إيمانُ مَنْ لم يكن آمنَ من قبل، وإن كان ذلك في القوة والصحة وإمكان الفعل.

أورد الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري ـ رحمه الله ـ في «معاني مشكلات أخبار النبي ﷺ» قوله: «إنه أعور، وإن الله ليس بأعور» ولو لَمْ يكن أعور، وكان صحيحَ العينين لم يكن يوجِبُ شبهةً، وإنما أرادَ ﷺ أنه إنسانٌ وليس بحيوان ولا شيطان، وليس له فضلُ قُوَّةٍ، ولا زيادةُ حَال يُخَافُ منه أكثر مما يُخَافُ مِنْ مُتَسلِّطٍ ظالمٍ عاتٍ جبَّارٍ من الناس، وأنه إنسان شَبَّهَ بنيتَهُ بِنيَتِهم، يؤذيهِ ما يُؤْذِيهِمْ، ويَحْتَاجُ إلى ما يحتاجُ إليه الناس، وإنه مؤوفٌ بآفةِ العَور، لا يقدرُ على إزالَتِها عن نفسه، إن سلطَ الله تعالى عليه بعوضةً صرفَتْهُ عن جميع ما يدَّعيه، وإن حرَّك عنه عِرقاً ساكناً، أو سكَّنَ منه متحرِّكاً زالَتْ عنه قوتُه، وأقلَقَهُ حَالُهُ.

فهذا من النبي ﷺ تشجيعٌ لمن ابتلي بأيامه، وأدركه سلطانه؛ كي لا يكونَ خوفُهُ منه أكبرَ من خوفه من أحد من الناس عليه سلطانه، كذا قال الشيخ الكلاباذي البخاري ـ رحمه الله ـ في «جمعه» أيضاً.

وحاصل تفسير الكلاباذي: أن الدجالَ إنسانٌ مثلكم، بل أضعف منكم؛ لأنه أعور، والعورُ نقصانٌ وعيب، فيلزم منه أن لا يكون إلهاً لوجهين:

أحدهما: أن الإله تجبُ سلامةُ ذاته من الآفات والعيوب.

والثاني: أنه لو كان إلهاً لأزال عيبَ نفسه، ولم يرضَ بنفسه النقصانَ، ثم عورُهُ إن كان من قبل نفسه، فالإلهُ لا يُنقِصُ أوصافه، وإن كان من قبل غيره، كما هو حق، فهو المخلوقُ الناقصُ، فيلزم أن يكون كبقية المخلوقين الجائرين الظالمين.

فإن قيل: ما الحكمةُ في أنه خُلِق أعور؟

قيل: لأنه لو كان مَؤوفاً بآفة أخرى غير العور لم يظهرْ كظهور العور، أو لأنه يكون أمارةً ظاهرةً تدلُّ على كذبه وسحره.

فإن قيل: لو كان أعمى؛ لكان أظهر من العور، فلمَ لم يُخلَق أعمى؟

قيل: لأنه قدَّر الله سبحانه إضلالَ قومٍ به، ولو كان أعمى، لم يكن منه إغواءٌ وإضلال.

* * *

٤٢٢٦ ـ وقال: «إنَّ الله لا يَخْفَى عَلَيكُمْ، إنَّ الله ليسَ بأَعْوَرَ، وإنَّ المَسيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيةٌ».

قوله: «وإنَّ المسيحَ الدجَّالَ أعورُ عينِ اليمنى، كأنَّ عينه عنبةٌ طافية»: قال الفراء: قال بعض الناس: الدجالُ مِسِّيح ـ بكسر الميم وتشديد السين ـ على وزن (فِعِّيل)؛ ليكون فرقاً بين المسيح عيسى ـ صلوات الله عليه ـ وبين الدجال.

قال في «شرح السنة»: بعض الناس يقولون للدجَّال: مِسِّيح ـ بكسر الميم وتشديد السين ـ على وزن (فِعِّيل)، وليس بشيء، بل هما في اللفظ واحد.

وقيل: سمي الدجال (مَسِيحاً) بفتح الميم وتخفيف السين؛ لأنه ممسوحُ

عن جميع الخير والبركة.

وقيل: لأنه يترَدَّدُ في جميع الصحاري والبلاد إلا مكة والمدينة، فإنه يحرمُ من دخولها.

وقيل: سُمِّي بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحةٌ.

قال في «شرح السنة»: (الطافية من العنب): الحبة الخارجة من أخواتها، ومنه: الطافي من السمك؛ لأنه يعلو ويظهر على رأس الماء، يريد: أن حدقته قائمة كذلك.

* * *

٤٢٢٨ ـ وعن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أُحدِّثُكُمْ حديثاً عنِ الدَّجَّالِ ما حَدَّثَ بهِ نبيٌّ قَوْمَهُ؟ إنَّهُ أعْوَرُ، وإنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بمِثْلِ الجَنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ: إنَّها الجَنَّةُ هيَ النَّارُ، وإنِّي أُنْذِرُكُمْ كما أَنْذَرَ بهِ نُوحٌ قَوْمَهُ».

قوله: «فالتي يقول: إنها الجنة هي النار»: وإنما قال: (هي النار)؛ لأن من اتبعه تصديقاً له يدخل في جنته، ومن دخل في جنته، استحقَّ النارَ الأبدية؛ لكفره، نعوذ بلطفه من عقابه، فلهذا سَمَّى النبيُّ ﷺ جنته ناراً؛ إطلاقاً لاسم السبب على المسبب.

* * *

٤٢٢٩ ـ عن حُذَيْفةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وإنَّ معَهُ ماءً وناراً، فأمَّا الذي يَراهُ النَّاسُ ماءً فنارٌ تُحرِقُ، وأمَّا الذي يَراهُ النَّاسُ ناراً فماءٌ بارِدٌ عَذْبٌ، فمنْ أدركَ ذلكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ في الذي يراهُ ناراً، فإنَّهُ ماءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ، وإنَّ الدَّجَّالَ مَمْسوحُ العَيْنِ، عليها ظَفَرَةٌ غَليظَةٌ، مَكْتوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ: كافِر، يقْرَؤُهُ كلُّ مُؤْمِنٍ كاتِبٍ وغيرِ كاتِبٍ».

قوله: «فأما الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تُحرِقُ، وأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ باردٌ عذبٌ»؛ يعني: إذا غضب على من يكذبه ورماه في ناره، جعل الله تعالى ناره ماءً بارداً، كالنار النمرودية التي جعلها لخليله ـ عليه الصلاة والسلام ـ برداً وسلاماً، وإذا رضي عمن صدقه، وأعطاه من ماله، جُعِلَ له ماؤه العذب البارد النارَ المحرقةَ المخلدة الدائمة.

واعلم أن ما يظهر من فتنته لا يكون له حقيقة، بل تخييلٌ منه وشَعْبَذَةٌ، كما يفعله السحرة والمُشعبِذُون.

ومعنى الشعبذة: تخيُّلُ الخيالات الباطلة، ويتوهَّمُ لأشياء حقائقَ، كما يفعل المشعبذُ بأخذِ ثوب أحد، وتمزيقه تخييلاً، ثم ينفضُهُ صحيحاً، فهو أحد الحيل.

فالحاصل: أن من ابتُلِيَ بزمانه ينبغي أن يكون صابراً على بلائه، متمسكاً بدينه، مستعيناً بربه، معتقداً بأنه لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع في العالم إلا الله سبحانه وتعالى.

قوله: «ممسوح العين»؛ أي: له عينٌ واحدة، وموضعُ عينٍ أخرى ممسوحٌ مثل جبهته، ليس له أثر العين، وعلى تلك العين ظفرة.

و«الظَّفرة»: جلدةٌ تغشي العين نابتةٌ من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها، قاله في «منتخب الصحاح».

قال الأصمعي: (الظَّفرة): لحمة تنبت عند المآقي، وأنشد:

بعينِها مِنَ البُكاءِ ظَفَرَهْ

حلَّ ابنُها في السِّجنِ وَسْطَ الكَفَرَهْ

قاله في «الغريبين».

* * *

٤٢٣٠ ـ وعن حُذَيفة قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «الدَّجَّالُ أعْوَرُ العَيْنِ اليُسرى، جُفَالُ الشَّعَرِ، معَهُ جَنَّتُهُ ونارُهُ، فنارُهُ جنَّةٌ، وجَنَّتُهُ نارٌ».

قوله: «أعور العين اليسرى. . .» إلى آخره. قال في هذا الحديث: إنه أعور العين اليسري، وفي الحديث المتقدم: «أعور العين اليمنى».

فإن قيل: كيف التوفيق بين الحديثين؟

قيل: اختلافُ اليسرى واليمنى في الرواية، لا تناقضٌ في قوله عليه الصلاة والسلام، بل يكون بالنسبة إلى أشخاص متفرقة، فقوم يرونه أعور اليسرى، وقوم يرونه أعور اليمنى؛ ليدل على تخييل أمره وبطلانه؛ لأنه إذا كان لا ترى خلقَتُهُ كما هي دلَّ على أنه ساحرٌ كذَّابٌ.

وأيضاً يجوز أن يفعلَ ذلك بنفسه شعبذةً وإيهاماً للقدرة أو بتقدير إلهي إذا أراد إضلال قوم، كما سيَّر معه جبالاً وجناناً ونيراناً، فجميعُ أحواله على الانقلاب، فكذا خلقته.

وقيل: كلُّ واحدة في زمان، فاختصَّ أحد الحديثين بزمان.

وقيل: يحتمل أن المراد به: نفيُ اليمنى واليسرى عنه، وإثباتُ ضدِّهما فيه.

قوله: «جُفال الشعر»، (الجفال) بالضم: كثير الشعر.

* * *

٤٢٣١ ـ عن النَّوَّاسِ بن سَمْعانَ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ فقال: «إنْ يَخرُجْ وأنا فيكُمْ فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخرُجْ ولَسْتُ فيكُمْ فامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، والله خليفَتي على كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّهُ شابٌّ قَطَطٌ عينُهُ طافِئةٌ، كأنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بن قَطَنٍ، فَمَنْ أدرَكَهُ منكُمْ فلْيَقْرأْ عليهِ فواتِحَ سُورةِ الكَهْفِ».

وفي رواية: «فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جوارُكم من فتنته إنه خارجٌ مِنْ خَلَّةٍ بينَ الشام والعراق، فعاثَ يميناً وعاثَ شمالاً، يا عبادَ الله فاثبتُوا». قلنا: يا رسولَ الله! وما لبثُهُ في الأرض؟ قال: «أربعونَ يوماً، يومٌ كسَنةٍ، ويَوْمٌ كشَهْرٍ، ويَوْمٌ كجُمُعَةٍ، وسائرُ أيّامِهِ كأيّامِكُمْ»، قلنا: يا رسولَ الله! فذلكَ اليَوْمُ الذي كسَنةٍ أيَكفِينا فيهِ صَلاةُ يومٍ؟ قال: «لا، اقدُروا لهُ قَدرَهُ». قُلنا: يا رسولَ الله! وما إسْراعُهُ في الأرضِ؟ قال: «كالغَيثِ استَدْبَرَتْهُ الرّيحُ، فيأتي على القَوْمِ فيَدعوهُمْ فيُؤمِنونَ بهِ، فيأمُرُ السّماءَ فتُمطِرُ، والأرضَ فتُنبِتُ، فتَروحُ عليهِمْ سارحَتُهُمْ أطولَ ما كانتْ ذُرًى، وأسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وأمَدَّهُ خَواصِرَ، ثم يأتي القَوْمَ فيَدعوهُمْ فيَردُّونَ عليهِ قولَهُ، فيَنصرِفُ عنهُمْ، فيُصبِحونَ مُمْحِلينَ ليسَ بأيديهِمْ شيْءٌ مِنْ أمْوالِهِمْ، ويمرُّ بالخَرِبَةِ فيقولُ لها: أخْرِجي كُنوزَكِ فتتبَعُهُ كنوزُها كيَعاسِيبِ النَّحْلِ، ثمَّ يَدعُو رَجُلاً مُمْتلِئاً شباباً، فيَضرِبُهُ بالسّيْفِ فيقطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثمَّ يَدعُوه فيُقبِلُ ويتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فبَيْنَما هوَ كذلكَ إذْ بَعَثَ الله المَسيحَ ابنَ مَرْيمَ، فيَنزِلُ عِندَ المنارَةِ البَيْضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بينَ مَهْرودَتَيْنِ واضِعاً كفَّيْهِ على أجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأطَأَ رأسَهُ قَطَرَ، وإذا رفعَهُ تَحَدَّرَ منهُ مِثْلُ جُمانٍ كاللُّؤلؤِ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلا ماتَ، ونَفَسُهُ يَنْتَهي حَيْثُ يَنتَهي طَرْفُهُ، فيَطْلُبُهُ حتّى يُدرِكَهُ بِبابِ لُدٍّ فيَقتُلُه، ثمَّ يأتي عيسى قَوْمٌ قدْ عصَمَهُمُ الله مِنْهُ، فيَمسَحُ عنْ وُجوهِهِمْ ويُحدِّثُهُمْ بدَرَجاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فبينَما هوَ كذلكَ إذْ أوْحَى الله إلى عيسى: إنّي قدْ أخْرَجتُ عِباداً لي لا يَدانِ لأحَدٍ بقتالِهِمْ فحَرِّزْ عبادي إلى الطُّورِ، ويَبْعَثُ الله يأجُوجَ ومأجُوجَ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيَمرُّ أوائلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فيَشرَبونَ ما فيها، ويمرُّ آخِرُهُمْ فيقولُ: لقدْ كانَ بهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، ثمَّ يَسيرونَ حتّى يَنتَهُوا إلى جَبَلِ الخَمَرِ، وهو جَبَلُ بيتِ المَقْدِسِ، فيقولونَ: لقدْ قَتَلنا مَنْ في الأرضِ، هَلُمَّ فلْنَقْتُلْ مَنْ في السّماءِ، فيَرمُونَ بنُشّابِهِمْ إلى السّماءِ، فيَرُدُّ الله عليهِمْ

نُشَّابِهِمْ مَخْضُوبَةً دَماً. ويُحْصَرُ نَبِيُّ الله وأَصْحابُهُ حتَّى يكونَ رأسُ الثَّوْرِ لأحدِهِمْ خَيراً مِنْ مِئَةِ دِينارٍ لأحدِكُمُ اليَوْمَ، فيَرْغَبُ نبيُّ الله عِيسَى وأَصْحابُهُ إلى الله، فيُرسِلُ الله عَلَيهِمُ النَّغَفَ في رِقابِهِمْ، فيُصْبِحونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ واحِدَةٍ، ثمّ يَهبِطُ نبيُّ الله عيسَى وأصحابُهُ إلى الأرْضِ، فلا يَجِدونَ في الأرْضِ موضِعَ شِبرٍ إلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ ونَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسَى وأصحابُهُ إلى الله، فيُرسِلُ الله طيراً كأعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فتطرَحُهُمْ حَيْثُ شاءَ الله - ويُروى: فتطرَحُهُمْ بالمَهْبِلِ، ويَسْتَوقِدُ المُسْلِمونَ مِنْ قِسِيهِمْ ونُشَّابِهِمْ وجِعابِهِمْ سَبْعَ سِنينَ - ثمَّ يُرْسِلُ الله مَطَراً لا يَكُنُّ منهُ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيَغْسِلُ الأرْضَ حتَّى يترُكَها كالزُّلَفَةِ، ثم يُقالُ للأرضِ: أنْبِتي ثَمَرَتَكِ ورُدِّي بَرَكَتَكِ، فيَوْمَئِذٍ تأكُلُ العِصابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ويَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِها، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حتَّى أنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفي الفِئامَ مِنَ النَّاسِ، واللَّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفي القَبيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللَّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَما هُمْ كذلكَ إذْ بعثَ الله رِيحاً طَيِبَةً فتأخُذُهُمْ تحتَ آباطِهِمْ، فَتَقبِضُ رُوْحَ كلِّ مُؤْمِنٍ وكُلِّ مُسْلِمٍ، ويبقى شِرارُ النَّاسِ يَتهارَجونَ فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فَعليهِمْ تقومُ السَّاعَةُ».

قوله: «فإن يخرجْ وأنا فيكم، فأنا حجيجُهُ دونكم»، (الحجيج): فعيل من (الحجة) بمعنى فاعل، وهو من فعال المغالبة؛ يعني: أنا غالب عليه بالحجة؛ يعني: إن خرج الدجال وأنا فيكم فأكفيكم شرَّه، وأدفعه عنكم، وإلا فليدفعْ كلٌّ منكم شره عن نفسه بما عنده من الحجج القاطعة، والبراهين اللائحة، شرعتها وعقليتها، ويجوز أن يكون الفعيل بمعنى الفاعل كالوزير بمعنى المُوَازِر؛ أي: أنا حجاجه ويحاجني فلا يحتاج أحد من أمتي إلى المحاجَّةِ معه.

ويلزم منه: أن يغلبَ الملعونَ؛ لأنه هو النبي المعصوم، فمن حاجَّه من الطلبة غلبه، كما فعل الخليل ﷺ بخصمه، وكذا موسى صلوات الله عليه.

فإن قيل: النبي ﷺ يعلم أن الدجّال لا يخرج في زمانه، فما الحكمة في قوله: «إن يخرج وأنا فيكم»؟

قيل: يحتملُ أن يريد بقوله: «وأنا فيكم»؛ يعني: ديني قائم فيكم إلى يوم القيامة، وهو غالبٌ على دعوى كل مفترٍ ومبطلٍ وماحيها، خصوصاً على دعوى من هو أشدُّ إغواء وهو الدجال.

ويحتمل أن يريد به: تحقيق خروجه؛ يعني: لا تشكوا في خروجه، فإنه سيخرجُ لا محالةَ.

ويحتمل أن يريد به: عدمِ علمه بوقت خروجه، كما أنه لا يدري متى الساعةُ.

ويحتمل أن يريد به: الإخبارَ بأنه ﷺ خاتم النبيين، ولا يكون بعدَه نبيٌّ، فإن خروجَهُ بعد ختم النبوة.

ويحتمل أن يريد به: إعلام الناس بقرب خروجه، ومجيء الساعة، كقوله ﷺ: «أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى.

ويحتمل أن يريد به: تنبيه أمته على ارتقابِ زمانه، والتعوُّذِ منه، وإن ظهر في أيِّ زمان ظهر، فليستعدَّ المؤمن على مصابرته، والتحمل من شدائده ومشاقه، ولا يغترَّ بزخرفته، بل يصرِّحُ بالحجة لا يبالي، وإذا عزم المؤمن على ذلك، أُثيب عليه.

قوله: «والله خليفتي على كلِّ مسلم»؛ يعني: والله - سبحانه وتعالى - وليُّ كلِّ مسلم، وحافظه، فيعينكم عليه، ويدفعُ عنكم شرَّه.

هذا دليلٌ على أن المؤمن الموقن لا يزال منصوراً، وإن لم يكن معه نبي ولا إمام.

قوله: «شــاب قَطَطٌ»: يقال: جَعِدٌ قَطَطٌ؛ أي: شديد الجعودة؛ يعني: شعره كشعر الزنج.

قوله: «كأني أشبهه بعبد العُزَّى بن قَطَنٍ»: (عبد العزَّى) ـ بضم العين ـ يهودي[1]، وتشبيهه ﷺ بعبد العزى إشارةٌ إلى أنه كذَّاب؛ لأنه من اتَّسم بسمةِ الحدوث، واتصف بصفة النقائص والعيوب لا ينبغي له هذه الدعوى، وكيف حال من هو أضعفُ البشر خلقة، وأنقصهم بنية؛ لكونه مَؤوفاً بأقبحِ آفةٍ، وهو العور؟!

فالحاصل: أن في دعواه الكاذبة استحالةً عظيمة بحيث يستحيلُ البحث فيه ذهناً؛ لأن العلمَ بكذبه الصراح بديهيٌّ، فإذن لا حاجةَ إلى البيان والبرهان، فسبحانه عن الشبيه والنظير.

قوله: «فمن أدركَهُ منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهف»: (الفواتح): جمع فاتحة، وهي أولُ كلِّ شيء؛ يعني: من أدرك زمانه فليقرأ أوائلَ سورة الكهف، فإنه وقي وحفظ من فتنته.

ورُوِيَ أنه ﷺ قال: «من داومَ على قراءةِ سورةِ الكهفِ وُقِيَ فتنةَ الدجَّال، لو أدرك زمانه».

إن قيل: لم خُصِّصت فواتح الكهف من بين سائر القرآن؟

قيل: مثل هذا من التعبدات التي لا يُعقَل معناها، ويحتمل أن يقال: لأن فواتحها مشتملةٌ على قصة أصحاب الكهف، وعصمتهم من دقيانوس وجنده،

---

(1) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٠١): أنه وقع عند أحمد: قطن بن عبد العزى، وزاد: فقال: يا رسول الله! هل يضرني شبهه؟ قال: لا، أنت مؤمن، وهو كافر. وهذه الزيادة ضعيفة، والمحفوظ أنه عبد العزى بن قطن، وأنه هلك في الجاهلية.

فكذا كل من كان يقرأها يحفظ من شرِّ الدجال ومَكرِهِ.

وأيضاً إذا قرأ فواتح الكهف، فاطلع على فضائل أصحاب الكهف؛ لمَّا التجؤوا إلى الله تعالى، وفرُّوا بدينهم إليه من شرِّ دقيانوس، أكرمهم الله بتلك الكرامة، كذلك من ينكر المسيح الدجال يكرمه الله، ويثني عليه كما أثنى عليهم.

وفيه تنبيهٌ على أن المؤمن قد يُبتلى بالظَّلَمة، ويصبر على دينه مع ظلم الظالم، فلا يرى ابتلاءه بالمسيح الدجَّال بدعةً في نفسه دون بقية المؤمنين.

قوله: «إنه خارج من خَلَّةٍ بين الشام والعراق»: (الخلة): السبيل بينهما؛ يعني: يخرج الدجال من طريق واقع بين الشام والعراق، فيقصد جانب يمينه وجانب يساره، بل جميع جوانب البلاد، إلا مكة والمدينة؛ فإنهما محفوظان من عند الله بالملائكة، والمعصومُ من عصمه الله تعالى.

لكن قوله ﷺ: «فاثبتوا» تسليةٌ لقلوب من ابتلي بزمانه، وتنجيةٌ لمن امتثل بأمره، وثبت على دينه، ولو فعل به ما فعل من العقوبات الشديدة.

قوله: «وما لبثه في الأرض...» إلى قوله: «اقدروا له قدره»، قيل: يمكن إجراؤه على ظاهره، فإنه سبحانه على كلِّ شيء قدير، فكما نرى أن الدورة اليومية منقسمة على أربع وعشرين ساعة، ويزيد في أحدهما، وينقص من الآخر، فيمكن أن يطوِّلَ سبحانه فيزيد في يوم واحد أجزاء السنة، ويكون اليوم بقدر سنة.

وسؤال الصلوات وجوابه منه ﷺ أنه ينبغي أن تُقدَّر بقدرِ أربع وعشرين ساعة، فيمكن في كل مقدار من هذا خمس صلوات، والله أعلم.

وأما إذا حملناه على التأويل المعنوي، فإن استطالة الأيام المكروهة واستقصارَ الأيام المحبوبة مشهورٌ عند العرب في نظمهم ونثرهم.

فيكون معناه ـ والله أعلم ـ: أن فتنة الدجال وشدة بلائه على المؤمنين تكون في أول الأمر أشدَّ وأصعبَ، وكلما يمتدُّ الزمان، يضعفُ أمره، ويهونُ كيده؛ لأن الحقَّ يزيد كل وقت نوراً وعلاءً، والباطلَ يزيدُ امّحاءً واضمحلالاً.

وأيضاً فإن الناس إذا اعتادوا[1] بالبلاء والمحنة، فإنه يهون عليهم إلى أن يضمحلَّ أمره وكيده بالكلية، فهذا معنى قوله ﷺ: يوم كسنةٍ، وشهرٍ، وجمعةٍ.

وأما سؤالهم عن صلوات تلك الأيام فمعناه ـ والله أعلم ـ: أنهم إذا وقعوا في ذلك البلاء العظيم، فيرخَّص لهم في ترك بعض الصلوات، كما يرخص المريض في ترك بعض الأركان، والمقاتل في بعضها، والمغشي عليه في ترك الجميع، ويلزمه القضاء، فهل تسقطُ عنهم في تلك الأحوال والأهوال؟

فأجاب ﷺ بأنه لا يسقط عنهم التكليف؛ لبقاء العقلِ المنوطِ به.

قوله: «فيأمر السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطولَ ما كانت ذُرى»: (السارحة): الماشية التي تسرحُ بالغداة إلى مراعيها.

وقال شمر: (السارحة): الإبل والغنم، ذكره في «الغريبين».

(الذُّرى): جمع ذروة، وهي أعلى السنام.

و**«أسبغَ»**: أتمَّ.

«الضُّروع»: جمع الضرع، وهو الثدي.

و**«أمدَّه»**؛ أي: زاده[2].

«الخواصر»: جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب.

---

(١) أي: تمرّسوا.

(٢) فسّر الشارح لفظة «أمدّه» على أنها فعل. يقال: أمدَّ الدواة: إذا زاد في مائها. وهي في الحديث اسم تفضيل؛ أي: أكثر امتداداً؛ لكثرة امتلائها من الشبع.

يعني: يأمر السحاب بأن تمطرَ فتمطرُ، ويأمر الأرض بأن تنبتَ فتنبتُ، فتعود إليهم ماشيتهم سِماناً كثيرة الدَّرِ، أسمنَ ما كانت قبل المَحْلِ.

وقيل: إنما يريهم ذلك سحراً وشعبذة، ولو كان ذلك على الحقيقة لَمَا بَعُدَ ذلك؛ أن يفعلَ الله سبحانه هذه الأفاعيلَ عند حركاتٍ يتحرَّك بها الدجَّال، كما أنه خلق الخُوارَ في العجل الذي صاغه السامري ابتلاء وامتحاناً لعباده، ولله سبحانه أن يمتحنَ عبادَهُ بما شاء.

«مُمْحِلين»؛ أي: مُجدِبين، (أمحل): إذا دخل في الجدب؛ أي: القحط.

«اليعاسيب»: جمع يعسوب، وهو سيد النحل.

قوله: «فيقطعه جَزْلتين»؛ أي: قطعتين.

«رميةَ الغَرَضِ»؛ أي: الهدف، يريد أن يُبعدُ ما بين القطعتين رمية الغرض؛ أي: يفصلُ بينهما.

تهلَّلَ السحابُ ببرقِهِ: إذا تلألأ، و«تهلَّل وجه الرجل»: إذا حَسُنَ من الفرح.

قوله: «يضحك»: حال من الضمير في فيقبل؛ أي: (فيقبل) ضاحكاً بشاشاً.

قوله: «مَهْرُودَتَين»؛ أي: شِقَّتين، أو حُلَّتين ملونتين؛ أي: مصبوغتين بالهُرْدِ، وهو صبغ يشبه العُروقَ، والعُروق: نباتٌ أصفر يُصبَغ به، وهو يقال بالفارسية: لازرد.

قال في «شرح السنة»: ويروى هذا الحرف: (مهروذتين) بالدال والذال جميعاً؛ أي: مُمَصَّرتين، والمُمَصَّرةُ من النبات: ما فيها صُفرةٌ.

ويروى في وصف عيسى عليه السلام: رجل مربوع إلى البياض والحمرة، يمشي بين مُمَصَّرتين.

«طأطأ رأسه»: إذا خفضه، «تحدَّر»: إذا نزل، «الجُمان»: جمع جمانة، وهي حبَّةٌ تعمل من الفضة كالدُّرة، ذكره في «منتخب الصحاح».

يعني: إذا خفض عيسى ﷺ رأسَهُ قطرَ من شعره قطراتٌ نورانية كاللآلئ، وإذا رفع رأسه نزلت تلك القطرات.

«بباب لُد»، و(اللُّد) بالضم: موضع.

اليدان: الطاقة.

«لا يَدَانِ»؛ أي: لا طاقةَ.

«الحَدَب»: ما ارتفع من الأرض، النسلُ: الإسراع؛ أي: ينزلوا من كل مكان مرتفع بسرعة.

(النُّشَّاب) بضم النون وتشديد الشين: السهام، واحده نشابة، والناشب: صاحب السهم.

قوله: «فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله»؛ أي: يدعون الله سبحانه بإهلاكهم واستئصالهم، يقال: (رغب إليه): إذا دعاه، و(رغب فيه)؛ أي: مال إليه، و(رغب عنه)؛ أي: مال عنه.

«النَّغَف»: الدود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحده: نغفة.

قوله: «فَرْسَى» بفتح الفاء والسين وسكون الراء: معناه: قتلى، واحده: فَرِيس، مثل: قتيل وقتلى، وصريع وصرعى، من (فرس الذئب الشاة فرساً): إذا قتلها قتلاً، وأصل ذلك من دقِّ العنق، ثم استعير لكلِّ قتل، ومنه: فريسة الأسد.

«البُخت»: الإبل، مُعرَّب، (البخاتي) جمعه، ذكره في «منتخب الصحاح».

«النَّهْبَل»[1]: موضع.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، قال في «القاموس المحيط» مادة (نهبل): وفي «الترمذي» في حديث الدجَّال: فيطرحهم بالنهبل، وهو تصحيف، والصواب بالميم؛ أي: المهبل.

«الجِعاب»: جمع جعبة، وهي غلاف النشاب.

قوله: «ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ»: يقال: كننت الشيء وأكننته؛ أي: سترته؛ يعني: ثم يرسل الله مطراً مِدْراراً بحيث لا يستُر أحداً بيتُ مدرٍ ولا وبر من ذلك المطر، (لا يكن...) إلى آخره صفة لقوله: «مطراً».

وقال أبو عمرو: «الزَّلَف»: المصانع، واحدتها: زَلَفَةٌ؛ بفتح الكل، ذكره في «الغريبين»، وقيل: الإجَّانةُ الخضراء.

قوله: «يستظلُّون بقَحْفها»: أصل القحف: العظم الذي فوق الدماغ، ثم استُعيرَ في الشجر.

قوله: «يُبارَك في الرِّسلِ حتى أن اللِّقحةَ من الإبل لتكفي الفِئامَ من الناس»، (يبارك): يفاعَل - بفتح العين - من (البركة)، وهي: الكثرة والاتساع.

و(الرِّسل) بكسر الراء: اللبن، و(اللِّقحة) بكسر اللام: الناقة التي نتجت حديثاً، والجمع: (لِقَح) و(لَقَح) بكسر اللام وفتحها وفتح القاف، و(ناقة لَقوح) بفتح اللام: إذا كانت غزيرة الدر، والجمع: لُقُح؛ بضم اللام والقاف.

(الفِئام): الجماعة التي فيها كثرة وسعة من الناس، لا واحدَ له من لفظه، وهو اسم جمعٍ، لا جمع تكسير، وهو كالنسوة بالنسبة إلى المرأة، والقوم بالنسبة إلى الرجل.

يعني: تُجعَل البركةُ والخير الكثير في اللبن في ذلك الزمان حتى أن ناقة واحدة ذات لبن، يكفي لبنها لجمع كثير من الناس، وكذلك بقرة واحدة يكفي لبنها لقبيلة عظيمة من الناس، ولبن شاة واحدة أيضاً يكفي لفخذ من الناس.

و«الفخذُ في العشائر» أقل من البطن، والبطنُ أقل من القبيلة، والقبيلة: بنو أبٍ واحد.

قوله: «بينما هم كذلك»: (ما) في (بينما) عوضٌ عن المضاف إليه، و(إذ) في «إذ بعث» للمفاجأة، والعامل في (بينما) (بعث).

يعني: متنعمون في طيب العيش والسعة، ويميلون إليه كلَّ الميل، ويسكنون فيه، ويتمادون في غرة وغفلة عظيمة، فأرسل الله عليهم فجأة ريحاً طيبة بين ذلك الزمانِ الخَضـلِ، تجري تحت آباطهم، فيموت جميع من في ذلك الزمان من أهل الطاعة، ويبقى شِرارُ الناس ورذائلهم.

«يتهارجون»؛ أي: يختلطون، يقال: هرج القوم يهرجون هرجاً، وهرج الفرس: إذا اشتد عدوه، (يتهارجون): حال من (شرار الناس)؛ يعني: يبقى شرارُ الناس متهارجين مختلطين اختلاطَ الحُمُرِ، «فعليهم تقوم الساعة».

* * *

٤٢٣٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمنينَ، فَتَلْقاهُ المَسالِحُ، مَسالِحُ الدَّجَّالِ، فيقولونَ لهُ: أينَ تَعْمِدُ؟ فيقولُ: أَعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ، قال فيقولونَ لهُ: أَوَ ما تُؤمِنُ بِرَبِّنا؟ فيقولُ: ما بِرَبِّنا خَفاءٌ، فيقولونَ: اقْتُلُوه، فيقولُ بعضُهُمْ لبعضٍ: أليسَ قَدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدَاً دُونَهُ، فينطلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ، فإذا رآهُ المُؤْمِنُ قال: يا أيُّها النَّاسُ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ، قالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ النَّاسَ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فيقولُ: خُذوهُ وشُجُّوهُ، فيُوسَعُ ظَهْرُهُ وبَطْنُهُ ضَرْباً، قال فيقولُ: أما تُؤمِنُ بي؟ قالَ فيقولُ: أنتَ المَسِيحُ الدَّجَّالُ الكَذَّابُ، قالَ: فيُؤْمَرُ بِهِ فيُؤْشَرُ بالمِئْشارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قال: ثمَّ يَمْشي الدَّجَّالُ بينَ القِطْعَتَيْنِ، ثمَّ يقولُ لهُ: قُمْ، فيَستوِي قائِماً، ثُمَّ يقولُ لهُ: أتُؤْمِنُ بي؟ فيقولُ: ما ازْدَدْتُ فيكَ إلا بَصيرَةً، قالَ: ثُمَّ يقُولُ: يا أيُّها النَّاسُ إنَّهُ لا يَفْعَلُ هذا بَعْدِي بأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قال: فيأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فيُجعَلُ ما بينَ

رقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحاساً، فلا يَسْتَطِيعُ إليهِ سَبيلاً، قال: فَيَأْخُذُ بِيدَيْهِ ورِجلَيْهِ فيَقْذِفُ بهِ، فيَحْسِبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّارِ، وإنَّمَا أُلْقِيَ في الجنَّةِ». فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هذا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهادَةً عندَ رَبِّ العالمينَ».

قوله: «فيتوجَّهُ قِبَلَه رجلٌ من المؤمنين»، (القِبَل) بكسر القاف وفتح الباء: النحو والجانب؛ يعني: يقبل نحو الدجال وجانبه رجلٌ من المؤمنين.

«المَسالح»: جمع مَسْلَحة، وهم قوم ذوو سلاح.

«البصائر»: جمع بصيرة، وهي بصر القلب، وهي في الحقيقة انشراحُ الصدور وهدايته، واستقرارُ الهدى فيه.

قال الكَلاباذي في «معاني الأخبار»: هذا الحديث دليلٌ على أن الدجَّال لا يقدر على ما يريده، وإنما يفعلُ الله تعالى عند حركتِهِ في نفسه ومحل قدرتِهِ ما شاء الله أن يفعله؛ اختباراً للخلق، وابتلاء لهم؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويَحيى من حيَّ عن بينة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء، فيرى من أرادَ الله إضلالَهُ أنه أمطرت السماء وأنبتت الأرض بأمره، فيصدقه، والمؤمن الموقن الذي أراد الله تعالى هدايته، يثبته على إيمانه، فيكذبه، ويستخفُّ بفعله، ويعلم أن السماء أمطرت وأن الأرض أنبتت بإذن الله تعالى، وأن الدجال أهونُ على الله تعالى من أن يقدِرَ على ذلك، فإن سُلِّطَ عليه حتى قتله، أحياه الله تعالى، فيكذبه ويقول: ما كنت فيك أشدَّ بصيرة من اليوم، فيتشجَّعُ المؤمن، ويهلك الكافر الضال الذي أراد الله تعالى أن يضله، فيصدقه بقوله: إنه قتله وأحياه، ثم يريد أن يقتله، فلا يتسلَّطُ عليه، فإن ما كان يفعله على التخييل مثل السحر الذي قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

* * *

٤٢٣٤ ـ عن أنس، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهودِ أَصْبَهانَ سَبْعونَ أَلفاً عليهِمُ الطَّيالِسَةُ».

قوله: «يتبع الدجال من اليهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة...» إلى آخره.

(الطيالسة): جمع الطيلسان.

* * *

٤٢٣٥ ـ وقالَ: «يأتي الدَّجَّالُ، وهوَ مُحَرَّمٌ عليهِ أنْ يَدخُلَ نِقابَ المَدينةِ، فينزِلُ بَعْضَ السِّباخِ التي تَلي المَدينَةَ، فيخرُجُ إليهِ رَجُلٌ، وهو خَيْرُ النَّاسِ، أو مِنْ خِيارِ النَّاسِ، فيقولُ: أَشْهَدُ أنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حَدَّثَنا رسولُ الله ﷺ حَديثَهُ، فيقولُ الدَّجَّالُ: أرأَيْتُم إنْ قَتلتُ هذا ثمَّ أَحْيَيْتُهُ هلْ تَشُكُّونَ في الأَمْرِ؟ فيقولونَ: لا، فيقتُلُهُ ثمَّ يُحْييهِ، فيقولُ: واللهِ ما كُنْتُ فيكَ أَشَدَّ بَصيرةً مِنِّي اليَوْمَ، فيُريدُ الدَّجَّالُ أنْ يقتُلَهُ فلا يُسلَّطُ عليهِ».

«النِّقاب»: جمع نقب، وهو الطريق بين الجبلين، ذكره في «الغريبين».

* * *

٤٢٣٦ ـ عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «يأتي المَسيحُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ هِمَّتُهُ المَدينةُ، حتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثمَّ تَصرِفُ الملائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وهُنالِكَ يَهلِكُ».

قوله: «حتى ينزل دبر أحد...» إلى آخره.

الدُّبُرُ والدُّبْرُ: الظَّهرُ، قاله في «منتخب الصحاح».

يعني: ينزل الدجالُ خلفَ جبل أحد، ثم تصرفُ الملائكةُ وجهه نحوَ الشام.

* * *

٤٢٣٧ ـ وعن أبي بَكرَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «لا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لها يَوْمَئِذٍ سَبعةُ أبوابٍ عَلَى كلِّ بابٍ مَلَكانِ».

قوله: «رعبَ المسيح»؛ أي: خوفه.

* * *

٤٢٣٨ ـ عن فاطمةَ بنتِ قَيْسٍ قالت: سَمِعْتُ مُنادِيَ رسولِ الله ﷺ يُنادِي: الصَّلاةَ جامِعَةً، فخَرَجْتُ إلى المَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ جَلَسَ عَلَى المِنبرِ وهوَ يَضْحَكُ فقال: «لِيَلْزَمْ كلُّ إنْسانٍ مُصَلاهُ»، ثُمَّ قال: «هلْ تَدرونَ لِمَ جَمعتُكُم؟» قالوا: الله ورسولُهُ أعلمُ، قال: «إنِّي والله ما جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ ولا لِرَهْبَةٍ، ولكنْ جَمَعْتُكُم لأَنَّ تَميماً الدَّارِيَّ كانَ رَجُلاً نَصْرانِيَّاً، فجاءَ وأَسْلَمَ، وحَدَّثَني حَديثاً وافَقَ الذي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ بِهِ عنِ المَسيحِ الدَّجَّالِ، حدَّثَني أنَّهُ رَكِبَ في سَفينةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثلاثينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وجُذامَ، فلَعِبَ بِهِمُ المَوْجُ شَهْراً في البَحْرِ، فَأَرْفَؤُوا إلى جَزيرةٍ حينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، فجَلَسُوا في أَقْرُبِ السَّفينةِ فدخَلُوا الجزيرةَ، فلَقِيَتْهُمْ دابَّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشَّعَرِ، لا يَدْرونَ ما قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كثرةِ الشَّعَرِ، قالوا: وَيلَكِ ما أنتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسَةُ، انطلِقُوا إلى هذا الرَّجُلِ في الدَّيْرِ فإنَّهُ إلى خَبَرِكُمْ بالأشْواقِ، قال: لمَّا سَمَّتْ لنا رجلاً فَرِقْنا منها أنْ تكونَ شَيْطانةً، قال: فانطلَقْنا سِراعاً حتَّى دخَلْنا الدَّيْرَ، فإذا فيهِ أَعْظَمُ إنْسانٍ ما رأيناهُ قطُّ خَلْقاً، وأشَدُّهُ وِثاقاً، مَجْمُوعَةٌ يَداهُ إلى عُنُقِهِ ما بينَ رُكبَتَيْهِ إلى كَعْبَيْهِ بالحَديدِ، قُلنا: وَيْلَكَ ما أنتَ؟ قال: قدْ قَدَرْتُمْ علَى خَبَرِي فأخبروني ما أنتُم؟ قالوا: نَحْنُ أُناسٌ مِنَ العَرَبِ رَكِبنا في سَفينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فلَعِبَ بنا البَحْرُ شَهْراً فدَخَلْنا الجزيرةَ، فلَقِيَتْنا دابَّةٌ أَهْلَبُ فقالت: أنا الجَسَّاسَةُ، اعْمِدُوا إلى هذا الرَّجلِ في الدَّيْرِ، فأقبَلْنا إليكَ سِراعاً، فقال: أَخْبِروني عنْ نَخْلِ بَيْسانَ هلْ تُثمِرُ؟ قُلْنا: نَعَم، ثُمَّ قال: أَما إنَّها يُوشِكُ أنْ

لا تُثمِرَ، قال: أَخبِـروني عن بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ هلْ فيها ماءٌ؟ قلنا: هيَ كثيرةُ الماءِ، قال: أَما إنَّ ماءَها يُوشِكُ أنْ يذهَبَ، قال: أَخبِـروني عنْ عَيْنِ زُغَرَ هلْ في العينِ ماءٌ؟ وهلْ يَزرَعُ أهلُها بماءِ العَيْنِ؟ قلنا: نعمْ، هيَ كثيرةُ الماءِ، وأهلُها يزرَعونَ مِنْ مائِها، قال: أَخبِـروني عنْ نَبـيِّ الأُمِّيِّـينَ ما فعلَ؟ قالوا: قد خرجَ من مكةَ ونزَلَ يثربَ، قال: أقاتَلَه العربُ؟ قلنا نعم، قال: كيفَ صَنَعَ بهِمْ؟ فأخبرناهُ أنَّهُ قدْ ظَهَرَ علَى مَنْ يَليهِ مِنَ العَرَبِ وأطاعوهُ، قال: أَمَا إنَّ ذلكَ خَيْرٌ لهمْ أنْ يُطيعوهُ، وإنِّي مُخبِـرُكُمْ عنِّي، إنِّي أنا المَسِـيحُ، وإنِّي أُوشِكُ أنْ يُؤْذَنَ لي في الخُروجِ فأَخرُجَ فأَسيرَ في الأرْضِ فلا أَدَعَ قريةً إلاَّ هَبَطْتُها في أربعينَ ليلةً غيرَ مكَّةَ وطَيْبَةَ، هُما مُحَرَّمَتانِ عليَّ كِلتاهُما، كُلَّما أَرَدْتُ أنْ أدْخُلَ واحِدَةً مِنهُما استقبَلَني مَلَكٌ بيدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نَقْبٍ منها ملائِكَةً يَحرُسونَها»، قالَ رسولُ الله ﷺ، وطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ في المِنْبَرِ: «هذِهِ طَيْبَةُ، هذِهِ طَيْبَةُ، هذه طيبةُ»، يَعني: المَدينَةَ، «ألا هلْ كنتُ حَدَّثْتُكُمْ؟» فقالَ النَّاسُ: نعمْ، قال: «ألا إنَّهُ في بَحْرِ الشَّامِ أوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لا بَلْ منْ قِبَلِ المَشرِقِ ما هُوَ»، وأَوْمَأَ بيدِهِ إلى المَشرِقِ.

قولها: «ينادي: الصلاة جامعة»: في إعرابهما أربعُ صور: رفعهما؛ لكونهما مبتدأ وخبراً، ونصبهما على تقدير: احضروا الصلاة في حال كونها جامعة، ورفع الأول ونصب الثاني على تقدير: هذه الصلاة في حال كونها جامعة، ونصب الأول ورفع الثاني على تقدير: احضروا الصلاة وهي جامعة، وعلى التقديرات الأربع محلُّ الجملة نصب؛ لكونها مفعول يُنادي، ومفعوله حكاية؛ لأن فيه معنى القول.

قوله: «لَخْم وجُذام»: قبيلتان.

قال الخطابي في «معالمه»: «فأرْفَؤوا إلى جزيرة» معناه: أنهم قرّبوا السفينة إليها، يقال: أرفأت السفينة: إذا قربتها من الساحل، وهذا مرفأ السفن.

و«أَقْرُب السفينة»: يريد بها القوارب، وهي سفنٌ صغارٌ تكون مع السفن البحرية، كالجنائب لها، تتخذ لحوائجهم، واحدها: قارب، فأما (الأَقْرُب)؛ فإنه جمعٌ على غير قياس.

و«الجسَّاسة»: يقال: إنها تجسَّسُ الأخبارَ للدجَّال، وبه سُمِّيت جسَّاسة.

و«الأَهْلَب»: الكثير الهلب، والهلب: الشعر، هذا كله لفظ الخطابي.

(الأهلب): الفرسُ الكثير الشعر. ذكره في «منتخب الصحاح».

«بيسان» بالباء المنقوطة تحتها بنقطة، وبعدها ياء منقوطة تحتها بنقطتين: موضعٌ ينسب إليه الخمر.

و«الزُّغَر» بالزاي والغين المعجمة: موضعٌ قليل النبات.

وقيل: (زُغَر) لا ينصرف، فإن كان كما زعم الكلبي: أنه اسم امرأة؛ للتعريف والتأنيث، فهو كامرأة سَمَّيتها بسفر، وإن كان (زُغَر) اسمَ رجلٍ ونُقِلَ غيرَ منصرف، فوجهه أنه كـ (عمر)، أصله: زاغر، لا ينصرفُ للعلمية والعدل.

وقيل: علم للبقعة، واشتقاقه من (زغرَ الماء) بمعنى: زخر؛ إما أصلٌ، وإما بدلٌ من الخاء؛ لأن الغين والخاء من حروف الحلق، وبينهما تناسُبٌ.

قوله: «بيده السيفُ صُلتاً»، (أصلَتَ السيفَ): إذا جرَّده من غمده، (صلتاً)؛ أي: مصلتاً، وهو مسلول.

قوله: «وطعن بمِخْصَرته في المنبر»، (المِخْصَرة): كالسوط، وكلُّ ما اختصر الإنسان بيده، فأمسكه من عصا ونحوها، ذكره في «منتخب الصحاح».

سُمِّيت المدينة «طيبة»؛ لأنها طاهرة من الخبث والنفاق، كما قال ﷺ في المدينة: «المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها»، ذكره في «شرح السنة».

قوله: «ألا إنَّه في بحرِ الشامِ، أو بحرِ اليمنِ، لا بل مِنْ قِبَلِ المشرقِ

ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق»: يحتملُ أن يكونَ لتردده ﷺ في ذلك الزمان؛ لأنه ما كان نزل عليه في ذلك وحيٌ مصرَّحٌ بمحله، بل على الاحتمال كما في علم الساعة.

ويحتمل أن يكون لتَنقُّلِ الدجَّال في هذه المواضع الثلاثة بمعنى: أنه لا يتجاوزُ هذه المواضع الثلاث، بل كل وقت يتنقلُ من هذه الأمكنة بعضها إلى بعض، فيكون في الأخبار نظير (أو) الإباحاة في قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين؛ أي: لا تتجاوزهما.

و(ما) في (ما هو) بمعنى الذي؛ أي: الجانب الذي هو فيه.

(أومأ)؛ أي: أشار.

* * *

٤٢٣٩ - عن عبدالله بن عُمَرَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُني الليلَةَ عِنْدَ الكعبةِ، فرأيتُ رَجُلاً آدمَ كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ، لهُ لِمَّةٌ كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قد رجَّلَها فهيَ تقطُرُ ماءً، مُتَّكِئاً على عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بالبيتِ، فسألتُ مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا المَسيحُ ابن مريمَ، قال: ثمَّ إذا أنا برجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أعوَرِ العَيْنِ اليُمنَى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ، كأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بابنِ قَطَنٍ، واضعاً يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطوفُ بالبيتِ، فسألتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا المَسِيحُ الدَّجَّالُ».

وفي رِوايةٍ: قالَ في الدَّجَّال: «رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسيمٌ، جَعدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمنَى، أقرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابن قَطَنٍ».

قوله: «رأيتني الليلة»: اعلم أنه لا يجوزُ اجتماعُ ضمير الفاعل والمفعول في شخص واحد؛ يعني: لا يجوز أن تقول: ضربتُني؛ التاء التي هي الفاعل، والياء في لفظة (ني) هي للمفعول، كلاهما ضمير نفسك في اللفظ والمعنى.

أما أفعال القلوب فيجوزُ فيها اجتماعُ ضمير الفاعل والمفعول لشخص واحد، كقولك: ظننتُني منطلقاً، والتاء في لفظة (ظننت) فاعل، والتاء في لفظة (ني) مفعول في اللفظ دون المعنى؛ لأن ظنك واقعٌ على انطلاقك، لا على ذاتك؛ لأنه لا شكَّ لك في ذاتك، فإذا كان كذلك، لم يجتمعْ ضميرُ الفاعل والمفعول في الحقيقة؛ لأن المفعول الثاني هو الحقيقي، إذ هو المظنون وغيره المحقق.

وأما (رأيتني) فهو بمعنى: علمتني، والياء مفعوله الأول، و(عند الكعبة) هو الثاني، تقديره: وعلمت نفسي حاصلاً عند الكعبة.

قوله: «له لِمَّةٌ كأحسنِ ما أنت راءٍ من اللِّمَم»: (اللِّمة): الشعر الذي تجاوزَ شحمةَ الأذن، (لمم): جمعها.

و«قد رجَّلها»؛ أي: قد سرَّحها وامتشطها.

«العواتق»: جمع عاتق، وهو موضع الرداء من الكتف.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٤٠ ـ عن فاطِمَةَ بنتِ قَيْسٍ في حديثِ تَميمِ الدَّارِيِّ قال: فإذا أنا بامرأةٍ تجرُّ شَعْرَها، قال: ما أنْتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسَةُ، اذهَبْ إلى ذلكَ القَصْرِ، فأتيتُهُ، فإذا رَجُلٌ يجُرُّ شَعْرَهُ، مُسَلْسَلٌ في الأغْلالِ، يَنْزُو فيما بينَ السَّماءِ والأرْضِ، فقُلت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا الدَّجَّالُ.

قولها في حديث تميم الداري: «فإذا أنا بامرأةٍ تجرُّ شعرَها»: (إذا) للمفاجأة، وهي ظرف مكان يقع خبراً عن الجثة، وبعده مبتدأ خبره جائزُ الحذفِ.

(أنا): مبتدأ، و(بامرأة): خبره، و(تجر شعرها): صفة للمرأة.

وقيل: (إذا) خبرٌ يجبُ تقديمُه، ولا حاجة إلى إضمار خبر آخر، وجعل (إذا) متعلقاً بذلك المحذوف؛ لأن هذا الكلام مفيدٌ، فلا حاجة إلى الإضمار، تقول: خرجت فإذا زيد؛ أي: هناك زيد، أو بالحضرة زيد، والعامل في (إذا) استقراره؛ يعني: الفعل المقدر الذي هو متعلقه، والعامل في (بامرأة)؛ إما هو الاستقرار، أو نائبه، وهو (إذا).

يعني: قال تميم الداري: رأيتُ فجأةً في بعض أسفاري امرأة كثيرة الشعر، فقلت لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، ومعنى الجساسة ذُكِرَ قبيل هذا.

وفي هذا الحديث رُوي: أن الجساسة امرأة، وفي الحديث المتقدم رُوي: أن الجساسة دابة، ويحتمل أن الجمعَ بين الحديثين: أن للدجَّال جاسوسين دابة وامرأة؛ ففي الحديث المتقدم قد رُئيت الدابة، وفي هذا الحديث قد رُئيت المرأة.

ويحتمل أن كلاهما شيطان واحد، إلا أن في الحديث الأول: أنه قد رُئي على صورة دابة، وفي هذا الحديث: على صورة امرأة، والشيطانُ يتصوَّرُ على أية صورة شاء.

قوله: «**فإذا رجل يجرُّ شعرَهُ مسلسلٌ في الأغلال**...» إلى آخره.

(مُسلسل): اسم مفعول من (سلسل) مضاعف فعلل، وهو بمعنى: علق.

«**ينْزُو**»؛ أي: يتحرَّك ويثب مع القيد؛ يعني: فأتيت ذلك القصر، فرأيت رجلاً كثير الشعر مقيداً بالسلاسل والأغلال معلقاً بين السماء والأرض، ومع ذلك القيد والغلِّ كان مضطرباً بلا قرار.

* * *

٤٢٤١ ـ عن عُبادَةَ بن الصَّامِت، عن رَسولِ الله ﷺ قال: «إنِّي حَدَّثْتُكُمْ عنِ الدَّجَّالِ حتَّى خَشِيْتُ أنْ لا تَعْقِلوا، إنَّ المَسيحَ الدَّجَّالَ رَجُلٌ قَصيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أعوَرُ، مَطْموسُ العينِ، ليستْ بناتِئَةٍ ولا حَجْراءَ، فإنْ أُلْبِسَ عليكُمْ فاعلَمُوا أنَّ ربَّكُمْ ليسَ بأعوَرَ».

قوله: «حتى خشيتُ أن لا تعقِلوا»؛ يعني: خشيت أن لا تفهموا ما حدثتكم في شأن الدجال، أو تنسوه من كثرة ما قلتُ من وصفه: «إن المسيح الدجال» مكسور الهمز؛ لأنه مفتتح الكلام.

«الفَحَج»: تباعدُ ما بين الساقين في الإنسان والدابة.

«مطموسُ العين»؛ أي: ذاهب أثرها من غير محق، من (طمس): إذا ذهب أثرُ الشيء وانمحى.

قوله: «ولا حَجْراء»؛ أي: عينه ليست بمنخفضة ولا مرتفعة.

و(الجَحْراء) بتقديم الجيم: العين التي قد انخسفت، فبقي مكانها غائراً كالجحر.

قوله: «فإن أُلبِسَ عليكم فاعلموا أنَّ ربَّكم ليس بأعور»، (الإلباس): الخلط والاشتباه؛ أي: إن اشتبه عليكم دعواه الكاذبة في الهيئة، فاعلموا أن هذا ليس بإله لنقصانه، وهو العور، وربكم ليس بأعور؛ يعني: فاعلموا أنه تعالى منزَّهٌ عن سمة الحدوث، فضلاً عن النقائص والعيوب، وفيه دليلٌ على جواز إثبات ذاته تعالى وصفاته القديمة بالمعقول؛ إذ كلُّ ما في الوجود من الحوادث لا بدَّ لها من أن تنتهي إلى شيء يقوم بنفسه، ولا يحتاج إلى مُوجِد، وذلك المُنتهى إليه الدالُّ عليه البرهانُ العقلي هو واجبٌ بنفسه، مُستغنٍ عن غيره، وهو المعبودُ الحقُّ الذي يُسمَّى إلهاً.

والوهمُ لكثرة ما يُشاهِدُ القائم بغيره يُشكِكُ، ويقول: كيف يقوم شيء

بنفسه؟ فيغفل عن الدلالة العقلية، إذ لو لم ينتهِ إلى واجب الوجود بذاته؛ لزم منه الدور أو التسلسل، وكلاهما محالٌ، فجاء البرهان العقلي، فقطع الوهم عن أصله، وأثبت واجبَ الوجود بنفسه.

* * *

٤٢٤٣ ـ عن أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّهُ لمْ يكُنْ نبيٌّ بعدَ نُوحٍ إلاَّ قدْ أنذَرَ الدَّجَّالَ قومَهُ، وإنِّي أُنْذِرُكُموهُ»، فَوَصَفَهُ لنا فقالَ: «لعلَّهُ سيُدْرِكُهُ بعضُ مَنْ رآني أو سمِعَ كلامي»، قالوا: يا رسولَ الله! فكيفَ قُلوبنا يَوْمَئِذٍ؟ قال: «مِثْلُها ـ يعني: اليومَ ـ أو خَيْرٌ».

قوله: «بعضُ من رآني أو سمع كلامي»: والمراد بمن سمع كلامَهُ: مَن وصل إليه الأحاديث، وإن كان بعدَ طول زمان.

* * *

٤٢٤٤ ـ عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عنهُ، فوالله إنَّ الرَّجُلَ لَيأْتِيهِ وهو يَحسِبُ أنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بهِ مِنَ الشُّبُهاتِ».

قوله: «من سمع بالدجّال فلينأَ منه»؛ أي: من سمعَ بخروج الدجّال، فليبعدْ منه.

قوله: «فوالله إن الرجلَ ليأتيه وهو يحسبُ أنه مؤمنٌ، فيَتبعُهُ مما يُبعَثُ به من الشُّبهات»؛ يعني: أن الرجل الذي يحسب أنه مؤمنٌ يأتي الدجالَ، فيتبعه من أجل ما يبعث به ـ أي: يثير ـ من الشبهات؛ يعني: السحر، أو إحياء الأموات، وغير ذلك.

فإذا أكَّد رسولُ الله ﷺ إتباعَ بعض أمته الدجَّالَ باليمين بالله سبحانه، فينبغي لمن سمع خروجه أن لا يأمنَ من فتنته، ويبعدَ منه بُعدَ المشرقين، حتى لا يقعَ في تلك الفتنة، فإنها عظيمة، بل أعظمُ الفتن، وتُهلِك مَنْ تهلك، والمعصومُ من عصمه الله سبحانه وتعالى.

* * *

٤٢٤٥ ـ عن أسماءَ بنتِ يَزيدَ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَمْكُثُ الدَّجَّالُ في الأَرْضِ أَرْبعينَ سَنَةً، السَّنَةُ كالشَّهْرِ، والشَّهْرُ كالجُمُعةِ، والجُمُعةُ كاليَوْمِ، واليَوْمُ كاضْطِرامِ السَّعَفَةِ في النَّارِ».

قوله: «كاضطرام السَّعَفَةِ في النار»، (الاضطرام): افتعال من (الضرام)، وهو اشتعال النار، وأصله: اضترام، قُلبت التاء طاء؛ لتجانس الطاء والضاد؛ لأنهما من حروف الإطباق.

(السَّعَفة) بفتح العين: واحدة السَّعف، وهو غصن النخيل، قاله في «الصحاح».

يعني: كسرعة التهاب النار بورق النخل.

* * *

٤٢٤٦ ـ عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتي سَبعونَ ألفاً عليهِمُ السِّيجانُ».

«السِّيجان»: جمع الساج، وهو الطيلسان الأخضر.

* * *

٤٢٤٧ ـ عن أَسْماءَ بنتِ يَزيدَ قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ في بَيْتي، فذَكَرَ

الدَّجَّالَ فقالَ: «إنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثلاثَ سِنينَ: سنةٌ تُمْسِكُ السَّماءُ فيها ثُلُثَ قَطْرِها والأَرْضُ ثُلُثَ نَباتِها، والثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّماءُ ثُلُثَيْ قَطْرِها والأَرْضُ ثُلُثَيْ نَباتِها، والثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّماءُ قَطْرَها كُلَّهُ والأَرْضُ نَباتَها كُلَّهُ، فلا يبقَى ذاتُ ظِلْفٍ ولا ذَاتُ ضِرْسٍ مِنَ البَهائِمِ إلاَّ هلكَ، وإنَّ أشَدَّ فِتنَتِهِ أنَّهُ يأتي الأَعْرابِيَّ فيقولُ: أرأيتَ إنْ أحيَيْتُ لكَ إبِلَكَ ألَسْتَ تعْلَمُ أنِّي رَبُّكَ؟ فيقولُ: بلَى، فيُمَثِّلُ لهُ نحوَ إبِلِهِ كأحْسَنِ ما يكونُ ضُرُوعاً وأعْظَمِهِ أسْنِمَةً» قال: «ويأتي الرَّجُلَ قدْ ماتَ أخُوهُ، وماتَ أبوهُ، فيقولُ: أرأيتَ إنْ أحْيَيْتُ لكَ أباكَ وأخاكَ ألَسْتَ تعْلَمُ أنِّي رَبُّكَ؟ فيقولُ: بلَى، فيُمَثِّلُ لهُ الشَّياطِينُ نحوَ أبيهِ ونَحْوَ أخيهِ»، قالت: ثُمَّ خَرجَ رسولُ الله ﷺ وسلم لحاجَتِهِ، ثمَّ رَجَعَ والقَوْمُ في اهتِمامٍ وغَمٍّ ممَّا حدَّثَهُمْ، قالت: فأخذَ بِلُحْمَتَي البابِ فقالَ: «مَهْيَمْ أسماءُ؟» قلتُ: يا رسولَ الله! لقدْ خَلَعْتَ أفئدَتَنا بذِكرِ الدَّجَّالِ، قال: «إنْ يَخْرُجْ وأنا حَيٌّ فأنا حَجِيجُهُ، وإلاَّ فإنَّ ربي خليفَتي على كُلِّ مُؤمِنٍ»، فقُلْتُ: يا رسولَ الله! والله إنَّا لَنَعْجِنُ عَجِينَنا، فما نَخْبِزُهُ حتَّى نَجُوعَ، فكيفَ بالمُؤْمنينَ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «يَجْزِيهِمْ ما يَجْزِي أهلَ السَّماءِ مِنَ التَّسبيحِ والتَّقْدِيسِ».

قوله: «فلا يبقى ذات ظِلْفٍ، ولا ذات ضرسٍ من البهائم»، (ذات الظلف): عبارة عن البقر والشاء والظبي، و(ذات الضرس): عبارة عن السباع.

قوله: «أرأيت إن أحييت»، (أرأيت)؛ أي: أخبرني.

(أرأيت) معناه: أعلمت، أو شهدت؟ فإذا كان كذلك فمعناه: أخبرني عما شاهدت، فلما كان الرؤية والعلم سببين لحصول العلم، جاز أن يطلب منه أن يخبره بذلك.

قوله: «بلُحْمَتَي الباب»؛ أي: بعضادتيه وعضديه.

قوله: «مَهْيَمْ»، (مهيم): كلمة يمانية معناه: ما لك؟ وما شأنك؟ و(أسماء) منادى مفرد معرفة، وحُذِفَ منه حرف النداء تخفيفاً، تقديره: يا أسماء.

قوله: «والله إنا لنعجِنُ عجينَنا فما نقدرُ أن نخبِزَهُ حتى نجوعَ» الحديث.

يعني: إنا لنعجن الدقيقَ ونهيئه للخبز، فما نقدر أن نخبزه لأجل هَمٍّ عظيم خلعَ أفئدتنا، وحيَّر عقولَنا بذكر الدجال، فكيف حال من ابتلي بزمانه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يُجزِئهم ما يُجزِئ أهلَ السماءِ من التسبيحِ والتقديس».

يعني: يكفيهم ما يكفي الملأ الأعلى من التسبيح والتقديس؛ يعني: من ابتلي بزمانه في ذلك اليوم لا يحتاجُ إلى الأكل والشرب، كما لا يحتاجُ الملأ الأعلى إليهما.

* * *

٥ - باب
قِصَّةِ ابن الصَّيَّادِ

(باب قصة ابن الصياد)

قيل: ابن صيَّاد ليس بدجَّال، بل هو يهودي وُلِدَ في المدينة، ومعروف أبواه، وقيل: هو دجَّال.

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٤٨ - عن عبدِالله بن عُمَرَ ﷺ: أنَّ عُمـرَ بن الخَطَّـابِ انطلقَ معَ رسولِ الله ﷺ في رَهْطٍ من أَصْحابـهِ قِبَلَ ابن صيَّادٍ حتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ معَ الصِّبيانِ في أُطُمِ بني مَغالَةَ، وقدْ قارَبَ ابن صيَّادٍ يَوْمَئذٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشعُرْ حتَّى ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ ظَهْرَهُ بيدِه ثمَّ قالَ: «أَتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟» فنظرَ إليهِ فقالَ: أَشْهَدُ أنَّكَ رسولُ الأُمِّيينَ، ثُمَّ قال ابن صيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟

فَرَضَّهُ النبيُّ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «آمنتُ بالله ورسولِه»، ثُمَّ قالَ لابنِ صيّادٍ: «ماذا ترَى؟» قال: يأتِيني صادِقٌ وكاذِبٌ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «خُلِطَ عَلَيكَ الأمرُ»، قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّي خبأْتُ لكَ خَبِيئاً»، وخبأَ لهُ ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، فقالَ: هوَ الدُّخُّ، قالَ: «اخسأْ، فلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، قال عُمَرُ: يا رسولَ الله! أتأذَنُ لي فيهِ أضْرِبْ عنُقَه؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنْ يَكُنْ هوَ فلا تُسلَّطُ عليه، وإنْ لمْ يكُنْ هوَ فلا خيرَ لكَ في قتلِه»، قال ابن عمرَ: انطلقَ بعدَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ وأُبَيُّ بن كَعْبٍ الأنْصارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ التي فيها ابن صيَّادٍ، فطَفِقَ رسولُ الله ﷺ يتَّقي بجُذوعِ النَّخْلِ، وهوَ يَخْتِلُ أنْ يسمعَ منْ ابن صيّادٍ شيئاً قبلَ أنْ يراهُ، وابن صيّادٍ مُضْطَجِعٌ على فِراشِهِ في قَطِيفَةٍ لهُ فيها زَمْزَمَةٌ، فَرأَتْ أمُّ ابن صيّادٍ النَّبيَّ ﷺ وهوَ يتَّقي بجُذوعِ النَّخْلِ فقالت: أيْ صَافِ! وهوَ اسمُه، هذا مُحَمَّدٌ، فَتَنَاهَى ابن صيّادٍ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لو تَرَكَتْهُ بيَّنَ»، قالَ عبدُالله بن عُمَرَ: قامَ رسولُ الله ﷺ في النَّاسِ فأثنَى على الله بما هوَ أهْلُهُ، ثمَّ ذكَرَ الدَّجَّالَ فقالَ: «إنّي أُنذِرُكُمُوهُ، وما منْ نبيٍّ إلا وقدْ أنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لقد أنذرَهُ نُوحٌ قومهُ، ولكنّي سأقولُ لكمْ فيهِ قَوْلاً لمْ يقلْهُ نبيٌّ لقومِهِ: تعلمونَ أنَّهُ أعْوَرُ، وأنَّ الله ليسَ بأعْوَرَ».

قوله: «في رهط من أصحابه»، (الرهط): ما دونَ العشرةِ من الرجال، لا يكون فيه امرأةٌ، وهو اسمُ مفرد وُضِعَ للجمع.

قوله: «حتى وجدوه يلعب»، (حتى) هاهنا: حرفُ ابتداءٍ يُستأنَفُ بعده الكلام، ويفيدُ انتهاءَ الغاية، و(يلعب) حال من الضمير المنصوب في (وجدوه)، والعامل فيه ما يعمل في ذي الحال، وهو قوله: (وجدوا).

و«الأُطُم»: جمع آطام، وهو الحصن.

«رضَّه» بالصاد غير المعجمة؛ أي: ضغطه وضمَّ بعضه إلى بعض، ومنه:

﴿بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

قال في «شرح السنة»: (رضَّه) بالضاد المعجمة؛ أي: كسره.

قال الخطابي: صوابه: أن يكون بالصاد غير المعجمة.

قوله: «ماذا ترى؟ قال: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ»؛ يعني: قال له رسولُ الله ﷺ: يأتيك ما يقول لك؟ قال: يحدثني بشيء قد يكون صادقاً، وقد يكون كاذباً، فقال له رسول الله ﷺ: «خُلِّط عليك الأمرُ»؛ يعني: هو شيطان يغويك، فيخلط عليك الكذب بالصدق.

(خَبَأ): أضمر.

«الدُّخُّ»: الدخان.

قال الشاعر:

عِنْـــدَ رواقِ البيـــتِ يغـــشَى الـــدُّخَّا

أي: تلقي الدخان عنده.

قوله: «اخسَأْ فلَنْ تعدوَ قدرَك»: (اخسأ): كلمة زجر للكلب، استعمله فيه حقارة له؛ يعني: أبعِدْ عن الإخبار بالمغيبات، أين أنت عن هذا؟

(فإنك لن تعدو قدرك)؛ يعني: لن تقدر على الإخبار عن الغيب، فإنك لست بنبي، ولا الذي يأتيك ملك، بل شيطان أو جني، فإذا كان كذلك، فلا يحصل لك علمُ الغيب لا محالة.

قوله: «إن يكنْ هوَ لا تُسلَّط عليه»: (هو) ضمير الدجال؛ يعني: إن يكن الدجّال ابن صياد، فلا تقدر أن تقتله؛ لأن قاتله يكون عيسى ﷺ.

قال الخطابي في «المعالم»: وقد اختلف الناسُ في أمر ابن الصياد اختلافاً شديداً، وأشكل أمره حتى قيل فيه كلُّ قول.

وقد يسأل عن هذا فيقال: كيف بقّى رسولُ الله ﷺ رجلاً يدّعي النبوة كاذباً، ويتركه بالمدينة يساكنه في داره، ويجاوره فيها؟ وما معنى ذلك؟ وما وجْه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان؟ وقوله بعد ذلك: «اخسأ فلن تعدو قدرك»؟

قلت: والذي عندي: أن هذه القصة إنما جرت معه أيامَ مهادنة رسول الله ﷺ اليهودَ وحلفاءَهم، وذلك أنه بعد مقدمه المدينةَ: كتب بينه وبين اليهود كتاباً صالحهم فيه على أن لا يُهاجوا، وأن يُتركوا على أمرهم، وكان ابن الصياد منهم، أو دخيلاً في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبرُهُ، وما يدّعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه ﷺ بذلك؛ ليَرُوزَ به أمرَهُ، ويَخبرَ شأنَهُ، فلمَّا كلَّمه علم أنه مبطل، وأنه من جملة السحرة والكهنة، أو ممن يأتيه رِئِيٌّ من الجن، أو يتعاهده شيطان، فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قول: الدخ، زَبَرَهُ وقال: «اخسأ فلن تعدوَ قدرك» يريد: أن ذلك شيء اطَّلعَ عليه الشيطان، فألقاه إليه، فأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السمائي، إذ لم يكن له قدرُ الأنبياء الذين يُوحَى إليهم علم الغيب، ولا درجةُ الأولياء الذين يقيمون العلم، ويصيبون بنور قلوبهم، وإنما كانت له تاراتٌ يصيب في بعضها، ويخطئ في بعض، وذلك معنى قوله: (يأتيني صادق وكاذب)، فقال له عند ذلك: «قد خلط عليك».

فالجملةُ من أمره: أنه كان فتنة قد امتحنَ الله به عباده المؤمنين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة، وقد امتُحِنَ قومُ موسى عليه السلام في زمانه بالعجل، فافتتن به قوم وهلكوا، ونجا من هداه الله، وعصمه منهم. هذا كله لفظ الخطابي.

قوله: «وهو يختل»؛ يعني: يريد رسول الله ﷺ أن يسترقَ السمع من ابن الصياد على غفلةٍ منه؛ ليعلم أنه على الحق، أو على الباطل.

قال في «شرح السنة»: ومنه: ختلُ الصيدِ، وهو أن يؤتى من حيثُ لا يشعر، فيُصاد.

قوله: «له فيها زمزمة»: أورد في «شرح السنة»: وقال يونس، عن الزهري: (زمزمة) بالزاي.

وقال: عقيل عن الزهري: (رمرمة) بالراء.

وقال معمر عن الزهري: (رَمْزَة) أو (زَمْرَة).

قال الشيخ: هذه الألفاظ معانيها متقاربة؛ (الرمرمة) تكون بمعنى الحركة؛ يعني: إذا كانت بالراءين المهملتين، و(الزمزمة) بالزاي: الصوت، يقال: زَمْزَمَ يزمزِمُ زمزمةً: صوَّت.

وقيل في شأن زمزم: سميت به؛ لصوتٍ كان من جبريل عليه السلام عندها يشبه الزمزمة.

وقيل: لأن هاجر زمَّت الماء؛ لتحجر عليه، وأصلها: زمهم.

ومن قال: (رمزة) فمن الرمز، وهو الإشارة، وقد تكون بالعينين والحاجبين والشفتين، وأصله: الحركة. هذه اللفظة مروية في «شرح السنة» على سبيل الترديد.

«قال: زمزمةٌ، أو رمرمةٌ»؛ يعني: وردت هذه اللفظة؛ إما بالزايين المعجمتين، أو بالراءين المهملتين.

قال الإمام شهاب الدين التُّورِبِشْتي في «شرحه»: ورواه بعضهم بالراء المهملة، وهو تصحيف.

«أيْ صافِ»؛ يعني: يا صاف!

«فتناهى»؛ أي: سكت وترك الكلام.

قوله: «لو تركته بيَّن»؛ يعني: لو تركته أمُّه بحاله، ولم تخبره بمجيئي، لبيَّن ما في نفسه، وكنت أسمعُ ما يقول وأعرفه.

* * *

٤٢٤٩ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: لقِيَهُ رسولُ الله ﷺ وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ في بَعْضِ طُرُقِ المَدينةِ، فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ: «أتَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟» فقال هو: تَشْهَدُ أنِّي رسولُ الله؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «آمنتُ بالله وملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، ما تَرَى؟» قال: أَرَى عَرْشاً على الماءِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إبْليسَ على البَحْرِ، وما تَرَى؟» قالَ: أَرَى صادِقَيْنِ وكاذِباً، أو كاذِبَيْنِ وصَادِقاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لُبِّسَ عليهِ فَدَعوه».

قوله: «أرى صادقين وكاذباً أو كاذبين وصادقاً»؛ يعني: يأتيني شخصان يخبران بما هو صدق، وشخص يخبرني بما هو كذب، أو بالعكس.

والشكُّ من ابن الصياد في عدد الصادق والكاذب دليلٌ على اختلافه وافترائه؛ لأن مَنْ كان مؤيداً بالتأييد الرباني والوحي السماوي لا يُخلَّى هو وجهله.

قوله: «لُبِّسَ عليه فدعوه»، (التلبيس): التخليط.

(فدعوه)؛ أي: اتركوه؛ يعني: أعرضوا عنه، فإنه قد خلط عليه أمره، فحينئذ لا يُعوَّل على قوله وفعله، وهذا دليلٌ على أن مَن زلَّ قدمه عن المنهج القويم والصراط المستقيم، وما أفاق عن نيَّة ضلالته وغوايته بعد أن لاحتْ له البراهينُ الساطعة، والدلائل اللائحة، فينبغي أن نُعرِضَ عنه.

* * *

٤٢٥٠ - عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ ابن صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ عنْ تُربةِ

الجنَّةِ، فقال: «دَرْمَكَةٌ بَيضاءُ مِسْكٌ خالِصٌ».

قوله: «دَرْمَكَةٌ بيضاء»، (الدرمكة): الدقيقُ الحواريُّ الأبيض، فإذا كان كذلك فقوله: (بيضاء) للتأكيد، كما تقول: أبيضُ يَقَقٌ، وإنما شبَّه تربةَ الجنة بالدرمكة لبياضها، وبالمسك لطيبها.

* * *

٤٢٥١ ـ عن نافع قال: لقيَ ابن عُمرَ ابن صَيَّادٍ في بَعْضِ طُرُقِ المدينةِ، فقالَ لهُ قولاً أَغْضَبَهُ، فانتفخَ حتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فدخلَ ابن عُمرَ على حَفْصَةَ وقدْ بَلَغَها، فقالتْ لهُ: رَحِمَكَ الله، ما أَرَدْتَ منْ ابن صَيَّادٍ؟ أما علِمْتَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّما يَخْرُجُ منْ غَضْبَةٍ يغضَبُها».

قوله: «فانتفخ»؛ أي: صار ذا نفخٍ؛ يعني: صار بدنه منتفخاً ذا ريحٍ من الغضب «حتى ملأ تلك السكة» من بدنه.

قوله: «قد بلغها»؛ أي: بلَّغَ ابن عمر تلك القصة التي جرت بينه وبين ابن الصياد إلى حفصة زوج النبي ﷺ فقالت له:

«رحمك الله ما أردت من ابن صياد؟» (ما) في (ما أردت) للاستفهام، محله نصب؛ لكونه مفعول (أردت) مقدَّماً عليه؛ أي: أيَّ شيء أردتَ منه، و(من) مفعول ثانٍ لها، تقول: أردتُ من زيد الخير.

قوله: «إنما يخرجُ من غضبةٍ يغضبها»؛ يعني: إنما يخرج الدجَّال حين يغضب.

* * *

٤٢٥٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: صَحِبْتُ ابن صَيَّادٍ إلى مَكَّةَ، فقالَ

لي: ما لقيتُ من النَّاسِ؟ يَزْعُمونَ أنِّي الدَّجَّالُ، أَلَسْتَ سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: إنَّهُ لا يُولَدُ لهُ؟ وقدْ وُلِدَ لي، أوَ ليسَ قدْ قالَ: هو كافِرٌ؟ وأنا مُسْلِمٌ، أوَلَيْسَ قدْ قالَ: لا يَدْخلُ المدينةَ ولا مَكَّةَ؟ وقدْ أَقْبَلْتُ منَ المدينةِ وأنا أُريدُ مَكَّةَ، ثمَّ قالَ لي في آخِرِ قولِهِ: أَمَا واللهِ إنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ ومكانَهُ وأيْنَ هوَ، وأعرفُ أباهُ وأُمَّهُ، قال: فَلَبَسَنِي، قال: قلتُ لهُ: تبّاً لكَ سائِرَ اليَوْمِ. قال، وقيلَ لَهُ: أَيَسُرُّكَ أنَّكَ ذاكَ الرَّجُلُ؟ قال: فقالَ: لوْ عُرِضَ عليَّ ما كَرِهْتُ.

قوله: «ما لقيتُ من الناس؟»: (ما) في (ما لقيت) استفهامٌ بمعنى الإنكار، منصوب تقديره: أيَّ شيءٍ لقيت؟ و(من) في (من الناس) بيان موضع اللقيان؛ أي: اللقيانُ صَدَرَ من الناس لا من غيرهم، أو لابتداء الغاية؛ يعني: ابتداء اللقاء من الناس، ولم يُخبِر عن المنتهى؛ يعني: اقتصر على اللقيان منهم دون غيرهم.

قوله: «لأعلم مولده ومكانه وأين هو»: (لأعلم)؛ أي: لأعرف.

(مولده)؛ أي: زمان ولادته.

و(مكانه)؛ أي: مكان ولادته.

والواو في (وأين) لعطف جملة على جملة؛ أي: وأعلم مكانه الذي الآن فيه؛ إذ الإنسانُ قد لا يلزم المولد.

فإن قيل: (أعلم) بمعنى: أعرف، و(أين هو) معلق، والتعليقُ يكون في أفعال القلوب المتعدية إلى المفعولين، وهنا متعد إلى واحد؟!

قيل: يجوز في الواحد أيضاً، تقول: عرفت متى تخرج؛ أي: زمان خروجك، فترى [أنه] قد عُلِّق، وكذا هنا، ويجوز في المعطوف ما لا يجوزُ في المعطوف عليه، كقول العرب: ربَّ رجل وأخيه، ولا يقال: ربَّ أخيه، ويقال:

لا رجلَ في الدار وأخاه، ولا يجوز: لا أخاه.

قوله: «فلبّسني» يحتمل معانٍ:

الأول: أنه ﷺ لم يُعيـنْ مولده ومكانه، بل تركه مُلتبساً، فصار مُلْتَبِساً على الصحابي.

الثاني: أنه أوقعني في الشكِّ بقوله: قد وُلِدَ لي، وبدخوله مكة والمدينة، وقد يكون يظنُ الصحابي: أنه الدجّال، فلمّا خلط فيما قال، التبسَ عليه.

والثالث: أنه حين ادَّعى نفيَ صفات الدجال عنه، وادعى رسالة محمد ﷺ، توهَّمَ الصحابي أنه مسلم، وبعد ذلك لمّا ادعى علم الغيب باعترافه: أنه يعرف الدجّال وموضعه وخروجه وأوانه، فقد ادّعى علمَ الغيب، ومن ادعى علم الغيب كفرَ، فالتبس على الصحابي إسلامُهُ وكفرُهُ، فلهذا قال: لبّـــني.

فإن قيل: (لَبَسْتَ) يتعدّى، تقول: لَبَسْتَ الأمرَ على فلان، فإذا ضُوعِفَ تعدَّى إلى اثنين، فأين الثاني هنا؟

قيل: يكون محذوفاً؛ أي: لَبَّسني حالَهُ؛ أي: جعلَ حالَهُ يلتبسُ عليَّ، أو نسبني إلى اللبس، فتوهَّمَ أنه يلتبسُ عليَّ، كما تقول: فسَّقته؛ أي: نسبته إلى الفسق.

قوله: «تباً لك سائرَ اليوم»؛ أي: خُسراناً لك جميع اليوم، أو باقي اليوم؛ يعني: ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه، فكذا في باقيه، ونصب (سائر) على الظرف، اكتسب الظرفية من المضاف إليه، كما تقول: جميع اليوم، وبعض اليوم.

و(تبا): من المصادر الواجب إضمارُ عاملها؛ لأنه صار بدلاً من اللفظِ بالفعل، وحاصلُهُ عُلِم بانتصابه على المفعولية، ومعناه معنى الفعل، فاستغنى عن الفعل.

قوله: «لو عُرِض عليَّ ما كرهت»؛ يعني: لو عرض عليَّ ما جعل في الدجال من الإغواء والخديعة والتلبيس وغير ذلك؛ لما كرهت، بل قبلت، هذا دليلٌ واضح على كفره.

* * *

٤٢٥٣ ـ وقالَ ابن عُمَرَ: لقِيتُهُ وقد نفَرَتْ عَيْنُه، فَقُلْتُ: متى فَعَلَتْ عَيْنُكَ ما أَرَى؟ قال: لا أَدْرِي، قلتُ: لا تَدرِي وهيَ في رَأْسِكَ؟ قال: إنْ شاءَ الله خلَقَها في عَصاكَ، قال: فنخَر كأشَدِّ نَخِيرِ حِمارٍ سَمِعْتُ.

قوله: «لقيتُهُ وقد نَفَرَتْ عينُهُ»: الضمير المنصوب في (لقيته) لابن الصياد.

قال في «الغريبين»: (نَفَرت)؛ أي: وَرِمت، وهو مأخوذ من (نفار الشيء عن الشيء) وهو: تجافيه عنه، (وقد نفرت عينه) جملة وقعت حالاً من الضمير المنصوب في (لقيته)، والماضي إذا وقع حالاً لا بد من (قد) ظاهرة أو مقدرة؛ لأن (قد) ظاهرة أو مقدرة تقرِّبُ الماضي من زمن الحال.

قوله: «فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟» (متى): موضوع للسؤال عن الزمان، و(ما) في (ما أرى) موصول تقديره: ما أراه، والضميرُ العائدُ من الصلة إلى الموصول إذا كان منصوباً حذفُهُ حسنٌ.

ومعناه: متى فعلت عينُكَ الألمَ الذي أراه بك وتشوية الخِلقَةِ؟ أراد: متى فعلت العينُ بنفسها هذا الورمَ القبيحَ؟ أو أراد نسب الفعل إلى العين مجازاً، والمراد غيره، وكأنه لبَّس على ابن صياد، فنسبَ الفعلَ إلى العين يمتحنه، هل يوافق أم يخالف؟

قوله: «إن شاء الله خلقها في عصاك»: قال الإمام التُّورِبِشتي في «شرحه»:

يريد أن كون العينَ في رأي لا يقتضي أن أكونَ منها على خبر، فإن الله قادر أن يخلق مثلها في عصاك، والعصا لا تكون منها على خبر، وكأنه ادعى بذلك الاستغراقَ وعدم الإحساس، هذا كله لفظه.

والتحقيقُ: أن ابن الصياد كان رجلاً ناقصَ العقل، ويدلُّ عليه قوله مع رسول الله ﷺ: يأتيني صادق وكاذبان، فيدلُّ على أن الغالبَ عليه إلقاءُ الجن الكذب في قلبه، فلا اعتبار بكلامه، وإنما نقل ما سَمِعَ منه؛ ليُعلَمَ أنه كان مخبط العقل، وإن تُكُلِّفَ له تأويلٌ فيمكنُ أن يقال: إن ابن عمر استبعدَ منه كونه غافلاً عن نفور عينه متى كان، فقال ابن الصياد: إن الله سبحانه قادر على أن يجعل العضوَ المتصل بالإنسان غيرَ مشعور به كالمخلوق في غيره، وهو قوله: إن شاء الله خلقها في عصاك.

قوله: «فنخرَ كأشدِّ نخيرِ حمارٍ سمعت»، (النخير): صوت بالأنف، تقول منه: نخر ينخر نخيراً، و(النُّخَرَة) مثل (الهُمَزة): مقدم أنف الفرس والحمار والخنزير، ذكره في «الصحاح».

يعني: مَدَّ النَّفَسَ في الخيشوم بحيث سمعتُ منه صوتاً منكراً.

* * *

٤٢٥٤ - عن مُحَمَّدِ بن المُنْكَدِرِ ﷺ قال: رَأَيتُ جابرَ بن عبدِالله يَحْلِفُ بالله أنَّ ابن الصَّيَّادَ الدَّجَّالُ، قلتُ: تَحلِفُ بالله؟ قال: إنِّي سَمِعْتُ عُمرَ يَحلِفُ على ذلكَ عندَ النَّبيِّ ﷺ، فلمْ يُنكِرْهُ النَّبيُّ ﷺ.

قوله: «يحلفُ على ذلك عندَ النبيِّ ﷺ، فلمْ ينكرْهُ النبيُّ ﷺ»، (ذلك) إشارةٌ إلى قول جابر: إن ابن الصياد هو الدجال، ووجهُ حلفِ عمرَ ﷺ بحضرة النبي ﷺ في أن ابن الصياد هو الدجال، ولم ينكر عليه: أن الدجال معناه:

الدجالي؛ يعني: فيه صفة الدجال، فإن النبي ﷺ قال: «يكون ثلاثون دجَّالاً»، معناه: سيظهر دجالون كذابون يزعمون النبوة، ويضلون الناس، ويفتنونهم.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٥٦ ـ وعن جابر ﷺ قالَ: «فُقِدَ ابن صيادٍ يومَ الحَرَّةِ».

«يوم الحَرَّةِ»: يومٌ مشهورٌ بين العرب.

* * *

٤٢٥٧ ـ عن أبي بَكْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَمْكُثُ أبَوا الدَّجَّالِ ثلاثينَ عاماً لا يُولَدُ لهما ولَدٌ، ثمَّ يُولَدُ لهُما غُلامٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ، وأقلُّهُ مَنْفَعَةً، تنامُ عَيْناهُ ولا يَنامُ قلبُهُ»، ثمَّ نَعَتَ لنا رسولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ فقالَ: «أبوه طُوَالٌ ضَرْبُ اللَّحْمِ، كأنَّ أنفَهُ مِنْقارٌ، وأُمُّهُ امرأةٌ فِرِضَاخِيَّةٌ طَويلةُ اليدَيْنِ»، فقالَ أبو بَكْرَةَ ﷺ: فَسَمِعْنا بمَولودٍ في اليهودِ بالمدينةِ، فذهبتُ أنا والزُّبَيْرُ بن العَوّامِ حتَّى دخلْنَا على أبَوَيْهِ، فإذا نَعْتُ رسولِ الله ﷺ فِيهما، فقُلْنا: هلْ لكُما وَلَدٌ؟ فقالا: مَكَثْنا ثلاثينَ عاماً لا يُولَدُ لنا وَلَدٌ، ثمَّ وُلِدَ لنا غُلامٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ وأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً، تنامُ عَيْناهُ ولا ينامُ قلبُهُ، قال: فَخَرَجْنا منْ عِنْدِهِما فإذا هو مُنْجَدِلٌ في الشَّمْسِ في قَطيفَةٍ ولهُ هَمْهَمَةٌ، فكَشَفَ عنْ رأسِهِ فقالَ: ما قُلْتُما؟ قُلْنا: وهلْ سَمِعْتَ ما قُلناه؟ قال: «نَعَمْ، تنامُ عَيْنايَ ولا ينامُ قلبي».

قوله: «تنامُ عيناهُ، ولا ينامُ قلبُهُ»؛ يعني: لا يسكنُ قلبه، بل يطيشُ ويضطربُ، وإنما كان كذلك؛ لأنَّ ما جُبِلَ فيه مثلَ نارٍ ذات لهب، فحينئذ تزعجُهُ عن التؤدة والقرار، فذلك الاضطرابُ موجبٌ لعدم الهدوء في النوم، فإذا ثبت هذا وتقرر، كان طائرَ الفؤاد منزعجَ القلب.

أما قوله ﷺ: «فنامت عيني، وسمعت أذناي، وعقل قلبي» فهو عبارة عن طمأنينة قلبه ﷺ، واهتدائه إلى المعارف الإلهية، والحقائق الربانية، والعقائد الحقة، وكذا قلوب جميع الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، فإنها قُدُوسيةٌ مَلَكوتيةٌ مجبولةٌ على الطُّهر والقدس، فحينئذ كيف يجري النومُ فيها، فإنه من آثار السُّفليات، ولأن قلوبهم مهابطُ للوحي، فما كان مهبطاً للوحي لا يكون محلاً للنوم.

قوله: «أبوه طُوال ضَرْبَ اللحم»: (الطُّوال) ـ بضم الطاء ـ من بناء المبالغة؛ يعني: كان طويلاً غاية الطولِ مثل: كبير وكُبار.

و(ضَرْب اللحم): عبارة عن خفيف اللحم.

قوله: «كأن أنفه منقار»؛ يعني: في أنفه طولٌ بحيث يشبه منقارَ طائر.

«الفِرضاخيّة»: الضخمة العظيمة، ذكره في "الغريبين".

قوله: «فذهبتُ أنا والزبير»، و(الزبير) عطف على ضمير المتكلم في (ذهبت)، و(أنا) تأكيدٌ لذلك الضمير؛ لأنه يُشترط في العطف على الضمير المرفوع أن يكونَ مؤكَّداً، كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

قوله: «فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما»، (إذا) للمفاجأة، و(النعت) مبتدأ، و(إذا) خبرٌ مقدم، و(فيهما) يجوزُ أن يكون حالاً من الضمير الكائن في (إذا)، وهو ضمير (النعت)، أو في متعلقه، والعاملِ في (فيهما) يجوز أن يكونَ هو الاستقرار، ويجوز أن يكون نائبه، فتقديره: النعتُ ثَمَّ كائناً فيهما، ويجوزُ أن يكون (فيهما) خبر المبتدأ، و(إذا) ظرف، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوفٍ، ويجوز أن يكون هو مبتدأ، وخبره محذوفٌ.

يعني: إذا دخلنا على أبويه فاجأنا ما وصفَ لنا رسول الله ﷺ في أبويه؛

يعني: وجدنا فيهما جميع الصفات التي سمعناها من رسول الله ﷺ.

قوله: «فإذا هو مُنجدلٌ في الشمس»، (منجدل)؛ أي: ساقط.

قال في «الصحاح»: (انجدل): إذا سقط.

قوله: «وله هَمْهَمَةٌ»: (الهمهمة): ترديدُ الصوت في الصدر، يقال: همهمت المرأة في رأس الصبي، وذلك إذا نوَّمته بصوت رقيق، ترقّقه له، ذكره في «الصحاح».

وهي هاهنا عبارةٌ عن كلام خفي غير مفهوم.

* * *

٤٢٥٨ - وعن جابرٍ ﷺ: أنَّ امرأةً منَ اليهودِ بالمَدينةِ ولَدَتْ غُلاماً مَمْسُوحَةً عَيْنُهُ طالعَةٌ نابُهُ، فأَشْفَقَ رسولُ الله ﷺ أنْ يكونَ الدَّجَّالَ، فَوَجَدَهُ تَحْتَ قَطيفَةٍ يُهَمْهِمُ، فآذَنَتْهُ أُمُّهُ فقالت: يا عبدَالله! هذا أبو القاسِمِ، فَخَرَجَ مِنَ القَطِيْفَةِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما لها؟ قاتَلَها الله، لو تَرَكَتْهُ لبيَّنَ!»، فَذَكَرَ مِثلَ مَعْنَى حديثِ ابن عُمَرَ، فقالَ عُمرُ بن الخَطَّابِ ﷺ: ائذَنْ لي يا رسولَ الله! فأَقْتُلَهُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنْ يكُنْ هُوَ فَلَسْتَ صاحِبَهُ، وإنَّما صاحِبُهُ عيسَى ابن مَرْيَمَ عليه السلام، وإلا يكُنْ هوَ فَلَيسَ لكَ أنْ تقتُلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ العَهْدِ»، فلمْ يزَلْ رسولُ الله ﷺ مُشْفِقاً أنَّهُ الدَّجَّالُ.

«فأشفق»؛ أي: خاف.

«فآذنته أمُّه»؛ أي: أعلمته أمه.

قوله: «ما لها»: (ما) للاستفهام مبتدأ، و(لها) خبره.

قوله: «إن يكن هو فلست صاحبَهُ»: كان قياسه: إيَّاه، فيجوز أن يكون أوقع ضمير المرفوع موقعَ المنصوب تأكيداً، ويجوز أن يكون (هو) مبتدأٌ خبرُهُ

محذوف، والجملة خبر لـ (يكن) المرفوع؛ يعني: إن يكن ابن الصياد الدجال.

(فلست صاحبه)؛ أي: فلست قاتله.

قوله: «إنما صاحبُهُ عيسى ابن مريم»؛ يعني: إنما قاتله عيسى ابن مريم، و(إنما) تفيد الحصر؛ يعني: لا يقدرُ أحدٌ على قتله إلا عيسى ابن مريم صلوات الله عليه.

قوله: «وإلا يكنْ هو...» إلى آخره.

يعني: إن لم يكن ابن الصياد الدجَّالُ، فلا يجوز لك أن تقتل أحداً من أهل العهد.

قال في «شرح السنة»: فيه دليلٌ على أنه كان من أهل العهد، ولذلك منعَ النبيُّ ﷺ عن قتله.

«مُشفِقاً»؛ أي: خائفاً.

* * *

٦ - باب
نزولِ عيسى عليه السلام

(باب نزول عيسى عليه السلام)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٥٩ - عن أبي هُريرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيدِه، ليُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فيكُمُ ابن مَرْيمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّليبَ، ويقتُلَ الخِنزيرَ، ويَضَعَ الجِزيةَ، ويَفيضَ المالُ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حتَّى تكونَ السَّجْدَةُ الواحِدةُ خيراً مِنَ الدُّنيا وما فيها»، ثُمَّ يقولُ أبو هُريرةَ ﷺ: واقرَؤوا إنْ شِئْتُم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الآية.

قوله: «ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابن مريمَ حكماً عدلاً»، (أوشك): إذا أسرع، واللام مبتدأ للقسم، والنون للتأكيد؛ يعني: والله ليسرعن وليقربن نزولُ عيسى عليه السلام.

(فيكم)؛ أي: في أهل دينكم حاكماً عادلاً.

(الحَكَم) بالتحريك: الحاكم، و(العَدْل): العادل، وكلاهما منصوبٌ على الحال.

قوله: «فيكسرَ الصليبَ ويقتلَ الخنزير»: الصليب في اصطلاح النصارى: خشبةٌ مثلثة يدَّعون أن عيسى ـ عليه السلام ـ صُلِبَ على خشبة على تلك الصورة، وقد يكون فيه صورة المسيح، وقد لا يكون.

قال في «شرح السنة»: يريد إبطالَ النصرانية، والحكمَ بشرع الإسلام.

ومعنى قتل الخنزير: تحريم اقتنائه وأكله، وإباحة قتله، وفيه بيانٌ أن أعيانَها نجسةٌ؛ لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيءُ الطاهرُ المنتفعُ به لا يُباحُ إتلافه.

وقوله: «ويضعُ الجزية»: معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام، ولا يقبلُ منهم غيرَ دينِ الحق.

فقد رُوي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في نزول عيسى: «وتَهلِكُ في زمانه المللُ كلُّها إلا الإسلام، ويَهلِكُ الدجَّالُ، فيمكثُ في الأرضِ أربعين سنةً، ثم يُتوفَّى، فيصلي عليه المسلمون».

وقيل: معنى وضع الجزية: أن المالَ يكثر حتى لا يوجدَ محتاج ممن تُوضَعُ فيهم الجزية، يدلُّ عليه قوله ﷺ: «فيفيض المال حتى لا يقبله أحد»، هذا كله منقولٌ من «شرح السنة».

فاض الماء فيضاً وفيضوضة: كثر حتى سال على ضفة الوادي، ذكره في

«منتخب الصحاح».

(الضَّفَّة) بالكسر: الجانب.

«فيفيض المال»؛ أي: يكثر ويتسع بحيث لا يُوجَد فقيرٌ في ذلك الزمان البتة.

وتلخيص المعنى: أنه عبارة عن كثرة الأيادي والنعم في أيدي جميع الناس، وسعة أرزاقهم بحيث لا ضيقَ لأحد، ولا حرصَ فيهم، بل قطعَ كلُّ واحد منهم النظرَ عما في أيدي صاحبه، وذلك فضل ورحمة من الله.

قوله: «حتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها»؛ يعني: يشتغل الناس في ذلك الوقت بالطاعة، ويزهدون في الدنيا بحيث لو وُفِّقَ لأحد منهم سجدة؛ لكانت أحبَّ إليه من وجدانه جميع أموال الدنيا.

إن قيل: العبادة في نفس الأمر خيرٌ في جميع الأوقات، فلِمَ خُصَّت الخيرية في الطاعة بذلك الزمان؟

قيل: لأن في ذلك الزمان الرغبة في الطاعة أكثر، والخضوع فيها أتم وأبلغ، فلهذا خُصَّت خيريتها به.

* * *

٤٢٦٠ - وقالَ رسولُ الله ﷺ: «والله لَيَنْزِلَنَّ ابن مَرْيَمَ حَكَمَاً عَدْلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّليبَ، ولَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، ولَيَضَعَنَّ الجِزيَةَ، ولَيَتْرُكَنَّ القِلاَصَ ولا يَسعَى عَلَيها، ولَتَذْهَبن الشَّحْناءُ والتَّبَاغُضُ والتَّحاسُدُ، ولَيَدْعُوَنَّ إلى المالِ فلا يقبَلُهُ أَحَدٌ».

قوله: «ولتتركَنَّ القِلاصُ فلا يسعَى عليها»، (القلاص): جمع قلوص، وهي الشابة من النوق.

سَعَى هاهنا: بمعنى عمل.

قال في «الصحاح»: وكلُّ من وَلِيَ شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم، وأكثر ما يقال ذلك في ولاة الصدقة.

يقال: سعى عليها؛ أي: عمل عليها، وهم السعاة.

يعني: والله ليتركن عيسى إبلَ الصدقة، فلا يأمر بأحد أن يسعى على أخذها وتحصيلها، وإنما يترك الصدقة، ولا يرسل أحداً إلى أخذها؛ لعدم من يقبلها.

و«الشحناء»: العداوة.

«والتباغُض»: جريانُ البغضِ بين اثنين.

«والتحاسُد»: جريان الحسد بين اثنين.

يعني: يزول عن قلوب جميع الناس في ذلك الوقت البغضُ والعداوةُ والحسدُ وغيرُ ذلك من الأخلاق الذميمة؛ لأنها نتيجة حب الدنيا، فإذا زالت محبةُ الدنيا عن قلوبهم، فقد زال ما يتولَّد منها، وهو الأخلاق الذميمة، ومصداقُ هذا قوله ﷺ: «حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة».

* * *

٤٢٦١ ـ وقال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إذا نَزَلَ ابن مَرْيَمَ فيكُمْ وإِمامُكُمْ منكُمْ؟».

قوله: «وإمامُكُم منكم»؛ يعني: إمامُكُم من أهل دينكم، وقيل: من قريش.

قال في «شرح السنة»: قال معمر عن الزهري: «وأمكم أو إمامكم منكم». قال ابن شهاب: «فأمكم منكم».

قال ابن أبي ذُؤيبٍ في معناه: فأمّكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ.

يعني: يؤمكم في الصلاة من كان من أهل دينكم، ولا يؤمكم عيسى عليه السلام، بل يكون بمنزلة الخليفة، وفيه دليلٌ على أن عيسى عليه السلام لا يكون من أمة محمد ﷺ، بل يكون مقرراً لدينه، وعوناً على أمته.

* * *

٤٢٦٢ ـ وقال: «لا تزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلونَ على الحَقِّ ظاهِرينَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ». قال: «فينزِلُ عيسَى بن مَرْيمَ، فيقولُ أميرُهُمْ: تعالَ صَلِّ لنا، فيقولُ: لا، إنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَراءُ، تَكْرِمَةَ الله هذهِ الأمَّةَ».

قوله: «تكرمةَ الله هذهِ الأمةَ»: نصب (تكرمة) على أنه مفعول له، وهي علةٌ لفعلٍ مقدَّرٍ دلَّ عليه مضمونُ الجملة المقدرة، كأنه قيل له: يا رسول الله! لِمَ جعلَ الله في ذلك الزمان تأميرَ الأمة بعضها على بعض؟ فأجاب بأنه جعل الله ذلك التأمير تكرمةً لهذه الأمة.

أو مفعول مطلق، كأنه قال: كرَّم الله تعالى هذه الأمة تكرمة من قبله سبحانه.

ولو رُوِي بالرفع، كان خبرَ مبتدأ محذوف، كأنه قال: هذه الفعلة تكرمة الله تعالى.

و(هذه) مفعول به للتكرمة، و(الأمة) صفة لـ (هذه).

يعني: جعل الله بعضكم على بعض الأئمة والأمراء؛ لتكرمته تعالى هذه الأمة، وتفضُّله عليهم.

* * *

٧ - باب
قُرْبِ السَّاعة وأنَّ من ماتَ فقد قامتْ قيامتُه

(باب قرب الساعة)

قوله: «وأن من مات فقد قامت قيامته».

اعلم أن القيامة على ثلاثة أنواع:

القيامة الكبرى: وهي عبارةٌ عن حشر الأجسادِ وسوقهم إلى المحشر للجزاء.

والصغرى: وهي عبارةٌ عن موت كلِّ واحدٍ من الإنسان، وهي بأنه قال: (من مات فقد قامت قيامته).

والوسطى: وهي عبارةٌ عن موتِ جميعِ الخلق.

* * *

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٦٣ - عن قَتَادَةَ عن أنسٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتينِ». قال قَتادَةُ في قَصَصِهِ: كفَضْلِ إحْداهُما على الأُخرَى.

قوله: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين»: قال الإمام شهاب الدين التُّورِبِشْتي في «شرحه»: الإعرابُ الذي يُعتمَدُ عليه من طريق الرواية هو الرفعُ، والنصبُ فيه مساغٌ؛ يعني: جوازٌ، وتكون الواو بمعنى (مع)، ولم تبلغنا فيه رواية.

قال في «شرح السنة»: يريدُ: ما بيني وبين الساعة من مستقبلِ الزمانِ بالإضافة إلى ما مضى مقدارُ فضل الوسطى على السبابة.

قوله: «كهاتين»؛ يعني: كالسبابة والوسطى، فالكاف صفة مصدر

محذوف؛ أي: قُرباً كقرب هاتين الإصبعين، شبَّه القُربَ الزماني بالقُربِ المَسافيِّ.

* * *

٤٢٦٤ ـ عن جابرٍ ﷺ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ قبلَ أنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْألُوني عنِ السَّاعةِ؟ وإنَّما عِلْمُها عندَ الله، وأُقسِمُ بالله، ما على الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفوسَةٍ تأتِي عليها مِئَةُ سَنَةٍ».

قوله: «وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة»: منفوسة؛ أي: مولودة.

قال في «الغريبين»: نَفِست المرأة ونُفِست: إذا ولدت، وإذا حاضَتْ قلتَ: (نَفِست) بفتح النون لا غير، ومنه الحديث: قالت أم سلمة: كنتُ معه في الفراش، فحضتُ، فقال: «أنفست؟»، أراد: حضت.

وفي حديث ابن المسيب: «لا يرثُ المنفوس حتى يستهلَّ صارخاً»؛ يعني: الصبي المولود.

(ما) مشبهة بـ (ليس)، وهو جواب للقسم، و(على الأرض) خبر مقدم، و(من) في (من نفس) زائدة؛ للاستغراق، و(نفس): اسمه، و(منفوسة): صفة للنفس، و(تأتي...) إلى آخره صفةٌ بعد صفة، ويجوز تقديم خبر (ما) على اسمها إذا كان ظرفاً، كذا ذكره العزيز «شارح اللُّمَع».

والمختار: أن (نفس) مبتدأ، و(على) خبر مقدم؛ لأن (ما) إذا تقدم خبرُهُ بطلَ عمله في الأشهر.

يعني: لا يوجد واحدٌ من هؤلاء الموجودين اليوم من الناس في وجه الأرض بعد مضيِّ مئة سنة.

فإن قيل: بهذا الحديث ينبغي أن لا يكونَ إلياسٌ والخضرُ ـ عليهم السلام ـ في الحياة، فهما داخلان تحت عموم الحديث؛ لأن الأصل أن يكون العام باقياً على عمومه، ويقويه هنا قوله ﷺ: «لو كان الخضرُ حياً لزارني».

قيل: ظاهرُ الحديث يدلُّ على عدم حياتهما عليهما السلام، إلا أن الإمامَ مُحيي السنةَ ذكر دوام حياتهما ـ عليهما السلام ـ في «معالم التنزيل» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧].

قيل: أربعةٌ من الأنبياء في الأحياء؛ اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهم السلام، فإذا كان كذلك؛ فالحديثُ مخصوصٌ بهما؛ لأن العامَّ يجوز تخصيصه بقرائن عقلية أو نقلية، وهنا نقلية؛ إذ قد استفاضَ في الأمم كلها حياتهما، فإذا تقرَّرَ هذا، فلا يكون مناقضاً للحديث.

ويحتمل أن يقال: هما ـ عليهما السلام ـ لم يدخلا في هذه الأمة، فيدخلا تحت العموم؛ لأنهما نبيّان، ولا يكون نبي أمة نبي آخر، فكأنه أراد هنا: ما من نفس منفوسة من أمتي إلا وبعد انقضاء المئة يأتي عليها الفناءُ؛ إخباراً عن أعمار أمته.

فالفائدة من هذا الإعلام: تنبيهٌ منه ﷺ على قدرة الله تعالى في إهلاكِ جميع العالم، والإتيانِ بغيرهم جملة عن جملة، ومن كان قادراً كذا، كان قادراً على إحياء الكلِّ، كما قدر على إهلاك الكل بعد مئة، وإنشاء أصناف منها، أو الدهورُ الداهرة، والأركانُ الغابرة، تعالى عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

* * *

٤٢٦٦ ـ وعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رِجالٌ منَ الأَعْرابِ جُفاةٌ يأتونَ النَّبيَّ ﷺ ويَسألونَهُ عن السَّاعةِ، فكانَ ينظُرُ إلى أَصْغرِهِمْ فيقولُ: «إنْ يَعِشْ هذا لا يُدرِكْهُ الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ عَلَيكُمْ ساعتُكم».

قوله: «فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا...» إلى آخره.

(هذا) إشارةٌ إلى الأصغر.

«الساعة»: جزء من أجزاء الزمان، ويُعبَّر بها عن القيامة.

قال هشام: الساعةُ هاهنا: الموت؛ يعني: إذا مات الرجل يرى جزاءَ ما فعل، وكأنه يرى القيامة.

يعني: قبل أن يصير هذا الصغير هَرِماً يأتي على بعضكم، أو على جميعكم الموت.

هذا تنبيهٌ منه ﷺ على محذورات الدنيا، وأنها لا تبقى لجميع سكانها، بل تأكلهم مستأصلين، فليحذر الناسُ منها، ويستعدوا لأمر الآخرة.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٦٧ ـ عن المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّادٍ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «بُعِثْتُ في نَفَسِ السَّاعةِ، فسبقْتُها كما سبقَتْ هذِه هذِه»، وأشارَ بإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى.

قوله: «بُعِثتُ في نفسِ الساعة، فسبقتُها...» إلى آخره.

(النَفَس) بالتحريك لا غير، ذكره الإمام التُّورِبِشتي في «شرحه»، وهو عبارةٌ عن قرب الساعة وأماراتها؛ يعني: بعثت في قريب من أشراط الساعة، وحاصله: [أنه] مجازٌ وتنبيهٌ على الاستعداد لها من زمنِ بعثِهِ ﷺ إلى قيامها.

قوله: «فسبقتُهَا كما سبقت هذه هذه»؛ يعني: فسبقتُ الساعةَ كما سبقت هذه هذه، فـ (هذه) الأولى محلها رفع؛ لأنها فاعل (سبقت)، و(هذه) الثانية محلها نصب؛ لأنها مفعوله، وتقديم الفاعل في هذه الصورةِ واجبٌ.

يعني: مقدارُ ما بيني وبين الساعة من الزمان مقدار ما فضل الوسطى على السبابة، هذا معنى ما نقل من «شرح السنة» في الحديث المتقدم، وهو: «بعثت أنا والساعة».

* * *

٨ ـ باب
لا تقومُ السَّاعةُ إلا على الشِّرار

(باب)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٧٠ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ على أَحَدٍ يَقولُ: الله، الله».

«**لا تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقول: الله الله**»؛ يعني: لا تقوم الساعة ما دام في وجه الأرض موحِّدٌ يذكر الله سبحانه.

هذا دليلٌ على أن بركة العلماء والصلحاء تصلُ إلى مَن في العالم من الجن والإنس وغيرهما من الحيوانات والجمادات.

فإن قيل: ما فائدة تكرير لفظة (الله) سبحانه؟

قيل: إن معناه: الله حسبي، والله هو الإله لا غيره، كما تقول: زيد زيد؛ أي: زيد المشهور المعلوم المستبدُّ بكذا، فالمكرَّرُ الموحِّدُ فقط، وغيرُهُ قد يفردُهُ، ولا يَحصلُ به توحيدٌ.

و(الله) الأول المبتدأ، والثاني خبره، والثاني هو محطُّ الفائدة.

أي: الله هو معبودي لا غير، والله كما أثنى على نفسه.

فإن رُوِيا بالنصب؛ لكانا منصوبين على التحذير، تقديره: احذروا الله،

كما تقول: الأسدَ الأسدَ، فعلى هذا معناه: لا يبقى في الأرض مسلمٌ يُحذِّرُ الناس.

* * *

٤٢٧٢ ـ وقالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِساءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذي الخَلَصَةِ ـ وذو الخلَصَةِ: طاغِيَةُ دَوْسٍ التي كانوا يَعْبُدونَ في الجاهِلِيَّةِ ـ».

قوله: «حتى تضطربَ ألياتِ نساءِ دوسٍ حولَ ذي الخَلَصةِ»، (الإليات): جمع ألْية؛ بفتح الهمزة، وهي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ.

و(الدوس): قبيلة، قال محمد بن إسحاق: (ذو الخَلَصة): بيتٌ كان فيه صنمٌ كان يقال له: (الخلصة) لدوس.

وقال غيره: (الخَلَصة): هي الكعبة اليمانية، أنفذَ إليها رسولُ الله ﷺ جريرَ بن عبدالله ﷺ فخرَّبها.

أراد: حتى ترجع دوسٌ عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخلصة، وتضطربَ ألياتها، كذلك فعلهم في الجاهلية، ذكره في «الغريبين».

* * *

٤٢٧٣ ـ وعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يَذْهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حتَّى تُعْبَدَ اللاتُ والعُزَّى»، فقلتُ: يا رسولَ الله! إنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حينَ أنزلَ الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ أنَّ ذلكَ تامٌ، قال: «إنَّهُ سَيَكونُ مِنْ ذلكَ ما شاءَ الله، ثُمَّ يَبعَثُ الله رِيْحاً طَيبةً، فتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كانَ في قَلْبِه مِثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، فيَبقَى مَنْ لا خيرَ فيهِ، فيَرجِعونَ إلى دينِ آبائِهِمْ».

قوله: «ولا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تُعبَدُ اللاتُ والعُزَّى»، و(اللات): صنم كان لثقيف، و(العزى): لسليم وغطفان، ذكره في «معالم التنزيل».

يعني: لا تقوم الساعة حتى يُعبَد هذان الصنمان.

قوله: «إنْ كنتُ لأظنُّ»، (إن) خفيفة من الثقيلة، وشرط (إن) المكسورة إذا خُفِّفت أن تدخل على الأفعال الداخلة على المبتدأ أو الخبر، وهي كان وأخواتها، وأفعال القلوب، ويلزمها اللام الفارقة في خبرها؛ لتفرِّقَ بينها وبين (إن) الشرطية والنافية، تقديره: إنه كنت لأظن؛ يعني: إن الشأنَ والحديثَ كنتُ لأظن.

* * *

٤٢٧٤ ـ عن عبدِالله بن عَمْرٍو ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فيَمكُثُ أَرْبعينَ ـ لا أدرِي أربعينَ يَوْماً أو شَهْراً أو عَاماً ـ، فيبعثُ الله عيسَى بن مريمَ عليهما السَّلامُ كأنَّهُ عُرْوَةُ بن مَسْعودٍ ﷺ فيَطلُبُه فيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنينَ ليسَ بينَ اثنينِ عَداوةٌ، ثمَّ يُرسِلُ الله رِيحاً بارِدةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فلا يَبقَى على وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أو إيمانٍ إلاَّ قَبَضَتْهُ، حتَّى لوْ أنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ لدخلَتْهُ عليهِ حتى تقبِضَهُ». قال: «فيبقَى شِرارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيرِ وأَحْلامِ السِّباعِ، لا يعرِفونَ مَعْروفاً ولا يُنْكِرُونَ مُنكَراً، فيَتمثَّلُ لهُمُ الشَّيطانُ فيقولُ: ألا تستحيُونَ؟ فيقولونَ: فما تأمُرُنا؟ فيأمُرُهُمْ بِعبادَةِ الأَوْثانِ، وهُمْ في ذلك دارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثمَّ يُنفَخُ في الصُّورِ، فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلاَّ أصْغَى لِيتاً ورَفَعَ لِيتاً». وقال: «وأوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلوطُ حَوْضَ إبِلِهِ، فيَصْعَقُ ويَصْعَقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسِلُ الله مَطَراً كأنَّهُ الطَّلُّ فيَنبُتُ منهُ أَجْسادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنفَخُ فيهِ أُخرى ﴿فإذا هُمْ قِيامٌ يَنظرونَ﴾، ثمَّ يُقالُ: يا أيُّها النَّاسُ! هَلُمَّ إلى ربِّكُمْ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾،

ثُمَّ يُقالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فيُقالُ: مِنْ كَمْ؟ فيُقالُ: مِنْ كُلِّ ألفٍ تِسْعَ مِئةٍ وتسعةً وتسعينَ، قال: فذاكَ يومَ ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، وذلكَ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾».

قوله: «يخرجُ الدجالُ، فيمكثُ أربعينَ لا أدري»: قال الإمام التُّوربِشتي: قلت: (لا أدري) إلى قوله: (فيبعث الله عيسى عليه السلام) من قول الصحابي؛ أي: لم يزدني على أربعين شيئاً؛ أي: المراد منها: فلا أدري أياً أراد من هذه الثلاثة.

قوله: «يا أيُّها الناسُ! هلمَّ إلى ربكم»؛ يعني: تعالوا، وارجعوا إلى ربكم.

قال في «الصحاح»: قال الخليل: أصله: (لُمَّ) من قولهم: لمَّ الله شعثه؛ أي: جمعه، كأنه أراد: لُمَّ نفسَك إلينا؛ أي: اقرُبْ إلينا، و(ها) للتنبيه، وإنما حُذِفت ألفها؛ لكثرة استعمالها، وجُعِلا اسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع في لغة أهل الحجاز.

وقيل: أصله: (ها الْمُم) نقل حركة الميم إلى اللام، واستغنى عن همزة الوصل، فاجتمع ساكنان في الآخِر، فأدغم، فبقي (ها لُمَّ)، فحُذِف الألف؛ لالتقاء الساكنين؛ الألف وسكون اللام في التقدير، وقيل: أو ليركَّبا فيصيرا كـ (حضرموت).

قوله: «﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾»؛ أي: احبسوهم وأوقفوهم.

قوله: «فيقال: أخرجوا بعثَ النارِ»: إما خطابٌ للملائكة، أو لآدم في تقسيم ذريتهم؛ يعني: إعلام الخلق أنه يُوجَّه الأكثرُ إلى النار، والأقل إلى الجنة، والسببُ في تكثير العصاة وتقليل المطيعين: أنه سبحانه وتعالى لا يصلحُ لخدمته إلا من هو في غاية الاصطفاء، ومثل هذا قليلُ الوجود في البشر المركبين من الشهوات والنهمات.

قال الغزالي ـ رحمة الله عليه ـ في كتاب «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»: وليس المعنيُّ به: أنهم كفار مخلَّدون في النار، بل يدخلون النار ويعرضون عليها، ويتركون فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبهم ومعاصيهم، والمعصومُ من المعاصي لا يكون من ألف إلا واحداً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

ثم (بعث النار) عبارةٌ عمن استوجب النار بذنوبه، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة، كما وردت به الأخبارُ الكثيرةُ الدالةُ على سعة الرحمة، وهي أكثر من أن تُحصَى.

وأما قوله: «بعث النار»: فالبعث: جماعةٌ يُبعثون لأمرٍ إلى موضع، وفي حديث آخر: أن رسولَ الله ﷺ في يوم العيد إذا أراد أن يبعثَ بعثاً... والمراد: المبعوثون إلى النار؛ يعني: أهل النار.

قوله: «من كَمْ كَمْ؟»: تقديره: من أيِّ عدَّةٍ أيُّ عددٍ؟ فهو استفهام عن مقدارِ المُخرَجِ منه ومقدارِ المُخرَجِ كلاهما، وتقديره: العدد[1] المعدود المبعوث أيُّ عددٍ من أيِّ عدد؟

فالمبتدأ محذوف، وقوله: (من أي عدد) صفة للخبر، كما تقول: المبعوث عشرة من مئة.

وقيل: (من كم) جار ومجرور خبر مقدم، و(كم) الأخير مبتدأ، كأنه قال: كم المبعوثون من كم؟ أي: من كم عددٍ يخرجُ منه هؤلاء بعث النار، ويبقى الباقي؟

قوله: «فذاك يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾»، (الشيب): جمع أشيب، كـ (بيض) جمع: أبيض، فأبدلت ضمة الفاء كسرةً؛ لتصح الياء.

يعني: يوم القيامة يصيرُ الأطفال شيباً من أهواله وشدائده.

---

(١) في «م» و«ق»: «الأعرابي»، وفي «ش»: «الأعداد»، والصواب المثبت.

ويحتمل أن يقال: المراد به: عظم أهوال يوم القيامة، لا حقيقة التصيُّر، كما تقول: هذا أمر يشيبُ فيه الوليدُ: إذا كان عظيماً هائلاً.

يعني: لو أن وليداً شابَ من واقعةٍ عظيمة؛ لشابوا في ذلك ليوم، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾[الحشر: ٢١]، فكم تقرأ القرآن على جبل ولا يخشع ولا ينشق، معناه: لو كان الجبل يخشع، ويكون له روح، وينشق من هول واقعة؛ لانشق إذا تُلِي عليه القرآن.

قوله: «وذاك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾»: قال الخطابي: هذا ممَّا نهيت القول فيه شيوخنا، وأجْرَوه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقُّفِ عن تفسير كلِّ ما لا يحيطُ العلمُ بكنهه من هذا الباب.

أما من تأوله فقال: ذلك اليوم يكشف عن شدة عظيمة وأمر فظيع.

قال الإمام أبو الفتوح العجلي ـ رحمه الله ـ في «تفسيره»: قيل: معناه: عن أمر شديد فظيع، وهو إقبالُ الآخرة وظهورُها، وذهابُ الدنيا.

ويُقال للأمر إذا اشتد وتفاقم، فظهر، وزال خفاؤه: كشف عن ساقه، وهذا جائزٌ في اللغة وإن لم يكن للأمر ساقٌ، وهو كما يقال: أسفرَ وجهُ الأمر، واستقام صدرُ الرأي.

قال الشاعر يصفُ حرباً:

كَشَفَتْ لهم عن سَاقِها وبدا من الشرِّ الصُّراحْ

وقيل: معناه: أن يرفع الستر من الدنيا والآخرة، وقيل: [هو] المراد بقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[الطارق: ٩].

وقيل: عن ساق؛ أي: عن ساق العرش، وقيل: عن نور عظيم.

قال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى

الجد، ومقاساة الشدة: شَمَّر عن ساقه.

ويقال: إذا اشتدَّ الأمرُ في الحرب: كشفت الحربُ عن ساقٍ.

قال في «شرح السنة»: وقال ابن عباس: يوم كرب وشدة. وقال: هي أشد ساعة في القيامة.

فعلى هذا القول معناه: المبالغة في التجلي والظهور عن ذاته؛ لأنه في اللغة عبارةٌ عن الجد في الأمر، أو لأن الساقَ يكون مستوراً غالباً، فكشفُهُ مبالغةٌ في هذا الوجه أيضاً.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٧٥ ـ عن مُعاوِيَةَ ﷺ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوبةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِها».

قوله: «لا تنقطع الهجرة»: من المعاصي إلى الطاعة، ومن الكفر إلى الإيمان.

«حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»؛ يعني: لا تنقطعُ الهجرةُ من المعاصي إلى الطاعة، ومن الكفر إلى الإيمان، حتى تنقطعَ التوبة، وزمان انقطاع التوبة إما عند اليأس من الحياة، وهو حين رأى الشخص ملك الموت، فإذا تاب في ذلك الوقت لا تُقبَلُ توبته، وكذا لو آمن لا يُقبَلُ إيمانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء: ١٨].

وإما عن طلوع الشمس من مغربها، وطلوعُ الشمس من المغرب من أشراط الساعة، كما ذكر في (باب أشراط الساعة)، ومر.

* * *

١ ـ باب
النَّفْخِ في الصُّورِ

(باب النفخ في الصور)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٢٧٦ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «ما بينَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبعونَ»، قالوا: يا أبا هُريرةَ! أَرْبعونَ يَوْماً؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبعونَ شَهْراً؟ قالَ: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبعونَ سَنَةً؟ قال: أبيْتُ، «ثمَّ يُنزِلُ الله منَ السَّماءِ ماءً فيَنْبُتونَ كما ينبُتُ البَقْلُ»

قالَ: «وليسَ مِنَ الإنسانِ شَيْءٌ لا يَبْلَى إلا عَظْماً واحِداً، وهوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنهُ يُركَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيامَةِ».

وفي رِوايةٍ: «كُلُّ ابن آدمَ يأْكُلُهُ التُّرابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منهُ خُلِقَ وفيه يُركَّبُ».

قوله: «ما بينَ النفختينِ أربعون، قالوا: يا أبا هريرة! أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ» الحديث.

يعني: امتنعتُ عن الجواب، فإني لا أدري، فإذا قلت: أربعون يوماً أو شهراً أو غير ذلك، فأكذب على النبي ﷺ، وأبيتُ الكذبَ عليه.

قوله: «وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلَى، إلا عظماً واحداً، وهو عَجْبُ الذنب»، (العجب): العظم الذي في أسفل الصُّلب، وهو العَسِيب، ذكره في «شرح السنة».

قال في «الصحاح»: (العَسِيب): منبت الذنب، فالمراد: طول بقائه، لا أنه لا يبلى أصلاً، فإنه خلاف المحسوس.

وجاء في حديث آخر: «أنه أول ما يُخلق، وآخر ما يَبلَى»، ومعنى الحديث واحد.

والحكمة فيه: أنه قاعدةُ بدنِ الإنسان وأُسُّه الذي يُبنى عليه، فبالحريّ أن يكون أصلبَ من الجميع كقاعدة الجدار، وإذا كان أصلب كان أطول بقاء.

وأما إعرابه: فقوله: (إلا عظماً) فهو منصوب؛ لأنه استثناء من موجب؛ لأن قوله: «ليس شيء من الإنسان لا يبلى» نفيُ النفيِ، ونفيُ النفي إثباتٌ، فيكون تقديره: كلُّ شيء منه يبلى إلا عظماً واحداً.

* * *

٤٢٧٨ ـ عن عبدِالله بن عُمَرَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَطوِي الله السَّماواتِ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ يأخُذُهُنَّ بيدِه اليُمنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ، أينَ الجبَّارونَ؟ أينَ المُتكَبـرُونَ؟ ثمَّ يَطوِي الأرَضِـينَ بِشمالِه ـ وفي رِوايةٍ: ثُمَّ يأخُذُهُنَّ بيدِه الأُخرى ـ ثمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ، أينَ الجَبَّارونَ؟ أينَ المُتكبـرونَ؟».

قوله: «يطوي الله السماوات يوم القيامة يأخذهن بيده اليمنى» الحديث.

اعلم بأنَّ الله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن سِمةِ الحدوث، وصفةِ الأجسام، وكلُّ ما ورد في القرآن والأحاديث في صفاته ممَّا ينبئ عن الجهة والفوقية، والاستقرار والإتيان، والنزول، فلا نخوض في تأويله، بل نؤمن بما هو مدلولُ تلك الألفاظ على المعنى الذي أراده سبحانه مع التنزيه عما يُوهِمُ الجسمية والجهة، كما يُروى عن مالك ـ رحمة الله عليه ـ لما سُئِل عن قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، وسؤالك عنه بدعة.

وهو مذهب السلف الصالح ﷺ.

أما المتكلمون من أهل السنة والمعتزلة: فقد أوَّلوا جميع الألفاظ الواردة في هذا الباب على ما يليقُ بذاته سبحانه.

وهؤلاء يقفون في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران: ٧] على قوله: ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

والفرقة الأولى ـ وهم السلف الصالح ﷺ ـ يقفون على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فإذا تقرَّر هذا؛ فالمراد من اليد واليمين والشمال: القدرة، والمراد من الطيِّ: التسخير التام والقهر الكامل، وهو كذلك الآنَ أيضاً، ولكن في القيامة أظهر؛ لأنه لا يبقى أحدٌ يدَّعي الملكَ المجازي، كما هو في الدنيا.

قوله: «ثم يطوي الأرضين بشماله»: وإنما قال: بشماله، ولم يقل: يمينه؛ بياناً لشرف العُلويات على السُّفليات، والعادةُ جرت على أن الشريف يباشر ما فيه شرف، لا أنه ثبت له شمالٌ؛ لقوله ﷺ: «كلتا يديه يمين»، وإنما قال: كلتا يديه يمين؛ لأن الشمال بالإضافة إلى اليمين ناقصٌ في القوة، والنقصانُ لا يتطرَّقُ على ذاته سبحانه.

قال الإمام التُّورِبِشتي: يحتمل أن هذا غلطٌ من الراوي، أو ظنٌّ منه على أن إحداهما سدَّ مسدَّ الأخرى، والأولى أن لا يُغلَّطَ الراوي، ويُجمَع بين الحديثين ـ يعني: بين هذا الحديث، وبين قوله: «كلتا يديه يمين» ـ ونقول: التوفيقُ بينهما، والعلمُ عندَ الله سبحانه: أنا إذا جعلنا اليدَ عبارةٌ عن القدرة، وهو مطابقٌ لقوله: «كلتا يديه يمين»؛ لأن هذا أيضاً إشارةٌ إلى تنزيهه عن الجوارح والأجسام، فإنه لو كان جسمانياً؛ لاستحال أن تكون كلتاهما يميناً، والفرقُ بين اليمين والشمال: أن الأخذ باليمين عبارة عن أنَّ التسخير الأول أتم وأكمل من التسخير الثاني المعبر عنه بالأخذ بالشمال؛ لأن السماء السابعة مثلاً أكبرُ الأجسام، فيكون تسخيره أقوى من تسخير ما تحته من السماوات.

فإذا ثبت هذا؛ فتسخيرُ السماوات أقوى من تسخير الأرض، فإنه معلومٌ أن تسخيرَ ما هو علويٌّ أقوى من تسخير ما هو سفلي، والله أعلم بالأسرار الإلهية والحكم النبوية.

* * *

٤٢٨٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رسولَ الله ﷺ عنْ قولِه ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: فأَينَ يكونُ النَّاسُ يومئذٍ؟ قالَ: «علَى الصِّراطِ».

قوله: «﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾»، قال في «شرح السنة»: يُقالُ: (التبديلُ): تغيير الشيء عن حاله، والإبدالُ: جعل الشيء مكان الآخر.

قال الأزهري: تبديل الأرض: تسيير جبالها، وتفجير أنهارها، وكونها مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وتبديل السماوات بانتشارِ كواكبها، وانفطارِها، وتكويرِ شمسها، وخسوفِ قمرها.

* * *

٤٢٨١ ـ وقالَ رسولُ الله ﷺ: «الشَّمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرانِ يَوْمَ القِيامَةِ».

قوله: «الشمس والقمر مُكوَّرانِ يومِ القيامة»، (مكوران)؛ أي: مجموعان وملفوفان.

قال في «شرح السنة»: مُكوَّران: من قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]؛ أي: جُمِعت ولُفَّت، ومنه قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]؛ أي: يدخل هذا هذا، وتكوير العمامة: لفُّها، وقيل: من (كوَّره)؛ أي: ألقاه.

قال في «الصحاح»: يقال: طعنه فكوَّره؛ أي: ألقاه مجتمعاً، وأنشد

أبو عُبيدٍ:

ضَـرَبناهُ أمَّ الـرأسِ والنقـعُ سـاطِعٌ   فخـرَّ صـريعاً لليـدينِ مُكـوَّرا

يعني: تلقى الشمس والقمر من فلكيهما.

قال الإمام التُّورِبِشْتِي رحمة الله عليه: هذا التفسيرُ أشبهُ بنسق الحديث؛ لما في بعض طرقه: «يكوران في النار»، ويكون تكويرهما فيها؛ ليعذب بهما أهل النار، لا سيما عبّاد الأنواء، لا ليُعذّبا في النار، فإنهما بمعزل[1] عن التكليف.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٢٨٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «كيفَ أَنْعَمُ وصاحِبُ الصُّورِ قدِ التَقَمَهُ، وأَصْغَى سَمْعَهُ، وحنَى جَبْهَتَهُ متى يُؤمَرُ بالنَّفْخ؟». فقالوا: يا رسولَ الله! وما تأمُرُنا؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيلُ».

قوله: «كيف أنعم»؛ أي: كيف أتنعم؟ وقيل: كيف أفرح؟ والنعمة: المسرة، قاله في «شرح السنة».

يعني: كيف يطيب عيشي، وقد قَرُب أمرُ الساعة؟ وكأنه خاف على أمته قربها، وقد علم أنها لا تكون إلا على شِرارِ الناس، أو تنبيهٌ على حثِّ أصحابه على الوصية لمن بعدهم على التهيؤ لها.

«الصور»: القرن، قال الراجز:

---

(١) في «م»: «بمعزل»، مكررة.

نحـــــن نطحنـــــاهُمْ[1] غـــــداةَ الجَمْعَـــــينِ

نَطْحـــاً شَـــديداً لا كَـــنطحِ الـــصُّورينِ

ويقال: هي جمع (صُورَة)، مثل: (بُسْرَة) و(بُسْر)؛ أي: ينفخ الأرواح في صور الموتى، وقرأ الحسن: (يوم ينفخ في الصور)، ذكره في «الصحاح».

قوله: «قد التقمه»: ابتلعه، يقال: التقمت اللقمة؛ أي: ابتلعتها.

«أصغَى سمعَهُ»؛ أي: أمال أذنه، يقال: أصغيت الإناء: إذا أملته.

أي: كيف يكون عيشي طيباً وصاحب الصور قد ابتلع الصور؟ يعني: وضع الصور في فمه، وينتظر متى يؤمر بالنفخ؟

قوله: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»؛ أي: قولوا: الله سبحانه مُحسِبنا وكافينا، من (أحسبه الشيء): إذا كفاه، والدليلُ على أن (حسبك) بمعنى: مُحسِبك: وقوعه صفة للنكرة، كأن تقول: هو رجل حسبك، فلو لم يكن اسم فاعل، وإضافته في تقدير الانفصال، لما وقع صفةً للنكرة إذا كان مضافاً إلى معرفة.

و(الوكيل): فعيل بمعنى المفعول؛ أي: نعم الموكول إليه الله تعالى.

و(الله) مبتدأ، و(حسبنا) خبر مقدم، و(نعم) فعل المدح، و(الوكيل) فاعله، والمخصوص بالمدح محذوف.

* * *

---

(1) في جميع النسخ: «لقد نطحناهم»، والتصويب من «الزاهر في كلام الناس» لابن الأنباري (1/ 416).

٢ ـ باب
الحَشْرِ

(باب الحشر)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٧٨٤ ـ قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامةِ على أَرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ كقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليسَ فيها عَلَمٌ لأَحَدٍ».

قوله: «يحشرُ الناسُ يومَ القيامة على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ»؛ أي: يحشر الناس على أرض بيضاء ليس بالشديد البياض.

قال في «الصحاح»: الأعفر: الأبيض، وليس بالشديد البياض، وشاة عفراء: يعلو بياضَها حمرةٌ.

قوله: «كقُرصةِ النَّقي»: قال في «شـرح السنة»: يعني: نقي الحُواري ـ بضم الحاء ـ؛ لنقائه من القشر والنخالة.

«العلم»: العلامة، يريد: أن تلك الأرض مستوية ليس فيها حدبٌ يردُّ البصر، ولا بناءٌ يستر ما وراءه.

* * *

٤٧٨٥ ـ وقالَ: «تكونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً، يتكَفَّؤُها الجَبَّارُ بيدِه، نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ».

قوله: «تكون الأرضُ يوم القيامة خبزةً واحدةً يتكفَّؤها الجبارُ»، (يتكفؤها): يقلبها، من (كفأت الإناء): إذا قلبتها؛ يعني: يقلبها الله سبحانه خبزة واحدة يهيأها ويرزقها نزلاً لأهل الجنة.

و(النُّزل) بضم الزاي وسكونها: ما يُهيأ للنزيل، وهو الضيف.

قال الإمام التُّورِبشتي: (يتكفؤها) من رواية البخاري، وروي في «كتاب مسلم»: (يَكْفَؤها)، وهو الصواب على ما نعرفه من رواية الحفاظ، وهو المستقيمُ على اللغة العربية، والمعنى: يقلبُها.

ونرى الحديث مشكلاً جداً غيرَ منكرين شيئاً من صنع الله وعجائب فطرته، بل لعدم التوقف الذي يكون موجباً للعلم في قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى الطبع المطعوم والمأكول، مع ما ورد من الآثار المنقولة: أن هذه الأرضَ برَّها وبحرَها تمتلئ ناراً في النشأة الثانية، وتنضمُّ إلى جهنم.

فنرى الوجه فيه: أن تقول: معنى قوله: «خبزة واحدة»؛ أي: كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا، وهو مثل ما في حديث سهل بن سعد: «كقرصة النقي»، وإنما ضربَ المثل بقرصة النقي؛ لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا، هذا كلُّه كلامُ الشيخ التوربشتي.

ما ذكره الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ مستقيمٌ جداً إلى قوله ﷺ: «نزلاً لأهل الجنة»، فحينئذ التنزيل يرُد ذلك التأويل، ثم لا يبقى لـ (يكفأها) فائدة، وإن أريد تصحيحه؛ فالوجه أنه تعالى يكفأها؛ أي: قادر على قلبها، ليس كحال الأرض في الدنيا في قرارها وثباتها.

وقوله: «نزلاً»؛ أي: كخبزة تُخلَق نُزُلاً لأهل الجنة، فتقع النسبة في المجموع، لا في الخبزة نفسها، فإذا فُتِحَ بابُ القدرة الإلهية وظهورها ذلك اليوم، استغنيت عن التأويل الذي ذكره هو وغيرُهُ.

* * *

٤٢٨٦ ـ وقال: «يُحشَرُ النَّاسُ على ثلاثِ طرائِقَ: راغِبينَ راهِبينَ، واثنانِ

على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بَعيرٍ، وأَرْبَعةٌ على بَعيرٍ، وعَشَرةٌ على بَعيرٍ، وتَحْشُرُ بقيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقيلُ مَعَهُم حيثُ قالُوا، وتَبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتُصْبحُ مَعَهُمْ حيثُ أَصْبَحُوا، وتُمْسِي مَعَهُمْ حيثُ أَمْسَوْا».

قوله: «يحشر الناس على ثلاث طرائقَ»، قال في «شرح السنة»: هذا الحشرُ قبل قيام الساعة، وإنما يكونُ ذلك إلى الشامِ أحياءً، فأما الحشرُ بعد البعث من القبور على خلاف هذه الصفة من ركوب الإبل، والمعاقبة عليها، إنما هو كما أخبر: أنهم يبعثون حفاة عراة.

وقيل: هذا في البعث دون الحشر.

يعني: أهل العَرَصاتِ ثلاثة أصناف:

«راغبين»: وهم الذين لا خوفٌ عليهم، ولا هم يحزنون.

و«راهبين»: وهم الذين يخافون، ولكن ينجون.

والثالث: يُحشَرُون إلى النار، وهم المعني بقوله: «وتحشر بقيتهم النار».

والتنزيل نطق به، قال تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ إلى قوله ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[الواقعة: ٤ - ٨٩].

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾: حال تقديره: كنتم أزواجاً ثلاثة حال انقسامكم إلى مراتب مختلفة؛ محسن، وأحسن منه، ومتوسط بينهما.

شرحُ مشكلات ما في الآية من اللُّغات:

﴿رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حُرِّكت وزلزلت، قيل: إن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فَرَقاً.

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾؛ أي: فُتَّت فتاً كالدقيق المبسوس، وهو المبلول.

(الهباء المنبث)؛ أي: الغبار المتفرق.

و(ما) في ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾؛ للاستفهام.

قوله: «واثنان على بعير»: الصوابُ من حيث المعنى: اثنان بغير واو، وكأنه قال: راغبين راهبين راكبين وغير راكبين، معقبين في الركوب والمشي؛ يعني: يركبون ويمشون بالعُقبةِ، فيكون الواو زائداً، ويحتمل أن تكون الواوُ واوَ الحال؛ أي: الحال أن بعضَهم يركبُ، وبعضَهم يمشي راجلاً، على سبيل العُقبةِ، وهي النوبة.

قال في «شرح السنة»: يريد أنهم يعقبون البعير الواحد، يركب بعضهم ويمشي الباقون عُقَباً، (العُقَب): جمع عقبة.

قوله: «تقيل معهم حيث قالوا...» إلى آخره.

(تقيل) و(قالوا) من (القيلولة)، وهي: النوم نصف النهار، الضمير في (تقيل) للنار، وفي (قالوا) للمحشورين إليها، وهم الكفرة؛ يعني: تلزمهم النار أبداً بحيث لا تفارقهم، ولا يفارقونها؛ يعني: هم فيها مخلَّدون.

* * *

٤٢٨٧ ـ وقالَ: «إنَّكم مَحشورونَ حُفاةً عُراةً غُرلاً»، ثُمَّ قرأَ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، «وأَوَّلُ مَنْ يُكسَى يومَ القِيامةِ إبراهيمُ، وإنَّ ناساً منْ أَصْحابي يُؤْخَذُ بهمْ ذاتَ الشِّمالِ فأقولُ: أَصْحابي، أَصْحابي، فيقولُ: إنَّهُمْ لنْ يَزالوا مُرْتَدِّينَ على أَعْقابِـهم مُذْ فارَقْتَهُمْ، فأقولُ كما قالَ العَبْدُ الصَّالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾، إلى قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

قوله: «حُفاةً عُراةً غُرلاً»، (الحفاة): جمع الحافي، وهو الذي ليس في رجله خفٌّ ولا نعلٌ.

و(العراة): جمع العاري، وهو الذي ليس ببدنه ثوبٌ.

(الغُرْل): جمع الأغرل، وهو الذي لم يُختَنْ.

والفائدةُ في خلق الجلدة المقطوعة من المختنين، والعلم عند الله سبحانه: التنبيهُ على إحكام خِلْقَتِهِ، وأنه خُلِقَ للأبد، لا للفناء؛ إذ لم ينقصْ من أعضائه، بل الناقص أُعيدَ كاملاً، أو لأنه التزم عَودَةً كما كان، ووقت كونه كان غُرلاً، فأُعيدَ كما كان.

(حفاة) (عراة) (غرلاً) ثلاثتها منصوبة على الحال من الضمير في (محشورون).

قولـــه: «ثم: قـــرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾»: الكاف متعلق بمحذوفٍ دلَّ عليه (نعيده)، تقديره: نعيد الخلق إعادةً مثل الخلق الأول؛ يعني: بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيرها.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ إعادته، (وعداً) بالنصب على المصدر من غير لفظ الفعل؛ لأن الإعادةَ وعدٌ، كأنه قال: وعدناه وعداً، ويجوز أن يكون (علينا) صفة الوعد؛ أي: وعداً واجباً علينا بإيجابنا.

﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾؛ أي: الإعادة والبعث.

وبيان إيجابه تعالى على نفسه حشرَ الأجساد كرماً: أنه وعد حشر الأجساد المتضمن للثواب والعقاب في كلامه القديم في غير موضع، فإذا وعد به وجب إنجازه صدقاً لوعده؛ لقوله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[آل عمران: ٩]، ولأنه لما أخبر بوقوعه، فإن لم يقع لزم تطرُّقُ الخُلْفِ إلى كلامه، وذلك نقصٌ، وهو سبحانه منزَّهٌ عن ذلك، فإذا ثبت هذا، فالمعاد الجسماني إنما أوجبه إخبارُ الصادق المعصوم، لا القضيةُ العقلية؛ لأنها مختلف فيها، ولأن

العقلَ لا يتكلم في مثل هذا، بل ربما يجاوز فلا يصدق كقول الفلسفي والمعطِّل.

قوله: «وأول من يُكسَى يوم القيامة إبراهيمُ» عليه الصلاة والسلام.

إن قيل: إن نبينا ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم، فكيف يكون إبراهيم مقدماً عليه بهذه الفضيلة؟

قيل: يحتمل أن الحديثَ مخصوصٌ بالنبي صلوات الله عليه، والتخصيصُ من فصاحةِ كلام العرب.

ويحتمل أنه ﷺ [كان] مُشرَّفاً باللباس، فحينئذ الحديثُ لا يحتاج إلى التأويل.

ويحتمل أن يقال: إن تقدمه في اللباس لا لأجل الفضيلة على نبينا، بل إنما يُكسى أولاً؛ لكونه أباه، وتقدمه في اللباس لعزة الأبوة، لا للفضيلة، بل إنما شرف به وبغيره؛ لكونه أباه، والله أعلم.

قوله: «أُصَيْحَابي»، (الأُصَيحاب): تصغير أصحاب، فُتِحَ الحاء لأجل الألف، كـ (أجيمال) تصغير (إجمال).

قال في «شرح السنة»: إنما صغَّر؛ ليدلَّ على قلة عددهم.

إن قيل: (أصحاب) جمع قلة، والقليلُ لا يُقلَّل، إنما يقلل الكثير.

قيل: ما من قليل الأقل منه يمكن، فلهذا جاء قليلان.

ويمكن أن يقال: إنما حقَّرهم؛ لاحتقارِ أوصافهم، إذا كانوا أصحابَ سوء حين أساءوا العملَ بعدما وصل النبي ﷺ إلى دار البقاء، وضيَّعوا صحبته، استحقوا النار، لا للكفر والارتداد، بل للمعاصي، وسياق الحديث دليلٌ عليه، وهو قوله: «لن يزالوا مرتدين على أعقابهم».

قال في «شرح السنة»: لم يرد به الردةَ عن الإسلام، وإنما معناه: التخلفُ عن بعض الحقوق الواجبة والتأخر عنها، ولذلك قيَّدَ بقوله: (على أعقابهم)، ولم يرتدَّ بحمد الله تعالى أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ، إنما ارتد قومٌ من جُفاةِ العرب.

قوله: «فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾» الآية، (العبد الصالح)؛ يعني: عيسى صلوات الله عليه.

* * *

٤٢٨٩ ـ عن أنس ﷺ: أنَّ رَجُلاً قالَ: يا نبيَّ الله! يُحْشَرُ الكافِرُ على وَجْهِهِ يومَ القِيامَةِ؟ قال: «أَلَيْسَ الذي أَمْشاهُ على الرِّجلَيْنِ في الدُّنيا قادِرٌ على أنْ يُمْشِيَه على وَجْهِهِ يَوْمَ القِيامَةِ؟».

قوله: «أَمْشَاهُ على الرجلين»، (أمشى): إذا جعل أحداً ماشياً.

* * *

٤٢٩٠ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «يَلقَى إبراهيمُ أباهُ يومَ القِيامَةِ وعلى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فيقولُ لهُ إبراهيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لكَ: لا تَعْصِني؟ فيَقولُ لهُ أبوهُ: فاليَوْمَ لا أَعصِيكَ، فيقُولُ إبراهيمُ: يا ربِّ! إنَّكَ وعَدْتَني أنْ لا تُخزِيَني يَوْمَ يُبعَثونَ، فأيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أبي الأَبْعَدِ؟ فيقولُ الله ﷻ: إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ على الكافِرينَ، ثُمَّ يُقالُ لإبراهيمَ: ما تحتَ رِجلَيْكَ؟ فينظُرُ فإذا هوَ بذِيخٍ مُتَلطِّخٍ، فيُؤخَذُ بقَوائِمِهِ فيُلقَى في النَّارِ».

قوله: «وعلى وجه آزر قترة وغبرة»، (الغَبَرة): الغبار، و(القَتَرة): الغبرة التي معها سواد.

قال في «معالم التنزيل»: قال ابن زيد: الفرق بين (الغَبَرة) و(القَتَرة): أن (القَتَرة): ما ارتفع من الغبار، فلحق بالسماء، و(الغَبَرة): ما كان أسفل في الأرض.

قوله: «فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟».

قوله: «من أبي الأبعد»: لم يرد منه الأبعدَ في النسب، إذ الأبُ أصل الولد، فكيف يسمى أبعد؟ وإنما أراد الأبعد مني في المرتبة والالتحاق بأهل النار.

يعني: إدخال والدي في النار إهانة لي، وفي الإهانة جلبُ الخزي العظيم، وقد وعدتني أن لا تخزيني؟

فأجيب بأنَّ تعذيبَ الكافر واجبٌ، وفعل الوجوب لا يُسمَّى خزياً، فالحقيقةُ أنه وعده أن لا يخزيه في نفسه، وفي حقِّ من لا يستحقُّ الخزيَ، وأما الخزيُ المطلق، فلم يمنعه، فإذا علم أن أباه مات على الكفر تبرأ منه؛ لعلمه: أن الجنة محرمةٌ على الكفرة.

يقول[1] ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

قوله: «ما تحت رجليك؟»، (ما): استفهام مبتدأ، و(تحت) خبره، ويحتمل أن يكون بمعنى: الذي؛ أي: انظر إلى الذي تحتَ رجليك.

قوله: «فإذا هو بذِيخٍ»: (الذيخ): الذكر من الضباع.

قوله: «فيُؤخذُ بقوائمه»، (القوائم): جمع قائمة، وهي ما تقوم به الدواب، فهي من الدواب بمثابة الأرجل من الإنسان؛ أي: يُجرُّ بقوائمه فيُلقى في النار.

* * *

---

(١) في جميع النسخ: «قوله»، ولعل الصواب ما أثبت.

٤٢٩٢ ـ وقال ﷺ «تُدْنَى الشَّمسُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ حتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كمِقْدارِ مِيلٍ، فَيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أَعْمالِهِمْ في العَرَقِ، فمِنْهُمْ مَنْ يكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومنهُمْ مَنْ يكونُ إلى رُكبَتَيْهِ، ومنهُمْ مَنْ يكونُ إلى حَقْوَيْهِ، ومنهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجاماً». وأَشَارَ رسولُ الله ﷺ بيدِه إلى فيهِ.

قوله: «حَقْوَيه»: (الحقو): الخصرُ ومشدُّ الإزار، ذكره في «الصحاح».

قوله: «كمقدار ميل»: قال سليم: لا أدري أيَّ الميلين يعني: مسافة الأرض، أو الميل الذي تكحل به العين؟ ذكره في «شرح السنة».

* * *

٤٢٩٣ ـ عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله تعالَى: يا آدمُ! فيَقُولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ في يدَيْكَ، قال: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قالَ: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قالَ: مِنْ كُلِّ ألفٍ تِسْعُ مِئَةٍ وتِسْعَةٌ وتِسْعونَ، فعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾»، قالوا: يا رسولَ الله! وأيُّنا ذلكَ الوَاحِدُ؟ قال: «أَبْشِرُوا، فإنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، ومِنْ يأْجُوجَ ومأْجوجَ ألفٌ»، ثُمَّ قال: «والذِي نَفْسِي بيدِه، إنِّي أَرْجُو أنْ تكونوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فكَبَّرنا، فقال: «أرجُو أنْ تكونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ»، فكبَّرنا، فقال: «أرجُو أنْ تكونوا نِصفَ أهلِ الجَنَّةِ»، فكبَّرنا، قال: «ما أنتُم في النَّاسِ إلاَّ كالشَّعْرَةِ السَّوْداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أو كشَعرَةٍ بيضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ».

قوله: «ما أنتم في الناسِ إلا كالشعرةِ السوداءِ في جلد ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاءَ في جلد ثورٍ أسود»؛ يعني: أنتم قليلون بالإضافة إلى الأمم السالفة، والكفارِ مطلقاً.

* * *

٤٢٩٤ ـ وقالَ: ﷺ «يَكْشِفُ ربنا عن ساقِهِ، فيَسْجُدُ لهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنةٍ، ويَبقَى مَنْ كانَ يَسْجُدُ في الدُّنيا رِياءً وسُمْعَةً، فيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً واحِداً».

قوله: «الرياء والسمعة»؛ أي: الصِّيتُ والشُّهرة.

قوله: «فيعود ظهره طَبَقاً واحداً»، قال في «الغريبين»: (الطبق): فِقارُ الظهر، واحدتها: طبقة؛ يعني: صار كلُّ فقارِهِ واحدةً، فلا يقدرُ على السجود.

* * *

٤٢٩٥ ـ وقالَ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القيامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ الله جَناحَ بَعُوضَةٍ»، وقالَ: «اقرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾».

قوله: «لا يزنُ جناحَ بعوضة»، (جَناح الطير) مفتوح الجيم[1]: يده، وكذا جناح البعوضة.

قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾، قال في «شرح السنة»: قال ابن الأعرابي: تقول العرب: ما لفلان عندنا وزنٌ ـ أي: قَدْرٌ ـ لِخِسَّته.

وقيل: معناه: لا يزن لهم سعيهم عند الله مع كفرهم شيئاً.

قال الواحدي في «تفسير الوسيط»: ويوصفُ الجاهل بأنه لا وزنَ له؛ لخفته بسرعة طيشه، وقلة تثبُّتِه.

والمعنى على هذا: أنهم لا يُعتدُّ بهم، ولا يكون لهم عند الله قدرٌ ومنزلة.

* * *

---

(١) في جميع النسخ: «الحاء»، والصواب ما أثبت.

مِنَ الحِسَان:

٤٢٩٧ ـ وقال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ أحَدٍ يَمُوتُ إلا نَدِمَ». قالوا: وما نَدامَتُهُ يا رسولَ الله؟ قالَ: «إنْ كانَ مُحْسِناً نَدِمَ أنْ لا يكونَ ازدادَ، وإنْ كانَ مُسِيئاً نَدِمَ أنْ لا يكونَ نَزَعَ».

قوله: «ما من أحد يموت» الحديث.

(يموت): جملة فعلية صفة لأحد، و(أحد) فيه معنى العموم؛ لأن النكرةَ في سياق النفي تَعمُّ.

يعني: من مات محسناً كان أو مسيئاً، ندم على أنه كان مقصِّراً في طاعة الله سبحانه؛ أما ندامة المحسن: فلأنه ربما قصَّر في حقيقة العبودية والإخلاص فيها، وأما ندامة المسيء: فلأنه قصَّر في العبودية، والإخلاص فيها، فإذا ماتوا انتبهوا، فظهرت ندامتهم، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

قوله: «ندم أن لا يكون نَزَعَ»، قال في «الصحاح»: نَزَعَ عن الأمور نُزُوعاً؛ أي: انتهى عنها؛ يعني: ندم أن لا يكون انتهى عن المعاصي.

* * *

٤٢٩٨ ـ عن أبي هُريرَةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القِيامةِ ثلاثَةَ أصْنافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وصِنْفاً رُكباناً، وصِنْفاً على وجُوهِهِمْ»، قيلَ: يا رسولَ الله! وكيفَ يَمْشونَ على وجُوهِهِم؟ قال: «إنَّ الذِي أمشاهُمْ على أقْدامِهِمْ قادِرٌ على أنْ يُمشِيَهُمْ على وجُوهِهِمْ، أما إنَّهُمْ يَتَّقونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ».

قوله: «أما إنهم يتَّقونَ بوجوهِهِم كلَّ حَدَبٍ وشوكٍ»، (أما) كلمة تنبيه؛ يعني: اعلموا أن الكفرة يتقون يوم القيامة أبدانهم بوجوههم.

(كل حدب وشوك)؛ يعني: وجوههم واقية لأبدانهم من جميع الأذى، وفي الدنيا الأمر على العكس؛ يعني: ما سوى الوجه من الأعضاء يكون واقياً للوجه، وإنما يكون كذلك؛ لأن الوجهَ الذي هو أعزُّ الأعضاء وأشرفها لم يضعْهُ الكافرُ في الدنيا ساجداً على أذل الأشياء، وهو التراب، وعَدَلَ عن ذلك تكبراً وتعززاً، فإذا كان كذلك جُعِل أمرُهُ على العكس إهانةً لهم.

هذا إشارةٌ إلى سوء أحوال الكفرة في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤].

قال المفسرون؛ يعني: يلقى الكافر مغلولاً في النار، فلا يقدر عن أن يدفعَ عن نفسه النار إلا بوجهه، فحينئذ لا واقيَ له البتةَ.

* * *

٤٢٩٩ - عن ابن عُمَر رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنظُرَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ كأنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيقرأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾».

قوله: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيَ عين» الحديث.

(سرَّه)؛ أي: فرَّحه، و(أن ينظر) فاعل (سره).

الـ (رأي) فَعْل بمعنى مَفْعول، كأنه قال: مَرئي العين ومبصرها.

يعني: من أراد أن ينظر إلى أهوال يوم القيامة رأي العين، فليقرأ هذه السور الثلاث؛ لاشتمالها على ذكر القيامة من انتشار الكواكب، وانفطار السماوات، وغير ذلك من الأهوال.

* * *

٣ - باب
الحِسَابِ والقِصَاصِ والمِيْزَانِ

(باب الحساب والقصاص)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٣٠٠ - عن أبي هُريرةَ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يَدْخُلُ من أُمَّتي الجَنَّةَ سَبعونَ ألفاً بغيرِ حِسابٍ».

«يدخلُ من أمتي الجنةَ سبعون ألفاً بغيرِ حسابٍ»: اختلف النحاة في أن الدخول لازم أو متعد، فإن كان لازماً، فـ (الجنة) نصب على الظرف، وإن كان متعدياً فهو مفعول به، فالأصح أنه لازمٌ.

ويحتمل أن يُريد بقوله: «سبعون ألفاً» هذا العدد فحسب، ويحتمل أن يُريد به الكثرةَ، كما ذُكِر في مواضعَ، والمرادُ به الكثرة.

قال تاج القراء في تفسيره «اللباب والغرائب» في قوله سبحانه: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[البقرة: ١٩٦]: روى أبو عمرو وابن الأعرابي عن العرب: سبَّع الله لك الأجرَ؛ أي: أكثر لك؛ أراد التضعيف.

وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[التوبة: ٨٠]: جمع السبع الذي يُستعمَل للكثير، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم؟ ولهذا جاء في الأخبار: سبع وسبعون وسبع مئة.

فإذا كان كذلك فالمراد بالسبعين جمع السبع الذي يُستعمَلُ للكثرة، لا للعدد الذي فوق الستين ودون الثمانين.

* * *

٤٣٠١ ـ عن عائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ليسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيامَةِ إلاَّ هَلَكَ»، قلتُ: أَوَ ليسَ يقولُ الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقالَ: «إنَّما ذلكَ العَرْضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ في الحِسابِ يَهلِكُ».

قوله: «من نُوقِش الحسابَ يهلك»، (من) شرطية، و(نوقش) جملة شرطية، و(يهلك) جملة جزائية، يجوز في (يهلك) الجزم وتركه؛ إن جزم فظاهر؛ لأنه فعلٌ مستقبل، وإن لم يجزم فلأن الشرطَ ماضٍ، والجزاءُ يترتب على الشرط، فإذا كان الشرط غير مجزوم، فجزاءُهُ يجوز أن يكون غير مجزوم.

قال في «شرح السنة»: (المناقشة): الاستقصاءُ في الحساب حتى لا يُترَكَ منه شيء، يقال: انتقشت منه جميعَ حقي، ومنه: نقش الشوكة من الرِّجل، وهو استخراجها منها؛ يعني: من جرى في حسابه مضايقةٌ بالنقير والقطمير، فقد هلك.

* * *

٤٣٠٢ ـ وقالَ ﷺ: «ما مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سيُكَلِّمُهُ ربُّه، ليسَ بينَهُ وبينَهُ تَرْجُمانٌ ولا حِجابٌ يَحْجُبُهُ، فيَنظُرُ أيمَنَ منهُ فلا يَرى إلاَّ ما قدَّمَ من عَمَلِهِ، وينظُرُ أشأَمَ منهُ فلا يرى إلاَّ ما قَدَّمَ منْ عَمَلِهِ، ويَنْظُرُ بينَ يدَيْهِ فلا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلْقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قوله: «ليس بينه وبينه ترجمانٌ ولا حِجابٌ»، (ترجم كلامه): إذا فسَّره بلسان آخر، ومنه (التَّرجمان) مثل الزعفران، ويقال: ترجمان، ولك أن تَضُمَّ التاء لضمة الجيم، فتقول: تُرجُمان مثل: يَسروع ويُسروع، ذكره في «الصحاح».

يعني: ليس بين ربه تعالى وبين العبد ترجمان؛ يعني: مفسر، ولا حِجاب.

قوله: «فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم» الحديث.

(الأيمن): بمعنى اليمين، و(الأشأم): بمعنى الشمال؛ يعني: إذا كلَّم الله سبحانه عبداً من عباده، فقد تحيَّر في ذلك الموطنِ بحيث لا مهربَ له ولا نصيرَ، فإذا نظر إلى يمنيه وشماله، فلا يرى إلا العمل، وإذا نظرَ إلى بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاءَ وجهه.

«فاتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ»؛ يعني: فإذا عرفتم ذلك، فاحذروا النارَ، ولو بشيء يسير؛ يعني: لا تجترئوا على المعاصي ولو كانت صغائر، فإن المعاصيَ في معرض المؤاخذة، إلا أن يتوبَ وتصلحَ سريرتُهُ.

* * *

٤٣٠٣ ـ وقالَ ﷺ: «إنَّ الله يُدْنِي المُؤْمِنَ فيضَعُ عليهِ كَنَفَهُ ويَسْتُرُه فيقولُ: أتَعرِفُ ذنْبَ كذا؟ فيقولُ: نَعَمْ، أيْ رَبِّ! حتَّى إذا قرَّرَهُ بذُنوبِـهِ ورأى في نَفْسِهِ أنَّهُ هَلَكَ قالَ: سترْتُها عليكَ في الدُّنيا، وأنا أَغْفِرُها لكَ اليَوْمَ، فيُعْطَى كتابَ حَسَناتِهِ، وأمَّا الكُفَّارُ والمُنافِقُونَ فيُنادَى بِهِمْ على رؤُوسِ الخَلائقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾».

وقوله: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه»: (يُدنِي)؛ أي: يقرب.

(الكَنَف): الجانب، وجناح الطائر: كنفه، والكنف: الساتر، وحظيرة من شجرة تُجعَل للإبل، ذكره في «الصحاح».

أي: يستره ويحفظه، يقال: فلانٌ في كنف الأمير؛ أي: في حفظه ومعاونته، وقيل: يبرُّهُ ويرحمُهُ.

* * *

٤٣٠٤ ـ وقالَ: ﷺ: «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ دَفَعَ الله إلى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهودياً أو

نَصْرانِياً فيقولُ: هذا فَكاكُكَ مِنَ النَّارِ».

قوله: «إذا كان يومُ القيامةِ دفعَ الله» الحديث.

(كان) هنا تامة، معناه: أتى أو ظهر.

يقال: دفع إلى فلان شيئاً؛ أي: أعطاه شيئاً.

فك الرهن وافتكه بمعنى؛ أي: خلَّصه، و(فَكاك الرهن): ما يُفتكُّ به، و(فِكاك الرهن) أيضاً بالكسر: لغةٌ حكاها الكسائي، ذكره في «الصحاح».

يعني: إذا جاء يوم القيامة أعطى الله سبحانه كلَّ مسلم يهودياً أو نصرانياً؛ ليلقيه في النار فداءً له، تحقيق هذا: أن كل مسلم يوم القيامة يُعطَى ما كان ليهودي أو نصراني من المنزلة والكرامة لو آمنَ بجميع الكتب والرسل خصوصاً بنبينا ﷺ وكتابنا.

* * *

٤٣٠٥ ـ وقالَ: «يُجَاءُ بنوحٍ يومَ القِيامَةِ فيُقالُ له: هلْ بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعمْ، يا رَبِّ! فتُسأَلُ أمَّتُهُ: هلْ بلَّغَكُمْ؟ فيقولون: ﴿ما جاءَنا مِنْ بَشيرٍ ولا نذيرٍ﴾، فيُقالُ: مَنْ شُهودُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ»، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «فيُجاءُ بِكُمْ فتَشْهَدونَ أنَّهُ قدْ بَلَّغَ»، ثمَّ قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

قوله: «ما جاءنا من نذير»، و(النذير): فعيل بمعنى مفعول، وفعيل قد يكون بمعنى فاعل، كـ (شفيع) بمعنى: شافع، وقد يكون بمعنى مُفاعِل كـ (سمير) بمعنى: مُسامر، وقد يكون بمعنى مُفْعَل ـ بفتح العين ـ كـ (حكيم) بمعنى: محكَم، وقد يكون بمعنى مفعول كـ (ذبيح) بمعنى: مذبوح، والأخيرُ في صفة المذكر والمؤنث واحد، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح.

قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، (الوَسَط) بفتح السين: العدل والخيار، وإنما سمّي أمة محمد ﷺ وسطاً؛ لأنهم لم يَغْلُوا غلوَّ النصارى، ولا قصَّروا تقصيرَ اليهود في حقوق أنبيائهم بالقتل والصلب، ذكره في «تفسير اللباب».

* * *

٤٣٠٦ ـ عن أنس ﷺ قالَ: كُنَّا عِنْدَ رسولِ الله ﷺ فضَحِكَ، فقالَ: «هلْ تَدْرونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قال: قُلنا: الله ورسولُه أَعْلَمُ، قال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يقولُ: يا رَبِّ! أَلَمْ تُجِرْني مِنَ الظُّلمِ؟»، قال: «فيقولُ: بَلَى»، قالَ: «فيقولُ: فإنِّي لا أُجيزُ على نَفْسِي إلاَّ شاهِداً مِنِّي»، قال: «فيقولُ: كَفَى بنفْسِكَ اليَوْمَ عليكَ شَهيداً، وبالكِرامِ الكاتِبِينَ شُهوداً»، قال: «فيُخْتَمُ على فيهِ، فيُقالُ لأَرْكانِهِ: انطِقي»، قالَ: «فتَنْطِقُ بأَعْمالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بينَهُ وبينَ الكلامِ»، قال: «فيقولُ: بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كنتُ أُناضِلُ».

قوله: «كفى بنفسِكَ اليومَ عليك شهيداً»، (كفى): يستعمل لازماً ومتعدياً إلى واحد وإلى اثنين؛ ومتى كان بمعنى: اكتفى، كان لازماً، كما هو لفظ الحديث.

و(شهيداً) نصب على الحال، و(عليك) معمول (شهيداً).

يعني: اكتفِ بنفسِكَ في حال كونك شهيداً.

(عليك): خبرٌ صورة أمرٌ معنى.

ومرة يُستعمَلُ متعدياً إلى واحد، كما قال المتنبي:

كَفَى بِكَ داءً أن تَرى المَوتَ شَافيا

والباء زائدة في المفعول، و(أن ترى) فاعله، و(داء) نصب على التمييز.

ومرة يتعدَّى إلى اثنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، و(المؤمنين) و(القتال) مفعولاه.

قوله: «فيُختَمُ على فيه»؛ أي: على فمِهِ، «فيقال لأركانه»؛ أي: لجوارحه «انطقي» فتنطق بأعماله.

يعني: تشهد جوارحُهُ بذنوبه، فتقول يده[1] مثلاً: سرقتَ بي المال الفلاني، وتقول رجله: بي خطوتَ إلى المعاصي، وتقول العين: بي نظرتَ إلى الحرام، وتقول الأذن: بي سمعتَ الغيبة والبُهتان، ومصداقُ هذا قولُهُ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥].

وشهادة ـ الجوارح وإن كُنَّ جمادات ـ ليست مستبعدةً؛ لأن البِنية ليست شرطاً عند أهل السنة، قال الله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[فصلت: ٢١].

قوله: «ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام»؛ يعني: يُخلَّى العبدُ المجرمُ بينه وبين كلامِهِ، فيقول لجوارحه: «بُعداً لكُنَّ وسُحقاً».

(بعدا) و(سحقا): من المصادر التي وجب حذفُ فعلها، وإنما وجب حذف فعلها؛ لأن كَثُرَ التلفظ بها، وفُهِمَ منها معنى الدعاء والإخبار، كما فُهِم من الفعل، فصارت كأنها بدل من اللفظ بالفعل، فلم يظهر الفعلُ معهنَّ حتى لا يجتمع البدل والمبدل.

والضمير المخاطب في (لكنَّ) للجوارح.

قوله: «فعنكُنَّ أناضِل»: قال في «الصحاح»: فلان يناضلُ عن فلان: إذا تكلم بُعذرِهِ ودفعَ، وأصلُ المناضلة: المراماةُ بالسهام.

والمراد بها هاهنا: المحاجَّة بالكلام؛ يعني: كنت أخاصمُ مع الله سبحانه

---

(١) في جميع النسخ: «يده لصاحبه».

لخلاصكن من النار، وأنتن تلقينَ أنفسكُنَّ في النار.

* * *

٤٣٠٧ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: يا رسولَ الله! هلْ نرَى ربنا يومَ القِيامةِ؟ قال: «هلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيةِ الشَّمْسِ في الظَّهيرةِ ليسَتْ في سَحابَةٍ؟» قالوا: لا، قالَ: «فهل تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ ليسَ في سَحابَةٍ؟» قالوا: لا، قالَ: «فوالذي نَفْسِي بيدِه، لا تُضَارُّونَ في رُؤْيةِ ربكُمْ إلاَّ كما تُضارُّونَ في رُؤْيةِ أحَدِهما. قال: «فيَلقَى العَبْدَ فيقولُ: أيْ فُلْ! ألَمْ أُكرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وأُسخِّرْ لكَ الخَيْلَ والإبِلَ وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلَى». قالَ: «فيقولُ: أفَظنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإنِّي قدْ أنْساكَ كما نَسِيتَني، ثُمَّ يَلقى الثَّانيَ، فَذَكَرَ مِثْلَه، ثُمَّ يَلقَى الثَّالثَ فيقولُ لهُ مثلَ ذلكَ، فيقولُ: يا رَبِّ! آمَنْتُ بكَ وبكتابِكَ وبرُسُلِكَ، وصَلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ، ويُثني بخَيْرٍ ما استَطاعَ، فيقولُ: هاهُنا إذاً، ثُمَّ يُقالُ: الآنَ نَبْعَثُ شاهِداً علَيكَ، ويَتَفَكَّرُ في نفسِهِ: مَنْ ذا الذي يَشْهَدُ عليَّ؟ فيُختَمُ على فِيهِ، ويُقالُ لفَخِذِه: انْطِقي، فتنطِقُ فخِذُهُ ولَحْمُهُ وعِظامُهُ بعَمَلِهِ، وذلكَ لِيُعذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وذلكَ المُنافِقُ وذلك الذي سَخِطَ الله عَلَيهِ».

قوله: «هل تُضارُّون في رؤيةِ الشمسِ في الظَّهيرةِ»، (الظهيرة): الهاجرة، وهي شدة الحرارة؛ يعني: نصف النهار.

قال في «الغريبين»: (تُضارُون) بالتخفيف: من (الضير)، والأصل فيه (تُضْيَرون) على وزن (تُفعَلون) على بناء ما لم يُسمَّ فاعله، فنُقلت حركة الياء إلى الضاد، فقُلِبت الياء ألفاً، فصار: يُضارُون.

وبالتشديد: من (المضارة)، والمعنى واحد؛ أي: لا يخالفُ بعضكم

بعضاً، فيكذبه، ولا تنازعون، يقال: ضاررته مضارة: إذا خالفته، يقال: ضاره يضيره[ا]، وأهل العالية [يقولون]: يضوره.

يعني: لا ينالكم ضررٌ ولا ضيمٌ في رؤيته تعالى، وإنما بيّن الرؤية عليه بهذه الكيفية، وأنزلها منزلةً ما لا خفاءَ في رؤيته؛ يعني: رؤية الشمس في وقت الهاجرة؛ تحقيقاً لرؤيته سبحانه، وهذا التشبيهُ تشبيهُ الرائي بالرائي، لا تشبيه المرئي بالمرئي، تعالى الله عن سِمةِ الحدوث.

واعلم أن رؤية الله تعالى واجبة لأهل الحق عندهم، وإنما وجبت؛ لأنه تعالى وعد بمنطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وبمفهوم قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، فإذا كان كذلك علمنا أن وعده واجب الوقوع لا محالةَ؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[آل عمران: ٩].

قوله: «ألم أسوِّدْكَ»؛ أي: ألم أجعلك سيداً.

قال في «الصحاح»: وقولهم في النداء: (يا فُلُ) مخففاً، وإنما هو محذوفٌ من (يا فلان)، لا على سبيل الترخيم، ولو كان ترخيماً لقال: يا فُلا، وربما قيل ذلك في غيرِ النداءِ للضرورة، قال أبو النجم:

فـي لَجَّـةٍ أمسِـكْ فلانـاً عـن فُـلِ

و(اللجة) بفتح اللام معناها: الاضطراب والحركة، و(فلان): كناية عن اسم إنسان.

قوله: «ألم أكرمك وأسودك»؛ أي: ألم أجعلك سيداً؟ والاستفهام هنا بمعنى التقرير، والواو في (وأذرك) عطف على قوله: (ألم أكرمك).

قال في «شرح السنة»: ويروى: «تَرأَسُ وتربعُ»، (ترأس)؛ أي: تكون رئيسهم، و(تربع)؛ أي: تأخذ المِرباعَ من أموالهم، وهو الربع من رأس

ما غنموه إذا غزا بعضُهم بعضاً، كان الرئيسُ في الجاهلية يأخذه خالصة دون أصحابه.

ويروى: «تَرَبَّع وتَدَسَّع»؛ أي: تعطي فتجزل، والعربُ تقول للجواد: هو ضخمُ الدَّسيعة، وهي الجفنة، وقيل: المائدة الكريمة.

قوله: «المُعذِرَ من نفسِهِ»: وهو على بناء الفاعل من (الإعذار)، وهو هاهنا بمعنى أن يأتيَ الشخصُ بالعذر الصحيح من نفسه.

* * *

مِنَ الحِسَان:

٤٣٠٨ ـ عن أبي أُمامَةَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «وَعَدَني ربـي أنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ منْ أُمَّتي سَبْعينَ ألفاً لا حِسابَ عَلَيهِمْ ولا عذابَ، معَ كُلِّ ألفٍ سَبْعونَ ألْفاً، وثلاثُ حَثَياتٍ منْ حَثَياتِ ربـي».

قوله: «وثلاث حَثَيات من حَثَياتِ ربي»: و(ثلاث): نصب معطوف على قوله: (ألفاً).

الحثية في اللغة: فعلة من (حثا يحثو ويحثي): إذا أخذ التراب ونثره على شيء؛ قال:

الحُصْنُ أدْنَى لو تَأَيَّيْتِهِ مِن حَثْيِكِ التُّرْبَ على الرَّاكِبِ

قال الأزهري: (الحُصنُ): حصانة المرأة، وتأييته؛ أي: تعمدته وقصدته، تقول امرأةٌ لِبنتها حين حثتِ الترابَ على وجه الراكب.

والمراد هاهنا: قبضة من قبضاته؛ أي: عدد غير معلوم، كما أنَّ ما يُؤخَذُ بالكف من التراب أو غيره يكون غير محصور.

فالمعنى ـ والله أعلم ـ أنه يكون مع هذا العدد عددٌ كثير غيرُ معلوم؛ لأن تخصيص الحثية أنها غير معلومة المقدار، كالكفِّ من التراب لا يعلم عدده.

والحثيات فوق ثلاث لا يعلمُ عددهنَّ إلا الله سبحانه، وتخصيص الثلاث أنه فردٌ كسبعين؛ لتتطابقا.

* * *

٤٣٠٩ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامةِ ثَلاثَ عَرَضاتٍ، فأَمَّا عَرْضَتانِ فجِدالٌ ومَعاذيرُ، وأمَّا العَرْضَةُ الثَّالثةُ فعِنْدَ ذلكَ تَطَايَرُ الصُّحُفُ في الأَيْدِي فآخِذٌ بيَمينِهِ وآخِذٌ بشِمالِهِ»، ضعيف.

قوله: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضاتٍ»؛ أما العرضة الأولى فللجدالِ، وهو عبارةٌ عن دفع العبد الذنوب عن نفسه، وتفصيها منها، ولا سيما الكافر يأبى إبلاغ الرسول، ويقول: ما رأيته ولا جاءني، والنبيُّ ﷺ يجادله ويكذبه، ولا ينفصل الحال في ذلك الموقف، بل ينقضي بالجدال والنزاع، كما يطول ذلك في الدنيا بين يدي الحكام.

والعرضة الثانية: للمعاذير، وهي جمع (معذور)، أو (معذورة)، والياء للإشباع كـ (مياسير) جمع: ميسرة، وحاصلها: أنه يعترف ويعتذر ويقول: فعلت سهواً، واضطررت إليه على مذهب من يقول: العبد مجبرٌ على فعله.

و العرضة الثالثة: لتطاير الصحف؛ أي: لقطع الخصومات، وإظهار الحق، وتقوية قول الأنبياء، وشهادة الحفظة على صدق العبد أو كذبه، وإنهاء الله العبيد بما قدّموه، وقد نسوا بعضه أو كله، أو افتروا وتقوّلوا وأرادوا كتمان جرائمهم، ففضحهم الحقُّ على رؤوس الخلائق، وكذَّبهم، وصدَّق المحسن، وتفضل عليهم برحمته؛ لأنه وإن كان محسناً، لكنه لو عدل معه استحقَّ النار؛ لأنه ما عمل عملاً في عمر قصير يستحقُّ به دخولَ دار السلام، والخلود فيه مدةً

لا نهايةَ لها، وهذا معنى قوله ﷺ: «ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمته وفضله».

ومفهوم قوله ﷺ: «إلا أن يتغمدني الله برحمته»: أن نعيم الجنة هو الإنعام العظيم الذي لا توازيه طاعاتُ جميع الخلائق، ولو عُمِّروا آلوفاً، وإذا كان ذلك متناهياً، ونعيم الجنة لا يتناهى، والمتناهي لا يقابل غيرَ المتناهي، فلا يتساويان، فلا بد من تداركِ الرحمةِ، ولو من كان، وأيضاً فطاعته في الدنيا صدرَتْ منه بتوفيقِ الحقِّ، فقد تقابلا، وزاد إعطاءَ الرزق والسلامة له، وهدايته، فقد تهدَّرت الطاعة في الدنيا، فخرج العبد يوم القيامة مُفلساً، والمفلسُ لا يستحقُّ شيئاً على أحد، فكيف يستحق مقعد صدق عند مليك مقتدر؟! فلا بد من تدارك الرحمة.

والكافر لم يعمل حسنةً قط، ولا شكر الرزاق، ولا اهتدى، فكان مفلساً في الدنيا من كلِّ الوجه، فلم يستحقَّ في الآخرة إلا أشد العذاب بما فرّط من الجنايات العظيمة وكفران الخالق.

قوله: «تطاير الصحف»: أصله: تتطاير، (تطاير الشيء): تفرق، ذكره في «الصحاح».

(الصحف): جمع صحيفة، وهي الكتاب.

أما معناه: فإما إيصالُ الأجزية إلى أصحابها، فيُعطَى كلُّ ذي حقٍّ حقه؛ إساءةً كانت أو إحساناً، وإما تعريفُ كلِّ واحد منه ما يستحقه من بشارة أو خزي.

قوله: «فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله»؛ يعني: فبعضُهم يأخذ ذلك الكتاب بيمينه، وبعضهم يأخذُ بشماله، أما الذي يأخذه بيمينه بفضله ورحمته، فهو من أهل السـعادة، وأما الذي يُجبَرُ أن يأخذَهُ بشماله، فهو من أهل الشقاوة،

أعاذنـــا الله من ذلك.

* * *

٤٣١٠ - وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً من أُمَّتي على رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيَنْشُرُ عليهِ تِسْعَةً وتِسْعينَ سِجلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يقولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافِظونَ؟ فيقولُ: لا، يا رَبِّ! فيقولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ قالَ: لا، يا رَبِّ! فيقولُ: بَلَى، إنَّ لكَ عِنْدَنا حَسَنَةً، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيكَ اليَوْمَ، فتُخرَجُ بِطاقةٌ فيها: أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: احضُرْ وَزْنَكَ، فيقولُ: يا رَبِّ! ما هذِهِ البِطاقَةُ معَ هذهِ السِّجِلاتُ؟ فيقولُ: إنَّكَ لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجلاتُ في كَفَّةٍ والبِطاقَةُ في كَفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجلاتُ وثَقُلَتِ البِطاقَةُ، فلا يَثْقُلُ معَ اسمِ الله شَيْءٌ».

قوله: «إن الله يستخلصُ رجلاً من أمتي على رؤوسِ الخلائقِ»: (استخلص شيئاً)؛ أي: اختاره لنفسه.

قوله: «كلُّ سِجلٍّ مثل مدِّ البصر»، (السِّجل): الكتاب، و(مدُّ البصر): عبارةٌ عما ينتهي إليه بصر الإنسان؛ يعني: كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتدُّ إليه البصر.

قوله: «فتخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، (البطاقة) بالكسر: رُقَيعةٌ تُوضَعُ في الثوب، فيها رقمُ الثمن بلغة أهل المصر، يقال: سميت بذلك؛ لأنها تُشبهُ بطاقةَ هذا الثوب، ذكره في «الصحاح».

قوله: «فتُوضَعُ السجلاتُ في كفةٍ، والبطاقةُ في كفةٍ، فطاشت السجلاتُ، وثقلت البطاقةُ»، (طاشت)؛ أي: خفت، (الطيش): خفة العقل.

إن قيل: الأعمال أعراضٌ، والأعراضُ لا يمكن وزنُها، إنما توزن الأجسام؟

قيل: إنه يوزن مجال الأعمال التي الأعمالُ مكتوبة فيها، وهي صحائف الأعمال.

وقيل: إنه سبحانه يخلق في كفة ميزان السعداء ثقلاً، وفي كفة الأشقياء خفة؛ هي علامة للسعادة والشقاوة.

والقولان متفرعان على مذهب من يجري الوزن والميزان على الظاهر، وهو مذهب أهل السنة.

وأما مَن يحمله على المعنى فيقول: إن الوزنَ في الأجسام علامةٌ يُعرَف بها الربح والخسران، ففي الأعمال في الآخرة علامةٌ تظهر بها السعادة والشقاوة، نحو بياض الوجوه وسوادها عند مَن يحمله على المعنى، وهو مذهب المعتزلة والفلاسفة.

قوله: «ولا يثقل مع اسم الله شيء»؛ أي: مَن كان معه ذِكرُ الله تعالى فلا يقاومه شيءٌ من المعاصي، بل يترجَّح الذِّكرُ على سائر المعاصي.

* * *

٤٣١١ - عن عائِشَةَ رضي الله عنها: أنَّها ذَكَرَت النَّارَ فَبَكَتْ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ما يُبكيكِ؟» قالت: ذَكَرْتُ النَّارَ فبكيتُ، فهلْ تذكُرونَ أهْليكُمْ يَوْمَ القِيامةِ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أمَّا في ثلاثةِ مَواطِنَ فلا يَذْكُرُ أحَدٌ أحداً: عِنْدَ الميزانِ حتَّى يَعْلَمَ أيَخِفُّ ميزانُه أم يثقُلُ، وعندَ الكتابِ حينَ يُقالُ ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾ حتَّى يَعْلَمَ أينَ يقعُ كتابُه أفي يمينِهِ أمْ في شِمالِهِ أو منْ وراءِ ظهرِه، وعند الصِّراطِ إذا وُضِعَ بينَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ».

قوله: «إذا وُضِعَ بين ظَهْرَي جهنم»، يقال: هو نازلٌ بين ظَهْرَي فلان؛ أي: بينه؛ يعني: موضعُ جسرٍ أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السيف، فيمرُّ عليه الناسُ فيَعْبُرُه السُّعَداءُ، ويسقط منه الأشقياء في جهنم، أعاذنا الله من ذلك.

* * *

٤ - باب
الحَوْضِ والشَّفاعَةِ

(باب الحوض والشفاعة)

مِنَ الصِّحَاحِ:

٤٣١٢ - قالَ رسولُ الله ﷺ: «بَيْنا أنا أَسيرُ في الجنَّةِ إذا أنا بنهْرٍ حافَتَاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قلتُ: ما هذا يا جِبْريلُ؟ قال: هذا الكَوثَرُ الذي أَعْطاكَ ربُّكَ، فإذا طِينُه مِسْكٌ أذفَرُ».

قوله: «إذا أنا بنهرٍ حافتاه قِبَابُ الدُّرِّ المجوَّف»، (حافتاه)؛ أي: طَرَفاه.

قال في «الصِّحاح»: القُبَّة - بالضم - من البناء، والجمع: قُبَب وقِبَاب.

(المُجَّوف): الشيء الذي له جوفٌ.

قوله: «هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك»، قال ابن عباس: الكَوثر: الخير الكثير، أعطاه الله إياه، وقيل: القرآن والنبوة، ذكره في «شرح السُّنَّة».

قوله: «فإذا طِينُه مِسْكٌ أذفر»، (إذا أنا)، و(إذا طينُه): كلاهما للمفاجأة، وما بعده مبتدأ وخبره، ويجوز حذف خبره وإثباته، فـ (طينه): مبتدأ، و(أذفر): خبره، و(إذا): معمول (أذفر)، أو خبر بعد خبر، تقديره: إذا طينُه موجود هناك، ومع كونه موجوداً هو أذفر.

و(ذَفِر) بكسر الفاء: شديد الرائحة.

* * *

٤٣١٣ ـ وقالَ: «حَوْضي مَسيرةُ شَهْرٍ، وزَواياهُ سَواءٌ، ماؤُهُ أبيضُ مِنَ اللَّبنِ، ورِيحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزانُهُ كنُجومِ السَّماءِ، مَنْ يَشْرَبُ منها فلا يَظمأُ أبداً».

قوله: «حوضي مسيرةُ شهرٍ، وزواياه سواءٌ»، (مسيرة شهر): إضافة المصادر إلى الظروف بمعنى (في)، كـ (ضرب اليوم والليل)؛ أي: ضرب في اليوم والليل، وكذا مسيرة شهر؛ أي: مسيرة في الشهر؛ لأن الشهرَ صار ظرفَ المسير، إذ السيرُ حَدَثٌ، والأحداث إنما تقع في الأزمنة، ويجوز مجازاً أن يكون بمعنى اللام؛ أي: سيرٌ لا بد له من انقضاء شهر، وقد يُخصَّص انقضاءُ الشهر بذلك المسير.

(الزوايا) جمع: زاوية، وهي الناحية والجانب؛ يعني: طولُه وعَرضُه سواءٌ.

قوله: «كِيزانُه كنجوم السماء»، (الكِيزان) جمع: كوز؛ يعني: كِيزانُ حَوضي في الكثرة كعدد نجوم السماء.

قوله: «مَن يَشربُ منها فلا يظمأ أبداً»، الضمير في (منها) يعود إلى (الكِيزان)، وإنما لا يظمأ أبداً؛ لأن الغفرانَ سببٌ للشرب منه، ومَن كان مغفوراً فلا يلحق إليه ما فيه ضررٌ، والظمأ مما فيه ضررٌ، فإذاً: لا يصير ظمآنَ.

قوله: «أبيض من اللَّبن»؛ أي: أشدُّ بياضاً منه؛ لأن ما هو من العيوب والألوان لا يُبنى من لفظه صيغة أفعل التفضيل والتعجب، ولو كان ثلاثياً؛ لأنه على تقدير المنشعبة؛ يعني: (بَيِضَ) على تقدير: ابيضَّ وابياضَّ، و(عَوِرَ) على

تقديرُ: أعورَ وأعوارٌ.

* * *

٤٣١٤ ـ وقال: «إنَّ حَوضـي أبْعَدُ مِنْ أيْلَةَ مِنْ عَدَنَ، لهوَ أشَدُّ بَياضاً مِنَ الثَّلجِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ باللَّبنِ، ولآنِيَتُهُ أكثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجومِ، وإنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عنهُ كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبِـلَ النَّاسِ عنْ حَوْضِـهِ»، قالوا: يا رسولَ الله! أتَعرِفُنَا يومئذٍ؟ قال: «نعمْ، لكُمْ سِيما ليستْ لأحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُراً مُحَجَّلينَ مِنْ أثَرِ الوُضُوءِ».

ويُروَى: «تُرَى فيهِ أباريقُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ كعَدَدِ نُجومِ السَّماءِ».

ويُروَى: «يَغُتُّ فيهِ مِيزابانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ، أحَدُهُما مِنْ ذَهَبٍ، والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

قوله: «إن حَوضي أبعدُ من أيْلَةَ من عَدَن»، قال الإمام التُّورِبِشْتي في «شرحه»: يريد ما بين القُطرَين، و(أَيْلَة) بالياء المجرورة ـ يعني: الساكنة ـ: بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن. و(عَدَن): آخر بلاد اليمن مما يلي بحرَ الهند. وفي حديث ثَوبان: «ما بين عَدَن إلى عمان».

وفي حديث أنس: «كما بين أَيْلَة وصنعاء من اليَمَن».

وفي حديث ابن عمر: «كما بين جَرْبَ وأَذْرُح».

وفي حديث حارثة بن وهب: «كما بين صنعاء والمدينة».

وحديث عبدالله بن عمرو: «ومسيرة شهر».

فإن قيل: إن بين هذه المقاديرِ من التفاوت ما لا يخفى على ذوي المعرفة بها؟

قلنا: إنما أخبر نبيُّ الله عن ذلك على طريق التقريب لا على التحديد،

والذي اقتضى ذكر تلك الأماكن مع التفاوت الذي فيها: هو اختلافُ أحوال السامعين في الإحاطة بها علماً، فبيَّن مقدار مسافة كل قطر من أقطار الحوض؛ تارةً بما يقطعها المسافر من الشهر، وتارةً بالأماكن المختلفة المشهورة عند الناس؛ لتقعَ المعرفةُ عند كل أحد على حسب ما عنده من المعرفة بِبُعدِ ما بين هذَين الموضعين، ولو أراد التحديد لاقتصرَ أن يأتي في بيانه بذكر موضع لا يُعلم لأحدٍ، فلم يكد يتحقَّق عند السامع مقدارُه، هذا كلُّه منقول من «شرحه».

قوله: «وإني لأصدُّ الناسَ عنه كما يَصُدُّ الرجلُ إبلَ الناسِ عن حَوضه»، قال في «الصحاح»: صَدَّ عنه يصُدُّ صدوداً: أعرضَ، وصَدَّه عن الأمر صداً: منعَه وصرفَه عنه.

(الناس) هاهنا: الكفَّار؛ يعني: إني لأَمنعُ الكَفَرةَ عن حوض الكوثر، كما يمنع الرجلُ إبلَ غيرِه عن حوضه، وإنما منعَهم عن الورد عن الحوض؛ لأنهم لا يستحقُّون ذلك للكفر.

قوله: «لكم سِيمَا»، (السِّيما): العلامة.

قوله: «تَرِدُون عليَّ غُرّاً محجَّلين من أثر الوضوء»، (غُرّاً محجَّلين): منصوبان على الحال، (الغُرُّ) جمع: أغرّ، وهو أفعل من: الغُرَّة، وهي بياض الوجه، و(المحجَّل): مفعول من: التحجيل، وهو بياض الأيدي والأرجل؛ يعني: علامةُ أُمتي من بين الأمم السالفة: نورٌ يلوح في أعضاء وضوئهم من آثار الوضوء، وبذلك يتميزون عن غيرهم.

قوله: «يَغُتُّ فيه مِيزَابانِ يَمُدَّانِه من الجنة»، قال في «الغريبين»: أي: يدفقان فيه الماءَ دفقاً متتابعاً دائماً، مأخوذ من قولك: غتَّ الشاربُ الماءَ: [شربَ] جرعاً بعد جرع.

قال في «الصحاح»: المِيزاب: المِثْعَب، فارسي معَّرب، وقد عُرِّبَ بالهمز، وربما لم يُهمَز، والجمع: مَآزِيب [إذا هُمزت]، ومَيَازِيب إذا لم تُهمَز.

قال الحافظ أبو موسى في «المغيث»: (الميزاب) بفتح الميم وكسرها، من وَزَبَ الماءُ: إذا سال.

* * *

٤٣١٥ ـ وقال: «إنِّي فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ، مَنْ مرَّ عليَّ شَرِبَ، ومَنْ شرِبَ لَمْ يَظمَأْ أبَداً، لَيَرِدَنَّ عليَّ أَقْوامٌ أعرِفُهُمْ ويَعرِفُونَنِي ثمَّ يُحَالُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ، فأَقُولُ: إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدرِي ما أَحْدَثوا بَعْدَكَ، فأقولُ: سُحْقاً سُحْقاً لمنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

قوله: «إني فَرَطُكم على الحوض»، قال في «الغريبين»: يقول: أنا أتقدَّمُكم إليه، يقال: فَرَطتُ القومَ: إذا تقدَّمتَهم لترتاد لهم الماءَ، وتُهيِّئ لهم الدِّلاء والرِّشاء.

وقال في «الصحاح» بهذا المعنى، وقال أيضاً: الفَرَط ـ بالتحريك ـ وهو فَعَل بمعنى: فاعل، كـ (تَبَع) بمعنى: تابع، يقال: رجلٌ فَرَطٌ، وقومٌ فَرَطٌ أيضاً.

قوله: «فأقول: سُحقاً»؛ أي: بُعداً، كما قال تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ١١]؛ أي: بُعداً، يباعدهم الله من رحمته، والسحيق: البعيد، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١]، قاله في «شرح السُّنَّة».

وهو من المصادر التي وجب حذفُ فعلها، كـ (سَقْياً و(رَعْياً) وغير ذلك.

* * *

٤٣١٦ ـ عن أنس: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يُحْبَسُ المُؤْمِنونَ يَوْمَ القِيامةِ حتَّى

يهمُّوا بذلك، فيقولونَ: لَوِ استَشْفعْنا إلى ربِّنا فيُريحُنا مِنْ مَكانِنا، فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: أنتَ آدمُ، أبو النَّاسِ، خَلقَكَ الله بيدِه، وأَسْكَنَكَ جنّتَهُ، وأَسْجَدَ لكَ ملائكَتَهُ، وعلَّمَكَ أسماءَ كُلِّ شيءٍ، اشفَعْ لنا عِنْدَ ربِّكَ حتَّى يُريحَنا مِنْ مكانِنا هذا، فيقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أَصابَ، أكلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وقَدْ نُهِيَ عنها، ولكنِ ائتُوا نُوحاً أَوَّلَ نبيٍّ بَعَثَهُ الله إلى أَهْلِ الأَرْضِ، فيأتونَ نُوحاً فيقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أَصابَ، سُؤالَه ربَّهُ بِغيرِ عِلمٍ، ولكنِ ائتُوا إبراهيمَ خليلَ الرَّحمَنِ». قال: «فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ: إنِّي لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ ثلاثَ كِذْباتٍ كَذَبَهُنَّ، ولكنِ ائتُوا مُوسَى عَبْداً آتاهُ الله التَّوراةَ وكلَّمَهُ وقَرَّبَهُ نَجِيّاً، قال: فيأتونَ مُوسَى فيقولُ: إنِّي لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ التي أَصابَ، قَتْلَهُ النَّفسَ، ولكنِ ائتُوا عيسَى عبدَالله ورسولَهُ ورُوحَ الله وكلِمَتَهُ، قال: فيأتونَ عيسَى فيقول: لَسْتُ هُناكُمْ، ولكنِ ائتُوا مُحَمَّداً عَبْداً غَفَرَ الله لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأَخَّرَ». قال: «فيأتونَني، فأَسْتَأْذِنُ على ربِّي في دارِه، فيُؤْذَنُ لي عَلَيهِ، فإذا رأيتُهُ وَقَعْتُ ساجِداً، فيدَعُني ما شاءَ الله أنْ يَدَعَني، فيقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ! وقُلْ تُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهْ»، قال: «فأَرْفَعُ رأسي، فأُثْني على ربِّي بثناءٍ وتَحْميدٍ يُعلِّمُنيهِ، ثمَّ أَشْفَعُ فيَحُدُّ لي حَداً فأَخْرُجُ، فأُخرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ فأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فأَسْتَأْذِنُ على ربِّي في دارِه، فيُؤْذَنُ لي عليهِ، فإذا رأيتُهُ وَقَعْتُ ساجِداً، فيدَعُني ما شاءَ الله أنْ يدَعَني، ثُمَّ يقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ! وقُلْ تُسْمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعطَهْ، قال: فأَرْفَعُ رأسي فأُثْني على ربِّي بثَناءٍ وتَحْميدٍ يُعَلِّمُنيه، ثمَّ أَشْفَعُ فيَحُدُّ لي حَداً فأَخْرُجُ، فأُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ، فأَستأذِنُ على ربِّي في دارِهِ، فيُؤذَنُ لي عليهِ، فإذا رأيتُهُ وَقَعْتُ ساجِداً، فيدَعُني ما شاءَ الله أن يدَعَني، ثُمَّ يقولُ: ارفَعْ مُحَمَّدُ! وقُلْ تُسْمَعْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، قالَ: فأَرْفَعُ رأسي، فأُثني على ربِّي بثناءٍ وتَحْميدٍ يُعلِّمُنيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فيَحُدُّ لي حَداً فأَخْرُجُ، فأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، حتَّى ما يبقَى في

النَّارِ إلاَّ مَنْ قد حَبَسَهُ القُرْآنُ»، أيْ: وَجَبَ عليهِ الخُلودُ، ثُمَّ تلا هذهِ الآيَة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ وقالَ: «وهذا المَقَامُ المَحْمُودُ الذي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ».

قوله: «ويُحبَس المؤمنون يومَ القيامة حتى يُهَمُّوا بذلك»، قال الإمام التُّورِبِشتي في «شرحه»: (يُهَمُّوا) على بناء المجهول.

قال في «الصحاح»: أهمَّني الأمر: إذا أقلقَك وحَزَنَك؛ يعني: يكون المؤمنون محبوسين يومَ القيامة حتى يحزنوا بذلك الحبس.

قوله: «فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحنا من مكاننا»، قال في «الصحاح»: استَشفعتُه إلى فلانٍ؛ أي: سألتُه أن يَشفعَ لي إليه.

(لو) هاهنا: بمعنى التمني، معناه: ليت، و(فيُريحنا): نصب على جوابه بإضمار (أن)، ويجوز أن يرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهو يريحنا، تقديره: ليتَنا نَستشفعُ أحداً إلى ربنا فيريحنا؛ يعني: يقولون متضرِّعين: استشفعنا أن يشفعَ لنا إلى ربنا، فيريحنا؛ أي: فيريحنا ربنا من مشقة هذا الحبس وطوله في هذا المقام.

قوله: «فيأتون آدمَ فيقولون: أنتَ آدمُ...» إلى قوله: «فيقول: لست هُناكم»، قال في «الصحاح»: هناك وهنالك: للتبعيد، واللام زائدة، والكاف للخطاب، والتاء في (لست): اسمه، و(هناك): خبره ظرف مكان متعلق بمحذوف، وتقديره: لستُ نازلاً في مقام الشفاعة؛ يعني: يقول آدم عليه السلام: لستُ بمكانكم الذي تظنُّون أني فيه؛ يعني: ليس لي مقامُ الشفاعة لجميع الخلق.

«ويذكر خطيئته ويقول لهم: ولكن اذهبوا إلى نوح عليه السلام؛ فإنه أولُ نبيٍّ بعثَه الله إلى أهل الأرض»: وقيل: إنما قال آدم عليه السلام: (إنه أولُ نبيٍّ

بعثه الله إلى أهل الأرض)؛ لأن الناسَ بعد بعث شيث عليه السلام رجعوا كفاراً إلا قليلاً، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام.

قوله: «ويذكر خطيئته التي أصاب؛ سؤالَه ربّه بغير علم».

(التي): موصول، و(أصاب): صلته، فيه ضمير نوح، والعائد إلى الموصول محذوف أي: أصابها، و(سؤاله): بدلٌ من الخطيئة بدلَ الكلِّ من الكلِّ إذا كان مَروياً بالنصب أما إذا كان مَروياً بالرفع فخبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: ما تلك الخطيئة؟ قال: هي سؤالُه ربَّه، و(ربّه): مفعوله، و(بغير علم): حال من الضمير المجرور في (سؤاله)، وهو مرفوع في المعنى؛ لأنه فاعل المصدر، والمصدر عامل في فاعله.

قوله: «إني لستُ هُناكم، ويذكر ثلاثَ كذباتٍ كذبَهنَّ»، وشرح الكذبات الثلاث سيُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى؛ يعني: يقول الخليل عليه السلام حالَ الاستشفاع منه: مالي منصبُ الشفاعة العامة، فإن غبار الكذب قد لوَّث ذيلي، ويذكر الكذباتِ الثلاثَ، ويُرسلهم إلى موسى عليه السلام، وإنما يدفع الشفاعةَ العامةَ عن نفسه نظراً إلى صورة الكذبات، وإن كانت مستحبةً في المعنى كما سوف يُذكر في (أقسام الكذب)؛ لأن الكاملَ قد يُؤاخَذ بما هو عبادة في حقِّ غيره، كما قيل: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: «فأستأذن على ربي في داره»، قال الخطابي رحمه الله عليه: أي: في داره التي دورها لأوليائه، وهي الجنة، كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾[الأنعام: ١٢٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[يونس: ٢٥].

وكما يقال: بيتُ الله، وحَرَمُ الله؛ يريدون البيتَ الذي جعله الله مثابةً للناس، والحَرَمَ الذي جعله الله آمناً لهم، ومثله: روحُ الله، على سبيل التفضيل له على سائر الأرواح، وإنما ذكر ذلك في ترتيب الكلام؛ لقوله ﷺ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ

﴿ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[الشعراء: ٢٧]، فأضاف الرسولَ إليهم، وإنما هو رسول الله إليهم. و(الاستئذان): طلب الإذن؛ يعني: أطلبُ الدخولَ على حضرة ربـي تعالى في مقعد الصدق.

قوله: «ارفَعْ محمدُ»؛ يعني: يقول الله ﷻ لي: أرفَعْ رأسَك من السجود. و(محمد)؛ أي: يا محمدُ.

«وقُلْ تُسمَع»: والتمِسْ من حضرتي ما تريد من الشفاعة وغيرها.

(تُسمَع)؛ أي: تُجَب، وهو مجزوم جواباً للأمر؛ يعني: كلُّ ما تسألني اليومَ من أمر الحساب والشفاعة فهو مقبولٌ في حضرتي كرامةً لك عندي.

قوله: «فيحدُّ لي حدّاً، فأُدخلُهم الجنةَ»؛ أي: يُعيـن لي حدّاً معلوماً؛ يعني: يبيـن لي في الشفاعة حدّاً معلوماً بحيث لا أتجاوزُ عنه، كما يقال: اشفَعْ في حقِّ قومٍ محبوسين موصوفين بصفاتٍ منهم تاركو الصلاةِ، ومنهم تاركو الزكاةِ، ومنهم تاركو الصومِ، ومنهم شاربو الخمرِ، ومنهم الزُّناة؛ فإنك إن تَشْفَعْ في حقِّهم اليومَ فأنتَ مُشفَّعٌ؛ أي: شفاعتُك مقبولةٌ.

اعلم أن شفاعةَ نبيِّنا وجميعِ الأنبياء والملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ والمؤمنين في حقِّ العُصاة حقٌّ، لكنها موقوفةٌ بأمر الله ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وأما المعتزلةُ فقد أنكروا الشفاعةَ؛ لأن العملَ عندهم يوجب دخولَ الجنة فحسبُ، والعاصي إذا ماتَ غيرَ تائبٍ يُخلَّد في النار عندهم.

قوله: «حتى ما يبقى في النار إلا مَن قد حبسَه القرآنُ»: إلا مَن منعَه حكمُ القرآن فيها، وهم الكفَّار، فإنهم مُخلَّدون فيها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾[البينة: ٦].

* * *

٤٣١٧ ـ وعن أنس ﷺ قالَ: إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ ماجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ، فيأْتُونَ آدمَ، فيقولونَ: اِشْفَعْ لنا إلى ربِّكَ، فيقولُ: لَسْتُ لها، ولكنْ عَلَيْكُمْ بإبراهيمَ فإنَّهُ خَليلُ الرَّحْمنِ، فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ: لَسْتُ لها، ولكنْ عَلَيْكُمْ بموسَى فإنَّهُ كَليمُ الله، فيأتونَ موسَى فيقولُ: لَسْتُ لها، ولكنْ عليكُمْ بعيسَى فإنَّهُ رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ، فيأتونَ عيسَى فيقولُ: لستُ لها، ولكنْ عليكُمْ بمُحَمَّدٍ، فيأتونَني فأقولُ: أنا لها، فأَسْتأذِنُ على ربي فَيُؤْذَنُ لي، ويُلْهِمُني مَحامِدَ أَحْمَدُهُ بها لا تَحْضُرُني الآنَ، فأَحْمَدُهُ بتلكَ المَحامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً فيُقال: يا مُحَمَّدُ! اِرفَعْ رأسَكَ، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقولُ: يا رَبِّ! أُمَّتي، أُمَّتي، فيُقالُ: اِنْطَلِقْ فأَخرِجْ منها مَنْ كانَ في قلبِهِ مِثقالُ شَعيرةٍ منْ إيمانٍ، فأَنْطَلِقُ فأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فأَحْمَدُهُ بتِلكَ المَحامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً، فيُقال: يا مُحَمَّدُ! ارفَعْ رأسَكَ، وقُلْ تُسمَعْ، وسَلْ تُعطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقولُ: يا رَبِّ! أُمَّتي، أُمَّتي، فيُقَالُ: اِنْطَلِقْ فأَخْرِجْ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ أو خردَلَةٍ مِنْ إيمانٍ، فأَنطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثمَّ أَعُودُ فأَحْمَدُهُ بتلكَ المَحامِدِ، ثمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ! اِرْفَعْ رأْسَك، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعطَهْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، فأَقُولُ: يا رَبِّ! أُمَّتي، أُمَّتي، فيُقالُ: اِنْطَلِقْ فأَخرِجْ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ أَدْنَى أدنَى أدنَى مِثْقالِ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ مِنْ إيمانٍ فأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فأَنْطَلِقُ فأَفْعَلُ، ثمَّ أعودُ الرَّابعةَ فأَحْمَدُهُ بتلكَ المَحامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِداً، فيقالُ: يا مُحَمَّدُ! اِرْفَعْ رأْسَكَ، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعطَهْ، واشفَعْ تُشفَّعْ، فأقولُ: يا رَبِّ! ائْذَنْ لي فيمَنْ قالَ: لا إله إلاَّ الله، قال: ليسَ ذلكَ لكَ، ولكنْ وعِزَّتي وجَلالي وكِبريائي وعَظَمَتي، لأُخرِجَنَّ منها مَنْ قال: لا إله إلاَّ الله».

قوله: «إذا كان يومُ القيامة ماجَ الناسُ بعضُهم في بعضٍ». (ماج): اختلط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]؛ يعني:

يختلطُ بعضُهم ببعض في يوم القيامة مُقبلين مُدبرين حَيارَى.

وفي الحديث: دليل على أن أهل المعاصي من أُمة محمد ﷺ لا يخلَّدون في النار، وفيه أيضاً: دليل على تفاضُلِ الناس في الإيمان.

قوله: «عليكم بإبراهيم»، (عليكم): بمعنى الزَمُوا، والباء زائدة على هذا؛ أي: الزموا إبراهيمَ، أو: تشفَّعوا بإبراهيمَ، أو توسَّلُوا به، وعلى هذا ليست بزائدة.

قوله: «ويُلهمني مَحَامدَ أحمدُه بها لا تحضرني الآنَ، فأَحمدُه بتلك المَحَامد»، (الإلهام): ما يُلقى في الرَّوع، فيقال: أَلهمَه الله الشيءَ الفلانيَّ.

(المَحَامد) جمع: حمد، كـ (محاسن) جمع: حسن، جمع غير قياسي، أو جمع: مَحْمَدة، و(أحمده): محلُّه جرٌّ؛ لكونه صفةً لـ (محامده).

قوله: «أُمتي أُمتي»؛ أي: ارحَمْ أُمتي وتفضَّلْ عليهم بالكرامة، كرَّره للتأكيد، أو ناداهم لِيقرُبوا منه فيتوسَّلُون به إلى رضا الرحمن، أو لأنهم إذا قَرُبُوا منه حالَ نورُه وبركتُه بينهم وبين غضب النار، فلا تقربهم نارٌ، إذ نورُه يُطفِئ كلَّ نارٍ.

قوله: «مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ أو خَردلةٍ من إيمانٍ»، (المثقال): ما يُوزَن به، وهو من: الثقل، وذلك اسمٌ لكل سَنْجٍ، وإذا أُطلق فإنما يُراد منه السَّنْجُ المُعبَّر به عن الدينار.

وقال في «الغريبين»: مثقال ذرة؛ أي: زنة، قال الشاعر:

وكــــلاًّ يُوفِّيـــــه الجــــزاءَ بمثقـــــالِ

أي: بوزنٍ.

قال الخطابي: حبَّة الخردل، وكذا حبَّة الشعير مَثَلٌ في المعرفة لا في الوزن؛ لأن الإيمانَ ليس بجسمٍ يحصره الوزنُ والكَيلُ، وإن ما يُشكل في العقول

قد يَرِدُ إلى عيار المحسوس؛ ليُعلَم، ذكره في «شرح السُّنَّة».

وتحقيقه: أنه أراد بمثقال الخردلة: أدقَّ ما يُفرَض من الإيمان، بحيث ينتهي إلى أنه لا قسمةَ بعده، فليس بعدَه إلا الكفرُ الصريحُ؛ فإن الإيمانَ كلما قلَّ قَرُبَ من الكفر حتى ينتهيَ إليه.

قوله: «ائذن لي فيمَن قال: لا إله إلا الله...» الحديث.

(ائذن): أمر من: أَذِنَ له في الشيء يَأْذَن إذْناً ـ بسكون الذال ـ: إذا أجابَ أحداً فيما طلَبه.

الواو في «وعِزَّتي»: واو القَسَم، وفي (وكبريائي) (وعظمتي): عطف على واو القَسَم، و«لأخرجَنَّ»: جواب القَسَم، والكِبرياء بالكسر، والكبرياء و(العَظَمة): اسمانِ مترادفانِ معناهما في الحقيقة: الترفُّع عن الانقياد، ولا يستحق ذلك غيرُ الله سبحانه.

* * *

٤٣١٨ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشفاعَتي يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ قال: لا إله إلاَّ الله خالِصاً مِنْ قَلْبِـهِ ـ أو: ـ نَفْسِهِ».

والجمع بين هذا الحديث والذي يليه وهو قوله: «أسعدُ الناس بشفاعتي...» إلى آخره: أن المراد بالأول: إخراجُ جميع الأمم الذين آمنوا على أنبيائهم، لكنهم استوجبوا النار، وليس ذلك لمخلوقٍ، فلهذا قال: ليس ذلك لك.

والمراد بالآخر: مَن قال: لا إله إلا الله من أمته ﷺ، أو مخصَّص بقائلي هذه الكلمة بلا عملٍ أصلاً، وهؤلاء لا تَسَعُهم إلا الرحمةُ الإلهيةُ العامةُ، والمراد بالآخر: الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً، أو تخصيص الأول بموطنٍ،

والثاني بموطنٍ آخرَ، ففي القيامة مواطنُ.

* * *

٤٣١٩ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ قالَ: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بلَحْمٍ، فرُفِعَ إليهِ الذِّراعُ، وكانتْ تُعجِبُهُ، فنَهَسَ منها نَهْسَةً، ثُمَّ قالَ: «أنا سيِّدُ النَّاسِ يومَ القِيامَةِ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ﴾، وتَدنُو الشَّمسُ فيَبلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقونَ، فيقولُ النَّاسُ: ألا تنْظُرونَ مَنْ يَشْفَعُ لكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيأتونَ آدمَ»، وذَكَرَ حَديثَ الشَّفاعَةِ، وقال: «فأنْطَلِقُ، فآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأَقَعُ ساجِداً لربي، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحامِدِهِ وحُسْنِ الثَّناءِ عليهِ شيئاً لمْ يَفتحْهُ على أحَدٍ قَبلي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ! ارفَعْ رأسكَ، سَلْ تُعطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رأسي فأقولُ: أُمَّتي، يا رَبِّ! أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يارَبِّ، فيقالُ: يا محمَّدُ! أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسابَ عليهِمْ من البابِ الأيمنِ من أبوابِ الجنَّةِ وهم شركاءُ النَّاسِ فيما سِوَى ذلك مِنَ الأبوابِ. ثُمَّ قال: والذي نفسي بيدِهِ إنَّ ما بينَ المِصْراعَيْنِ مِنْ مَصاريعِ الجَنَّةِ كما بينَ مكَّةَ وهَجَرَ».

قوله: «فرُفِعَ إليه الذراعُ، وكانت تُعجِبه، فنَهَسَ منها نَهْسَةً، ثم قال: أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة...» الحديث.

(الذراع): يُذكر ويُؤنث، الضمير في (كانت) ـ وهو اسمه ـ يعود إلى (الذراع)، و(تعجبه): خبره.

نَهَسَ اللحمَ: أخذَه بمقدَّم الأسنان، يقال: نَهَسْتُ اللحمَ وانتَهسْتُه بمعنًى، ذكره في «الصحاح».

يعني: رُفِعَ إلى النبيِّ ﷺ تلك الذراعُ، فأعجبتْه؛ لِسِمَنِها وحسنِ طبخِها، (فنَهَسَ منها نَهْسَةً، ثم قال: أنا سيدُ الناس يومَ القيامة)، وإنما خصَّ سيادتَه بيوم

القيامة؛ لأن السيادةَ في الدنيا تُوجَد لغيره مجازاً، وله في الآخرة حقيقةً، فلمّا نَهَسَ من تلك الذراع نهسةً بعد أن كانت معجبةً له ﷺ فقال: (أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة)؛ إشارةً إلى أن نعيمَ الآخرة باقٍ أبديٌّ، فلا ينبغي لأحدٍ أن يغترَّ بما هو بصدد الفناء، وهو نعيم الدنيا.

وتفسير باقي الحديث مذكور في (حديث الشفاعة)، وتلخيصه: أن جميعَ الناس يومَ القيامة من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وغيرهم يحتاجون إلى شفاعتي؛ لكرامتي عند الله سبحانه وتعالى، فإذا اضطروا جاؤوني طالبين لشفاعتي لهم.

قوله: «يومَ يقوم الناس»: يحتمل أن يكون جوابَ سائلٍ: ما يومُ القيامة؟ فقال ﷺ: (يومَ يقومُ الناس لربِّ العالمين)، ويحتمل أن يكون بدلاً لـ (يومَ القيامة).

قوله: «ما بين المِصراعَين من مَصَاريع الجنة كما بين مكةَ وهَجَر»، (المِصْرَاعان): البابان المعلَّقان على مقعدٍ واحدٍ، والمِصْرَاع: مِفْعَال من: الصَّرع، وهو الإلقاء، وإنما سُمي البابُ المُعلَّق مِصْرَاعاً؛ لأنه كثيرُ الإلقاء والدفع.

وقيل: (هَجَر): قرية من قرى المدينة، والقُلَّتانِ مأخوذة من قِلالها، وقيل: قرية من قرى البحرين؛ يعني: مسافةُ ما بين البابَين كمسافة ما بين مكة وهَجَر.

* * *

٤٣٢٠ ـ وعن حُذَيْفةَ ﷺ في حَديثِ الشَّفاعَةِ، عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «وتُرْسَلُ الأَمانةُ والرَّحِمُ فيقومانِ جَنَبَتَيْ الصِّراطِ يَميناً وشِمالاً».

قوله: «وتُرسَل الأمانةَ والرَّحِمُ، فيقومان بجَنْبَتَي الصِّراط يميناً وشمالاً»،

(الجَنَبَة) بفتح الكل: الجانب؛ يعني: تتشكل الأمانةُ والرَّحِمُ يومَ القيامة ويقوم أحدُهما بجانب الصراط والآخرُ في جانبه الآخر، وتحاجّانِ عن صاحبهما، أو تشهدانِ عليهما، وإنما كان كذلك؛ ليتميزَ الأمينُ من الخائن، والواصلُ من القاطع على رؤوس الملأ؛ سروراً للأمين والواصل، وفضيحةً للخائن والقاطع، فهذا تحريضٌ بليغٌ على رعايتهما، وحثٌّ تامٌّ على أداء حقِّهما؛ فإن رعايتهما سببٌ لمصالحَ كثيرةٍ وفوائدَ عظيمةٍ.

* * *

٤٣٢٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أنَّ ناساً قالوا: يا رسولَ الله! هلْ نَرَى رَبنا يومَ القِيامَةِ؟ قالَ رسولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، هلْ تُضارُّونَ في رُؤْيةِ الشَّمْسِ بالظَّهيرةِ صَحْواً ليسَ مَعَها سَحابٌ، وهلْ تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ صَحْواً ليسَ فيها سَحابٌ؟» قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: «ما تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ الله يومَ القِيامةِ إلاَّ كما تُضارُّونَ في رُؤْيةِ أحدِهما، إذا كانَ يومُ القِيامةِ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبعْ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانتْ تَعبُدُ، فلا يَبقَى أحدٌ كانَ يَعبُدُ غيرَ الله مِنَ الأَصْنامِ والأنصابِ إلاَّ يَتساقَطُونَ في النَّارِ، حتَّى إذا لمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ كانَ يَعْبُدُ الله من بَرٍّ وفاجِرٍ أتاهُمْ رَبُّ العالَمينَ قال: فَماذا تَنتظِرونَ؟ يَتْبعُ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانتْ تعبُدُ، قالوا: يا رَبنا فارَقْنا النَّاسَ في الدُّنيا أفقَرَ ما كُنَّا إلَيْهِمْ ولمْ نُصاحِبْهُمْ».

وفي رِوايةِ أبي هُرَيرَةَ ﷺ: «فيقولونَ: هذا مَكانُنا حتَّى يأتِيَنا ربنا، فإذا جاءَ ربنا عَرَفْناهُ».

وفي رِوايةِ أَبي سعيدٍ ﷺ: «فيقولُ: هلْ بَيْنَكُمْ وبينَهُ آيةٌ تَعرِفُونَهُ؟ فيقولونَ: نَعَمْ، فيُكشَفُ عنْ ساقٍ فلا يَبقَى مَنْ كانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلقاءِ نَفْسِه إلاَّ أَذِنَ الله لهُ بالسُّجودِ، ولا يَبقَى مَنْ كانَ يَسْجُدُ اتِّقاءً ورِياءً إلاَّ جَعَلَ الله ظَهْرَهُ

طَبَقَةً واحِدَةً، كُلَّما أَرادَ أنْ يَسْجُدَ خَرَّ على قَفاهُ، ثمَّ يُضرَبُ الجِسْرُ على جَهَنَّمَ وتَحِلُّ الشَّفَاعةُ، ويقولونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَيَمُرُّ المُؤمِنونَ كطَرْفِ العَيْنِ وكالبَرْقِ وكالرِّيحِ وكالطَّيرِ وكأجاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكابِ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخدوشٌ مُرْسَلٌ ومَكْدوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ، حتَّى إذا خَلَصَ المُؤْمِنونَ مِنَ النَّارِ، فوالَّذي نفْسي بيدِه ما مِنْ أَحَدٍ منكُمْ بأَشَدَّ مُناشَدَةً في الحَقِّ، وقدْ تبيَّنَ لكُمْ، مِنَ المُؤْمنينَ لله يومَ القِيامةِ لإخْوانِهِمُ الذينَ في النَّارِ، يقولونَ: ربنا كانوا يَصومونَ مَعَنا، ويُصَلُّونَ معنا، ويَحُجُّونَ معنا، فيُقالُ لهمْ: أَخرِجُوا مَنْ عَرفْتُمْ، فتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ على النَّارِ، فيُخرِجونَ خَلْقاً كثيراً ثُمَّ يقولونَ: ربنا ما بقيَ فيها أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنا بِهِ، فيقولُ: اِرجِعُوا فمَنْ وَجَدتُّمْ في قلبِهِ مِثْقالَ دِينارٍ منْ خَيْرٍ فأَخْرِجوهُ، فيُخرِجونَ خَلْقاً كثيراً، ثُمَّ يقولُ: اِرجِعُوا فمَنْ وَجَدتُّمْ في قلبِهِ مِثقالَ نِصْفِ دِينارٍ منْ خَيْرٍ فأَخْرِجُوهُ، فيُخْرِجونَ خَلْقاً كثيراً، ثُمَّ يقولُ: اِرجِعُوا فمَنْ وَجَدتُّمْ في قلبِهِ مِثقالَ ذرَّةٍ منْ خَيْرٍ فأَخْرِجُوهُ، فيُخرِجونَ خَلْقاً كثيراً، ثمَّ يقولونَ: ربنا لمْ نَذَرْ فيها خَيْراً، فيقولُ الله شَفَعَت الملائِكةُ، وشَفَعَ النبيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنونَ، ولمْ يَبْقَ إلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ، فيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النارِ، فَيُخْرِجُ مِنْها قَوْماً لم يَعْمَلوا خيْراً قَطُّ قَدْ عادُوا حُمَماً، فيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أَفْواهِ الجَنَّةِ يُقالُ لهُ: نهرُ الحياةِ، فيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، فيَخرُجونَ كاللُّؤْلؤِ في رِقابِهِمُ الخَواتِمُ، فيقولُ أهلُ الجنَّةِ: هؤلاءِ عُتَقاءُ الرَّحمنِ، أَدْخَلَهُمُ الجنَّةَ بغيرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، ولا خَيرٍ قَدَّموهُ، فيُقالُ لهمْ: لكُمْ ما رأَيْتُمْ ومِثْلُهُ مَعَهُ».

قوله: «والأنصاب»، (الأنصاب) جمع: نُصُب، وهو حجارة كانت تُنصَب وتُعبَد من دون الله تعالى، أو يذبحون عليها تقرُّباً إلى آلهتهم، وكيف كان وكلُّ ما نُصِبَ وعُبِدَ من دون الله تعالى، أواعتُقد تعظيمُه فهو النُّصُب.

قوله: «أتاهم ربُّ العالمين»؛ أي: أتاهم أمرُ ربِ العالمين؛ لأن الإتيانَ

صفةُ الأجسام، والله تعالى منزَّه عما هو جسمٌ وجسمانيٌّ.

قوله: «ينظرون»؛ أي: ينتظرون.

قوله: «هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه؟» أي: هل بينكم وبين الله تعالى آيةٌ تعرفونه تعالى بتلك الآية؟ وتلك الآية ـ والله أعلم ـ عبارةٌ عما هو نتيجةُ التوحيد، وهو المعرفة والمحبة، والموحِّدون لهم اشتراكٌ في أصل المعرفة والمحبة، كما أن لهم اشتراكاً في أصل التوحيد، لكنهم يتفاوتون فيهما كتفاوتهم في التوحيد، فإذا كان كذلك فقربُهم إلى الله سبحانه بحسب مراتبهم في المعرفة والمحبة.

قوله: «فيقولون: نعم»؛ أي: لنا آيةٌ؛ يعني: معرفةٌ به سبحانه وتعالى.

قوله: «فيكشف عن ساقٍ»: تفسير الكشف قد ذُكر مستوفًى في (باب لا تقوم الساعة).

قوله: «اللهم سلِّمْ سلِّمْ»، (سلِّمْ): أمر مخاطب من: التسليم، وهو جعل الشخص سالماً من الآفة، و(سلِّمْ) الثاني: تأكيد الأول؛ يعني: اللهم اجعلْ أُمتي سالمين من ضرر الصراط والوقوع في النار.

قوله: «فيمرُّ المؤمنون كطَرْفَةِ العين»؛ أي: طرف يطرف طرفاً: إذا أطبقَ أحدَ جفنَيه على الآخر، يقال: أسرعُ من طرفِ عينٍ، أو طَرفةِ عينٍ، والتاء في (الطَّرفة) للوحدة.

و«الأجاويد» جمع: أجياد، و(الأجياد) جمع: جواد في القلة، و(الجياد): جمعه في الكثرة، والجواد: يُستعمل في الذكر والأنثى من الخيل، وهو نعت من (جاد): إذا أسرعَ في السير.

«المُخْدُوش» و«الكُدوش»: واحد، والكَدْس: إسراع الثقل في السير، يقال: كَدَسَ الفرسُ يَكدِسُ: إذا مشى كأنه مُثقَلٌ، وكُرْدِسَ الرجلُ: إذا جُمعت

يداه ورِجلاه؛ يعني: المؤمنين يتفاوتون في المرور على الصراط بحسب مراتبهم في القربات والدرجات عند الله سبحانه؛ فبعضُهم يمرُّ على الصراط في غاية السرعة كطرفة العين، وبعضُهم يمرُّ كالبرق الخاطف، وبعضُهم يمرُّ كطيران الطير، وبعضُهم يمرُّ كسَيْرِ فرسٍ جوادٍ.

والناس بالإضافة إلى المرور على الصراط على ثلاث طبقات:

الأولى: ناجون سالمون، وهم أهل الإيمان الذين ذُكر مرورُهم قبلُ.

والثانية: مَخدوشون مُرسَلُون؛ أي: مُطلَقون عن الغُل والقيد بعد أن عذِّبوا مدةً، وهم العُصَاةُ من أهل الإيمان أيضاً.

والثالثة: مُكدوسون في نار جهنم؛ يعني: مغلولون مقيَّدون بالسلاسل والأغلال فيها، وهم الكفار.

ويُروى: «مكدوش» بالشين المعجمة؛ أي: مدفوع دفعاً عنيفاً. ويُروى: «مُكَرْدَس» أي: مغلول مجموع الأعضاء في الغُل.

قوله: «ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدةً في الحق»، (ما من): جواب للقَسَم، وهو: (فوالذي)، و(من) في (ما من أحد): زائدة للاستغراق، و(أحد): اسم (ما)، و(منكم): صفة لـ(أحد)، و(بأشد): خبره.

و(المناشدة): منصوبة على التمييز، وهو بمعنى المطالبة والمناظرة، من: نَشدتُ الضالَّةَ؛ أي: طلبتُها.

و(في الحق): ظرف المناشدة، وقد تبين للحال تقدير الكلام: ما مِن أحدٍ منكم بأشدَّ مناشدةً في حال أن يتبيَّن لكم الأمرُ الحقُّ من المؤمنين لله يومَ القيامة لنجاةِ إخوانهم الذين في النار، معناه: لا يكون أحدٌ منكم أكثرَ اجتهاداً ومبالغةً في طلب الحق حين ظهر لكم الحقُّ من المؤمنين في طلب خلاص إخوانهم العصاة في النار من النار يومَ القيامة.

قوله: «فقبضَ قبضةً من النار، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا قطُّ قد عادوا حُمَماً»، و(القبضة): عبارة عما يَسَعُه في الكَفِّ، والله سبحانه منزَّه عن الجوارح؛ فإنها صفةُ الأجسام، ومِثْلُ هذا من المتشابهات؛ فتركُ الخوضِ فيها أقربُ إلى السلامة.

يعني: يُخرج الله سبحانه من النار قوماً من غير أن يكون لهم عملٌ صالحٌ، وقد صاروا حمماً محرقةً، و(الحُمَم) جمع: حُمَمَة، وهي الفحم.

وفي الحديث: تحريضٌ بليغٌ للعباد على الطاعة؛ لأنه إذا لطف بعباده العصاة بما ذكر، فكيف يلطف بعباده المحسنين مع أن رحمتَه تعالى قريبٌ من المحسنين؟!

قوله: «في أفواه الجنة»، و(أفواه الجنة): أوائلها ومقدماتها وطُرُقها.

يقال: فوهة الطريق، والجمع: أفواه، غير قياسي.

قال في «شرح السُّنَّة»: الحِبَّة ـ بكسر الحاء وتشديد الباء ـ اسم جامع لحبوب البقول التي تنتثر إذا هاجت ريحٌ، ثم إذا أمطرت من قابلٍ نبتَتْ.

قال الكِسائي: هي حَبُّ الرياحين، الواحدة: حِبَّة، فأما الحِنطة وغيرها فهو الحَبُّ لا غير، والحَبَّة من العِنَب تُسمى حَبَّة بالفتح، وحَبُّ الحُبة تُسمَّى حُبَةً بضم الحاء وتخفيف الباء.

«حميل السيل»: ما حمله السيل، فعيل بمعنى مفعول، كما يقال للمفعول: قتيل.

قال أبو سعيد الضرير: حميل السيل: ما جاء به من طينٍ أو غثاءٍ، فإذا اتفق فيه الحِبَّة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرعُ نباتاً، وإنما أخبر بسرعة نباتهم.

وفي الحديث: دليلٌ على أن أهلَ المعاصي لا يُخلَّدون في النار.

وفيه: دليلٌ على تفاضُلِ الناس في الإيمان.

قوله: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم»، و(الرِّقاب) جمع: رقبة، و«الخواتم» جمع: خاتم، وهو هاهنا: عبارة عن علامة تظهر من رقابهم، وخُصَّت تلك العلامة بالرقبة؛ لأن الرقبةَ أُعتقت من النار، وهي عبارةٌ عن شخصه؛ يعني: يُخرَجون من ذلك النهر بِيضاً؛ أي: ذوي بياضٍ مشرقٍ كاللآلئ، فتُعلق بأعناقهم الخواتمُ؛ ليكونوا متميزين بين المغفورين من غير واسطة العمل الصالح، وبين غيرهم، والله أعلم.

قوله: «لكم ما رأيتُم ومِثْلُه معه»: الكاف والميم خطاب للعتقاء، والضمير في (ومثله معه) يعود إلى (ما)؛ يعني: يقال للعتقاء: لكم ما رأيتُم مذْ بصركم من فيضه الشامل وفضله الكامل، ومِثْلُ ما رأيتُم معه في النعيم الأبدي السَّرمدي.

* * *

٤٣٢٣ ـ وقال: «إذا دَخَلَ أهلُ الجَنَّةِ الجنةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ يقولُ الله تعالى: مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ فأَخْرِجُوهُ، فيُخْرَجونَ قدِ امتَحَشُوا وعادُوا حُمَماً، فيُلقَوْنَ في نهرِ الحياةِ فيَنْبُتونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ألَمْ تَرَوْا أنَّها تَخْرُجُ صَفْراءَ مُلْتَوِيةً».

قوله: «قد امتَحَشُوا»، (الامتحاش): الاحتراق، يقال: امتَحَشَ الخبزُ، وامتَحش فلانٌ غضباً.

* * *

٤٣٢٤ ـ عن أبي هُريرةَ ﷺ: أنَّ النَّاسَ قالوا: يا رسولَ الله! هلْ نَرَى ربنا يومَ القِيامةِ؟ فذكرَ معنَى حديثِ أبي سعيد ﷺ غيرَ كَشْفِ السَّاقِ. وقال:

«ويُضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ، فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، ولا يَتكلَّمُ يومَئِذٍ إلاَّ الرُّسُلُ، وكلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلاَّ الله، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأعْمالِهِمْ، فمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بعَمَلِهِ، ومِنهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنجُو، حتَّى إذا فَرَغَ الله مِنَ القَضاءِ بينَ عِبادِهِ، وأرادَ أنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أرادَ أنْ يُخرِجَهُ ممَّنْ كانَ يَشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله؛ أمَرَ الملائِكَةَ أنْ يُخرِجُوا مَنْ كانَ يعبُدُ الله، فيُخرِجونَهُمْ، ويَعْرِفُونَهُمْ بآثارِ السُّجودِ، وحَرَّمَ الله على النَّارِ أنْ تأكُلَ أثرَ السُّجودِ، فكُلُّ ابنِ آدمَ تأكلُهُ النَّارُ إلاَّ أثرَ السُّجودِ، فيُخرَجونَ مِنَ النَّارِ قدِ امتَحَشُوا، فيُصَبُّ عليهِمْ ماءُ الحَياةِ، فيَنْبُتُونَ كما تنبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ويَبقَى رَجُلٌ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، وهوَ آخِرُ أهلِ النَّارِ دُخولاً الجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بوَجهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فيقولُ: يا ربِّ اصْرِفْ وَجْهِي عنِ النَّارِ، قدْ قَشَبَنِي رِيحُها وأحرَقَنِي ذَكاؤُها، فيقولُ: هلْ عَسَيْتَ إنْ فُعِلَ ذلكَ بكَ أنْ تسألَ غيرَ ذلك؟ فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ، فيُعطِي الله ما شاءَ مِنْ عَهْدٍ ومِيثاقٍ، فيَصرِفُ الله وَجْهَهُ عنِ النَّارِ، فإذا أقبَلَ بهِ إلى الجَنَّةِ رأى بَهْجَتَها سَكَتَ ما شاءَ الله أنْ يَسكُتَ، ثم قال: يا رَبِّ قَدِّمْنِي عِندَ بابِ الجنَّةِ، فيقولُ الله تباركَ وتعالَى: أليسَ قدْ أعطَيْتَ العُهُودَ والمِيثاقَ أنْ لا تَسألَ غيرَ الذي كنتَ سألتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ لا أكُونُ أشْقَى خَلقِكَ، فيقولُ: فما عَسَيْتَ إنْ أُعْطِيْتَ ذلكَ أنْ تسألَ غيرَهُ، فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ لا أسألُكَ غيرَ ذلكَ، فيُعْطِي ربَّهُ ما شاءَ مِنْ عَهْدٍ ومِيثاقٍ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الجَنَّةِ، فإذا بلغَ بابَهَا فرأى زَهْرَتَها وما فيها مِنَ النَّضْرَةِ والسُّرورِ، فَسَكَتَ ما شاءَ الله أنْ يَسكُتَ، فيقولُ: يا رَبِّ أدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فيقولُ الله تباركَ وتعالَى: وَيْلَكَ يا ابنَ آدمَ ما أغدَرَكَ! أليسَ قدْ أعْطَيْتَ العُهودَ والمِيثاقَ أنْ لا تَسألَ غيرَ الذي أُعْطِيتَ؟ فيقولُ: يا رَبِّ لا تَجْعَلْنِي أشْقَى خَلقِكَ، فلا يزالُ يَدعُو حتَّى يَضْحَكَ الله منهُ، فإذا ضَحِكَ أذِنَ لهُ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فيقولُ: تَمَنَّ، فيَتَمنَّى

حتى إذا انقطَعَ أُمنِيَّتُهُ قالَ الله تعالَى: تَمَنَّ كذا وكذا، أقْبَلَ يُذَكِّرُهُ ربُّهُ، حتَّى إذا انتهتْ بهِ الأمانيُّ قالَ الله تعالَى: لكَ ذلكَ ومِثْلُهُ معه».

وقالَ أبو سعيدٍ ﷺ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «قالَ الله تعالَى: لكَ ذلكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ».

قوله: «وفي جهنم كلاليب مثل شَوك السَّعدان»: قال في «الصحاح»: الكَلُّوب: المِنْشَال، فكذلك الكُلاَّب والجمع: الكلاليب، والمِنْشَال: حديدة معوجة الرأس يُنشَل بها اللحم من القِدْر، و(السَّعدان): نبتٌ، وهو من أفضل مراعي الإبل، وفي المَثَل: مَرْعًى ولا كالسَّعدان، والنون زائدة؛ لأنه ليس في الكلام فَعْلاَل غير (خَزْعَال) و(قَهْقَار)، إلا من المضاعف، ولهذا النبت شوكٌ يقال له: حَسَكُ السَّعدان، وتُشبه به حَلَمَةُ الثدي، يقال: سَعْدَانة الثُّنْدُوَة، ذكره في «الصحاح».

قوله: «فمِنهم مَن يُوبَق بعمله، ومِنهم مَن يُخَرْدَل»، قال في «شرح السُّنة»: يُوبَق بعمله؛ أي: يُحبَس، يقال: (أَوْبَقَه) إذا حَبَسَه، ومنه قوله: تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾، أي: يحبس السفنَ، فلا تجري عقوبةً لأهلها، والإيباق: الإهلاك أيضاً.

قال في «الصحاح»: خَرْدَلْتُ اللحمَ؛ أي: قطعتُه صغاراً بالدال والذال جميعاً.

قال في «الغريبين»: المعنى: أنه تقطعه كلاليبُ الصراط حتى يهويَ إلى النار.

قوله: «قد قَشَبَني ريحُها، وأحرقني ذَكاؤها»، قال في «الصحاح»: قَشَبني ريحها تقشيباً؛ أي: آذاني كأنه سمَّني ريحه.

عن أبي عمرو: وقَشَبَه قَشْباً: سقاه السمَّ، وقَشَبَ طعامَه؛ أي: سَمَّه.

قال في «شرح السُّنَّة»: قَشَبني ريحُها؛ أي: سمَّني وصار ريحها كالسمِّ في أنفي، والقَشْبُ: خلط السمِّ بالطعام، والقِشْب: اسم السمِّ، وكل مسموم: قشيب، وأصل (الذَّكاء): بلوغ الشيء منتهاه، وذكَّيتُ النارَ: إذا أتممتُ اشتعالَها، وذَكاء النار: لهبُها؛ يعني: ذلك الرجل إذا أقبلَ وجْهه إلى النار، وقَرُبَ منها يستعيذ به تعالى ويقول: يا ربِ! بعِّدْ وجهي عنها؛ فإن ريحَها قد آذاني، وأحرقني لهبُها.

قوله: «هل عسيتَ إن فُعِلَ ذلك بك أن تسأل غيرَ ذلك؟» (هل): استفهام بمعنى التقرير، و(عسيت): عامله واسمه، و(أن تسأل): خبره، و(إن) في (إن فُعل): للشرط، وفعل جملة شرطية، والجملة الجزائية مقدرة يدل عليه قوله: (عسيت)، وقيل: الشرط إذا توسط لا يستحق الجزاء؛ لأن له حقَّ الصدر، فإذا زالت صدريتُه زال حقُّه في الجزاء. (ذلك) في قوله: (إن فُعل ذلك) إشارة إلى المسؤول عنها، وهو إبعاده عن النار.

قوله: «رأى بهجتَها»، (البهجة): الحُسن، (بَهَجَ) و(بَهِجَ به) بالفتح والكسر: إذا فرح، بهَجَه وأبْهَجَه: سرَّه، الضمير في (بهجتها) عائد إلى الجنة.

قوله: «فإذا بلغ بابَها، فرأى زهرتَها وما فيها من النَّضرة والسرور»، (الزهرة): البياض، زهرة الدنيا: نضارتها؛ أي: طِيب عيشها؛ يعني: طِيب العيش فيها، وزهرة النبت: نوره.

(النَّضرة): الحُسن والرَّونق، يقال: نَضر وجهُه يَنْضُر نَضرةً: حَسُنَ، والسرور: الفرح.

قوله: «ويلَك يا ابن آدم ما أغدرَك!»، (ويلك): كلمة تقال عند وقوع شخص في الهلاك، وهو مصدر لا فعلَ له من لفظه، فإن فُسِّرَ من معناه الظاهر كان المعنى: ألزَمِ الله ويلَك؛ أي: أهلكتَ إهلاكاً، وإن نُظر إلى معناها الخاص

فـ (ويلك): عبارة عن الهلاك؛ أي: هلكتَ هلكاً.

(ما أغدرك)، (أغدر): أفعل من: الغدر، وهو ضد الوفاء، و(ما): للتعجب، معناه: شيء، وهو مبتدأ، و(أغدرَك): جملة فعلية خبره، فعلى هذا معنى التعجب في كلام الباري تعالى: إنك تستحق أن تتعجب من كثرة غدرك وثباتك عليه، ويجوز أن تكون (ما) للاستفهام مبتدأ، و(أغدرك): خبره، فالهمزة في (أغدرك) للجَعل؛ أي: أيُّ شيءٍ جعلَك غادراً إذا أعطيتَ العهدَ والميثاقَ؛ أي: لا تسألُ غيرَ ذلك.

قوله: «فلا يزال يدعو حتى يضحكَ الله منه»، والضَّحِك: صفة أجسام، والله ﷻ منزَّه عنه كما ذُكر غيرَ مرةٍ، يعني: يداوم العبدُ في دعائه حتى يرضَى الله سبحانه عنه، فإذا كان كذلك يكون المراد به: الرضا؛ لأن الرضا لازمة، فإن مَن يرضى عن شيء، أو يتعجب منه يضحك.

قوله: «فيقول: تَمَنَّ، فيتمنَّى حتى إذا انقطع أمنيتُه»، (تمنَّ): أمر مخاطب من: تمنَّيتُ الشيءَ؛ أي: اشتهيتُه، ومنَّيتُ غيري تمنيةً، و(الأمنية) واحدة: الأماني، وهي هاهنا بمعنى المُشتَهَى والمطلوب؛ يعني: يقول الله جل وعز لعبده المغفور في جنته: اطلبْ مني ما تريد، فيشتهي مِن حضرته ما يشاء، حتى يصلَ إلى منتهى مراده.

قوله: «قال الله تعالى: من كذا وكذا، أقبل يُذكِّره ربُّه حتى، إذا انتهت به الأماني»، (من) في (من كذا): للبيان، متعلق بـ (تمنَّ)؛ يعني: تمنَّ مِن كل جنس ما تشتهي منه، (كذا): اسم مُبهَم، تقول: فعلتُ كذا، وقد يجري مجرى (كم) فيُنصَب ما بعده على التمييز، تقول: عندي كذا وكذا درهماً؛ لأنه كان كنايةً، ذكره في «الصحاح».

وهاهنا المعنى الأول سائغ؛ يعني: يقول الله تعالى: أتفضَّل عليك تفضُّلاً

كثيراً من كذا وكذا رحمةً وفضلاً، وأُعطيت ما سألتني من المُنَى؛ أولُها خلاصُك من الجحيم، وآخرُها اللقاءُ في النعيم، فأقبل ﷺ؛ أي: طَفِقَ لطفُه تعالى يُذكِّره ما تفضَّل عليه من النِّعَمِ حتى إذا انتهت به الأماني.

* * *

٤٣٢٥ ـ عن ابن مَسْعودٍ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ فهوَ يَمْشي مَرَّةً ويَكْبُو مَرَّةً وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فإذا جاوَزَها التفَتَ إلَيْها فقال: تَبَارَكَ الذي نجَّاني مِنكِ لقَدْ أَعْطاني الله شَيْئاً ما أعطاهُ أحَداً مِنَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، فتُرْفَعُ لهُ شَجَرَةٌ فيقولُ: أيْ رَبِّ أَدْنِني منْ هذهِ الشَّجرةِ فلأَستَظِلَّ بظِلِّها، وأَشرَبَ منْ مائِها، فيقولُ الله: يا ابن آدمَ لعَلِّي إنْ أَعطَيْتُكَها سألْتَني غيرَها، فيقول: لا يا رَبِّ، ويُعاهِدُهُ أنْ لا يسألَهُ غيرَها، فيُدنِيه منها، فيَستظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ منْ مائِها ثُمَّ تُرْفَعُ لهُ شَجَرةٌ هيَ أَحْسنُ مِنَ الأُولى، فيقولُ: أيْ رَبِّ أدْنِني منْ هذهِ الشَّجَرةِ لأَشربَ منْ مائِها، وأَستظِلَّ بظِلِّها، فيقولُ: لَعلِّي إنْ أدنيْتُكَ منها تسألُني غيرَها، فيُعاهِدُه أنْ لا يسألَهُ غيرَها، فيُدنيهِ منها فيَستظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ منْ مائِها، ثمَّ تُرفَعُ لهُ شجَرةٌ عندَ بابِ الجَنَّةِ هيَ أحْسنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ فيقولُ: أيْ ربِّ أدْنِني منْ هذهِ فلأَستظِلَّ بظِلِّها وأشربَ منْ مائِها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ أَلَمْ تُعاهِدْني أنْ لا تَسأَلَني غيرَها؟ قال: بَلَى يا رَبِّ هذهِ لا أسأَلُكَ غيرَها، وربُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ لهُ عليهِ، فيُدنِيهِ منها، فإذا أدناهُ منها سَمِعَ أصْواتَ أَهْلِ الجَنَّةِ فيقولُ: أيْ ربِّ أَدْخِلْنِيها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ ما يَصْرِيني منكَ؟ أيُرضِيكَ أنْ أُعطِيَكَ الدُّنيا ومِثْلَها مَعَها؟ قال: أيْ رَبِّ أتَستهزِئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العالمينَ». فضَحِكَ ابن مَسعودٍ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قال: هكذا ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رسولَ الله؟ قال: «مِنْ ضَحِكِ ربِّ العالمينَ حِينَ قال: أتَستهزِئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ فيقولُ:

إنِّي لا أَسْتَهْزِئُ مِنكَ، ولكنِّي على ما أشاءُ قدِير».

قوله: «آخِرُ مَن يدخل الجنةَ رجلٌ، فهو يمشي مرةً ويَكْبُو مرةً»، قال في «الغريبين»: الكَبوة: الوقفة؛ يعني: يمشي مرةً ويقفُ أخرى.

قوله: «وتَسْفَعُه النارُ مرةً»، (تَسْفَعه)؛ أي: تُعلِّمه، وسَفَعَ من النار؛ أي: علامة منها، وقوله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] أي: لنُعلمه علامة أهل النار من سواد الوجه وزرقة العين، فاكتفى بالناصية من سائر الوجه؛ لأنها في مقدَّم الوجه، ذكره في «شرح السُّنَّة».

قال في «الصحاح»: وسفعته النارُ والسمومُ: إذا لفحته لفحاً يسيراً، فغيَّرت لونَ البشرة.

قوله: «فتُرفَع له شجرةٌ، فيقول: أَيْ ربِّ! أَدْنِنِي من هذه الشجرة فَلأَستَظِلَّ بظلِّها وأشربَ من مائها»، (فتُرفَع له شجرة)؛ أي: يظهر له شجرة.

(أي رب)؛ يعني: يا رب، والفرق بين (أي) و(يا): أن (يا) للبعيد والقريب، و(أي) للقريب فقط، والهمزة لأقرب منه.

(أَدْنِنِي)؛ أي: قرِّبني، وهو أمر مخاطب من (أَدْنَى يُدني): إذا قرَّب.

الفاء في قوله: (فلأستظل) جواب لقوله: (أدنني)؛ لأن فيه معنى الشرط، تقديره: إنك يا رب إن تُدْنِنِي منها فلأستظلَّ بظلِّها؛ أي: لأستريحَ بظلِّها.

وقيل: الفاء زائدة؛ أي: أَدْنِنِي منها لأستظلَّ بظلِّها.

قال في «الصحاح»: الظل في الحقيقة: إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشمس، فإذا لم يكن ضوءٌ فهو ظلمة، وليس بظلٍّ.

قوله: «يا ابن آدم! ما يَصْرِيني»، (ما) في (ما يَصْرِيني): للاستفهام، و(يَصْرِيني) من: صَرَى الله عنه شرَّه؛ أي: دفعَ، وصَرَيْتُه: منعتُه.

قال ذو الرمة:

وَوَدَّعْنَ مشتاقاً أَصَبْنَ فُؤادَهُ ... هَواهُنَّ إن لم يَصْرِهِ الله قاتِلُهْ

وصَرَيْتُ الماءَ: إذا استقيتُه ثم قطعتُه، وصَرَيْتُ ما بينهم صَرْياً؛ أي: فَصَلتُ، يقال: اختَصَمْنا إلى الحاكم فَصَرَى ما بيننا؛ أي: قطعَ ما بيننا وفَصَلَ، ذكره في «الصحاح».

يعني: يقول الله تعالى رؤوفاً به: يا ابن آدم! أيُّ شيءٍ يقطع مسألتك مني؟ وأيُّ شيءٍ يرضيك حتى ينقطعَ طلبُك عند ذلك؟

قال التُّورِبِشتي ـ رحمة الله عليه ـ في «شرحه»: وفي كتاب «المصابيح»: (ما يَصْرِيني منك)؛ وهو غلط، والصواب: ما يَصْرِيك مني، كذا رواه المتقنون من أهل الرواية، ويمكن أن يقال: ما قاله في «المصابيح» صواب، ولكنه مقلوب، (ما يَصْرِيني منك) أصله: ما يَصْرِيك مني، فقلبه للعلم به، والقلبُ كثيرٌ في كلام العرب داخلٌ في الفصاحة.

قوله: «أتستهزئ مني وأنتَ ربُّ العالمين؟» الاستهزاءُ من الله تعالى مُحَالٌ؛ لأنه صفةُ المخلوق، وقد ذُكر غيرَ مرةٍ أن ما هو صفةُ الأجسام في الله سبحانه محالٌ، فإذا كان كذلك فهذه العبارة لا محالةَ مؤولةٌ، فتأويله يحتمل أن يحمل إلى سبق لسانه؛ لشدة الفرح، كما أخطأ في القول مَن ضلَّت راحلتُه بأرضِ فلاةٍ وعليها طعامُه وشرابُه، فَأَيِسَ منها، ثم بعدَ ما وجدها وأخذ بخطامها قال من شدة الفرح: «اللهم أنتَ عبدي وأنا ربُّك»؛ فتحيَّر من غاية الفرح حتى أخطأ في كلامه، وسبقَ لسانه بهذا الكلام المعكوس، ويجوز أن يريد به: إنك سبحانك تجلُّ أن تخاطبني بخطاب المستهزئين، فلِمَ تفعل ذلك وأنتَ أكرمُ الأكرمين؟ أو يريد: إن الآخرةَ ليست دارَ تكليفٍ، فلا يُؤاخذون بمثل هذه الأشياء.

* * *

٤٣٢٧ ـ عن أنسٍ ﷺ: أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «لَيُصِيبن أقواماً سَفْعٌ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصابُوها عُقوبةً، ثمَّ يُدخِلُهُمُ الله الجنَّةَ بفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فيُقالُ لهُمْ: الجَهَنَّمِيُّونَ».

قوله: «لَيُصيبن أقواماً سَفْعٌ من النار بذنوبٍ أصابوها عقوبةً»، اللام في (لَيصيبن): جواب قَسَم مقدَّر؛ أي: والله لَيُصيبن، أصاب يصيب إصابةً: إذا وجدَ، و(الأقوام) جمع: قوم، والقوم بمعنى الجماعة، وهو اسم لجمع، و(السَّفْع): الإحراق، و(سَفْعٌ): فاعل (يصيبن)، و(أقواماً): مفعوله المقدَّم، و(من النار): صفة لـ (سَفْع)، والباء في (بذنوب): للسبب، و(أصابوا): صفة (ذنوب)، و(عقوبة): مفعول له، والفعل المعلَّل (أصابوها).

* * *

٤٣٢٨ ـ عن عِمران بن حُصَيْن، عن النَّبـيِّ ﷺ قالَ: «يَخرُجُ قومٌ مِنَ النَّارِ بشَفاعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فيَدخُلونَ الجَنَّةَ ويُسمَّوْنَ: الجَهنَّميينَ».

وفي رِوايةٍ: «يَخرُجُ قومٌ مِنْ أُمَّتي مِنَ النَّارِ بشَفاعَتي يُسمَّوْنَ: الجَهنَّميينَ».

قوله: «ويُسمَّون الجَهَنَّمِيُّون»، (الجَهنَّمِيُّون) جمع: جَهَنَّمِيٌّ، وهو منسوبٌ إلى جهنم، وحقُّه في الإعراب أن يكون بالياء؛ لأنه المفعول الثاني لقوله: (يُسَمَّون)، لكنِ الرواية بالواو.

* * *

٤٣٢٩ ـ عن عبدِالله بن مَسْعودٍ ﷺ قال: قالَ النَّبـيُّ ﷺ: «إنِّي لأَعلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُروجاً منها، وآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخولاً، رَجُلٌ يخرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فيقولُ الله: إذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ، فيأْتِيها فيُخَيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأَى، فيقولُ الله: يا رَبِّ وَجَدتُها مَلأَى، فيقولُ الله: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ فإنَّ لكَ مِثْلَ الدُّنْيا وعَشَرَةَ أمثالِها،

فيقول: تَسْخَرُ مِنِّي - أو تَضْحَكُ مِنِّي - وأنتَ المَلِكُ؟» ولقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ. وكانَ يُقالُ: «ذلكَ أدنَى أهلِ الجنَّةِ مَنزِلةً».

قوله: «يخرج من النار حَبْواً»، قال في «الصحاح»: حَبَا الصبيُّ على استِه حَبْواً: إذا زحفَ؛ يعني: إذا مَشَى على وركَيه.

قوله: «فيأتيها، فيُخيَّل إليه أنها مَلأى»، قال في «الغريبين»: (يُخيَّل إليه)؛ أي: يُشبَّه إليه.

(ملأى) تأنيث: ملآن؛ يعني: إذا دخل الجنةَ يُخيَّل إليه أن الجنة غاصَّةٌ بأهلها.

قوله: «ضحك حتى بَدَتْ نواجذه»، قيل: هي الأضراس، وقيل: هي المضاحك، وقيل: هي الأنياب، وهي أحسنُ ما قيل فيها؛ لأنه في الخبر: أنه ﷺ كان جلُّ ضحكه التبسُّم، ذكره في «شرح السُّنَّة».

* * *

٤٣٣٠ - عن أبي ذَرٍّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي لأَعلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخولاً الجَنَّةَ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُروجاً منها، رَجُلٌ يُؤتَى بهِ يومَ القِيامَةِ فيُقالُ: اعْرِضُوا عليهِ صِغارَ ذُنوبِهِ، وارفَعوا عنهُ كِبارَها، فيُعرَضُ عليهِ صِغارُ ذُنوبِهِ، فيُقالُ: عَمِلتَ يَوْمَ كَذا وكَذا؛ كَذا وكَذا، وعَمِلتَ يَوْمَ كَذا وكَذا؛ كَذا وكَذا، فيقولُ: نَعَمْ، لا يَستطيعُ أنْ يُنكِرَ، وهوَ مُشفِقٌ مِنْ كِبارِ ذُنوبِهِ أنْ تُعرَضَ عليهِ، فيُقالُ لهُ: فإنَّ لكَ مَكانَ كُلِّ سيئةٍ حَسَنَةً، فيقولُ: رَبِّ قدْ عَمِلتُ أَشْياءَ لا أَراها ها هُنا»، فلقدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتَّى بدَتْ نَواجِذُهُ.

قوله: «فيقال: عملتَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا...» إلى آخره.

«المُشفِق»: الخائف؛ يعني: يقال له: عملتَ في اليومِ الفلانيِّ الذنبَ

الفلانيِّ، وفي اليومِ الفلانيِّ الذنبَ الفلانيَّ، فيَذكُر ذلك ويُصدِّقُه، ويقول: نعم، فـ (كذا وكذا) الأولَين: محلُّهما جرٌّ بإضافة (اليوم) إليهما، والآخرين: محلُّهما نصبٌ؛ لكونهما مفعولَي (عملت).

* * *

٤٣٣٢ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنونَ مِنَ النَّارِ، فيُحْبَسونَ على قَنْطَرةٍ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، فيُقْتَصُّ لِبَعْضِـهِمْ منْ بَعْضٍ مَظالِمُ كانتْ بينَهُمْ في الدُّنْيا، حتَّى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهُمْ في دُخُولِ الجَنَّةِ، فوالذي نَفْـسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لأَحدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلهِ في الجنَّةِ منهُ لِمَنْزِلهِ كانَ في الدُّنْيا».

قوله: «فيُحبَسون على قنطرة بين الجنة والنار»، (القنطرة): الجسر، وهي عبارة عن الصراط الممدود بين الجنة والنار، وقد ذُكر قُبيلَ هذا كيفيتُه.

قوله: «فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة»، (فيُقتَصُّ): مضارع ما لم يُسمَّ فاعلُه، من: قَصَّ الأثرَ واقتصَّ وتقصَّصه تقصُّصاً: تبعَه.

و(المظالم) جمع: مَظْلَمة، وهي ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أُخذ منك، ذكره في «الصحاح».

«التهذيب» و«التنقية»: واحد؛ يعني: إذا خلصَ المؤمنون من النار، فيُحبَسون على تلك القنطرة التي بين الجنة والنار؛ ليؤدُّوا حقَّ كلِّ ذي حقٍّ من المظالم المالية والعرضية[1]، فإذا اقتصوا وأدَّوا ما عليهم من الحقوق إلى صواحبها، أو يُرضيهم الله سبحانه بكرمه ولطفه مما عنده، فيستحقُّون دخولَ

---

(١) في «ش»: «ليقتص من بعض مظالم مالية وعرضية» مكان: «ليؤدوا حق كل ذي حق من المظالم المالية والعرضية».

الجنة بعد ذلك؛ لأنهم هُذِّبوا ونُقُّوا من الذنوب.

وفي بعض النسخ: «فيُقْتَصُّ» مضارع مجهول من: الاقتصاص.

قوله: «والذي نفسي بيده! لأحدُهم أهدَى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»؛ يعني: أَقسَمَ النبيُّ ﷺ تأكيداً لصدقه بأن كلَّ واحدٍ من أهل الجنة أشدُّ هدايةً إلى منزله في الجنة منه؛ أي: أعرف بمنزله المَعدِّ له في الجنة من معرفته بمنزله الذي كان في الدنيا.

* * *

٤٣٣٤ ـ وقالَ: «إذا صارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ، وأهلُ النَّارِ إلى النَّارِ جِيءَ بالمَوْتِ حتَّى يُجْعَلَ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ، ثمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فيزدادُ أهلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إلى فَرَحِهم، ويزدادُ أَهْلُ النَّار حُزناً إلى حُزنِهم».

قوله: «إذا صار أهلُ الجنــة إلى الجنــة، وأهلُ النار إلى النار جِيء بالموت...» إلى آخره.

صارَ إلى الشيء الفلاني؛ أي: جُمِعَ إليه؛ يعني: إذا وصلَ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِإلى النارِ جِيءَ بالموت على صورة كبش، فيُذبَح بين الجنة والنار.

اعلم أن الموتَ يومَ يُذبَح يصير مشكلاً على الصورة المذكورة، بحيث يشاهدها أهلُ الجنة وأهلُ النار بأعينهم؛ لأن نعيمَ الجنة صوريٌّ، وكذا عذابُ أهل النار صوريٌّ، كما نَطَقَ به الشرعُ، وإنما يُذبَح؛ ليعلموا أن نعيمَ أهل الجنة في الجنة أبديٌّ بلا انقطاعٍ، وعذابَ أهلِ النار الذين لهم استحقاقُ الخلود في النار أبديٌّ بلا انقطاعٍ.

* * *

مِنَ الحِسَانِ:

٤٣٣٥ ـ عن ثَوْبان ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «حَوْضي من عَدَنَ إلى عَمَّانَ البَلْقاءِ، ماؤُهُ أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبنِ، وأحلَى مِنَ العَسَلِ، وأكوابُهُ عَدَدُ نُجومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ منهُ شَرْبَةً لمْ يَظمَأْ بعدَها أبداً، أوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً فُقراءُ المُهاجِرينَ، الشُّعْثُ رُؤُوساً الدُّنْسُ ثياباً، الذينَ لا يَنْكِحونَ المُتنعِّماتِ، ولا يُفْتَحُ لهُمُ السُّدَدُ»، غريب.

قوله: «حوضي من عدن إلى عمَّان البلقاء»، قال في «شرح السُّنَّة»: (عَمَّان) بفتح العين وتشديد الميم: موضع بالشام، وبضم العين وتخفيف الميم: موضع بالبحر.

قال في «الصحاح»: البلقاء: مدينة بالشام.

قوله: «وأكوابُه عددُ نجوم السماء...» إلى آخره.

وقال في «الصحاح»: الكُوب: كُوزٌ لا عُروةَ له، والجمع: أكواب، يقال:

مُتَّكِئاً تُصْفَقُ أبوابُه يَسْعَى عليه العبدُ بالكُوبِ

«وروداً» و«رؤوساً» و«ثياباً» كلُّها منصوبةٌ على التميز.

«الشُّعث» بضم الشين: جمع أشعث، وهو الذي شَعرُ رأسه متفرِّق.

و«المتنعِّمات» جمع: متنعِّمة وهي اسم فاعلة من: التنعُّم.

قال في «الصحاح»: التنعُّم والنَّعمة ـ بالفتح ـ بمعنًى، وقيل: النَّعمة بالفتح: عبارة عن نِعَمٍ فيها طِيبُ العيش.

«السُّدَد»: الأبواب.

والناس في قوله: (أول الناس ورودا) مخصوصون بالفقراء المهاجرين، وتخصيصُ العموم من فصاحة كلام العرب؛ يعني: أولُ مَن وردَ على حَوضي

مِن فقراء أُمتي مِن الناس فقراءُ المهاجرين الذين كانت شُعور رؤوسهم متفرقةً، وثيابُهم دَنِسَةً، بحيث لو خَطَبُوا المتنعّماتِ من أوليائهن لم يُجَابُوا، ولو دقُّوا الأبوابَ لم يُفتَح لهم؛ هواناً.

* * *

٤٣٣٦ ـ عن زَيْدِ بن أَرْقَمَ قال: كُنَّا مَعَ النَّبـيِّ ﷺ فنزَلنا مَنْزِلاً، فقالَ: «ما أنتُمْ جُزْءٌ منْ مِئَةِ ألفِ جُزءٍ مِمَّنْ يرِدُ عليَّ الحَوْضَ». قيلَ: كمْ كنتُمْ يومئذٍ؟ قال: سبعَ مِئَةٍ أو ثمانِ مِئَةٍ.

قوله: «ما أنتم جزءٌ من مئةِ ألفِ جزءٍ ممن يَرِدُ على الحوض»: يجوز أن يكون قوله: (جزء) منصوباً على لغة أهلِ الحجاز، وهو إعمال (ما) وإجراؤها مجرى (ليس)، ويجوز أن يكون مرفوعاً على لغة بني تميم، ويريد به: كثرة مَن آمَنَ به وصدَّقه من الجن والإنس، ومثل هذه العبارة جاريةٌ في معرض المبالغة.

قوله: «قيل: كم كنتُم يومَئِذٍ؟»، (كم) ههنا: للاستفهام، ومحلها نصب على خبر (كان) المتقدم، تقدير الكلام: كم رجلاً كنتم؟ أو كم عدداً كنتُم؟

* * *

٤٣٣٨ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: سألْتُ رسُولَ الله ﷺ أنْ يَشْفَعَ لي يَوْمَ القِيامَةِ، فقالَ: «أنا فاعِلٌ». قُلتُ: يا رسُولَ الله! فأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قالَ: «اُطلُبني أوَّلَ ما تطلُبني على الصِّراطِ». قلتُ: فإنْ لمْ ألقَكَ عَلَى الصِّراطِ؟ قالَ: «فاطلُبني عِنْدَ المِيزانِ». قلتُ: فإنْ لم ألْقَكَ عِنْدَ المِيزانِ؟ قال: «فاطلُبني عِنْدَ الحَوْضِ، فإنِّي لا أُخطِيءُ هذهِ الثلاثَ المَواطِنَ»، غريب.

قوله: «فإني لا أُخطِيءُ هذه الثلاث المَوَاطن»، (المواطن) جمع: مَوطِن، وهو الموضع، وأصل معنى الموطن: المَشهَد من مشاهد الحرب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥].

وقال طرفة:

علـى مَـوطِنٍ يَخْـشَى الفتـى عنـدَه الـرَّدَى

وحقُّ الكلام أن يقال: هذه الثلاثةُ المَواطن، بالتأنيث؛ لأن واحدَ (المواطن) مذكر، وهو الموطن، إلا أن يراد بـ (المواطن): البقع، وهذا التأويلُ شائعُ الاستعمال في العربية.

يعني: حمل المذكَّر على المؤنَّث، وبالعكس.

* * *

٤٣٣٩ ـ عن المُغِيرةِ بن شُعْبَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «شِعَارُ المُؤْمنينَ يومَ القِيامَةِ على الصِّراطِ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، غريب.

قوله: «شِعَارُ المؤمنين»، و(الشِّعار) بكسر الشين: العلامة.

قال في «الصحاح»: وشِعَارُ القومِ في الحرب: علامتُهم؛ ليَعرفَ بعضُهم بعضاً، والشِّعار: ما يلي الجسدَ من الثياب، والشَّعار ـ بالفتح ـ: الشجر، يقال: أرضٌ كثيرةُ الشَّعارِ.

* * *

٤٣٤٤ ـ عن أبي سعيدٍ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ مِنْ أُمَّتي مَنْ يَشْفَعُ للفِئامِ، ومنهُم مَنْ يَشْفَعُ للقَبِيلَةِ، ومنهُم مَنْ يَشْفَعُ للعَصَبَةِ، ومنهُم مَنْ يَشْفَعُ للرَّجُلِ حتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ».

قوله: «مَن يَشْفَع للفِئام...» إلى آخره.

قال في «الصحاح»: الفئام: الجماعة من الناس، لا واحدَ له من لفظه، والعامة تقول: فيام ـ بلا همز ـ.

و«العُصبة من الرجال»: ما بين العشرة إلى أربعين.

* * *

٤٣٤٦ ـ عن أنسٍ ﷺ قالَ: «يُصَفُّ أَهْلُ النَّارِ، فَيَمُرُّ بِهِم الرَّجُلُ من أَهْلِ الجَنَّةِ، فيقُولُ الرَّجُلُ منهم: يا فُلانُ! أما تَعرِفُني؟ أنا الذي سَقَيْتُكَ شَرْبَةً، وقال بَعْضُهُمْ: أنا الذي وَهَبْتُ لكَ وَضُوءاً، فيشفَعُ لهُ فيُدْخِلُهُ الجنَّةَ».

قوله: «يا فلانُ! أما تَعرِفُني؟ أنا الذي سقيتُك شَربةً...»، الحديث.

هذا تحريضٌ على الإحسان إلى المسلمين، سيما العلماءِ والصلحاءِ، والمجالسة معهم ومحبتهم؛ فإن محبتَهم زينٌ لمحبيهم في الدنيا، ونورٌ في الآخرة.

«الوَضوء» بفتح الواو: الماء الذي يُتوضَّأ منه.

* * *

٤٣٤٨ ـ عن ابن مَسْعودٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النار ثُمَّ يَصْدُرُونَ منها بأَعْمالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كالرِّيحِ، ثُمَّ كحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كالرَّاكِبِ في رَحْلِهِ، ثم كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كمَشْيِهِ».

قوله: «يَرِدُ الناسُ النارَ، ثم يَصدُرون منها بأعمالهم»، الحديث.

قال في «الصحاح»: وَرَد فلانٌ يَرِدُ وروداً: إذا حضر، وأورده غيرُه، وصَدَر يَصدُر صدوراً: إذا رجعَ.

و«الحُضر» بضم: العَدْوُ، ويقال: أَحْضَرَ الفَرَسُ إحضاراً واحتضر؛ أي: عَدَا، و«الشَّدُّ»: العَدْوُ، قد شَدَّ؛ أي: عَدا.

وقيل: المراد بـ (الورود) هاهنا: الجواز على الصراط، ويدل عليه ما بعده، وهو قوله: «فأولُهم كلمح البرق، ثم كالريح...» إلى آخره.

وإنما يُسمى الجواز وروداً؛ لأنهم إذا مرُّوا على الصراط يشاهدون النارَ ويحضرونها، تقول: وَرَدتُ بلدَ كذا: إذا حضرتُه، ولو لم تدخل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[القصص: ٢٣]، ولم يدخله.

قال الشيخ شهاب الدين التُّورِبِشتي ـ رحمة الله عليه ـ في «شرحه»: معنى قوله: (يصدرون منها): ينصرفون عنها، فإن الصَّدَرَ إذا عُدِّي بـ (عن) اقتضى الانصراف، وعلى هذا الاتساع معناه: النجاة منها بأعمالهم، إذ ليس هناك الانصرافُ، وإنما هو المراد: عليها، فوضع الصَّدَرَ موضعَ النجاة للمناسبة التي بين الصدور والورود، هذا كله لفظ الشيخ.

وقد قيل: (الورود) بمعنى: الدخول، واستدل بقوله تعالى حكايةً عن فرعون وقومه: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[هود: ٩٨]، وقوله حكايةً عن الأصنام وعابديها: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾[الأنبياء: ٩٨ ـ ٩٩].

قال الإمام الربَّاني أبو الفتوح العجلي ـ قدَّس الله روحه ـ في تفسيره المرسوم بـ «الموجز» في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾[مريم: ٧٢]: رُوي عن أبي سمية قال: اختلفنا بالبصرة في الورود؛ فقال قوم: لا يدخلها مؤمنٌ، وقال آخرون: يدخلونها جميعاً، ولقيتُ جابرَ بن عبدالله ﷺ، فقلت له: إنما اختلفنا فيه بالبصرة؛ فقال قوم: لا يدخلها مؤمنٌ، وقال آخرون: يدخلونها جميعاً ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه ـ أي: أشارَ، قال الأصمعي: أهويتُ بالشيء: إذا أَومأت به، ذكره في «الصحاح» ـ وقال: صُمَّتَا إن لم أكن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الورودُ الدخولُ، لا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلَها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، حتى إن للنار ـ أو قال: إن لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم».

□□□

الكتاب والبـــاب	الصفحة

(٢٠)

كتاب اللباس

(٢١)

كتاب الطب والرقى

(٢٢)

كتاب الرؤيا

(٢٣)

كتاب الآداب

الكتاب والبـــاب	الصفحة